مجلّة ضياء الفكر

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات

تصدر عن جمعيّة المركز العلمي للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

مجلّة فصليّة محكّمة تُعنى بالعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة وفروعهما كافة

عدد خاصّ بمؤتمر بيروت العلميّ الدّوليّ الثّاني ٢٩ ـ ٣٠ نيسان ٢٠٢٤

جمعيّة المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة والثّقافيّة

مجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

دوريّة علميّة دوليّة محكّمة فصليّة

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

عدد خاصّ بمؤتمر بيروت العلميّ الدّوليّ الثّاني
للعلوم الإنسانيّة والصّرفة
(البحث العلميّ طريق التّنميّة المعاصرة)
٢٩ – ٣٠ نيسان ٢٠٢٤
المجلد الرابع

©حقوق النّشر محفوظة



نبذة عن المجلة

مجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات هي دوريّة علميّة محكّمة فصليّة، تصدر عن المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة في لبنان، يرأس تحريرها الدكتورة فاتن علي بدران، ويُعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النّهضة العربيّة / بيروت – لبنان.

وتُنشر عبر صفحاتها على الأنترنت www.diaalfekr.com

https://ojs.diaalfekr.com

وهي مرخصة من قبل المجلس الوطنيّ للإعلام المرئيّ والمسموع

التابع لوزارة الإعلام، تحت الرقم 23 /72

حائزة على الرّقم المعياريّ الدّوليّ

للطبعة الورقيّة Print ISSN: 3006-5356

وللنّسخة الإلكترونيّة Online ISSN: 3006-5364

وهي عضو في قاعدة بيانات Crossref ولديها معرّف رقمي

https://doi.org/10.71090

دار النهضة العربية

بيروت – لبنان

مجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

دوريّة علميّة محكّمة فصليّة

تصدر من بيروت – لبنان، عن المركز العلميّ
للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة

رئيس التّحرير

الدكتورة فاتن علي بدران

رئيس المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة

مدير التّحرير

الدكتور حسين نايف نابلسي

مدير الجامعة الأمريكيّة للثّقافة والتّعليم– فرع النّبطيّة

الهيئة الاستشاريّة

أ. د. محمّد توفيق أبو علي، عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللّبنانيّة سابقًا، شاعر وكاتب، والأمين العامّ لاتّحاد الكتّاب اللّبنانيّين سابقًا – لبنان.

أ. د. محمد حسين نزيه منصور، خبير اقتصادي ومستشار في البنك الدّوليّ، مؤسّس المعهد الأوروبي لدراسات الشرق الأوسط، وأستاذ محاضر الجامعة الأمريكية في بيروت – لبنان.

أ. د. يوسف خليل السبعاوي، مستشار بجامعة الدّول العربيّة، ونائب رئيس المركز العربي للبحوث القانونيّة والقضائيّة – مجلس وزراء العدل العرب.

أ. م. د. فاهم يحي أحمد بجاش، عميد مركز التّطوير الأكاديمي وضمان الجودة/ جامعة البيضاء/ اليمن.

الهيئة التّحريريّة والعلميّة

أ. د. **علي محمود علي شعيب**، عميد كلّية التّربية/ جامعة المنوفية سابقًا – مصر.

أ. د. **أحمد محمد رباح**، عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللّبنانيّة سابقًا – لبنان.

أ. د. **عقيل سرحان محمد**، رئيس جامعة ساوة الأهلية – العراق.

أ. د. **حاكمة توفيق أبو علي**، كليّة الفنون الجميلة والعمارة/ الجامعة اللّبنانيّة، مُخرجة ومُعدّة برامج تلفزيونيّة ومُشاركة في مهرجانات مسرحيّة عالميّة في فرنسا وعدّة دول عربيّة – لبنان.

أ. د. **أحمد أنور العلمي**، عميد كلّية التّربيّة/ جامعة طرابلس، وأستاذ مشرف على أطاريح الدّكتوراه في جامعة القدّيس يوسف بيروت – لبنان.

أ. د. **عطا مهدي فليح**، كلّية التّربيّة الأساسيّة/ الجامعة المستنصريّة – العراق.

أ. د. **جمانة توفيق أبو علي**، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ كلّية التّربيّة/ الجامعة اللّبنانيّة – لبنان.

أ. د. **بهاء أحمد يحيى**، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللّبنانيّة – لبنان.

أ. د. **علي مجدي علاوي**، كلّية التّربيّة الأساسيّة/ الجامعة المستنصريّة – العراق.

أ. م. د. **تأثير عبد الجبار ناجي**، الجامعة المستنصريّة/ قسم ضمان الجودة وتقييم الأداء – العراق.

أ. م. د. **محمد إبراهيم قانصو**، كلّية الحقوق/ الجامعة الإسلاميّة، وكلّية إدارة الأعمال/ الجامعة اللّبنانيّة.

أ. م. د. **ثامر راشد شيال الزبيدي**، كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة واسط – العراق.

أ. م. د. **محمد فتيني محمد كنباش**، كلّية الآداب/ جامعة الحديدة – اليمن.

أ. م. د. **علي ناصر ناصر**، العميد التّنفيذي في كلّية العلوم والفنون/ الجامعة اللّبنانية الدّولية – لبنان.

أ. م. د. **أنور شرف مهيوب الزبيري**، عميد كلّية الآداب/ جامعة الحديدة سابقًا – اليمن.

د. **سعيد محمد عبد الكحلوت**، رئيس قسم التّدقيق السّريريّ بالإدارة العامّة للصّحّة النّفسيّة/ وزارة الصّحّة الفلسطينيّة – فلسطين.

د. **عبدالله علي الموسوي**، جامعة القديس يوسف بيروت – لبنان.

– التّدقيق اللّغوي للبحوث: أ. **هنادي محمد عوالي**، (اللّغة العربية وآدابها – تخصّص لغويّ).

للاتّصال والمراسلات:

هاتف المجلّة: 0096170820078

الموقع الإلكتروني: www.diaalfekr.com

وعلى منصة نظام المجلات المفتوحة: https://ojs.diaalfekr.com

البريد الإلكتروني: diaalfekr.sj.lb@hotmail.com

شروط النّشر وقواعده في المجلّة

قواعد عامّة:

تنشر مجلّة "ضياء الفكر" البحوثَ والدّراساتِ العلميّة الأصيلة والمبتكرة المكتوبة باللّغة العربيَّة أو إحدى اللّغتين الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة، الَّتي لم يسبق نشرها في أيّة وسيلة نشرٍ أخرى سواء أكانت ورقيَّةً أم إلكترونيَّةً، أو أنّها مقدّمة للنّشر في مجلّة أخرى. وذلك في مجال العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، التّربويّة، النّفسيّة، الإداريّة، الاقتصاديَّة، القانونيّة، الجغرافيّة، التّاريخيّة وغيرها. كما وتقبل المجلَّة نشر البحوث والنّصوص المترجمة أو المحقّقة أو مراجعات الكتب.

ترحب المجلّة أيضًا بنشر وقائع المؤتمرات والمنتديات العلميّة والنّشاطات الأكاديميّة الأخرى في مجال تخصّصها، وملخصات الرّسائل وأطاريح الدّكتوراه على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرّسالة نفسه. تُعبّر البحوث المنشورة عن آراء كتّابها، ولا تعكس آراء المجلّة، ويخضع ترتيب الدّراسات فيها لمعايير فنّيّة خاصّة بالمجلّة.

يُعدُّ البحث، بعد قبوله للنَّشر، حقًّا محفوظًا للمجلَّة، فلا يجوز النَّقل منه إلّا بالإشارة إليها. حيث يوافق المؤلّف على نقل حقوق النّشر والطّباعة لمجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات بمجرد إرساله للبحث. ويحقّ له إعادة نشر بحثه بعد مرور سنتين في كتابٍ شريطة حصوله على موافقةٍ خطّيَّةٍ من هيئة التَّحرير، والإشارة إلى المجلَّة وفق الأصول المعتمدة.

خطوات النَّشر:

- يُرسِل الباحثُ بحثَهُ إلى هيئة التَّحرير عبر بريدها الإلكترونيّ بصيغة مايكروسوفت وورد (Word).
- يُرسِل رئيس التَّحرير إلى الباحث إشعارًا بوصول البحث ضمن مدَّةٍ لا تتعدّى الأسبوع الواحد.
- يُعرض البحث على برنامج خاص لكشف الاستلال، حيث يتم رفض نشر الأبحاث الّتي تزيد فيها نسبة (الاستلال) عن المعدل المقبول دوليًّا.
- تُعرَض البحوث المرسَلة على لجنة التَّحكيم، بعد حذف أسماء أصحابها وعناوينهم توخيًّا للموضوعيَّة والأمانة العلميَّة.
- يُبَلَّغ الباحث بقرار لجنة التَّحكيم بصلاحيَّة بحثه للنَّشر أو عدمها ضمن مدَّةٍ لا تتجاوز ستَّة أسابيع.
- تُرسل هيئة التَّحرير تقرير اللَّجنة التَّحكيميَّة إلى الباحث في حال تضمَّن ملحوظاتٍ تستلزم التَّعديل، على أن يردَّ إليها النَّسخة المعدَّلة في أقلّ من شهرٍ من تاريخ إرسال التَّقرير.
- معاودة عرض النَّسخة المعدَّلة على لجنة التَّحكيم، وإبلاغ الباحث بنتيجة التَّحكيم قبولًا أو اعتذارًا.

تعليمات الكتابة في المجلَّة:

يتّبع الباحث الخطوات الآتية في إعداد بحثه:

تنسيق البحث ضمن صيغة مايكروسوفت وورد(word) ، وضرورة أن يكون مراعيًا لشروط البحث العلميّ ومتطلّباته، ومكتوبًا بلغةٍ سليمةٍ مع مراعاة علامات الوقف المطلوبة.

تتضمّن الصّفحة الأولى من البحث كتابة العنوان وسط الصّفحة بخطّ غامق حجم (١٨) للبحوث المكتوبة باللغة العربيَّة، و(١٦) للمكتوبة باللّغة الأجنبيَّة، وتحته إلى اليسار اسم الباحث، وعنوان المراسلة بخطّ غامق (١٤). وملخَّص للبحث (Abstract) في حدود (١٥٠ كلمة) باللّغة العربيَّة واللّغة الإنجليزيَّة، على أن يكون حجم الخطّ (١٢). وإن كانت الدّراسة مكتوبة باللّغة الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة، فيكتفي بإضافة ملخّصٍ باللّغة العربيَّة، مع تذييل الملخَّص بكلمات مفتاحيَّة (Keywords) تُعبّر عن المحتوى الدّقيق للبحث، وتُكتَب بخطّ غامق حجم (١٢).

ضرورة ألّا تقلّ عدد صفحات البحث عن ١٢ صفحة، وألّا تزيد عن ٢٠ صفحة من الحجم العادي قياس (A4). ويكون نوع الخطّ وحجمه وفق شروط النّشر الآتية:

نوع الخطّ في البحوث باللّغة العربية هو (Simplified Arabic)، أمّا حجمه فهو ١٦ غامق (Bold) للعنوان الرّئيس، و١٤ غامق للعناوين الفرعيّة، و١٤ عاديّ للمتن وترقيم الصّفحات؛ على ألّا تقلَّ المسافة بين الأسطر عن ١.١٥. أمّا حجم الخطّ للجداول والأشكال والرّسوم التّوضيحيَّة فهو ١٢ عاديّ، في حين يكون حجمه ١٠ عاديًّا للملخّص والهوامش السّفلى.

نوع الخطّ في البحوث باللّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة هو (Times New Roman)، أمّا حجم الخطّ فهو ١٦ غامق للعنوان الرّئيس، و١٣ غامق للعناوين الفرعيَّة، و١٣ عاديّ للمتن وترقيم الصّفحات؛ على ألّا تقلَّ المسافة بين الأسطر عن ١.١٥. أمّا حجم الخطّ فهو ١١ عاديّ للجداول والأشكال والرّسوم التّوضيحيّة، في حين يكون حجمه ٩ عاديّاً للملخّص والهوامش السّفلى.

يُراعى عند تقديم البحث التّباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢.٥ سم) من جميع الجهات (أعلى – أسفل – يمين – يسار).

ضرورة ترقيم كلٍّ من الأشكال والجداول على التوالي حسب ورودها في البحث بحجم ٨، وتزويدها بعناوين صغيرة في أسفلها بحجم ٩، على أن يشار إلى كلّ منها في متن البحث بأرقامها.

تُكتَب هوامش الصّفحات السّفليّة بخطّ عاديّ (١٠)، وتُستَخدَم لإيراد أيّ ملحوظة، أو لتوضيح أيّ معلومة واردة في متن البحث، ويستخدم للإحالة إليها نجمة مميّزة مرتفعة عن النَّصّ بالشّكل الآتي (*) .

تُوثَّق المصادر والمراجع في داخل المتن بالشّكل الآتي: (إسم المؤلّف، سنة النّشر: رقم الصّفحة)، وذلك للإحالة إلى مصدر المعلومات في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث ضمن قائمةٍ مرتَّبةٍ ترتيبًا ألفبائيًّا.

ويجب تنظيم قائمة المراجع بأسلوب APA .

عدد خاصّ

بمؤتمر بيروت العلميّ الدّوليّ الثّاني

للعلوم الإنسانيّة والصّرفة

تحت عنوان

(البحث العلميّ طريق التّنمية المعاصرة)

يُقيم

المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة – لبنان

جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL)

كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل – العراق

كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق

معهد الأكليل للعلوم الصّحيّة والتّقنيّة والإداريّة/ الحديدة – اليمن

مركز إقرأ للدّراسات الثّقافيّة والتّعليميّة – العراق

" مؤتمر بيروت العلميّ الدّوليّ الثّاني للعلوم الإنسانيّة والصّرفة "

بيروت

٢٩ – ٣٠ أبريل ٢٠٢٤ م



رئيس المؤتمر

البروفسور قصي كمال الدين الأحمدي

رئيس جامعة الموصل – العراق

رئيس الهيئة العليا للمؤتمر

البروفسور بسام ديب الحجار

رئيس جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL)

الأمين العام للمؤتمر

البروفسور محمد توفيق أبو علي

عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة سابقًا/ الجامعة اللّبنانيّة

الدكتور عباس محمد جميل الآغا

مديريّة تربيّة محافظة نينوى – العراق

رئيس اللّجنة الإستشاريّة

البروفسور محمد يوسف فرحات

مدير جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL) – فرع جدرا

الأستاذ المشارك الدكتور محمد بالوظا

جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL)

المشرف العام على المؤتمر

الدكتورة فاتن علي بدران

رئيس المركز العلمي للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة – لبنان

رئيس اللّجنة التّحضيريّة

البروفسور حازم ذنون السّبعاوي

عميد كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق

رئيس اللّجنة التّنسيقيّة

الأستاذ المساعد الدكتور علي علي محمد الحسني

مدير عام معهد الأكليل للعلوم الصّحيّة والتّقنيّة والإداريّة/ الحديدة – اليمن



رئيس اللّجنة العلميّة

البروفسور قيس إسماعيل إبراهيم

عميد كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل – العراق

رئيس اللّجنة الإعلاميّة

الأستاذ المساعد الدكتور طلال زهير حاطوم

رئيس قسم الإعلام/ جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL)

الأستاذ المشارك الدكتورة آمنة المير

عميدة كلّية الآداب/ جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL)

رئيس لجنة الإستقبال

الدكتورة غنى عارف بصبوص

مسؤولة العلاقات العامّة/ جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان– فرع جدرا

م. أحمد راكان محمد الطّيار

رئاسة جامعة الموصل – العراق

رئيس اللّجنة التّنظيميّة

الأستاذ فادي عبد الرحيم طه

مسؤول قسم الموارد البشريّة/ جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان – فرع جدرا

الدكتور خضر عمري

جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان – فرع جدرا

رئيس لجنة العلاقات العامّة

الدكتور علي حمدون

مدير جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL) – فرع الدكوانة

الأستاذ وسام المصري

جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL) – فرع الكولا

الدكتورة سهى الجعيتاني

جامعة الآداب والعلوم والتّكنولوجيا في لبنان (AUL) – فرع شتورة

اللّجنة التّحضيريّة للمؤتمر

ت	اسم الأستاذ	مكان العمل	صفة المشاركة
١	أ. د. حازم ذنون السّبعاوي	عميد كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل	رئيس اللّجنة
٢	أ. د. محمد حسين نزيه منصور	الجامعة الأمريكية في بيروت (AUB) – لبنان	مقررًا
٣	أ. د. إبراهيم محمد محمود الحمداني	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
٤	أ. د. يحيى إبراهيم قاسم	كلّية الآداب / جامعة الحديدة – اليمن	عضوًا
٥	أ. د. أحمد أنور العلمي	عميد كلّية التّربيّة/ جامعة طرابلس – لبنان	عضوًا
٦	أ. د. إيمان خليفة حامد	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل- العراق	عضوًا
٧	أ. د. علي محمود شعيب	عميد كلّية التّربية/ جامعة المنوفية سابقًا – مصر	عضوًا
٨	أ. د. محمد سعيد فيصل	كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل - العراق	عضوًا
٩	أ. د. ظفر عبدالرزاق محمود	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٠	أ. م. د. صالح علي الشّيخ	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١١	أ. م. د. عاصم أحمد خليل	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٢	د. مهند فوزي عبدالله	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٣	م. أسماء خالد جرجيس	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٤	م. جعفر أحمد عبدالله محمد	كلّية التّربيّة المفتوحة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٥	م. م. رغد عبدالله أحمد	رئاسة جامعة الموصل – العراق	عضوًا

اللّجنة العلميّة للمؤتمر

ت	الاسم الثلاثي	مكان العمل	صفة المشاركة
١	أ. د. قيس إسماعيل إبراهيم	عميد كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل – العراق	رئيس اللّجنة
٢	أ. م. د. عمر ذنون علي	كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل - العراق	مقررًا
٣	أ. د. عماد شهاب	الجامعة الأمريكية في بيروت (AUB) – لبنان	عضوًا
٤	أ. د. نزيه علي منصور	كلّية الحقوق والعلوم السّياسيّة والإداريّة - الجامعة اللّبنانيّة	عضوًا

٥	أ. د. أسماء عبد العزيز علي	كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
٦	أ. د. فيصل غازي محمد	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
٧	أ. د. صالح خضر محمد	كلّية التّربيّة/ جامعة كركوك - العراق	عضوًا
٨	أ. د. إياد عبد الحسين الخفاجي	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء – العراق	عضوًا
٩	أ. د. علي دريد خالد	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٠	أ. د. حاكمة توفيق أبو علي	كليّة الفنون الجميلة والعمارة/ الجامعة اللبنانيّة	عضوًا
١١	أ. د. صهيب خضر حسن	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٢	أ. د. فضيلة عرفات محمد	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٣	أ. د. عقيل سرحان محمد	رئيس جامعة ساوة الأهلية – العراق	عضوًا
١٤	أ. د. نضال مؤيد مال الله	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٥	أ. د. جمانة توفيق أبو علي	كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة،كلّية التّربيّة/الجامعة اللّبنانيّة	عضوًا
١٦	أ. د. عمار جاسم محمد	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
١٧	أ. م. د. محمد حازم الغزالي	مدير قسم الشّؤون الإداريّة والماليّة/ رئاسة جامعة الموصل	عضوًا
١٨	أ. م. د. فاهم يحي أحمد بجاش	عميد مركز التّطوير وضمان الجودة/ جامعة البيضاء- اليمن	عضوًا
١٩	أ. م. د. أنور شرف مهيوب الزبيري	عميد كلّية الآداب/ جامعة الحديدة سابقًا – اليمن	عضوًا
٢٠	أ. م. د. ياسر يحيى قاسم	كلّية التّربيّة للعلوم الصّرفة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
٢١	أ. م. د. محمد إبراهيم قانصو	كلّية إدارة الأعمال/ الجامعة اللّبنانيّة	عضوًا
٢٢	أ. م. د. علي ناصر ناصر	عميد تنفيذي لكلّية العلوم والفنون/ الجامعة اللّبنانيّة الدّوليّة	عضوًا
٢٣	أ. م. د. حسان مؤيد حامد	كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
٢٤	أ. م. د. الاء ياسين طاقة	كلّية التّربيّة للعلوم الصرفة/ جامعة الموصل – العراق	عضوًا
٢٥	د. محمد فتيني محمد كنباش	كلّية الآداب/ جامعة الحديدة – اليمن	عضوًا
٢٦	د. عبدالله علي الموسوي	جامعة القديس يوسف بيروت – لبنان	عضوًا
٢٧	م. د. أحمد علي حسين جفّال	قسم الإعداد والتّدريب/ مديريّة تربيّة نينوى – العراق	عضوًا

ديباجة المؤتمر:

يُشكّل البحث العلميّ الرّصين والهادف، إسنادًا وامتدادًا للنّهضات العلميّة والفكريّة والثّقافيّة للمجتمعات والدّول المتقدّمة والآخذة بالنّموّ على حدٍّ سواء عبر التّجارب المحليّة والدّوليّة. وتبدو الأدلّة والقرائن إثباتات لا تقبل الشّك ولا تخالف الحقيقة في أن المؤتمرات الدّوليّة العلميّة شاهد عدلٍ لعلاقة علميّة فاعلة بين الباحثين على اختلاف تخصّصاتهم ومشاركاتهم البحثيّة، فعن طريق البحث العلميّ تتلاقى الأفكار وتتسق المعطيات العلميّة والتّكنولوجيّة والتّيارات الأدبيّة والفلسفيّة والإيديولوجيّة والسّوسيولوجيّة، وبهذا تتشكّل الحاضنة الأساسيّة والرّئيسة للتّنميّة المعاصرة عبر تعميق المفاهيم المتعدّدة للإفادة منها في مجالات الحياة المختلفة.

إنّ من أهم بواعث عوامل البحث العلميّ القدرة على التّبادل الفكريّ والمعرفيّ، ما يؤسّس لإيجاد تنوّع علميّ يُسهم في التّخطيط والاستشراف للمستقبل الّذي يرتبط بمجموعة من العلوم لدراسة الما بعد -إن جاز التّعبير- ومن هنا نسعى في هذا المؤتمر إلى الرّبط بين العلوم الإنسانيّة والصّرفة عبر معالجة عدّة محاور تشارك فيها مختلف التّخصّصات آملين أن تُشرك العلوم قاطبة في التّنميّة والتّطوير ووضع حلول لمشكلات آنية أو متوقّعة مستقبليًّا، لكي لا تتقوقع العلوم الإنسانيّة والصّرفة على مجرد الأطروحات النّظريّة البعيدة جدًّا عن مستوى التّطبيق والمعالجة.

من هنا جاء الاهتمام بها حيث ستتلاقى جميع التّخصّصات الإنسانيّة والصّرفة لتحقّق أهدافها في بيئةٍ علميّة تستند على منظومة معرفيّة للتّعامل مع الآخر عبر تقديم الدّراسات العلميّة والتّطبيقيّة لتطوير تلك العلوم وبما ينسجم مع متطلّبات العصر. لذلك تدعو إدارة المؤتمر جميع المهتمّين من باحثين وأكاديميّين، وأساتذة جامعيّين، وعلماء، وطلبة الدّراسات العليا للمشاركة في المؤتمر الّذي سيوفّر فرصة المساهمة في تقديم رؤى وتصوّرات علميّة جديدة تستجيب للحاجة الملحّة الّتي فرضتها القضايا المستحدثة في المجتمعات المعاصرة، وهذا لا يتحقّق إلّا في إطار علاقة تشابكيّة تفاعليّة يقودها عقل الفريق البحثيّ الّذي تحاول إدارة المؤتمر المساهمة في صناعته. ليكون رصيدًا معرفيًّا يساهم في تطوير المعرفة العلميّة، وأدواتها المنهجيّة، فضلًا عن تمتين علاقاتها التّشابكيّة المترابطة فيما بينها.

أهداف المؤتمر:

- تفعيل التّعاون العلميّ بين الجامعات ومؤسّسات التّعليم العالي والمؤسّسات التّربويّة.
- توسيع حركة البحث العلميّ والعمل على فتح الآفاق المستقبلية أمام مختلف العلوم الإنسانيّة والصّرفة.
- الاهتمام بالمناهج العلميّة، وتشجيع البحث في مجال الدّراسات العلميّة الصّرفة والتّطبيقيّة والتّكنولوجيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة وما يتفرّع عنهم من علوم مختلفة.
- مواكبة مختلف التّطوّرات الحاصلة في مختلف مجالات العلوم.
- توفير فرص للتّعاون بين الباحثين والأكاديميين في إدراج لقاء علميّ منفتح متميّز.
- الإسهام في مجال الدّراسات العلميّة الرصينة؛ لبناء مُجتمعات علميّة.
- تكوين حاضنة تجمع جهود الباحثين في مختلف الميادين من خلال نشرها لوقائع المؤتمر في مجلّات علميّة محكّمة رصينة.
- بناء علاقات التّشابك بين الباحثين، من مُختلف دُوَل العالم لتعزيز الرّوابط الإبداعيّة، والعلميّة القائمة على البحث العلميّ، وتبادل التّجارب والخبرات.
- الكشف عن العوائق والمشكلات الّتي يتعرّض لها الباحثون في مجالات دراساتهم الجديدة.
- التّعرف على الكتّاب والعلماء المبدعين والباحثين المختصّين الّذين أضافوا مفاهيم جديدة ومبتكرة في مختلف مجالات العلوم، والمناهج الخاصّة الّتي يتميّزون بها.

- تشجيع حركة البحث العلميّ وفتح قنوات للتّعاون بين الجامعات في الدّول المشاركة.
- الاطلاع على أحدث الاتجاهات والتّحديات التّي تواجه العلوم الإنسانيّة والصّرفة.
- إقامة جسور التّواصل العلميّ بين الباحثين في مختلف المجالات في مُختلف دُوَل العالم.
- جمع النّتائج والاستنتاجات المنهجيّة والمعرفيّة، والمقترحات العلميّة وتعزيزها بالحلول الموضوعيّة والعلميّة.

محاور المؤتمر :

- **محاور العلوم الصّرفة والتّطبيقيّة:**

١. علوم الأحياء (الإنسان، النبات، الحيوان، الفيروسات، الجينات، الفطريّات، الطّفيليّات، المناعة، البكتيريا المرضيّة، الأنسجة والخلايا، البيئة والتّلوّث).
٢. علوم الكيمياء (الحياتيّة، العضويّة، اللاعضويّة، التّحليليّة، السّريريّة، الفيزياوية والنانو، الصّناعيّة).
٣. علوم الفيزياء (فيزياء النانو، فيزياء المواد، فيزياء الحالة الصّلبة، الأغشية الرّقية، المعالجة الصّوريّة، الفيزياء النّظريّة، فيزياء الفلك، الليزر والكهروبصريّات، الليزر والجزيئيّة، فيزياء البلازما، النّوويّة).
٤. علوم الرياضيات (الجبر والتبولوجي، الجبر التّطبيقيّ، التّحليل الرّياضيّ، التّحليل العدديّ، التّحليل الدّالي، التّحليل العقدي، التّقريب والإحصاء، التّفاضل والتّكامل).
٥. علوم الجيولوجيا (الجيوفيزياء، الجيولوجيا البيئيّة، الجيو كيمياء، جيولوجيا النّفط، الجيولوجيا الهندسيّة، جيومورفولوجيا والاستشعار عن بُعد).
٦. علوم التّحسس النّائي (التّحليل المكاني وطرق التّخطيط الحضري، تقنيّات التّحسّس النّائي، محاور الفلك والفضاء، نظم المعلومات الجغرافيّة، طرق المعالجة الصّوريّة، طرق التّحليل والمراقبة باستخدام صور الأقمار الصّناعيّة، تحديد المواقع باستخدام GPS, DPS).
٧. محاور العلوم الزراعيّة (علوم التّربة والتّصحّر، تقنيات النانوتكنولوجي في الزراعة، الإنتاج الحيوانيّ علوم الأغذية، محاصيل حقليّة ووقاية النّبات، الهندسة الوراثيّة الزراعيّة، التّقانات الزّراعيّة).
٨. علوم البيئة.
٩. علوم الحاسوب.
١٠. العلوم الهندسيّة (الهندسة المدنيّة، هندسة العمارة، الهندسة الميكانيكيّة، الهندسة الكيمائيّة، الهندسة الكهربائيّة والإلكترونيّة، هندسة مواد وطاقات متجدّدة، هندسة الليزر).
١١. العلوم الطّبّيّة (الجراحة الناضوريّة، الجراحة الدّقيقة، الهندسة النّسيجيّة، التّقنيّات النّسيجيّة، العلاجات الإشعاعيّة، طبّ النّانو، الليزر في المجال الطّبّيّ، العلاج الطّبيعيّ والتّأهيل، الأجهزة الإلكترونيّة والبصريّة في الطّبّ، العلوم الطّبّيّة المخبريّة السّرطان والوراثة الطّبّيّة).
١٢. محور علم التّمريض.
١٣. محور الطّبّ البيطريّ.
١٤. محاور الصّيدلة.
١٥. محاور طبّ الأسنان.
١٦. قسم تقنيّات المختبرات الطّبّيّة.
١٧. قسم هندسة الطّبّ الحياتيّ.
١٨. قسم هندسة تقنيّات الأجهزة الطّبّيّة.

- **محاور العلوم الإنسانيّة:**

١- علم الاجتماع والدّيموغرافيا (مؤسّسات الرّعاية الاجتماعيّة، البحث العلميّ في العلوم الاجتماعيّة، علم الاجتماع الرّقميّ، علم الاجتماع ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، التّغيرات الاجتماعيّة بعد جائحة كورونا (كوفيد ١٩)، تحوّلات التّعليم في ظلّ جائحة كورونا، المرأة والطّفل، المرأة في المؤتمرات الدّوليّة، المشاركة المجتمعيّة والعمل التّطوعيّ).

٢- التّربيّة والتّعليم (المناهج الدّراسيّة، أساليب التّدريس الحديثة، القياس والتّقويم التّربويّ، التّكنولوجيا والتّعليم عن بُعد، التّخطيط والتّطوير في التّربيّة والتّعليم، التّعليم الخاصّ والتّعليم الحكوميّ).

٣- علم النّفس (علم النّفس الإكلينيكي وقضايا الصّحّة النّفسيّة، علم نفس النّموّ وسيكولوجيّة الطّفولة والمراهقة والشّباب والشّيخوخة، علم النّفس التّربويّ، أساليب القياس النّفسيّ الحديث، واقع الإرشاد والعلاجات النّفسيّة وتطبيقاتها الحديثة، علم النّفس الجنائيّ، علم النّفس والأوبئة، النّظريّات والاتجاهات الفكريّة المعاصرة في علم النّفس، سيكولوجيّة ذوي الاحتياجات الخاصّة، سيكولوجيّة الموهبة والإبداع).

٤- التّربيّة البدنيّة وعلوم الرّياضة (طرائق التّدريس في التّربيّة البدنيّة والرّياضيّة، البيوميكانيك في المجال الرّياضيّ، علم التّدريب الرّياضيّ واللّياقة البدنيّة، رياضة ذوي الاحتياجات الخاصّة، الرّياضة وعلم النّفس، الألعاب الإلكترونيّة).

٥- الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة (الأدب العربيّ والآداب الأخرى، طرائق تدريس اللّغة العربيّة، النّقد الأدبيّ الحديث ودوره في الإبداع الأدبيّ، التّرجمة ووسائل التّواصل، دراسات التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، اللّغويّات التّطبيقيّة (ثنائيّة اللّغة، التّعدّد اللّغويّ، علم اللّغة النّفسيّ)، اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، النّصوص المسرحيّة والشّعر والنّثر، علم اللّغة واللّهجات، إرهاصات التّجديد في النّقد الأدبيّ الحديث، اللّسانيّات النّصيّة وتعليميّة النّصوص، اللّسانيّات العامّة (علم الأصوات، علم الصّرف، النّحو، علم التّراكيب، علم الدّلالة)، اللّسانيّات الحاسوبيّة وحوسبة اللّغة العربيّة).

٦- الفلسفة والثّقافة الدينيّة (البحث العلميّ في الفلسفة والدّراسات الدّينيّة، الفلسفة المعاصرة والدّين، العلوم الدّينيّة وقيم الفلسفة الدّينيّة وعلاقتها بعلم الأديان، الفلاسفة المسلمون في الحضارة الإسلاميّة، دور علماء الدين في زمن الغزو الثّقافيّ، فلسفة التّصوّف الإسلاميّ، علم الكلام).

٧- التّعليم العالي والبحث العلميّ (الإدارة الجامعيّة ومعايير الجودة العالميّة، المحاضرة الجامعيّة وتكنولوجيا المعرفة، المقرّرات الدّراسيّة الإلكترونيّة في المرحلة الجامعيّة، الطّالب الجامعيّ بعد جائحة كورونا والتّعليم الإلكترونيّ، الأستاذ الجامعيّ بعد جائحة كورونا والتّعليم الإلكترونيّ، البحث العلميّ والنّشر العالمي الرّصين، المجلات الإلكترونيّة واقعها ومستقبلها في المكتبة الدّوليّة والعربيّة، قواعد البيانات الدّوليّة (الأرشفة الإلكترونية) (Index)، معامل التّأثير في المجلّات الإلكترونيّة، معرف الوثيقة الرقمي (Doi) أو (Eoi)).

٨- الدّراسات القانونيّة ((القانون العام، الخاصّ، الدّستوريّ، الإنسانيّ، الجزائيّ، الجنائيّ، الأحوال الشّخصيّة، الدّوليّ، التّجاري)، الدّساتير والتّشريعات، قانون مكافحة الإرهاب، الاتفاقيّات الدّوليّة، التّحكيم الدّوليّ، القانون الإداريّ والمنازعات الإداريّة، قانون الاستثمار والتّجارة الخارجيّة، القانون والتحوّلات الاجتماعيّة، وسائل الاتصال الحديثة والتّكنولوجيا وانعكاساتها القانونيّة، تحديث المناهج

القانونيّة، حقوق اللّاجئين في القانون الدّوليّ، دور القانون في الإصلاح والتّنميّة، الجرائم [illegible] في زمن الأوبئة، الجرائم البيئيّة في القانون الدّوليّ).

٩- العلوم السّياسيّة والعلاقات الدّوليّة (النّظم السياسيّة والسياسة الخارجيّة، الصّراعات والنّزاعات الدّوليّة، الفكر السياسيّ وبناء الدّولة المعاصرة، إدارة الأزمات، التّعامل مع الأزمات والكوارث العالميّة، الدّيبلوماسية الثّقافيّة والتّفاوض الدّوليّ، العلاقات الدّولية والمفاهيم المعاصرة لها، الثّقافة البرلمانيّة، دراسات الجيوبوليتيك).

١٠- الدّراسات الجغرافيّة (تغيّر المناخ وانعكاساته البيئيّة في استثمار الطّاقة المستدامة، الجغرافيا البشريّة وعلاقتها بالثقافات والتّشابه والاختلاف بين المجتمعات، التّهيئة العمرانيّة والتّخطيط الحضري والمدن الخضراء، الجغرافيا الاقتصاديّة والعولمة، التّنميّة المستدامة وتجارب الدّول النّاجحة، موارد الطّاقة المتجدّدة وتطبيقاتها وإمكانات تطويرها).

١١- الدّراسات التّاريخيّة والآثار (التاريخ القديم والحديث والمعاصر، التّأثير والتّأثّر بين الحضارات القديمة، الحضارة الإسلاميّة عبر العصور، تاريخ الدّولة العثمانيّة، المتاحف والآثار).

١٢- المخطوطات وتحقيق النّصوص (أساليب حفظ الوثائق والمخطوطات، فهرسة المخطوطات، علم التّحقيق بين الماضي والحاضر، مناهج النُسّاخ قديمًا (الرموز والاختصارات)).

١٣- السّياحة (التّعليم السّياحيّ والفندقيّ، التّنميّة السّياحيّة، صناعة السّياحة، تجارب عالميّة في السّياحة، الاستثمار في قطاع السّياحة، التّطبيقات الإلكترونيّة في السّياحة، السّياحة الثّقافيّة، السّياحة الدّينيّة، السّياحة العلاجيّة).

١٤- الفنون المعاصرة (الفنّ والتّصميم في ظلّ التّقنيّات المستحدثة، التّنميّة المستدامة في الفنّ والتّصميم، الفنّ والتّصميم المعلوماتيّ).

١٥- الإعلام والاتصال (الصّحافة الرقميّة والسّوشيال ميديا، تكنولوجيا الإعلام والاتصال، إسهامات الإعلام في التّنميّة والتّطوير والتّوعيّة، الثّقافة الإعلاميّة والقيم الاجتماعيّة في الإعلام، البحث العلميّ في الإعلام والاتصال، الإعلام الجديد والتّحدّي الأمنيّ (قضايا الشّرق الأوسط)، السّبق الإعلاميّ في ظلّ شبكات التّواصل الاجتماعيّ، الخطاب الإعلاميّ في وسائل الإعلام).

١٦- العلوم الإداريّة والاقتصاديّة والمحاسبيّة (الرأس المال البشريّ والتّسويق الحديث، الدّولة الإلكترونيّة، الحوكمة الرّشيدة ودورها في الحدّ من الفساد الماليّ والإداريّ، التّمويل والبنوك، الاقتصاد الرقمي، الاستثمار في الدّول المتقدّمة، النّظم والتّشريعات الاقتصاديّة والماليّة، المحاسبة والتّدقيق والتّقارير والتّوصيات الماليّة، الاستدامة، تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ كتوجّه حديث للمنظّمات، إدارة الأزمات خلال فترة انتشار الأوبئة والجوائح الصّحّيّة).

فهرس المحتويات

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحات
١	المشاهدات العيانية لأمية بن أبي الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) عن مصر في الرسالة المصرية.	أ. م. د. هديل يوسف محمود البارودي١ أ. م. د. علياء هاشم ذنون المشهداني٢	٢٠ – ٣٣
٢	برسي كوكس وأثره في السّياسة العراقيّة.	رواء خليل مرعي١ م. د. ميساء صباح حامد٢	٣٤ – ٦٦
٣	النظام النقدي للدولة العربية الإسلامية في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هجري/ ١٧٩٠ ميلادي).	م. م. منير صباح فالح١	٦٧ – ٨٤
٤	آل الفرات ودورهم في العصر العباسي.	أ. م. رنا صلاح طاهر طاقة١	٨٥ – ١٠٥
٥	سياسة الولايات المتحدة الأميركية حيال الدولة العثمانية (١٧٨٣-١٨٣٠).	أ. م. د. لمياء صفاء حسن١	١٠٦ – ١٤٠
٦	أثر مؤلفات الإمام الغزالي على ابن الجوزي.	م. م. أشرف عزيز عبدالكريم الهلاي بك١	١٤١ – ١٦٨
٧	أشكال المكان في رواية اكتشاف الحب لمروان ياسين الدليمي.	م. م. هالة عادل عبد١	١٦٩ – ١٨٢
٨	حكم الاختلاط وأثره في المجتمع الإسلامي.	خليل أحمد حمزة النعيمي١	١٨٣ – ١٩٨
٩	أزمة النفط العالمية في صحيفة الأهرام القاهرية.	م. م. هبة سليم عباس١	١٩٩ – ٢١١
١٠	الصّراع الطبقي – الأقلية البرجوازيّة والأكثريّة الأرستقراطيّة – قراءة ثقافيّة: رواية ليلة مجنونة لمحمد بن جرش أنموذجًا.	م. جعفر أحمد عبدالله محمد١	٢١٢ – ٢٢٧

١١	Wild's The Happy Prince and its Utopian Values.	م. م. رحاب عارف عبدالصاحب١	٢٢٨ – ٢٥٦
١٢	Hematological and Serological changes in Renal Failure Patients at the AL-kadhemia Hospital in Baghdad.	إيمان فاضل عبدالحسين١ أسعد عباس خلف٢ يوسف جواد جاسم٣ محمد علي عبدالحسن٤ صفاء طالب الأسدي٥ سارة علي حمزة٦ خنساء عبدالحسين عبادي٧ عبير جاسم صاحب٨	٢٥٧ – ٢٦٧
١٣	سورة القمر - دراسة بلاغية.	م. م. رنا محمود عبوش عمر١	٢٦٨ – ٢٩٨
١٤	الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنولوجية.	م. م. حنين رشيد مجيد١ م. م. نهى نجم عبدالله خضر النعيمي٢	٢٩٩ – ٣٢٣
١٥	دور المؤسسات والمدارس في ترسيخ التعايش وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مناهجها التعليمية – دراسة تاريخية ميدانية	م. د. هيوا طاهر عباس ملا زادة١ م. د. صالح محمد عبدالله٢	٣٢٤ – ٣٣٦

المشاهدات العيانية لأمية بن أبي الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) عن مصر في الرسالة المصرية

Eyewitness Observations of Umayyah bin Abi Al-Salt Al-Andalusi (d. 529 AH/1134 AD) about Egypt in the Egyptian Message

أ. م. د. هديل يوسف محمود البارودي*

أ. م. د. علياء هاشم ذنون المشهداني*

Dr. Hadeel Youssef Mahmoud Al-Baroudy

Dr. Alyaa Hachem Dhanoun Al-Machehdany

الملخّص:

أمية بن عبدالعزيز المعروف بابن أبي الصلت (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) من أبناء الأندلس ومن مدينة دانية، رحل إلى المشرق رحلتين الأولى قد تكون في نهاية القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد والثانية كانت في بداية القرن الذي يليه وهو السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وصل في رحلتيه تلك إلى مصر، ودون الكثير من مشاهداته في مصر ومعايشته لأهلها في مؤلف أسماه الرسالة المصرية، وسنركز في بحثنا على ما قام بوصفه في تلك الرسالة مما شاهده بعينه ولم يخبره به أحد أو يقرأه في كتاب ما، وقد سجل أبو الصلت العديد من مشاهداته التي دلّت على قوة ودقة ملاحظته واستخدام العديد من الإشارات الواضحة للدلالة على ما شاهده وعاينه سواءً في حديثه عن نهر النيل والآثار المصرية القديمة كالأهرام وطبيعة السكان واصفًا أدباءها وعلماءها في مختلف المجالات في الطب والهندسة والتنجيم والفلك، ولم يكتفِ بوصف مشاهداته عن ذلك وإنما قام أيضًا بإبداء رأيه لما شاهده ولاحظه عن بلاد مصر في مختلف الجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية وذلك لما امتاز به من كونه عالم ماهر في علوم الأوائل.

الكلمات المفتاحية: بن أبي الصلت، الرسالة المصرية، نهر النيل، آثار مصر.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل – العراق.

Email: dr.hadeel69@uomosul.edu.iq

* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل – العراق.

Email: alya_1972@uomosul.edu.iq

* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

Abstract:

Umayyah bin Abdul Aziz, known as Ibn Abi al-Salt (d. 529 AH/1134 AD), was from Andalusia and the city of Dania. He traveled to the East on two trips, the first of which may have been at the end of the fifth century AH/eleventh century AD. The second was at the beginning of the following century, which was the sixth century AH/twelfth century AD. On his two trips, he arrived in Egypt, and recorded many of his observations in Egypt and his experience with its people in a book called "The Egyptian Message." We will focus in our research on what he described in that letter, which he saw with his own eyes and no one told him about it or read in a book. Abu Al-Salt recorded many of his observations demonstrated the strength and accuracy of his observation and the use of many clear signs to indicate what he saw and experienced, whether in his talk about the Nile River and ancient Egyptian antiquities such as the pyramids and the nature of the population, describing its writers and scholars in various fields of medicine, engineering, astrology and astronomy. He did not limit himself to describing his observations about that, but rather expressed his opinion on what he saw and observed about the country of Egypt in various scientific, geographical and historical aspects, due to his distinction of being a skilled scholar in the early sciences.

Keywords: Ibn Abi Al-Salt, Egyptian message, Nile River, Antiquities of Egypt.

المقدمة:

أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصلت من أهالي مدينة دانية (Denia) في شرق الأندلس ولد فيها سنة (٤٦٠ هـ/١٠٦٨م)، ولم تسعفنا المصادر التاريخية وكتب التراجم التي ترجمت له وأوردت بعضًا من أخباره بمعلومات وافية عنه وأسرته، له ابن اسمه عبد العزيز، والذي سار على درب والده بالاهتمام بالشعر والأدب ولهذا وصف من قبل المؤرخين بأنه كان شاعرًا مجيدًا، وله في الشطرنج يد بيضاء [٣]. نشأ ابن أبي الصلت في مسقط رأسه مدينة دانية ودرس بها علوم اللغة العربية التي أخذها القاضي هشام بن أحمد بن هشام الكناني أبو الوليد (٤٠٨-٤٨٨هـ/١٠١٧_١٠٩٥م) كما حرص على دراسة علوم أخرى منها الطب والفلك[٤]، وقد رحل إلى مدينة اشبيلية وبقي بها على ما يذكره بعض المؤرخين عشرين عام ولذا لقب بالأشبيلي[٥].

وكان لابن أبي الصلت رحلة إلى مصر وقام بتدوين شذرات من رحلته تلك والتي وصلتنا باسم الرسالة المصرية، ويبدو أنه للأثر الذي تركته مصر في نفسه كان دافعًا له لتدوين عددًا من مشاهداته فيها، ويبدو

(٣) ابن خلكان, وفيات الاعيان:٢٤٦/١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء : ٧٤٠/٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء ٧٤٠/٢.

(٥) المقري، نفح الطيب:١٠٥/٢؛ ابن سعيد المغربي, المغرب: ١/ ٢٦١.

أنه تطرّق إلى ما وجده مختلفًا عن موطنه الأندلس، وكان ذلك دافعًا للبحث في الرسالة المصرية وإلقاء الضوء على ما قدمه ابن أبي الصلت عن مشاهداته العيانية في مصر، وكانت الرسالة المصرية هي المصدر والمعين الرئيسي لهذا البحث والذي تطرقنا فيه إلى ملابسات رحلة ابن أبي الصلت إلى مصر وثم منهجه في الرسالة المصرية، وذلك قبل التطرق إلى عرض مشاهداته العيانية والتي تركزت على الجوانب الاجتماعية بحكم معايشته للمصريين وجغرافيتها والذي أخذ نهر النيل الحيز الأكبر منها، وما تطرق إلى ذكره عن الآثار المصرية القديمة التي كانت ومازالت مثار اعجاب للناس.

رحلة ابن أبي الصلت:

رحل أبو الصلت خارج الأندلس برفقة والدته إلى مصر [٦]، وقبل ان يصلها بقي ردحًا من الوقت في مدينة المهدية شمال المغرب [٧]، وقد اختلف المؤرخون في السنة التي رحل فيها إلى مصر، ذكر ابن خلكان [٨] بأن رحلته سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) بينما ذكر المقريزي [٩]سنة (٤٩٦هـ/١٠٧٦ م) وابن أبي اصيبعة [١٠] ذكر سنة (٥١٠هـ/١١١٦ م)، وعليه ربما كان لابن أبي الصلت رحلتين إلى مصر الأولى سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) عندما رحل من الأندلس إلى مصر في عهد الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي [١١].

والرحلة الثانية لابن الصلت كانت من المغرب إلى مصر سنة (٥١٠هـ/١١١٦ م)[١٢]، بعد وفاة أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز باسفاره إلى الخليفة الفاطمي [١٣] وقد تعدد أسباب رحلة أبو الصلت إلى مصر منها ما ذكره أبو الصلت في مطلع كتابة الرسالة المصرية المتمثل في الوضع الذي تعيشه الأندلس آنذاك في عصر دويلات الطوائف وسقوط إحدى حواضرها مدينة طليطله سنة (٤٧٨هـ-١٠٩٤م) بقوله " واضطررت إلى مفارقة الوطن، والخروج عن العطن، فتماسكت إشفاقًا من مفارقة أول أرض مس جلدي ترابها، وشددت على التمائم بها وجاءت أمور لا تطاق كبار، فلما لم يمكن القرار، ولم

(٦) ابن خلكان, وفيات الاعيان, ٢٤٣/١.
(٧) ابن سعيد ،المغرب: ٢٦٢/١؛ المقري، نفح الطيب: ١٠٥/٢.
(٨) وفيات الاعيان: ٢٤٣/١.
(٩) المقفى: ٢٩٧/٢.
(١٠) عيون الانباء, ص٥٠١.
(١١)ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة: ١٣٨/٥.
(١٢) عيون الانباء, ص٥٠١.
(١٣) ابن سعيد, المغرب ١٦٢/١.

يبق إلا الفرار " [١٤] السبب الثاني المتمثل في العامل الاقتصادي فقد كان ابن أبي الصلت يؤمل بالعيش الرغيد والثراء والغنى في مصر وهذا ما أشار إليه في كتابة الرسالة المصرية [١٥] بقوله "ليس لي غير مصر مقصدًا ولا وراءها مذهب ولا دونها للغنى مطلب".

ابن أبي الصلت في مصر:

قبل مغادرة ابن أبي الصلت الأندلس إستقرأ البلاد باحثًا عن أفضلها للمقام والعيش فيها، مستأنسًا بالقول الشعبي الدارج " ليس بين بلد وبلد نسب فخير البلاد ما حملك" [١٦]، وكانت مصر اختيار ابن أبي الصلت، قدم اليها في فترة حكم الفاطميين، مؤملًا في العيش الرغيد والثراء والغنى والاستقرار [١٧]، لكنه لم يفز بشيء مما كان يؤمل به ونالته خيبة امل [١٨]، عبر عنها في شعره الاتي: [١٩]

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدًا يسلى من الهم أو يعدى على النوب
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت أحسبني أحظى به فإذا دائي من السبب
فما مقلم أظفاري سوي قلمي ولا كتائب من السبب

تمكن أبو الصلت بفصاحة لسانه وتميزه بعلمي الفلك والطب من التعرف على مختار تاج المعالي وهو من المقربين من الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر ومن خواصه، والذي بدوره قربه من الوزير الأفضل بحيث أصبح من حاشيته، فبرزت شخصية ابن أبي الصلت بعلمه الواسع وخدماته الجليلة التي قدمها للافضل وذاعت شهرته بكونه عالم موسوعي أديب فاضل حكيم منجم فالفتت إليه الأنظار من الأصدقاء والحساد الذين تمكنوا من حبك الدسائس للإيقاع به وأغروا به صدر الوزير الأفضل الجمالي على كاتبه تاج المعالي فاعتقله واعتقل أيضًا ابن أبي الصلت بما اختلق له من دسائس فحبسه في خزانة للكتب[٢٠]

(١٤) ابن ابي الصلت, الرسالة المصرية, ص١١.
(١٥)ابن ابي الصلت, الرسالة المصرية, ص١٢.
(١٦)ابن ابي الصلت, الرسالة المصرية, ص١٢.
(١٧)ابن ابي الصلت, الرسالة المصرية, ص١٤.
(١٨) القفطي، اخبار العلماء, ص٦٦.
(١٩)ابن ابي الصلت, الرسالة المصرية, ص١٣.
(٢٠) المقري، نفح الطيب: ١٥/٢٠.

لمدة ثلاث سنوات وشهر[٢١], صنف خلال هذه الفترة العديد من مؤلفاته منها **رسالة العمل بالاسطرلاب** [٢٢] وكتاب **الوجيز في علم الهيئة** وكتاب **الأدوية المفردة** وكتاب **تقويم الذهن** وكتاب **الانتصار في الرد على بن رضوان في رده على حسين بن إسحاق في مسألته**[٢٣].

وهناك قول آخر حول حبس ابن أبي الصلت ذكرها ابن أبي أصيبعة مفادها أن ابن أبي الصلت رجع إلى مصر في حدود سنة(٥١٠هـ/١١١٦ م)، وسجن في مدينة الاسكندرية بسبب إخفاقه في انتشال مركب محمل بالنحاس في عمق البحر المتوسط إذا اقترح على الأفضل بن أمير الجيوش بابتكاره وتصميمة رافعة والآت بأشكال هندسية مختلفة لرفع المركب بما يحويه من النحاس، وما ان هيأ له ما يحتاج من الآلات والحبال المصنوعة من البريسم لربط المركب بدواليب من قبل الغواصين، لكنه ما أن ارتفع المركب وأصبح قريبًا من سطح الماء حتى انقطعت الحبال وهبط المركب مرة ثانية إلى قاع البحر، لذلك قبض عليه أمير الجيوش وحبسه وغرمه الأموال التي صرفت على صنع الآلات وبقي في الاعتقال مدة إلى أن شفع له بعض الأعيان وأطلق سراحه في خلافة الأمر بأحكام الله [٢٤]، واستشهد بهذه الأبيات الشعرية في وصفه [٢٥]:

فلم استستغ إلا نداه ولم يكن ... ليعدل عندي ذا الجناب جناب

فما كل أنعام يخف احتماله ... وأن هطلت منه علي سحاب

ولكن أجل الصنع ما ... ولم يأت باب دونه وحجاب

وما شئت إلا أن أدل عواذل ... على أن رأيي في هواك صواب

وأعلم قوما خالفوني وشرقوا ... وغربت أني قد طفرت وخابوا

على أية حال غادر ابن أبي الصلت مصر والتجئ إلى مدينة المهدية حيث توفرت له الفرصة للقاء حاكمها آنذاك الأمير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي [٢٦]. وأصبح من جملة علماء وشعراء

(٢١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء: ٧٤٠/٢.

(٢٢) توجد نسخة مخطوطة من رسالة في العمل بالإسطرلاب في برلين وليون بودليان :ابن ابي الصلت, الرسالة المصرية , ص٩.

(٢٣) ابن خلكان, وفيات الاعيان, ٢٤٧/١.

(٢٤) ابن ابي اصيبعة, عيون الانباء, ص٥٠١؛ المقريزي، المقفى: ٢٩٧/٢–٢٩٨.

(٢٥)ابن ابي الصلت، الرسالة, ص١٤.

(٢٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ٢٤٦/١.

مجلسه لما يتمتع به من مكانة علمية متميزة [٢٧]. وقد اشاد ابن أبي الصلت بما حضي به من حسن الضيافة والاكرام من قبل الامير يحيى بن تميم بقوله:" لم تزل حضرته مصاد لعناة ومراد العفاة، ومجتمع الفضائل، ومنتجع الأفاضل، ومشرع الجود، ومشعر الوفود. فلما استترت بجناحه، واستظهرت باستماحه، أعذب لي بسماحة الدهر جناه" [٢٨].

ومن الجدير بالذكر أنّ حياة ابن أبي الصلت قد تحسنت في كنف الأمير يحيى بن تميم وعبر عن ذلك بقوله: " والت روحي اليه من اشراقها بعد الافول وابراقها بعد الذبول" [٢٩] وعندئذ انصرف ابن أبي الصلت إلى الاهتمام بالتأليف ومنها كتابه **الرسالة المصرية** موضوع دراستنا في هذا البحث اضافة لاهتمامه بالموسيقى الأندلسية وتلحين الاغاني التونسية وفق النغم الأندلسي [٣٠].

ولما توفي الأمير يحيى بن تميم سنة(٥٠٩هـ/ م) استمرت حظوة ابن أبي الصلت لدى ابنه أبي الحسن علي [٣١] والف له كتابه **الحديقة** او ما يسمى **حديقة الادب** [٣٢] على غرار اسلوب كتاب **يتيمة الدهر** للثعالبي وله ايضًا قصائد ومدائح للأمير أبي الحسن علي وابنه الحسن بن علي ومنها قوله:

وارغب بنفسك إلا عن ندى ووغى فالمجد اجمع بين البأس والجود [٣٣]

منهج ابن أبي الصلت في كتابة الرسالة المصرية:

إن الثقافة المتنوعة التي اكتسبها ابن أبي الصلت برزت بصورة واضحة في مؤلفاته وقصائده والتي تعد المحصول العلمي الذي حصل عليه خلال دراسته منذ نعومة اظفاره على يد الشيوخ في الأندلس ورحلته إلى مصر، ومن ثم استقراره في مدينة المهدية في حضوة الأمير يحيى بن هيثم بن المعز الصنهاجي الذي عرف عنه بكونه كثير المطالعة لكتب الاخبار والسير عارفًا بها اضافة إلى اهتمامه بعلم النجوم والاحكام [٣٤].

(٢٧) الابار التكملة, ص٢٤٣, ترجمة ٥٣٩.

(٢٨) ابن ابي الصلت، الرسالة, ص١٣-١٤.

(٢٩)ابن ابي الصلت، الرسالة, ص١٤.

(٣٠) ابن سعيد ، المغرب : ١٤٦/١؛ المقري، نفح الطيب: ١٠٥/٢.

(٣١)المقري، نفح الطيب: ١٠٦/٢.

(٣٢) ابن ابي اصيبعة, عيون الانباء, ص٤٧٢/٥١٤.

(٣٣) ابن خلكان, وفيات الاعيان : ٢١١/٦.

(٣٤) ابن خلكان, وفيات الاعيان: ٢١١/٦.

وفي المهدية وفي كنف ابن المعز الصنهاجي كتب ابن أبي الصلت **الرسالة المصرية**، وأهداه لابن المعز، تتميز **الرسالة المصرية** بالقيمة العلمية الكبيرة لكون المؤلف لم يعتمد في تأليفها على النقل فقط بل على الملاحظة والمشاهدة الشخصية، فكان شاهد عيان لأغلب ما دونه عن مصر فيها، وهذا ما وضحه في مقدمتة بقوله: "وصف ما عانيته من أرض مصر وعاينته، والاقتصار على الذي رأيته دون ما رويته، فليس من يقول :علمت هذا من طريق العلم والسماع، كمن يقول تحققته بالمشاهدة والاطلاع "[٣٥].

ولذا نالت **الرسالة المصرية** مكانة مهمة في الأوساط العلمية لكون الأديب أبو الصلت شاهد عيان لأغلب ما دونه عن كتاب مصر بمختلف جوانبها الشخصية وثقافتها الموسوعية فهو كما وصف أديبًا فاضلًا حكيمًا منجمًا اضافة إلى تميزه في دقة الملاحظة والوصف واتباع الاسلوب العلمي والتحليل الدقيق في تفسيره لمشاهداته ونقده لبعض علم الطب والفلك في عصره مقارنًا اياهم بالعلماء السابقين له.

اظهر ابن أبي الصلت مهارة فائقة في صياغة عبارات **الرسالة المصرية** بأسلوبه الغالب عليه السجع بشكل ممتع يوحي بتفوقه الأدبي وكثيرًا ما استعان بالأبيات الشعرية التي نظمها إضافة للقصائد التي اقتبسها من الشعراء السابقين لعصره.

فضلًا عن استعانته بالأمثال الشعبية المصرية كقوله: "اذا دخل أبيب كان الماء دبيب" [٣٦]

لم يقسم ابن أبي الصلت **الرسالة المصرية** إلى مقالات أو فصول وإنّما ابتدأها بموقع بلاد مصر وحدودها في عصره وأبرز مدنها وعواصمها على مر العصور التاريخية السابقة، ثم تحدث عن صفات نهر النيل وزيادة مياهه وفيضانه وذكر آثار مصر وعجائب الأهرامات، ومن الناحية الاجتماعية تحدث عن طبائع أهل مصر وعاداتهم وأخلاقهم كما ضمنها تراجم وانتقادات لبعض علماء الطب والفلك والأدب.

مشاهدات ابن أبي الصلت ودقة ملاحظاته:

تُعدّ المشاهدة والمعاينة والملاحظة الدقيقة والانطباعات الشخصية التي سجلها ابن أبي الصلت في **الرسالة المصرية** عن مصر السبب الرئيسي لكتابته لها، وقد وضح في المقدمة أنه اعتمد على ما عاينه وشاهده عن مصر بقولة: " الاقتصار على الذي رأيته دون ما رويته فليس من يقول علمت هذا من

(٣٥) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص١٥.

(٣٦)الذراع المصرية التي يبلغ متوسط طولها ٧٧,٥ سم :هنتس، المكاييل والاوزان، ص٩٠_٩١.

طريق العلم والسماع كمن يقول تحققته بالمشاهدة والاطلاع"[٣٧]، وقد سجل ابن أبي الصلت العديد من مشاهداته التي تدل على قوة و دقة ملاحظته واستخدم العديد من الاشارات الواضحة للدلالة على ما شاهده وعاينه، سواء في حديثه عن نهر النيل والآثار المصرية القديمة كالأهرام وطبيعة السكان واصفًا وأدباءها وعلماءها في مختلف المجالات في الطب والهندسة التنجيم والفلك.

من الطبيعي أن يبدأ ابن أبي الصلت **الرسالة المصرية** في ذكر موقع مصر في المعمورة معتمدًا في ذلك على ماسمعه من المهتمين بتاريخ مصر وبيئتها وإلى ما شاهده بنفسه محاولًا تعليل الظواهر التي يشاهدها ، بين حدود مصر وعدد مدنها الحدودية بينها وبين الاقاليم المجاورة [٣٨]. أمّا بالنسبة لنهر النيل الذي اهتم به كثيرًا، ذكر منبعه وفيضانه وحدد أنّ منبعه من وراء خط الاستواء من جبل يعرف بجبل القمر ويبدأ الماء فيه بالتزايد في شهر أبيب مقارنًا مع ما يقابلها بالرومية شهر يولية، وأوضح مقدار فيض نهر النيل ثمانية عشر ذراع[٣٩]، معللًا زيادته لمروره بنقائع مياه أجنة، ووصف مصر في وقت الفيضان " كأنما بحرًا غامرًا لما بين الجبلين المكتنفين لها [٤٠].

ووصف ابو الصلت نهر النيل بقصيدة قدمها للأفضل في ليلة المهرجان بقوله:

أبدعت للناس منظرًا عجبا
لازلت تحيي السرور والطربا
الفت بين الضدين مقتدرا
فمن رأى الماء خالط اللهبا
كأنما النيل والشموع به
أفق سماء تألقت شهبا
قد كان من فضة فصار سما
وتحسب النار فوقه ذهبا [٤١]

(٣٧)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص١٥.
(٣٨)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص١٥.
(٣٩)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص١٥.
(٤٠) ابن ابي الصلت، الرسالة، ص ٢٠ .
(٤١) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٢.

وتكون أرض مصر في وقت الفيضان أحسن شيء منظرًا ولا سيما متنزهاتها المشهورة وديارتها المطروقة كالجزيرة وبركة الحبش، التي زارها برفقة زملائه ويقول عن ذلك: " افترشنا من زهرها أحسن بساط واستظللنا من دوحها باوفى رواق وطلعت علينا من زجاجات الاقداح شموس في خلع البدور" [٤٢] وكتب في وصف بركة الحبش:

لله يومي ببركة الحبش
والأفق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب
كصارم في يمين مرتعش
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن
من نسجها على فرش [٤٣]

وأشاد ابن أبي الصلت بطائفة من أهل مصر ممن لهم عناية بالمعارف والعلوم وخاصة علمي الهندسة والفلك، لما خلفوه من أاشغال البديعة المعجزة كالأهرام المعابد المصرية القديمة التي أسماها بالبرابي [٤٤] بقوله عنها: "من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلًا بالتعجب منها والتفكير فيها" [٤٥].

وبرزت معرفة ابن أبي الصلت بعلم الهندسة والرياضيات في إشادته وتعجبه من عظمة بناء الأهرام، وألقى الضوء على الدقة المتناهية في بناءها وأحكام صناعتها وهندستها وشكلها المخروطي، متناغمًا ذلك مع قياسات دقيقة ومتساوية لأبعاد البناء، مربع القاعدة مخروطي الشكل ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراع يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراع، وأشار أيضًا إلى نوعية الحجارة التي استخدمت في بناء الأهرام، وعدّ الأهرامات من عجائب الدنيا بقوله عنها: " من أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته من القدرة على بناء جسيم جسيم"[٤٦]،

(٤٢) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٠.
(٤٣)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢١.
(٤٤) هي كلمة باللغة القبطية وتعني اماكن العبادة المقدسة : ياقوت الحموي ، معجم البلدان :٣٦٢/١.
(٤٥) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٥.
(٤٦) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٦.

وعند زيارة ابن أبي الصلت لمدينة الفسطاط شاهد الهرمين المحاذيين لها من الجانب الغربي، ووصف بتعجب أحكام واتقان هندستهما لكونهما في غاية من حسن التقدير والبناء بحيث لم يتأثر بنيانهما بالظروف الجوية والمناخية التي مرت عليهما مع قدم وقت بنائهم(٤٧)، كما لاحظ ابن أبي الصلت الكتابات الهيروغلوفية الموجودة على سطوح هذه الأهرام من أعلى الهرم إلى الأسفل بسطور متضايقة متوازية من كتابه وذكر عدم المعرفة باللغة والحرف الذي كتبت بهم ولذا لايستطيع توضيح معاني المكتوب(٤٨).

ومن ضمن مشاهدات ابن أبي الصلت المعابد المصرية القديمة، مثل إخميم وسمنود ودندرا، ومما أعجبه فيها بعد أحكام عمارتها النقوش والرسومات التي كانت عليها والتي بها إشارات إلى معرفة المصريين القدماء بعلم الفلك (٤٩)، دون أن يهتم بالروايات والخرافات السائدة على الألسنة العامة، والمسطرة في بعض كتب الجغرافية والرحلات عن تلك الأهرامات والمعابد كما ورد مثلًا لدى غيره ممن ذكرها (٥٠).

آراء ابن أبي الصلت فيما شاهده:

من السمات الأساسية لمنهج أمية بن أبي الصلت في كتابة **الرسالة المصرية** إبداء رأيه لما شاهده ولاحظه عن مصر في مختلف الجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية، وساعده على ذلك لما امتاز به من كونه عالم ماهر في علوم الأوائل رئيسًا في معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والطبيعي والرياضي الإلهي (٥١)، فمن الناحية الجغرافية تحدث عن نهر النيل من منبعه من وراء خط الإستواء من جبل يعرف بجبل القمر وأهم ما يتميز به من زيادة مياهه مبينًا السبب في ذلك: " مروره بنقائع أجنة يخالطها فيجتلبها ويستخرجها معه ويصطحبها "(٥٢).

وعند زيارته للأهرام التي تعد من أبرز الملامح الأثرية لبلاد مصر بين رأيه فيها بقوله عنها: "وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة" (٥٣)،والوصف الدقيق الذي قدمه ابن أبي الصلت للأهرام يبين مدى إعجابه بها ولإيمانه بقدرة الباري عز

(٤٧) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٦.
(٤٨) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٨.
(٤٩) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٩.
(٥٠) ياقوت الحموي, معجم البلدان: ١/١٢٤، ٣٦٢ .
(٥١) السيوطي, حسن المحاضرة : ٥٣٩/١ .
(٥٢) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص١٧.
(٥٣)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٥.

وجل في خلقه ومصـــنوعاته عدها بعد مقدورات الله تعالى، وأدرك أن من بناها لديه قدرات عظيمة علميًا وبدنيًا، لذا أشـاد بالعقول التي أنتجت تلك المباني وأشـار أن أصـحابها لابد وأنّه كانت لهم معرفة علمية بالهندســة والفلك فضــلًا عن مهارات البناء بقوله: " من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واســتعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلًا بالتعجب منها والتفكير فيها" (٥٤)، لهذا عدها ابن أبي الصلت بأنها في غاية الحســن والتقدير ولهذا لم تتأثر بعوامل الزمن مع عمقها في التاريخ وماصــاحبه من أحوال جغرافية كالرياح والأمطار والأهوال كالزلازل والأعاصير (٥٥).

كما كان لابن أبي الصلت آراءًا خاصة قدمها لأطباء مصر تبعًا لمشاهداته في ممارستهم للطب، وأهله لذلك كونه طبيبًا(٥٦)، قدم رأيه ونصائحه لهم حتى يتقنون مهنتهم ويحصلون على المهارة التامة بها. جانب من تلك النصائح تتعلق بالصفات الشخصية للطبيب بأن يكون حكيمًا وفاضلًا، وبجانب آخر أشار لهم إلى التكامل بين العلوم وأن يكون له معرفة أيضًا بالعلوم الرياضية والفلك (٥٧).

وأكد لهم أيضًــا إلى ضــرورة الالتفات إلى العلاج النفســي وإدراك أهميته، حتى أنه رأى على الطبيب أن تكون له معرفة بالموســيقى لما لها من تأثير نفســي على المريض(٥٨)، وكمثال على أهمية الانتباه إلى الجانب النفسي أورد ابن أبي الصلت رواية عن قيام حكواتي بعلاج شخص مريض بسرده له الحكايات المضحكة والقصص المسلية وتؤدي ذلك إلى انشراح صدر المريض وتعود إليه قوته وصحته (٥٩). إزاء ذلك نصح ابن أبي الصلت الأطباء بأن يولوا الجانب النفسي عناية كبيرة باعتباره بابًا للشفاء بقوله : " ليت أطباء عصرنا هذا بأسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرة فيه ولا غائلة له بل أمره على العليل هين ونفعه ظاهر بين كيف وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ويقوي القوى الطبيعية ويقوي البدن على دفع الأخلاط الروية المؤذية والفضول مع الاستظهار لحفظ الأصول" وأورد أمثلة عن قدماء أطباء مصر بالترجمة لهم من أمثال هرمس الثالث وديو فنطس من الذين أكدوا على الجانب النفسي في علاج المريض وأبدى إعجابه بهم (٦٠).

(٥٤)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٥.
(٥٥)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٢٦.
(٥٦) ياقوت الحموي, معجم الادباء: ٢/٧٤٠.
(٥٧)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٢.
(٥٨)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٢.
(٥٩)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٤.
(٦٠)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٤.

وأن سعة اطلاع ابن أبي الصلت بمؤلفات الأطباء اليونانيين من أمثال جالينوس وسقراط ودراسته وتمحيصه لما ورد فيها دفعه ذلك مجالسة أطباء مصر ومذاكرتهم بمعرفته الطبية ليستفيد من علمهم، إلا أنّه لم يجد غير قوم طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وطمس أفهامهم وحال بين الحكمة وبينهم [٦١] فكانوا كما قال الشاعر:

قَومٌ إذا جالَستُهُم

- صَدِئَت بِقُربِهِمُ العُقولُ
- لا يُفهِمونِي قَولَهُم
- وَيَدِقُّ عَنهُم ما أَقولُ [٦٢]

وتماشيًا مع ذلك انتقد المشتغلين في علم الطب ممن عاصرهم فضلًا عن ذلك بيّن أبو الصلت رأيه في المنجمين وأن معرفتهم بالجداول الفلكية الزايجة قليلة جدًا بحيث تقتصر على ظاهر العلوم دون دقائق تفاصيلها وأسبابها وعلل ذلك بقوله عنهم، لا يتعلق منهم أحد في علم النجوم بأكثر من زايجة يرسمها ومراكز يقومها فأما الإمعان والتبحر في معرفة الأسباب والعلل، والمبادئ الأول فليس منهم من يرقى إلى هذه الدرجة ويسمو إلى هذه المرتبة ولا يخلق في هذا الجو ويستضيئ بهذا الضوء إلا أبو الحسن علي ابن النضر [٦٣].

ويعود سبب الرؤية السلبية للأديب ابن الصلت للمنجمين في مصر لملاحظته بعض من يزاول هذه المهنة وعلمهم بها لا يتعدى القشور دون اللبوب، والظواهر دون البواطن والأشباح دون الأرواح [٦٤]. ومع ذلك لاحظ ابن أبي الصلت أن المصريين من أكثر الناس تصديقًا بأقوال المنجمين والعرافين وهو شاهد وتعجب من سلوك البعض منهم، وأورد مثلًا لأحد المنجمين كان محبوسًا وصدر أمر باطلاق سراحه وعندما جاء إليه السجان وطلب منه مغادرة السجن رفض ذلك لأن تلك الساعة كانت ساعة نحس وطالعها سيء حسب اعتقاده [٦٥] فكانوا يلجأون إلى من يعمل بهذه المهنة من أمثال رزق الله بن بقوله عنهم: فقد دثر

(٦١)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣١.

(٦٢)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣١.

(٦٣)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٧–٣٨.

(٦٤)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٨.

(٦٥)ابن ابي الصلت, الرسالة, ص ٣٩_٤٠.

منها كل علم وأمحي رسـمه وجهل اسـمه ولم يبقَ إلّا رعاع وغثاء وجهلة دهاء وعامة عمياء وجلهم أهل رعانة ولهم خبرة في الكيد والمكر [٦٦].

الخاتمة:

تعد رحلة ابن أبي الصلت إلى مصر من الرحلات المهمة في التاريخ الأندلسي لأنها تختلف عن الرحلات الأخرى المشهورة لأندلسيين إلى المشرق كرحلة ابن جبير، كانت الظروف الداعية إليها شخصية ترتبط بسير حياة ابن أبي الصلت نفسه، ولكن شخصيته العلمية بقيت حاضرة معه في مصر، فرضت عليه أن يدون بعضًا مما شاهده وعايشه في رحلته والذي كان مغايرًا عما موجود في موطنه الأندلس.

فترك لنا **الرسـالة المصـرية** وهي بالرغم من حجمها الصـغير إلّا أنّها على درجة كبيرة من الأهمية لأنها قدمت لنا انطباعات أندلسي عن مصر، وسردًا عن مشاهدات عيانية وبهذا تعد وثيقة تاريخية مهمة يستفاد منها الباحثين في تاريخ مصـر في عصـر ابن أبي الصـلت والباحثين في تاريخ الأندلس من خلالها يتم تلمس الخيط الرابط بين الأندلس والمشـرق والذي لم ينقطع مع اختلاف العصـور وبرغم كل التقلبات السياسية وتغير السلطات الحاكمة، ومازال هناك المزيد في **الرسالة المصرية** مما يستحق البحث بشكل معمق وتناوله بالدراسة والتحليل.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الابار، محمد بن عبد الله (ت٦٥٩هـ/١٢٦٠ م)

١_ **التكملة لكتاب الصلة.** عني بنشره وصححه عزت العطار الحسيني. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.

ابن أبي اصيبعة، احمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)

٢_ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م).

٣_كتاب الصلة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦.

ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

٤_ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** القاهرة: دار الكتب.

ابن خلكان، احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

(٦٦) ابن ابي الصلت, الرسالة, ص٣٠-٣١.

٥_ وفيات **الاعيان وانباء ابناء الزمان**. تحقيق احسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.

ابن سعيد، المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

٦- **المغرب في حلى المغرب**. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

٧_ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. مصر، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧.

ابن أبي الصلت، امية بن عبدالعزيز (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)

٨_ **الرسالة المصرية. مطبوع ضمن كتاب نوادر المخطوطات**. تحقيق عبدالسلام هارون. مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٢.

القفطي، علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).

٩_ **اخبار العلماء باخبار الحكماء**. تحقيق ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.

المقري، احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

١٠_ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧.

المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م)

١١_ **المقفى الكبير**. تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٦.

هنز، فالتر

١٢_ **المكابيل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري**. ترجمة كامل العسلي، عمان، مطبعة القوات المسلحة الاردنية, ١٩٧٩

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

١٣_ **معجم الادباء**. تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٣.

١٤_ **معجم البلدان**. بيروت، دار صادر، ١٩٩٥.

برسي كوكس وأثره في السّياسة العراقيّة

Percy Cox and Its Impact on Iraqi Politics

رواء خليل مرعي*

م. د. ميساء صباح حامد*

Rawaa Khalil Maraee

Dr. Maysaa Sabah Hamid

الملخّص:

شـــهد العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) احتلالًا بريطانيًا مباشـــرًا وخلال ذلك ظهرت شخصيات بريطانية لعبت دورًا سياسيًا بارزًا على الساحة العراقية فكان برسي كوكس أحد هذه الشخصيات السياسية التي كان لها تأثير كبير على المشهد السياسي في العراق، فقد أقنع العراقيين بأن الحكم العثماني رجعي وبالٍ من خلال خطاب ألقاه عند وصول القوات البريطانية إلى البصرة، وأثبت لهم أن البريطانيين ليسوا محتلين بل محررين لهم. وفي سياق الدراسة تبين أن (برســـي كوكس) كان له دور في الإدارة البريطانية في العراق من خلال تعيين الموظفين البريطانيين، حيث عينهم كمستشارين ثم كخبراء في كافة دوائر الدولة وحتى الدوائر العسكرية، وخصص لهم رواتب ضخمة كلفت ميزانية العراق الكثير وامتيازات خاصـــة، وعمل بعدة طرق من أجل أن يبقى العراق تابعاً اقتصـــاديًا وإداريًا لبريطانيا، فضـــلًا عن علاقاته الدبلوماسية وإقناع الملك فيصل الذي كان له دور في تنصيبه ملكًا على عرش العراق في فرض معاهدة ١٩٢٢ التي قيدت العراق بالعديد من القيود. وكشفت الدراسة أيضا عن محاولات الملك فيصل والحكومات العراقية المتعاقبة خلال الأعوام ١٩٢١–١٩٣٢ التخلص من نفوذ البريطانيين من خلال التشريعات التي نصت على تقليص صلاحياتهم تحديدًا بعد تصاعد الأصوات المعارضة من قبل بعض أعضاء مجلس النواب.

الكلمات المفتاحية: برسي كوكس، الحرب العالمية الأولى، الإدارة العسكرية، العراق، بريطانيا.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل – العراق.

Email: rawaa.20eh1663@student.uomosul.edu.iq

College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

* كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل – العراق.

Email: dr.maysaa.sabah2010@uomosul.edu.iq

College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

Abstract:

During World War I (1914-1918), Iraq witnessed a direct British occupation, during which British figures emerged who played a prominent political role in the Iraqi arena, Percy Cox was one of these political figures who had a great influence on the political scene in Iraq. He convinced the Iraqis that the Ottoman rule was reactionary and obsolete through a speech he gave upon the arrival of British forces in Basra, and proved to them that the British were not occupiers but rather liberators. In the context of the study, it became clear that (Percy Cox) had a role in the British administration in Iraq through the appointment of British employees, as he appointed them as advisors and then as experts in all government departments and even military departments, and allocated them huge salaries that cost the Iraqi budget a lot and special privileges, and worked in several ways to keep Iraq economically and administratively subordinate to Britain, in addition to his diplomatic relations and convincing King Faisal, who played a role in his installation as king on the throne of Iraq, to impose the 1922 treaty that bound Iraq with many restrictions. The study also revealed the attempts of King Faisal and successive Iraqi governments during the years 1921-1932 to get rid of the influence of the British through legislation that stipulated the reduction of their powers, specifically after the rise of opposition voices from some members of the House of Representatives.

Keywords: Percy Cox, World War I, Military Administration, Iraq, Britain.

المقدمة:

شهد العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) احتلالًا بريطانيًا مباشرًا ومن خلال ذلك ظهرت شخصيات بريطانية لعبت دورًا سياسيًا بارزًا على الساحة العراقية ومن بينهم (برسي كوكس).

جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الأثر السياسي لبرسي كوكس في العراق حتى عام ١٩٣٢ وهو العام الذي شهد دخول العراق إلى عصبة الأمم المتحدة.

قسم البحث إلى ثلاثة مباحث: جاء المبحث الأول منه تحت عنوان (نشأته وتكوينه الاجتماعي)، وتناول نشأة برسي كوكس ودراسته فضلًا عن جهوده السّياسيّة في الجزيرة العربية.

فيما تطرق المبحث الثاني إلى (دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا للعراق ومن ثم وصول برسي كوكس إلى البصرة، ثم إلى بغداد ولقاءه ب ألمس بيل، ومن ثم الإدارة العسكرية البريطانية في العراق بعد احتلال ولاية الموصل.

في حين تناول المبحث الثالث (إعلان الانتداب البريطاني على العراق والمقاومة الوطنية العراقية للاحتلال الانكليزي ودور برسي كوكس في تنظيم العمل الاداري في العراق وتنصيب الأمير

فيصـل ملكًا على عرش العراق، كما تضـمن البحث برسـي كوكس وعلاقته الدبلوماسـية وفرض معاهدة ١٩٢٢ بين العراق وبريطانيا).

اعتمد البحث على مجموعة من المصـادر المتنوعة والتي في مقدمتها كتاب صـفحات في تأريخ العراق الحديث لمؤلفيه برسـي كوكس وهنري دوبس، وكتاب لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث لمؤلفه علي الوردي، و كتاب برسي كوكس و السياسة البريطانية ازاء امراء نجد الكويت حائل (١٩١٥ – ١٩٢٣) لمؤلفه صبري فالح الحمدي.

كما اعتمد البحث على مجموعة من الرسـائل الجامعية، والتي في مقدمتها: رسـالة الماجسـتير الموسومة " السياسـة البريطانية تجاه الكويت ١٨٩٦ – ١٩١٥ " للباحث عبد المجيد عبد الحميد العاني، فضلًا عن البحوث والمقالات التي رفدت البحث بمعلومات قيمة.

واجهت الباحثة صعوبة في الحصـول على المصـادر التي تتناول نشأة برسـي كوكس وتكوينه الثقافي والسياسي، فضلًا عن تناثر المعلومات في بطون الكتب وندرتها في المكتبة المركزية لجامعة الموصل بعد تعرضها للحرق على يد تنظيم داعش.

المبحث الأول:

نشأة برسي كوكس:

ولد برسـي كوكس (Percy Zochrieehcr Cox) في ٢٠ تشـرين الثاني ١٨٦٤[٣] في مدينة هيرون كيت (Heron gate) في مقاطعة إسكيس (Essex) في بريطانيا وكان قد تلقى علومه العسكرية في الأكاديمية الملكية العسـكرية في سـانت هيرت (Sent Hirt) ثم خدم في الجيش البريطاني بالهند في عام ١٨٩٠[٤].

بعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية التحق برسي كوكس بالخدمة السياسية الهندية (Political service Indi) ثم تولى وظائف مختلفة في منطقة الخليج العربي منها وكيلًا سـياسـيًا لبلاده في مسـقط (١٨٩٩– ١٩٠٤) ومقيمًا في الخليج العربي [٥].

(٣) ينظر: الملحق رقم (١).

(٤) صبري فالح الحمدي، برسي كوكس والسياسة البريطانية إزاء أمراء نجد الكويت حائل (١٩١٥–١٩٢٣)، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، ٢٠١٦): ١٩.

(٥) الحمدي، برسي كوكس والسياسة البريطانية إزاء نجد الكويت حائل: ١٩.

مذكراته الشخصية:

كتب برسي كوكس مذكراته في كتاب بلغ عدد الصفحات فيه (١٠٤) صفحة ذكر من خلاله تعرفه بالمس بيل وكيف أتت المس بيل إلى العراق للعمل السياسي وأعماله العسكرية والمدنية وتحدث فيه عن الحكم البريطاني في العراق وكيف ألقى أول بيان عسكري بريطاني في العراق وتطرق في مذكراته أيضًا عن فترة الانتداب البريطاني في العراق وكيف رفض الشعب العراقي الانتداب [٦].

جهوده في الجزيرة العربية:

على أثر تأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية في كانون الأول عام ١٦٠٠ بموجب مرسوم أصدرته ملكة بريطانيا اليزابيث الأولى (Elizabeth) (١٥٥٨–١٦٠٣) وتوجه نشاطها صوب التجارة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ومعظم سنوات القرن التاسع عشر ولا سيما التجارة في الخليج العربي [٧].

إذ كان الخليج واحدًا من أهم المعابر التجارية في آسيا وعن طريقه كانت تمر منتجات الهند والصين إلى الأسواق في إيران والشام والعكس من ذلك [٨].

وعلى أثر تخلص بريطانيا من مقاومة القواسم الذين كانوا قد عارضوا وجود بريطانيا في الخليج العربي في عام (١٨١٩–١٨٢٠) على أثر معركة رأس الخيمة وما تبع ذلك عقد معاهدات غير متكافئة مع شيوخ المنطقة، فقد منحها ذلك الإشراف على شؤون الدفاع عن تلك المناطق فضلًا عن إدارة العلاقات الخارجية[٩].

وبسبب الدعم الذي قدمته فرنسا بواسطة ممثلها السيد بوتافي (Pouloottavi) (١٨٩٤–١٩٠١) القنصل الفرنسي في مسقط إلى فيصل بن تركي (١٨٨٨–١٩١٣) سلطان مسقط في مواجهة الاضطرابات الداخلية التي وقعت ضده عام ١٨٩٥ فقد توثقت العلاقات الفرنسية العمانية ولم تقتصر على حصول

(٦) برسي كوكس، هنري دوبس، تكوين الحكم الوطني في العراق، تعريب: بشير فرجو، ط١، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥١)، ٣٥.
(٧) صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧–١٨٢٠)، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٨٠): (٦٩ – ١٥٩).
(٨) جون كيلي، بريطانيا والخليج (١٧٩٥–١٨٧٠)، ج١، ترجمة: محمد أمين عبد الله، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، (لندن، ١٩٦٥): ٧.
(٩) العابد، دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧–١٨٢٠) : ٦٩ –١٠٩ .

فرنسا على إمتياز الحماية للسفن التي ترفع العلم الفرنسي بل إمتد في حصولها على إمتياز إقامة مستودع للذخيرة ومحطة فحم في مسقط تتزود منه السفن الفرنسية بالوقود [١٠].

حيث أصبح أيضًا عدد الذين يرفعون الأعلام الفرنسية (٢٣) شخصًا ومنهم (١١) من قبيلة بني جنابة و(١٢) من قبيلة بنو علي [١١].

إذ أثار الأمر قلق بريطانيا الذي عدته خرقًا للمعاهدة السرية المعقودة مع السلطان عام ١٨٩١ وتعهد بموجبها عدم التنازل عن أي جزء من أراضيه إلى دولة أجنبية ما عدا بريطانيا [١٢].

مما دفع هذا الأمر اللورد كرزن (Lord Curzon) نائب الملك في الهند (١٨٩٩–١٩٠٤) إلى اختيار برسي كوكس (Percy Cox)[١٣] ليكون وكيلًا سياسيًا لبريطانيا في مسقط في الأول من تشرين الأول (١٨٩٩) بدل من فاجان (Fagan) الوكيل السياسي السابق الذي فشل في مهمته هناك بتوثيق صلات بريطانيا بسلطان مسقط وفي مواجهة تزايد النفوذ الفرنسي في بلاده[١٤].

وبشأن اختيار كوكس وكيلًا سياسيًا في مسقط إن كرزن تحدث مع كوكس إن يتناقش مع سلطان مسقط بشكل يجعله يفهم كل إعتبار للسياسة والآمال المستقبلية ويحاول أن يشجعه على التعاون مع بريطانيا [١٥].

وقد برز دور برسي كوكس ممثلًا لبريطانيا واضحًا في مسألة إنشاء مستودع للفحم في بندر جصة فعلى الرغم من إلغاء السلطان اتفاقه مع فرنسا في (١٦ شباط ١٨٩٨) الخاص بالمستودع الذي سبق أن وقع بينهما وعدته بريطانيا خرقًا لاتفاقها عام (١٨٩١) مع فيصل بن تركي، لكن كوكس بوصفه الوكيل السياسي في مسقط، سارع في آب ١٩٠٠ لعقد إتفاق مع توفالي القنصل الفرنسي هناك تضمن أن تكون محطة الفحم في ميناء المكلا على ساحل حضرموت [١٦].

(١٠) فرح باسم إبراهيم، اللورد كرزون ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة المستنصرية، ٢٠٠٦): ٧٣٠.

(١١) جون غوردن لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٢، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب صاحب سمو أمير دولة قطر، (الدوحة، ١٩٨١): ٥٣.

(١٢) إبراهيم، اللورد كرزن ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٥: ٤٢.

(١٣) إبراهيم، المصدر السابق: ٤٢.

(١٤) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، (٢ / ٨٥٦).

(١٥) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٩١٤–١٩٤٠)، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٣): ٣٦٨.

(١٦) , Philip Grares, Life of Sir Percy Cox, London, (N.D.) ، : 189 نقلاً عن الحمدي، المصدر السابق.

وإن هذه العلاقات وإن لم تكن في يوم من الأيام أكثر ودية وتعاونًا مما كانت عليه في الفترة التالية المباشرة لتمرد عام ١٨٩٥ إلا أنها كانت علاقات يتزايد فشلها مع الوقت لقد كان السلطان يزداد تباعدًا كما أدى إلى تراكم الخلافات الصغيرة إلى قطيعة شاملة [١٧].

كما إن برسي كوكس قد اقترح في أوائل ١٩١٤ مشروعًا لتنظيم الإدارة في حكومة مسقط المتصدعة وكان مما اقترحه تزويد السلطنة بمستشار إداري وبضباط من الجيش الهند للإشراف على تنظيم قواتها [١٨].

لقد كان الخليج هو المعبر الذي تمر منه تجارة الرقيق إلى أسواق المناطق الشرقية في شبه الجزيرة والعراق وفارس والحبشة وإن الاستغلال على نطاق واسع لتجارة الرقيق لم يبدأ إلا بعد استيلاء عمان على منطقتي زنجبار والجزيرة الخضراء في أفريقيا أواخر القرن السابع عشر [١٩].

حيث أعربت السلطات البريطانية في الخليج العربي عن رفضها لتجارة العبيد التي ازدهرت على ساحل عمان إذ طلب كوكس من فيصل بن تركي أمير مسقط منع هذه التجارة فأصدر مرسومًا تضمن منع تجارة العبيد [٢٠].

وبتأثير من كوكس فقد عد كرزن رسو سفينة فرنسية في مسقط وعلى متنها ما يزيد على (١٠٠٠) من العبيد الإفريقيين في منتصف آب ١٨٩٩ انتهاكًا للوعود الفرنسية [٢١].

ومن جهة أخرى استمرت السياسة البريطانية بالعمل على حماية الكويت من التهديد الذي يمثله التحالف الذي حصل بين أمير حائل عبد العزيز بن متعب (١٨٩٧–١٩٠٦) والعثمانيين لكي يقضي الأول على أية محاولة لدى شيخ الكويت مبارك الصباح (١٨٩٦–١٩١٥) في مساعدة ابن سعود لأن أمير حائل أدرك أن حملته على الكويت لم يكتب لها النجاح دون إسناد من الأسطول العثماني وقد انتهت استعدادات الحليفين في بداية عام ١٩٠١ غير أن الهجوم المشترك لم يقدر له أن يتم لأن سفينة حربية لبريطانيا احتلت الخليج العربي [٢٢].

---

(١٧) لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، (٢ / ٨٤٤).

(١٨) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربي والمنافسات الإقليمية والدولية، (١٨٤٠–١٩١٤)، مج٢، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٣)، (٢ / ٣١٨).

(١٩) كيلي، بريطانيا والخليج (١٧٩٥–١٨٧٠)، (٢ / ٧).

(20)David. Dilksi Curzon in India, Vol, Printik by Ebenozer Baylix and Sou LTD London , ١٩٦٩، : نقلاً عن

الحمدي، المصدر السابق . ٣١ :

(٢١) لوريمر، المصدر السابق، (٣ / ٣٤٨).

(٢٢) ألكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، دار الوداق، (لندن، ٢٠٠٩): ٥١٤.

وتزايد الاهتمام البريطاني بالكويت وعموم الخليج العربي في خضـــم التنافس مع الدولة العثمانية على مناطق النفوذ منذ مطلع القرن العشــرين، ففي ٢٤ آيار ١٩٠٠ وافق شــيخ الكويت على حظر اســتيراد الأسلحة إلى بلاده أو تصديرها [٢٣].

ومع أوائل عام ١٩٠٨ وصلت أرض الجزيرة السيارة الأولى وكان مالكها وليم شكسبير ومساعده المقيم السياسي البريطاني في الكويت وكان وليم شكسبير العسكري الذي يحمل كل الصفات التقليدية في أصل الطبقة البريطانية الحاكمة تلك الأيام واستطاع أن يلتقي الملك عبد العزيز في الكويت [٢٤].

ولم يكن كوكس بعيدًا عن تلك التطورات التي كانت السلطات البريطانية في الخليج العربي وحكومة الهند توليها الاهتمام المطلوب قبل ضم الإحساء إلى نجد إذ كوكس بوصفه المقيم السياسي في الخليج العربي قد إدعى إلى شكسبير الوكيل البريطاني في الكويت إلى لقاء ابن سعود في مخيمه قرب الكويت وتناول الاجتماع أحداث المنطقة ثم رفع شكسبير تقريره في شباط في العام نفسه إلى كوكس موضحًا فيه رغبة ابن سعود في التخلص من الحكم العثماني [٢٥].

كما يلاحظ أيضًـــا دور كوكس بوصـــفه المقيم البريطاني في الخليج العربي في تعزيز علاقة بلاده مع الكويت ففي ٢٤ نيسان ١٩١١ طلب مبارك الصباح شيخ الكويت من كوكس حماية أملاكه في أم قصر وصفوان فضلًا عن تقديمه اقتراحًا إلى كوكس تضمن أن تؤجر بريطانيا ميناء الكاظمة أو أن يسمح شيخ الكويت بتأجيرها أو يقدم البريطانيون وعودًا بحمايتها وكانت إجابة كوكس إيجابية [٢٦].

أوعزت الحكومة البريطانية إلى كوكس أن يتصل بالشيخ مبارك الصباح ويفاوضه بشأن السماح له بالتنقيب عن النفط في الكويت بعد الإستعانة بجهود الاختصاصيين في هذا المجال وعدم السماح لأي دولة أخرى للقيام بهذه المهمة [٢٧].

وفي منتصف تموز ١٩١٣ تمكنت بريطانيا من الحصول على إمتياز النفط وعلى أثر تلك المناقشات التي جرت في مجلس العموم البريطاني حول حاجة بريطانيا الشديدة إلى النفط وهو الأمر الذي دفع كوكس إلى أن يبعث إلى شيخ مبارك الصباح طالبًا منه تقديم ضمان مكتوب يتعهد فيه بعدم التنازل عن حق التنقيب

(٢٣) سيد نوفل، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٩): ١٧٨.

(٢٤) سمير عطا الله، قافلة الحبر والرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢–١٩٥٠)، ط١، دار السافي، (بيروت، ١٩١٤) :٩٩.

(٢٥) الحمدي، المصدر السابق: ٣٠.

(٢٦) سلوت مبارك الصباح، مؤسس الكويت الحديث (١٩١٥–١٨٩٩)، ترجمة: عسيوي أيوب، مركز الدراسات والبحوث الكويتية، (الكويت، ٢٠٠٨): ٤٥٨.

(٢٧) عبد المجيد عبد الحميد العاني، السياسة البريطانية تجاه الكويت (١٨٩٦–١٩١٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٤): (١٣٣–١٣٤).

عن النفط في بلاده إلا لمن تعينه الحكومة البريطانية فبعث إليه مبارك بهذا الضـــمان فيما يعرف بإســم (اتفاقية الزيت) في ٢٧ تشرين الأول ١٩١٣[٢٨].

أما قطر فلم يكن كوكس بعيدًا عن الاهتمام البريطاني بها مثل بقية الإمارات العربية إذ عبر كرزن نائب الملك في الهند برســـالة بعثها إلى كوكس عن رأيه في الطريقة الوحيدة للحصـــول على تأييد عبد الله بن قاســم آل ثاني (١٩١٣–١٩٤٩) شــيخ قطر الذي وصــف موقفه بأنه كان متأرجحًا ما بين التحالف مع العثمانيين أو البريطانيين حتى قيام الحرب العالمية الأولى وجاء بالرسالة ويأتي "نعطيه تأكيدات أن وضعه وامتيازاته كشيخ لقطر تلقي اعترافًا وحفاظًا عليها أيضًا من قبلنا"[٢٩].

وفي المقابل تنازل العثمانيون عن حق السـيادة على قطر والبحرين بموجب اتفاقية عام ١٩١٣ بشـرط ألا تغير بريطانيا وضـــعها ولم تلبث أن أجليت الحامية العثمانية عن قطر في عام ١٩١٥ وفي العام التالي وقعت بريطانيا مع قطر اتفاقية جعلتها تحت الحماية البريطانية في أثناء نشـــوب الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ولم يعني ذلك أن قطر أصـبحت تحتل الأهمية نفسـها مثل الإمارات المجاورة التي طبقت فيها نفس النظام فقد ظلت قطر تتوارى خلف البحرين فقد وصف عهد الشيخ عبد الله بن قاسم بأنه عصر العزلة والدليل على ذلك أن بريطانيا لم تجد ضـــرورة لتعيين وكيل لها في الدوحة إلا في عام ١٩٤٩ وهي السنة نفسها التي بدأ بها تصدير النفط[٣٠].

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى رأى كوكس، المقيم السياسي في الخليج العربي إن أفضل وسيلة للتخلص من حركة الجهاد الديني [٣١] المؤيدة من الدولة العثمانية للوقوف ضـد النفوذ والوجود البريطاني في الخليج العربي في، إحكام السيطرة على المنطقة واستغلال الخلافات المذهبية والطائفية القائمة بين فارس والدولة العثمانية في منع تدفق القوات العثمانية في المقاطعات الفارسية في الجنوب [٣٢].

إذ إن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب إلا بعد ثلاثة أشـــهر من قيامها في أوربا وخلال تلك المدة لم تغفل حكومة الهند في بحث الإجراءات التي يجب اتخاذها في منطقة الخليج العربي وكان رأي كوكس هو ألا

(٢٨) بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، ١٩٨٣): ٢٩٢.

(٢٩) جون ولينكسون، حدود الجزيرة العربية، قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة: مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي (القاهرة، ١٩٩٤): ١٦٦.

(٣٠) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٨٢): (٢٢٩–٢٣٠).

(٣١) قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية: (١٢١– ١٢٢) .

(٣٢) المصدر نفسه: ٦ .

ترسل بريطانيا قوات عسكرية إلى المنطقة إلا بعد وقوع الحرف فعلًا وهدفه من ذلك هو ألا تظهر بريطانيا أمام السكان بمظهر المتعدي [٣٣].

كما أصـــدرت الحكومة البريطانية بناء على اقتراح كوكس بعد إعلان الحرب العالمية تعهدًا ضـــامنًا لاستقلال شيخي المحمرة والكويت وعبد العزيز آل سعود أمير نجد والإحساء [٣٤].

حيث لعب كوكس دورًا مهمًا في الخليج العربي إذ اتخذ من بوشـــهر مركزًا له إذ أســـهم أيضًـــا في إدامة علاقة بريطانيا مع عمان والبحرين (١٩٠٤–١٩٠٥) وتسوية الخلافات بين شيوخ ساحل عمان بعقد اتفاق بينهما عام ١٩٠٧ وفي عام ١٩٠٩ عين قنصلًا عامًا في بوشهر وأشرف على محاربة تجارة الأسلحة في مسقط (١٩١٠–١٩١٢) [٣٥].

المبحث الثاني:

دخول الدولة العثمانية الحرب واحتلال بريطانيا للعراق:

مع ضعف الدولة العثمانية تنامت مصالح عدد من الدول الاستعمارية في العراق ومنها المصالح البريطانية ولا سيما في القرن التاسع عشر وأشاد اللورد كرزن صراحة عام ١٨٩٢ إلى أن بغداد يجب أن تدخل ضمن منطقة سيطرة بريطانيا العظمى [٣٦].

في صـــباح ٣ آب عام ١٩١٤ فوجئ العراقيين بالطبول تدق على غير العادة وشـــاهدوا عل الجدران إعلانات رسم فيها صورة مدفع وبندقية وكان القصد من هذا الإعلان البدء بالتعبئة العامة دون الاشتراك في الحرب إذ أن تركيا لم تدخل الحرب إلا بعد ثلاثة أشهر [٣٧].

إذ أن عامة الناس في العراق لم يميزوا بين إعلان الحرب والنفير العام والدخول إلى الحرب فســـيطر الخوف على الكثير منهم واعتبروا الأمر من قبيل البلاء أنزل الله عليهم [٣٨].

---

(٣٣) الحمدي، المصدر السابق: ١٤.

(٣٤) حميد أحمد حمدان التميمي، البصري في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤–١٩٢١)، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الإشادة، (بغداد، ١٩٧٩): ١٠٨.

(٣٥) الحمدي، المصدر السابق: ١٩.

(٣٦) أسامة عبد الرحمن نعمان الدوري، أحوال بغداد الاجتماعية في سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٧–١٩٢٠) المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الإسلامية، دار الشرق للطباعة والنشر، مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد، ٢٠١٩): ٥١٧.

(٣٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من (١٩١٤ إلى ١٩١٨)، ط ٢، دار مكتبة دجلة والفرات، (بغداد، ٢٠٠٩) ، (٤ / ٨١) .

(٣٨) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، من (١٩١٠ إلى ١٩١٨) ، ط٢، (٤ / ٨١) .

وعندما أعلنت تركيا حالة النفير العام بدأت الأخبار تتسرب إلى القناصل البريطانيين في البصرة وبوشهر والمحمرة بأن الأتراك عازمون على دخول الحرب إلى جانب ألمانيا قريبًا وإنهم يعدون العدة لذلك [٣٩].

وفي مساء ٣١ تشرين الأول تلقى قائد المركب برقية مفادها أن الحرب أعلنت على تركيا وأوعز إليه بأن يقوم بحماية المصالح والممتلكات البريطانية في المحمرة وعبادان وبعد يومين إنساب المركب نحو شط العرب فألقى مراسيه تجاه قرية سيحان الواقعة على بعد ثلاثين ميلًا من الفاو. وفي ٦ تشرين الثاني إنساب المركب نحو شط العرب حيث التقى هناك بعد يومين بالحملة القادمة لغزو البصرة فساعدها بمدافعه [٤٠].

وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ نزلت إلى شط العرب القوات البريطانية الهندية التي كانت متحشدة في البحرين واستولت على الفاو[٤١].

وفي ٢٣ تشرين الثاني وصل الجنرال باريت إلى البصرة إلى رأس قواته ومعه مستشاره السياسي السيد برسي كوكس وقد جرى احتفالًا أمام سراي الحكومة حضره وجهاء البلدة وألقى كوكس بإسم القائد خطابًا [٤٢].

حيث رافق كوكس الحملة بصفته (رئيسًا للحكام السياسيين) وألقى بيانًا كرر فيه أسف الحكومة البريطانية لإضطرارها إلى معاداة الحكومة التركية، أن يعلم الشعب العراقي بأن بريطانيا لا تخاصمهم ولا تعترض أموالهم ما داموا لا يبدون موقفًا معاديًا لها [٤٣].

دخل القوات البريطانية إلى البصرة بغية القضاء على النهب والسلم والحرائق التي أصابت المدينة بناءً على الرسائل المستعجلة من الوجوه المحليين والقنصل البريطاني تناشد الجيش المتقدم الإسراع في المسير وفي يوم الاحتلال أصدر البيان بانتهاء الحكم التركي في المنطقة [٤٤].

أكد برسي كوكس في خطابه عندما دخل البصرة حيث قال: "أصدرت الأوامر المشددة لجنودي بأن يعاملوا السكن عمومًا بودٍ وتقدير تامين عند قيامهم بالواجبات الملقاة على عاتقهم"[٤٥].

(٣٩) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٨١) .

(٤٠) المصدر نفسه، (١٠٥-١٠٦) .

(٤١) مذكرات المس بيل، ترجمة: جعفر الخياط، ط١، دار المجتبي، مطبعة البرهان، (النجف، ٢٠٠٦): ١٢.

(٤٢) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ١١٩) .

(٤٣) المس بيل، المصدر السابق، :١٢.

(٤٤) المصدر نفسه:١٥.

(٤٥) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ١١٩) .

وكان الشيخ عجمي السعدون قد بعث إلى برسي كوكس بعد احتلال البصرة بعدة رسائل مشوشة بواسطة بعض الأصدقاء مفادها أنه يرغب في بناء العلاقات مع الحكومة البريطانية كما عبر عن رغبته في اللقاء بـ كوكس [٤٦].

أجاب كوكس بأن بريطانيا لا تبغي الشر للعرب وشيوخهم وجرى مراسلات عديدة أعرب كوكس عن استعداده لملاقاة العجمي في أي مكان ممكن [٤٧].

وفي ٢٣ حزيران احتلت القوات البريطانية مدينة العمارة ثم قامت بعدها القوات البريطانية باحتلال الناصرية لتأمين البصرة من أي هجوم آخر في المستقبل في هجوم الشعيبة وفي معركة صفوان خسر الأتراك جميع قواتهم البالغة ستة آلاف بين قتيل وجريح وأسير إضافة إلى خسارة مدافعهم كلها [٤٨].

ولم تنته السنة الأولى من الحرب حتى كانوا على مقربة من بغداد وكادوا يحتلونها لولا الخطأ الذي وقعوا فيه من جراء غرورهم واستهانته بقوة عددهم وكانوا الأتراك عندئذ قد بدأوا يتلافون أخطائهم فجاءوا بإعدادات كثيرة وأنزلوا بالإنكليز ضربة قاصمة [٤٩].

وفي يوم الأحد ١١ آذار سنة ١٩١٧ فوجئ الشعب العراقي بخبر سقوط بغداد على أيدي الجيوش الإنكليزية فوقع وقوع الصاعقة عليه وبعد ساعات ظهرت طيارات في سماء سامراء [٥٠].

وما ان سقطت بغداد بأيدي المحتلين البريطانيين حتى أصبحت شؤون البغداديين الاجتماعية والاقتصادية في اسوء حال بعد ثلاث سنوات من إندلاع الحرب التي أضرت كثيرًا بأوضاعهم [٥١].

واصل بعد ذلك البريطانيون احتلال باقي المدن العراقية فقد تمكنوا من احتلال خانقين في عام ١٩١٧ وكذلك الرمادي في العام نفسه وواصلوا تقدمهم بإتجاه الشمال [٥٢].

وفي ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ وقعت معاهدة موندروس التي حققت بريطانيا من خلالها ما عجزت عن تحقيقه في ساحات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى [٥٣].

(٤٦) المس بيل، المصدر السابق، : ١٧.

(٤٧) المصدر نفسه: ١٧.

(٤٨) المس بيل، المصدر السابق، (١٨– ١٩) .

(٤٩) الوردي، المصدر السابق، (٤ /١١٩) .

(٥٠) عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٩٩): ٢٦٠.

(٥١) الدوري، "أحوال بغداد الاجتماعية في سنوات الاحتلال البريطاني ١٩١٧–١٩٢٠": ٥٦٥.

(٥٢) إيناس خالد الجيلاوي، "الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب ١٩١٤–١٩٣٢"، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٧، (جامعة بابل، ٢٠٢٢)، :١٩٧.

(٥٣) خالد الدل، الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية، ط١، دار الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١١)، :٦٩.

ولا شـــك أن احتلال بريطانيا للعراق قد أدخل العراق وشـــعوبه لأول مرة في تاريخه الحديث في مرحلة الحداثة والتخلص من أوضاع القرون الوسطى التي عاشها في ظل سيادة الدولة العثمانية [٥٤].

وصول برسي كوكس إلى بغداد:

وكان المستشار السياسي للحملة البريطانية في العراق السير برسي كوكس قد وصل إلى بغداد بصحبة الجنرال مود فخصصت له دار القنصلية النمساوية لتكون دائرة له وهي تقع على النهر بالقرب من دار القنصلية البريطانية التي نزل فيها مود[٥٥].

ولم يكن مع كوكس عند وصوله بغداد سوى ضابط واحد يعاونه في عمله فاستدعى إليه من البصرة عددًا من الموظفين والضباط الذين لهم خبرة بالبلاد العربية ومن بينهم جون فيلبي بونهام، كارتر، غاربيت [٥٦].

وقد باشـر كوكس بتشـكيل جهاز الإدارة المدنية من العسـكريين البريطانيين والهنود وقد برر كوكس ذلك العمل بقول "إن البلاد بحاجة إلى خبرة إدارية تتطلب الإستعانة بالموظفين البريطانيين والهنود"[٥٧].

حيث صدرت أوامر القيادة العسكرية بإستبدال عنوان وظيفة كوكس من الضابط السياسي الأول إلى رئيسًا للحكام السياسيين (Chilef political of ficer) ووضع عددًا من ضباط الجيش تحت أمرته للعمل في الشؤون الإدارية والمدنية [٥٨].

واختيار برســـي كوكس عدد من الموظفين البريطانيين بالتشـــاور مع قائد القوات البريطانية في العراق لتشكيل جهاز الإدارة المدنية وأوكلت إليهم المهام التالية:

أ- مهام أمنية وإدارية للحد من حالة الفوضة المتمثلة في مهاجمة المؤسسات الحكومية.

ب- توفير احتياجات القوات العسكرية.

ت- تقديم خدمات أســـاســـية للمواطنين وحل مشـــاكلهم وتأمين العلاقة بين الســـكان والمحتلين البريطانيين[٥٩].

(٥٤) كاظم حبيب، لمحات من عراق القرن العشرين، الكتاب الثالث، ١١٠٣، العراق الملكي، بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب (١٩١٤ –١٩٣٢)، ج١، ط١، دار اراس للطباعة والنشر، (أربيل، ٢٠١٣)، :٦.

(٥٥) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٣٥٦) .

(٥٦) المصدر نفسه، (٤ / ٣٥٦).

(٥٧) كوكس ودوبس، تكوين الحكم الوطني في العراق، :٣٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٣٥.

(٥٩)عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، مطبعة العرفان، (بيروت، ٢٠٠٨)،(٣ / ١١٤) .

وباشـر كوكس بتدريب ملاك من الموظفين البريطانيين والهنود على مؤسـسـة الشـرطة التي تشـكلت في ضمن جهاز الإدارة المدنية وعهد بإدارتها إلى الرائد براون (Brown Low) الذي منح صـلاحيات واسعة لتحقيق الأمن في البلاد وضمان سلامة القوات البريطانية في العراق [٦٠].

وبعد احتلال بغداد إهتمت سـلطات الاحتلال البريطاني في العراق بتشـكيل الإدارة المدنية فيه إذ قسـمت البلاد على خمس عشـر وحدة إدارية، أطلق عليها اللواء (Derisory) يرأس هذه الألوية حكام سـياسـيون (Political officers) ويرتبط بها أربعون قضـاء ويدير كلًا منها مسـاعد حاكم سياسـي وتم تعيين حكام عسكريين في المدن الرئيسية [٦١].

وأصـبحت إدارة مناطق العراق المحتلة بيد مندوب مدني يرتبط بوزارة شـؤون الهند وله مسـاعدان أحدهما للشؤون القضائية والآخر للشؤون المدنية [٦٢].

إذ زاد عدد الموظفين البريطانيين في العراق حيث وصـــل في بغداد وحدها (٢٧٨١) موظفًا بينهم حوالي (١٨٩) عراقيًا فقط [٦٣].

وبلغ عدد موظفي دائرة الحاكم السـياسـي خمسـين موظفًا بريطانيًا، إذ وصـل إلى العراق ومن مختلف المسـتعمرات البريطانية عدد من هؤلاء الموظفين العمل في المؤسـسـات الإدارية في البلاد ومنهم ماي (Mai) في المالية وبونهام كارتر (Bonham) وبيل ونورتن (Norton) للقضاء وكونس (Cons) لجهاز الشرطة وويدز (Weidz) للعقار والأراضي [٦٤].

كما أنشـأت السـلطات في كل منطقة من المناطق العشـائرية مجلسًـا عشـائريًا يتكون من ثلاثة رجال من رؤوساء العشائر ومدني واحد ويجتمع هذا المجلس مرة واحدة كل أسبوع وخصص لأعضائه راتبب (٣٠٠) روبية [٦٥].

(٦٠) لوريمر، المصدر السابق، (٢ / ١) .

(٦١) المصدر نفسه، :١.

(٦٢) كوكس ودوبس، المصدر السابق: ٣٧.

(٦٣) وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط٢، (بغداد، ١٩٨٥): ٢٠٤.

(٦٤) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث (١٩٠٠–١٩٥٠)، ط١، ترجمة: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٨): ١٧٨.

(٦٥) كوكس ودوبس، المصدر السابق، :٣٧.

ويقول كوكس "حالما انتشـر خبر احتلالنا لمدينة بغداد أخذت الوفود المختلفة من جهات العراق تتوافد إلى بغداد لزيارتي والترحيب بمقدمنا وفي مقدمتهم أشـــراف المدينة ثم شـــيوخ القبائل القريبة والبعيدة عن بغداد"(٦٦).

وكان الإنكليز يحاولون إقناع الوجهاء ورجال الدين وأبناء الأســـر المعروفة بدخول الوظائف بغية جعلهم واجهة حسـنة لحكمهم وصـاروا يغرونهم بالمرتبات العالية والإمتيازات الخاصـة لكن أكثرهم لم يسـتجيبوا لرغبة الإنكليز (٦٧).

حيث كان الكثير من الناس في بغداد لا يزالون تحت تأثير حركة الجهاد نفســيًا فكانوا يعتبرون قبول الوظيفة في أيام الاحتلال الإنكليزي أمرًا محرمًا من الناحية الشرعية إذ هو بمثابة التعاون مع الكفار (٦٨). إذ أن بريطانيا بعد احتلالها المدن العراقية فرضـت حكمًا عسـكريًا عليها من جهة وأخذت تضـع الخطط الكفيلة لتثبيت أقدامها من جهة أخرى، كما إنها أخذت تفرض القوانين والأنظمة المعمول بها في الهند على العراقيين وتطبقها عليهم بالقوة دون مراعاة لظروف البلدين المختلفين (٦٩).

لقاء السير برسي كوكس بألمس بيل:

يذكر الســـير برســـي كوكس في مذكراته قائلًا: "تعرفت لأول مرة بالمس بيل في دار أصـــدقاء الطرفين السـير ريشـموند القنصـل البريطاني في بغداد آنذاك السـيدة ريتيش وذلك في شـتاء سـنة ١٩٠٩ حيث مكثت ضيفًا رسميًا عندها لمدة بضعة أسابيع موفدًا بمهمة من قبل إدارة النفوذ البريطاني في الخليج العربي (٧٠).

حيث أن شـيموند قد دبر أمر التعاون بيني وبين المس بيل ليتسـنى له فرصـة المباحثة معي في امكانية قيامها في السـنة التالية بمشـروع طالما كانت تصـبو إليه وهو أن تقوم برحلة برية تخترق بها جزيرة العرب عرضًا (٧١).

(٦٦) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٣٥٧) .
(٦٧) المصدر نفسه، (٤ / ٣٥٨) .
(٦٨) المصدر نفسه: ٣٥٩.
(٦٩) أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢–١٩٣٢، دار الطليعة، (بغداد، ١٩٨٠)، : ١٦.
(٧٠) كوكس ودوبس، المصدر السابق، :٢.
(٧١) المصدر نفسه:٢.

أصـــبحت المس بيل الســـاعد الأيمن لكوكس في إتصـــاله بالأهالي وبالوفود التي جاءت تهنئ الإنكليز بالنصر من مختلف أنحاء العراق [٧٢].

كانت المس بيل تعمل كغربال يقوم بتصفية الزائرين، إذ كانت ترسل إلي كل فرد من الشخصيات المختلفة وبيده ورقة من عندها توضح لي القبيلة التي ينتمي إليها والمنطقة التي يمثلها ثم غايته في مواجهتي وهكذا بفضل المس بيل تمكنت من توفير الوقت [٧٣].

حيث أصـبحت المس بيل محور أحاديث الناس في المقاهي والدواوين ومجالس الناس فلم يكن مألوفًا لدى الناس أن تكون امرأة على مثل هذا السلوك أو تملك مثل هذا النفوذ والمقام الرفيع [٧٤].

الإدارة البريطانية في العراق بعد احتلال الموصل:

ظهرت نوايا الإنكليز تجاه العراق بصـــورة واضـــحة وذلك بعد إحتلال الموصـــل إذ عقد أعضـــاء (جمعية العلم) اجتماعًا لمعرفة نوايا بريطانيا تجاه العراق فقابل رئيس الجمعية (مكي الشـــربتي) الحاكم السياسي ليجمن (Leach Man) في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ مذكرة بتحالف الإنكليز مع العراق ووعودهم التي قطعوها لهم فكان جواب الحاكم: "إن احتلال العراق من أولها إلى أخرها هو احتلال بريطاني محض لا علاقة له بالشريف حسين ملك الحجاز" وهكذا انكشفت نوايا الإنكليز على لسان الحاكم السياسي فظهر بمظهر المستعمر للبلاد"[٧٥].

إذ قام الإنكليز بإحداث الفتن والشقاق بين أبناء البلاد وفق سيادتهم المعروفة (فرق تسد) وإفسادهم الأخلاق وعبث جنودهم في البلاد وسوء إدارتهم وتعديات شرطتهم وشتمهم أهل البلاد [٧٦].

كما استحدث البريطانيون نظامًا قضـائيًا يهدف إلى استبدال القوانين الموجودة قوانين هندية بصـورة جذرية وشـــاملة في الشـــؤون المدنية والتجارية وتشـــكيل المحاكم [٧٧]، إذا كانت الإدارة البريطانية في العراق تقوم على الأسس التالية:

(٧٢) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٣٥٧).

(٧٣) المصدر نفسه: ٣٥٧.

(٧٤) المصدر نفسه، (٤ / ٣٥٨) .

(٧٥) عبد المنعم الغلامي، أسرار الكفاح الوطني في الموصل، مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٦٨)، (٢/ ١٢٥– ١٢٦).

(٧٦) الغلامي، أسرار الكفاح الوطني في الموصل، (٢ / ١٨٨– ١٨٩) .

(٧٧) سهيل حسين الفتلاوي، تاريخ العلاقات الدبلوماسية في الوطن العربي، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، ط١، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٢)، :٣٦٧.

- ❖ تأمين حاجياتها بالاستيلاء على بعض الأراضي والممتلكات وتشغيل العراقيين بالإكراه لخدمة المجهود الحربي البريطاني.
- ❖ التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية.
- ❖ محاولة التقرب من العشائر لضمان ولائها.
- ❖ العمل على إيجاد نظام اداري تكون المشاركة العراقية فيه من الوظائف الثانوية.
- ❖ وضع نظام قضائي جديد يهدف إلى استبدال القوانين العثمانية بقوانين هندية في الشؤون المدنية والتجارية والعقارية [٧٨].

كما إن البريطانيون واجهوا في بداية الاحتلال الرفض حيث أن غالبية الذين استشارتهم بريطانيا ضد العثمانيين هم من المسلمين ورغم الرعاية البريطانية التي لم تحصل على قبول العراقيين للأمر الواقع [٧٩]. كل هذا وغيره أثار الحماسة الوطنية لدى العراقيين فأخذ كثير منهم يعلنون استيائهم وسخطهم من تلك الأفعال ويتذمرون مما أصابهم من ويلات الاحتلال فشرعوا يفكرون في كيفية الخلاص من هذا الاحتلال الجديد [٨٠].

حيث عمل الحكام السياسيون على إغداق العطايا والأموال على بعض الشيوخ والتقرب إليهم بشتى الوسائل وذلك لمنعهم من المشاركة بالثورة ضدهم [٨١].

مارست بريطانيا أيضًا سياسة محاربة حرية الأفكار إذ منعت إصدار أية صحيفة سياسية غير الصحف الرسمية فلم يكن آنذاك أثر لحرية المطبوعات ولا لحرية الاجتماعات لذلك نهض الوطنيون يطالبون بمنح الشعب العراقي حقوقه الطبيعية في الاستقلال [٨٢].

حيث بدأت حركة المقاومة في العراق عام ١٩١٤ عندما كانت البصرة مهددة بخطر الغزو البريطاني وصلت برقية من البصرة إلى علماء الدين في العتبات المقدمة ومختلف المدن العراقية جاء فيها: "ثغر البصرة الكفار محيطون به الجميع تحت السلاح تخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر

(٧٨) جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤–١٩٦٨، ط١، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، (بغداد، ٢٠١٥)، (٢٢ – ٢٣) .

(٧٩) عماد محمد ذياب الحفيظ، الصراع الطائفي وتأثيره على البيئة، ط١، دار الصفاء لنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠٠٦)، :٣٨.

(٨٠) الغلامي، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٨–١٨٩.

(٨١) أحمد علي الصوفي، أرض السواد، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥٥)، :١٠٤.

(٨٢) صالح محمد حاتم، صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠–١٩٣٢، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٥)، :٢١.

بالدفاع"[٨٣] وهذا ما يدل على مدى تأثير علماء الدين المسلمين على اثارة الشعور الوطني السياسي لدى السكان [٨٤].

المبحث الثالث:

إعلان الانتداب البريطاني على العراق:

بعد أن تمكنت بريطانيا من السيطرة على العراق بأكمله عقدت مع الحلفاء مؤتمرًا في سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ وبموجب قرارات هذا المؤتمر خضع العراق للانتداب البريطاني [٨٥].

ووفق المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم وهي المادة التي تخص الانتداب التي جاء فيها: "إن بعض الشعوب التي كانت تعود سابقاً إلى الإمبراطورية العثمانية وصلت إلى درجة من التطور بحيث يمكن أن يعترف بوجودها كأمم مستقلة بشرط أن توجه حكمها نصائح ومساعدة الدول المتقدمة إلى الوقت الذي تصبح فيه أهلًا لأن تقود نفسها يجب أن تؤخذ رغبات هذه الشعوب بنظر الإعتبار قبل أي شيء آخر عند اختيار الدولة المنتدبة [٨٦].

تمثلت المقاومة الوطنية للاحتلال البريطاني في الموصل بأساليب عدة لكنها تركزت في مجالين أساسين، هي: إتباع الأسلوب السياسي السلمي والثاني تبين الصيغة العسكرية والكفاح المسلح واتخاذه طريقاً لمقاومة المحتلين البريطانيين [٨٧]. ففي المجال الأول اضطلعت جمعية العَلَم [٨٨] التي تأسست عام ١٩١٤ بدور فعال فأنشأت المدارس والمكتبات مثل مكتبة الخضراء ومدرسة النجاح والمدرسة الإسلامية وكان لهذه المؤسسات دور مهم في إثارة شعور القلق لدى الإنكليز [٨٩].

---

(٨٣) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ١٢٧) .

(٨٤) أياد طارق خضير العلواني، "علماء الدين وموقفهم من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤–١٩٢١"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٥٠، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠١٥)، :٧٩٩.

(٨٥) مجيد خدوري، تحرير العراق من الانتداب، مطبعة العهد، (بغداد، ١٩٣٥)،:٤.

(٨٦) البرت منتشا شيفلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: هاشم صباح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٧) ، (١٥٧ –١٥٨) .

(٨٧) الصوفي، أرض السواد، (٢٠٩ – ٢١١).

(٨٨) جمعية العَلَم: تأسست أوائل عام ١٩١٤ وقد اختار مؤسسوها هذا الإسم ليستطيعوا أن يأولوه من العلم (بفتح العين واللام) إلى العِلم (بكسر العين) عند الضرورة خوفاً من بطش السلطات الإتحادية وترجح فكرة تأسيس هذه الجمعية إلى شاب مسيحي موصلي إسمه ثابت عبد النور وكان هدفها الكفاح المسلح ضد الأتراك وضمت عدد من القوميين والشباب المتحمسين، الصوفي، المصدر السابق، (٢٠٩ – ٢١١) .

(٨٩) غانم محمد الحقو، "الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى إندلاع الحرب العالمية الثانية"، ج٥، موسوعة الموصل الحضارية، مطبعة ابن الاثير (جامعة الموصل، ١٩٩٢)، (٥ / ٦٤) .

كما كان لجمعية العهد السرية أيضًا التي تأسس فرعها في الموصل في آذار ١٩١٤، دور مهم في تصعيد العمل الوطني والقومي بدعوتها إلى استقلال العراق التام وإنهاض الشعب العراقي والأمة العربية كما أعربت الجمعية عن غايتها بأن يكون نظام الحكم في العراق (ملكيًا دستوريًا) ويكون أحد أنجال الشريف حسين ملكًا على العراق [٩٠].

مارست جمعية العلم والعهد دورًا فعالًا في مواجهة الاحتلال البريطاني خاصة بعد أن عقد الحلفاء مؤتمر سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ والذي أقر وقوع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني لذلك خابت آمال العراقيين في تحقيق الاستقلال التام [٩١].

المقاومة الوطنية للاحتلال الإنكليزي:

أدى الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي مارسه الإنكليز في العراق أثناء مرحلة الاحتلال وتذكرهم الوعود التي قطعوها للشعب العراقي بالاستقلال وتكوين حكومة وطنية [٩٢]. إلى تبني المقاومة المسلحة ضدهم واتخاذ طريقاً ثانياً للكفاح [٩٣].

لذلك اندلعت الثورات ضد الإنكليز في معظم مناطق الموصل في ٤ حزيران ١٩٢٠ قامت حركة تلعفر [٩٤].

وبتأييد ودعم فرع جمعية العهد [٩٥] بالموصل والتي كانت غايتها تحرير الموصل من الاحتلال البريطاني إذ كانت هذه الحركة مقدمة لشرارة ثورة العشرين في أنحاء العراق كافة [٩٦].

(٩٠) فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤–١٩٥٨، مؤسسة الخليج للطباعة، (بغداد، ١٩٤٨)،(٥٢ – ٥٣) .

(٩١) أديت واي بيروز، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥–١٩٧٥، ج١، ط١، ترجمة: عبد المجيد حسين القيسي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٨٩): ١٠٦.

(٩٢) حاتم، المصدر السابق: ١١٠.

(٩٣) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط١، مطبعة الانتشار، (بغداد، ١٩٦٣)، :٢٠٧.

(٩٤) قحطان أحمد عبوش التلعفري، ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة، مطبعة الأزهر، (بغداد، ١٩٦٩)، (٣٦–٣٧).

(٩٥) جمعية العهد: تأسست في ٢٨ تشرين الأول ١٩١٣ بزعامة عزيز علي المصري وبعض الضباط المتحمسين للقضية العربية في الاستانة وسميت بالعهد لأن إنتماء أي عضو إليها بمثابة عهد بينه وبين الله على خدمة الأمة العربية وكان هدفها الحصول على الاستقلال الداخلي للأقطار العربية. بيروز، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥–١٩٧٥، :١٠٦.

(٩٦) الحفو، الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، موسوعة الموصل الحضارية، (٥ / ٦٤) .

أما الجمعية الثالثة فهي جمعية حرس الاستقلال التي تأسست في بغداد في نهاية شهر شباط ١٩١٩[٩٧] وقد انتخب هيأة إدارتها من طرف جلال بايار وشكر محمود وناجي شوكت وعارف حكمت وجعفر أبو التمن وتضمن برنامجها أموراً متعددة، منها:

١- استقلال العراق استقلالًا تامًا.

٢- تشكيل مملكة عراقية يسند فيها العرش إلى أحد أنجال الملك حسين على أن يكون ملكًا دستوريًا ديمقراطيًا.

٣- العمل على ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية.

٤- توحيد كلمة العراقيين وبذل أقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الاعتراف في الدين والمذهب[٩٨].

قامت جمعية حرس الاستقلال بنشاط واسع بين مختلف أوساط المواطنين مما جعلها تتمتع بمركز قوي كما إنضمت إليها منظمة سرية تدعى (جمعية الشبيبة العربية) كما نجحت في تأسيس فروع عديدة لها في بغداد والنجف والحلة وغيرها من مدن العراق[٩٩].

لكن سرعان ما بدأ الخلاف والتنازع بين التنظيمين حيث ذهب البعض إلى القول أن النزاع بينهما كان مبعثة بعض القضايا الشخصية والبعض الآخر يرى أن سبب النزاع فقرة وردت في منهاج حزب العهد تنص قبول مساعدة بريطانيا الفنية والإقتصادية للحصول على استقلال العراق وقد اعترض حزب الحرس على هذه الفقرة[١٠٠].

لقيت الحركة الوطنية المقاومة من سلطات الاحتلال التي عمدت إلى الشدة والعنف للوقوف بوجه الانتفاضات الشعبية التي شملت مناطق العراق المختلفة خلال الفترة بين عام ١٩١٨-١٩٢٠ فقد انتفضت السليمانية وتلعفر وأربيل وسرعان ما تحولت هذه الانتفاضات إلى ثورة شاملة[١٠١].

وكنتيجة لقرارات مؤتمر سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني استنكر العراقيون هذا استنكارًا شديد وأخذت مقاومتهم لكل هيمنة أجنبية تتخذ شكلًا خطيرًا[١٠٢].

---

(٩٧) حميدي، تاريخ العراق المعاصر (١٩١٤-١٩٦٨)، ط١، (٢٦ – ٢٧) .

(٩٨) زهير عبد الجبار الدوري، الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط١، الأوائل للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٥)، :٦٧.

(٩٩) حميدي، المصدر السابق: ٢٧ .

(١٠٠) الوردي، المصدر السابق، (٤ / ٩٥) .

(١٠١) حميدي، المصدر السابق، :٢٨.

(١٠٢) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧ ، (٣ / ٩٢) .

وتوتر الجو السياسي في العراق وعقد زعماء الحركة الوطنية سلسلة من الاجتماعات عرفت بإسم المواليد وقوبلت تلك الاجتماعات بسياسة الشدة من قبل السلطات البريطانية وقد حدثت مظاهرة جماهيرية واسعة في ٢ حزيران ١٩٢٠ عندما قابلوا ممثلو الحركة الوطنية وكيل الحاكم الملكي وطالبوا بإجابة المطالب التالية:

١- إنشاء مجلس تأسيس.

٢- إطلاق حرية الصحافة(١٠٣).

وكرد فعل على المطالب التي رفعتها الحركة الوطنية أصـــدرت الحكومة البريطانية بلاغًا في ١٠ حزيران من نفس السنة أدعت فيه إنها ستسعى إلى العمل على تحسين أوضاع العراق السياسية بواسطة تشكيل حكومة مستقلة وسيخول برسي كوكس صلاحية تنظيم مؤقت لـ:

١- مجلس شورى تحت رئاسة عربي.

٢- مؤتمر عراقي يمثل أهالي العراق ينتخب أعضـــاءه باختيارهم ويكون واجبه الأول إعداد القانون الأســـاســـي وكان ويلســـن يأمل من هذا البيان وقف نشـــاط الحركة الوطنية لكن بيانه لم يحقق أهدافه(١٠٤).

تضـافرت الأسباب والدوافع لدى العراقيين والوطنيين لرفض الانتداب والاحتلال خاصـة ما حصـل من حركات تحريرية لدى بعض الدول المجاورة والأقطار التي كانت تابعة للدولة العثمانية وانفصـــلت عنها بالإضـافة إلى انتشـار الأفكار التحريرية من طرف الأحزاب والجمعيات السـرية وقيام الثورة البلشـفية في روسيا وتنصيب فيصل بن الحسين ملكًا على سوريا وقيام الثورة المصرية بزعامة سعد زغلول وتصريحات رؤساء الدول الأوربية ومناداتهم بتحرير الشعوب كلها كانت عوامل مباشرة ساعدت في إشعال الثورة(١٠٥).

إن المؤرخين العراقيين يعتبرون ٣٠ تموز ١٩٢٠ بداية الثورة لأن ذلك اليوم اعتقلت سـلطات الاحتلال في الرميثة(١٠٦) شـــيخ قبيلة الظوالم شـــعلان أبو الجون فحرره رجاله من الســـجن بعد قتلهم لأثنين من الحراس(١٠٧).

(١٠٣) حميدي، المصدر السابق: ٣١.

(١٠٤) المصدر نفسه: ٣١.

(١٠٥) سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ط١، نيسان للنشرة التوزيع، (بيروت،٢٠٠٠): ١٣.

(١٠٦) الحسني، المصدر السابق، (٣ / ٤٢) .

(١٠٧) كمال مظهر أحمد، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ط١، منشورات البرليس، (بغداد، ١٩٨٧):٥٣.

حيث عد إخراج الشيخ شعلان من السجن بمثابة الشرارة الأولى للثورة التي إتخذت نمط المقاومة الشعبية بوجه المحتل البريطاني [١٠٨].

إذ امتد لهيبها شيئاً فشيئاً من بعقوبة إلى كفري ثم إلى أربيل أما المناطق الكردية الأخرى فلم تسهم بثورة العشرين وذلك لما كانت تعانيه من الضربات العسكرية التي ألحقها الإنكليز بهم [١٠٩].

كما قام شيوخ العشائر في المناطق العراقية بحث رجالهم على مواجهة قوات الاحتلال والتصدي لها من خلال الهجمات المباغتة عن طرق المواصلات ومناطق وجود الجيش المحتل وقطع أسلاك التلغراف بهدف شل حركة التموين والإمدادات البريطانية وقطع الإتصال بين وحدات الجيش وقياداتهم كما استطاع أبناء العشائر من قتل عدد من الضباط البريطانيين الذين أساءوا التصرف مع عشائر المنطقة [١١٠].

تميز الثوار بروح نضالية عالية خلافاً لقوات الاحتلال التي رغم كل الجهود التي بذلتها عجزت عن المواجهة واضطرت في نهاية الأمر إلى التراجع نحو مدينة الرميثة حيث حاصرها الثوار من كل مكان وأدى تجاوب الجماهير الشعبية معهم إلى فقدان قوات الاحتلال لسيطرتها على مناطق الفرات الأوسط حيث جرى حصارها في مدينتي الرميثة والسماوة من قبل رجال المقاومة [١١١].

مما جعل قوات الاحتلال تعلن رغبتها في مفوضات عاجلة لتحقيق مطالب الحركة الوطنية العراقية التي تتمثل في إطلاق سراح المساجين السياسيين ومنح العراق الاستقلال التام وعلى هذا الأساس وافق رؤساء العشائر الثائرة ورجال الدين في ٩ تموز ١٩٢٠ على إعلان الهدنة لمدة ٤ أيام قصد الشروع في هذه المفاوضات لكن سرعان ما تبين الخداع من طرف العدو لكسب الوقت مما تراجع حصارهم الثوار لقوات الاحتلال حتى نكثت بريطانيا وعودها مما جعل الثوار يستأنفون المعارك في منطقة الرميثة وكبدوا العدو خسائر فادحة [١١٢].

(١٠٨) محمد حسين زيون الساعدي، أهالي العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء التحدي والإستجابة، مج٨، العدد ١٥، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، (العراق، ٢٠٠٩)، (٨ / ٣٣).

(١٠٩) عمار يوسف عبد الله، بريطانيا والانتفاضات الكردية في العراق ١٩١٩–١٩٣٢، مج٧، العدد ٣، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، (جامعة الموصل، ٢٠١٢)، (٧ / ٦).

(١١٠) الساعدي، أهالي العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء التحدي والإستجابة، مج٧، ص٣٣.

(١١١) علي المحجوي، العالم العربي الحديث، تخلف فاستعمار فمقاومة، ط١، دار الانتشار العربي، دار محمد علي للنشر، (بيروت، ٢٠٠٩)، (١٦٩– ١٧٠).

(١١٢) المحجوي، المصدر السابق، ط١، (١٦٩ – ١٧٠).

تواصلت المواجهات البريطانية العراقية وشملت حينئذ المناطق الجنوبية لنهر الفرات وامتد نشاطها إلى منطقة البصرة واقتصر النفوذ البريطاني على بعض القواعد العسكرية أهمها بغداد والبصرة والموصل إضافة إلى حوض نهر دجلة جنوبي شرقي البلاد (١١٣).

ولعرقلة وصول المواد الأساسية للعدو قاموا بنسف السكك الحديدية وقطع طرق النقل الأخرى ولهذا لجأت قوات الاحتلال إلى الطائرات لمد حامياتها العسكرية بالمؤن والذخيرة التي كثيرًا ما كانت تقع بيد الثوار حتى أصبحت مصدر تموينهم (١١٤).

لم يكن لدى العراقيين حين ثاروا في وجه الإنكليز غير الأسلحة البدائية كالفالة والخنجر والسيف والقليل من البنادق القديمة وعدد ضئيل من الرشاشات والمدافع المعطلة التي غنموها من المعارك بعد قيام الثورة بشهر أو أكثر في حين أن الجيوش البريطانية كانت مجهزة بأحدث الأسلحة من المدافع والدبابات والقنابل والطائرات والتكافؤ بين الجانبين المتحاربين مفقود سواء في السلاح أو في الأموال والرجال (١١٥).

اقترح لورنس وكان عندئذ أبرز مخططي السياسة البريطانية في الشرق الأوسط تفويض المندوب السامي في العراق تنفيذ برنامج من شأنه تهدئة الأوضاع وإطفاء لهيب الثورة وذلك بتأليف حكومة وطنية واعتبار اللغة العربية لغة رسمية (١١٦).

وفي ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ وصل إلى بغداد السير برسي كوكس بعد فشل السياسة التي اتبعها أرنولد ولسن التي كانت قائمة على التجاهل التام للعراقيين في مطالبهم لإقامة حكم وطني لهذا انتشرت في الصحف البريطانية مقالات ركزت على القول بوضع حد لحكم العراق حكمًا استبداديًا مباشرًا ومن هنا تم اختيار برسي كوكس خلفًا لولسن ليمارس سياسة أكثر لينًا ومستهدف بصورة أساسية تشكيل حكومة عصرية تبعًا لنصوص الانتداب (١١٧).

ذكر السير برسي كوكس قائلًا: "قررت الحكومة البريطانية إجراء تبديل في سياستها في العراق وتسمية منصبي بصفتي أكبر موظف سياسي بريطاني تابع للقيادة العامة فيه وصرت أعرف منذ ذلك التاريخ بإسم

(١١٣) المصدر نفسه: ١٧١.

(١١٤) المصدر نفسه، :١٧١.

(١١٥) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط١، مطبعة سرو، (قم ٢٠٠٠)، :٣٥٨.

(١١٦) المحجوي، المصدر السابق، :١٧٤.

(١١٧) حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي (١٩١٤–٢٠٠٠) ط١، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٥)، :٦٠.

(المندوب المدني السامي) وأعطي لي الإتصال المباشر بإدارة قسم الهند من وزارة الخارجية البريطانية فصارت تصدر بإسمها بعد ذلك جميع الأوامر والتعليمات في القضايا غير العسكرية"[١١٨].

وعند وصول برسي كوكس إلى بغداد عام ١٩٢٠ ليكون أول مندوب في العراق لتنفيذ هذه المهمة عمل على تهدئة الأوضاع وأفلح في تكوين حكومة مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد [١١٩]. حيث قابل الشعب العراقي وصول السير برسي كوكس كأول ممثل سياسي بريطاني في العراق إلى بغداد بشيء من الإرتياح وكان قادة الرأي في البلاد يعلقون على سياسته يومئذ من أجل إنهاء الثورة التي كبدت الشعب ضحايا كثيرة في الأموال والأنفس وركون البلاد إلى الهدوء والسكينة بعد ذلك الهيجان العظيم فأعدت لأستقباله العدة اللازمة واشترك في الاحتفال بقدومه كثير من رجالات العاصمة وبعض رؤساء القبائل غير الثائرة [١٢٠].

وبعد إنتهاء حفلة الاستقبال انصرف المندوب السامي إلى دراسة التقارير المنوعة عن الحالة العامة في العراق كما اجتمع بلفيف من الوجوه والأشراف ورؤساء القبائل الموالية ليقرر الخطة الرامية إتباعها [١٢١].

دور السير برسي كوكس في تنظيم العمل الإداري:

ومن أجل تنظيم العمل الإداري في العراق إعتمد برسي كوكس على خمسة من الموظفين بصفة أمناء سر وهم:

١- العقيد سليتر (Slater) مسؤولًا عن أوجه النفقات والأشراف على الميزانيات والعملة والكمارك والقضايا والصحف والمطابع.

٢- العقيد هويل (Howoll) مسؤولًا عن الإيرادات وتسجيل الأراضي والبلدية والزراعة.

٣- السكرتير القضائي السير بونهام كارتير مشرفًا على المحاكم والقوانين.

٤- السكرتير الصحي العقيد باتاي (Batty) مشرفًا على الشؤون الصحية والحجر الصحي ونقل رفات الموتى.

(١١٨) دوبس وكوكس، المصدر السابق، (٢١- ٢٢).

(١١٩) عبد الكريم العلوجي، الصراع على العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، ط١، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، ٢٠٠٧)، :١٥.

(١٢٠) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، (٣ / ٧٠٦).

(١٢١) المصدر نفسه: ٧.

٥- سكرتير الأشغال العامة العميد أتكنيتسون (Atkinosal) ويشرف على مشاريع السكك الحديد وميناء البصرة ووسائل النقل [١٢٢].

ولقد بلغ عدد الموظفين البريطانيين حتى عام ١٩٢٠ حوالي (٦٤١٠) كان من بينهم (١٠٢٢) من البريطانيين و (٢٢١٦) من الهنود والباقي من العراقيين الذين كانوا يشغلون الوظائف الدنيا التي ليس لها دور مؤثر في الحياة السياسية إذ أصبح الموظفين البريطانيون يهيمنون على المناصب المهمة في الدولة[١٢٣].

ولكن ثورة العشرين في العراق أجبرت السلطات البريطانية على ضرورة منح العراقيين جزء من حقوقهم في إدارة شؤون بلادهم بأنفسهم لذلك تشكلت الحكومة العراقية المؤقتة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ برئاسة عبد الرحمن النقيب وتألفت من ثمانية وزراء [١٢٤].

ومن أجل أن تكتسب الوزارة صفتها العربية لا البريطانية طلب الحاكم المدني برسي كوكس من رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب توجيه الدعوة إليه بنفسه [١٢٥].

وبدورها عينت بريطانيا إلى جانب كل وزير عراقي في الحكومة المؤقتة مستشارًا بريطانيًا جون فيلبي لوزارة الداخلية ولايونيل سميث لوزارة المعارف وبونهام للعدل وسيلتر للمالية والتجارة وسنت جون للمواصلات وايدي للدفاع ونورتن للصحة [١٢٦].

دور برسي كوكس في تنصيب الأمير فيصل على عرش العراق:

حيث دعت بريطانيا الأمير فيصل بن الحسين إلى انكلترا بعد فقدانه عرش سوريا للتداول معهم في استلام عرش العراق وذلك في كانون الأول ١٩٢٠ ورشحته ليكون ملك العراق المقبل [١٢٧].

استطاع فيصل أن يذلل الصعوبات التي قامت في سبيل نجاحه مهما تنوعت أو تعددت واقترح أن يتم تتويجه في يوم ٢٣ آب ١٩٢١[١٢٨].

(١٢٢) لونكريك، المصدر السابق: ١٧٩

(١٢٣) المصدر نفسه: ١٧٩.

(١٢٤) نظمي، المصدر السابق: ٢٠٤.

(١٢٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٢، مطبعة العرفان، (صيدا، ١٩٥٣)، (٤ / ١٦ – ١٧).

(١٢٦) المصدر نفسه، (١- ١٧).

(١٢٧) العلوجي، الصراع على العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، ط١: ١٠.

(١٢٨) الحسني، تاريخ الوزارات لعراقية، (٤ / ٣٩ -٤٠).

ووصل الأمير فيصل إلى العراق في ٢٩ حزيران ١٩٢١ ونودي به ملكًا وأعلن ذلك كونها مملكة دستورية ونيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون وتم إجراء استفتاء عام وجاءت نتيجته تأييد تنصيب فيصل ملكًا حيث توج في ٢٣ آب ١٩٢١[١٢٩].

إذ يصادف هذا التاريخ ٢٣ آب ١٩٢١ في الحساب الهجري يوم ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ وهو يوم ذكرى عيد الغدير الذي بويع فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بولاية العهد عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ونص عليه بالخلافة ليجمع بين عهدين تاريخيين وعيدين ساميين عيد التتويج وعيد الغدير فلم ير المندوب السامي برسي كوكس مانعًا في قبول هذا الاقتراح [١٣٠].

ولعل أولى بوادر الخلاف بين الملك فيصل الأول والبريطانيين كانت خلال المفاوضات التي جرت بين الجانبين لعقد المعاهدة العراقية–البريطانية في العام ١٩٢٢ وقد لاحظ الملك إصرار الحكومة البريطانية على فرض سيطرتها الفعلية على العراق من خلال سيطرتها على الوظائف المهمة وكذلك إقرار الامتيازات والصلاحيات لهم وعلى هذا الأساس لم يبقى للملك والحكومة إلا التبعية الكاملة ويصبح وجودها مجرد دمية بيد الإنكليز [١٣١].

برسي كوكس وعلاقاته الدبلوماسية وفرض معاهدة ١٩٢٢:

لقد فرض البريطانيون ملحق خاص بالموظفين البريطانيون حيث ضمت المعاهدة العراقية– البريطانية لعام ١٩٢٢ آلية تعاقد الموظفين البريطانيين مع الحكومة العراقية من خلال استمارة تسمى استمارة المقاولة تبين الإمتيازات التي يحصل عليها الموظف البريطاني بموجب هذه الإستمارة:

١– الدرجة الوظيفية: يتحدد في استمارة العقد الدرجة الوظيفية.

٢– الراتب: تتعهد الحكومة العراقية بدفع نصف راتب للموظف البريطاني قبل وصوله إلى العراق وراتبًا تامًا بعد دخوله إلى العراق.

٣– السكن: تقوم الحكومة العراقية بتوفير المساكن للموظفين البريطانيين.

(١٢٩) العلوجي، المصدر السابق: ١٥.

(١٣٠) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، (٤ / ٣٩ – ٤٠).

(١٣١) الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، (٣ / ٤٦).

٤– الإجازات: حيث كان الموظف البريطاني يمنح عدة إجازات مختلفة فهناك الرخصة المحلية والتي لا تتجاوز ٢١ يوم من كل سنة تقويمية [١٣٢].

حيث كان كبار الموظفين البريطانيين يتصرفون بشكل يدل على عدم اكتراثهم بأحوال العراق الاقتصادية وقد حصل الموظفون البريطانيون على ضمانات لحماية مصالحهم في العراق ومنها الإعفاء من الضرائب وسلطة القوانين المحلية [١٣٣].

وقد بذل الملك فيصل جهوده الحثيثة للحد من نفوذ البريطانيين وتخفيف أعدادهم فقد أكد ضرورة نقل الوظائف من البريطانيين إلى العراقيين إذ طلب بأن يكون مدير البريد عراقيًا لا بريطانيًا لكن برسي كوكس اعترض على طلب الملك بحجة قلة كفاءة الموظف العراقي وعدم معرفته باللغات الأجنبية [١٣٤].

إصرار الملك فيصل الأول حال دون تحقيق هدف المندوب السامي وقد عين حكمت سليمان أول مدير عام للبريد العراقي في الأول من نيسان عام ١٩٢٣ بعد أن كان يدار من قبل الموظفين البريطانيين منذ أولى سنوات الاحتلال البريطاني في العراق [١٣٥].

كما إن السلطات البريطانية قد عمدت إلى تعيين رؤساء عشائر موالين لها على رأس كل عشيرة لضمان وقوفهم إلى جانبها لذلك وضع الملك فيصل خطة سرية تهدف إلى ضرب مراكز القوة المنافسة له والمدعومة من قبل بريطانيا من رؤساء العشائر فوضع شيوخ معادين للشيوخ الذين وضعتهم قوات الاحتلال وعلى رأس كل عشيرة في الفرات الأوسط وكلف الملك فيصل الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ومتصرف لواء الحلة علي جودت الأيوبي لتنفيذ هذه الخطة [١٣٦].

وأخيرًا لا بد من الإشارة إلى أن الملك فيصل بذل جهودًا كبيرة للحد من نفوذ وتأييد الموظفين البريطانيين إلى درجة أثار استياء البريطانيين في العراق ومنهم (كيهان كورونواليس) مستشار وزارة الداخلية الذي قال عن الملك فيصل الأول: "أنه شخص متعب كثيرًا فهو باستمرار يتدخل بالتعيينات والمسائل الأخرى مما يجعل وضعي حرجًا لقد قل صبري معه حيث أنه في بعض الأحيان يرفض النصائح التي يقدمها المندوب السامي بريس كوكس"[١٣٧].

(١٣٢) فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية– البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية، (١٩٢٢–١٩٤٨)، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٨): ٣٢.

(١٣٣) مظهر، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ط١، (٩٧ – ٩٨).

(١٣٤) العمر، المعاهدات العراقية– البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢–١٩٤٨: ٢٤٣.

(١٣٥) المصدر نفسه: ٢٤٣.

(١٣٦) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، عفيف الرزاز، (بيروت، ١٩٩٠): ١٢٧.

(١٣٧) العمر، المصدر السابق، ص٣٠٩.

موقف مجلس النواب للحد من صلاحيات الموظفين البريطانيين:

أخذت تصفية صلاحيات الموظفين البريطانيين وامتيازاتهم حيزًا كبيرًا من مناقشات مجلس النواب العراقي ومحاضره وقد اتسمت بعض مناقشات المجلس بشدة لهجتها في بعض الأحيان تحديدًا في الاجتماع الاعتيادي للمجلس في الجلسة الحادية والأربعين في الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٥ جرت مناقشة حادة جدًا بين ياسين الهاشمي نائب بغداد وعبد المحسن السعدون رئيس الوزراء حينما تطرق الهاشمي نائب بغداد إلى كثرة أعداد الموظفين البريطانيين في وزارة المالية(١٣٨).

حيث ناقش مجلس النواب في الجلسة الاعتيادية لعام ١٩٢٨ الرواتب التي يتقاضاها المستشارون البريطانيون ألف روبية والثاني ألف وثمانمائة روبية والثالث ألف وثلاثمائة روبية وأكد أن هذه الرواتب التي تستخرج من مالية العراق باهظة جدًا (١٣٩).

وحينما وصل برسي كوكس إلى ساحة الاحتفال الذي أقامه حزب النهضة والحزب الوطني في ساحة القشلة في بغداد بمناسبة الذكرى الثانية لتتويج الملك فيصل الأول حيث تعرض إلى إهانة مباشرة من المتظاهرين إذ رددوا شعارات تندد بالحكم البريطاني وممثليه في العراق (١٤٠).

موقف الأحزاب الوطنية من الموظفين البريطانيين:

وفي الوقت نفسه هاجمت الأحزاب الوطنية العراقية سياسة الحكومة البريطانية من خلال البيانات التي كانت تنشرها في الصحف العراقية كما جاء في بيان الحزب الوطني العراقي الذي أكد بأن من واجبه أن يدعو أبناء البلاد إلى التكاتف والوقوف بوجه المسئولين البريطانيين الذين عملوا على زيادة صلاحيات وامتيازات الموظفين البريطانيين في العراق ويقابل ذلك زيادة معاناة وقلة امتيازات الموظفين العراقيين(١٤١).

كما هاجم حزب النهضة، الحكومة العراقية في بيان وصفها بالتساهل والتواطؤ مع الحكومة البريطانية مشيرًا إلى تذمر الرأي العام من الوجود البريطاني بصفة عامة والموظفين بصورة خاصة مؤكدًا أن العراقيين لديهم القدرة والكفاءة على إدارة شؤون بلادهم بعيدًا عن التدخل الأجنبي (١٤٢).

(١٣٨) محمد مظهر الأدهمي، الصراع السياسي على السلطة بين الملك فيصل الأول وبريطانيا، (بغداد، ١٩٩٠)، (٧٦ – ٧٧).

(١٣٩) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٢، (٤ / ١٦ – ١٧).

(١٤٠) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، مطبعة الفلاح، (بغداد، ١٩٢٣)، (١ / ٥٥).

(١٤١) البصير، تاريخ القضية العراقية، (١ / ٥٦).

(١٤٢) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، (٤ / ١١٩).

وفي العاشـــر من آذار ١٩٣٠ ألقى رئيس الوزراء ناجي الســـويدي خطابًا في الاجتماع الذي عقده حزب التقدم أشـار فيه أنه اضـطر إلى تقديم استقالته بسـبب فشـل وزارته في تنفيذ منهاجها المعلن ومن بين هذا المنهاج إنهاء عقود بعض الضـباط البريطانيين المسـتخدمين في شـرطة العراق وخمسـة مفتشـين إداريين بريطانيين في حكومة العراق [١٤٣].

كما أقامت جمعية عمال المطابع اجتماعًا في فندق دار الســـلام في الثاني من آب عام ١٩٣١ دعت ما يقارب ثلاثمائة شـــخصًـــا ألقى فيه سـكرتير الجمعية خطابًا طلب فيه من العمال العراقيين بطرد الأجانب لأنهم أصبحوا ينافسون العامل العراقي على خير بلاده [١٤٤].

وهكذا اســـتمرت الحكومة العراقية والملك فيصـــل في بذل الجهود للحد من نفوذ الموظفين البريطانيين وتخفيض أعدادهم وصولًا إلى الاستقلال ودخول العراق إلى عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٣٢ الذي يعد إنجازًا سـياسـيًا للملك فيصـل الأول حينما خرج العراق ولو بالاسـم في مجموعة الدول المحتلة [١٤٥].

دخول العراق في عصبة الأمم:

وبمناسبة دخول العراق في عصبة الأمم في عام ١٩٣٢ الذي أنهى سياسة الموظفين البريطانيين وجعلهم يتعاملون مع دولة ذات كيان سياسي وليس مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني أصدر الحزب الوطني العراقي بيانًا بهذه المناسبة أكد فيه حالة الرفض للموظفين البريطانيين في العراق [١٤٦].

كما أقر مجلس النواب العراقي بإجماع الآراء قبول العراق في العصـــبة وأصـــبح العراق الدولة الســـابعة والخمسـين في أعضـاء الجمعية وانتهى عندئذ مهام المعتمد السـامي برسـي كوكس وحل محله السـفير البريطاني لتمثيل دولته [١٤٧].

حيث أحيل برسي كوكس على التقاعد عام ١٩٣٢ وتوفي في شباط عام ١٩٣٤ في بريطانيا [١٤٨].

(١٤٣) البصير، المصدر السابق، (١ / ٥٨).

(١٤٤) قيس جواد علي الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢–١٩٦٥، شركة الحوراء للطباعة والنشر، (بغداد، ٢٠٠٦)، (٧٠ – ٧١).

(١٤٥) علي جودة، ذكريات ١٩٠٠–١٩٥٨، مطابع الوفاء، (بيروت، ١٩٦٧): ٤.

(١٤٦) الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢–١٩٦٥: ٨٢.

(١٤٧) العلوجي، المصدر السابق: ٨٢.

(١٤٨) الحمدي، المصدر السابق، (١٩ – ٢٠).

الخاتمة:

من خلال تتبعنا لشخصية (برسي كوكس) تبين لنا أن هذه الشخصية السياسية قد لعبت دورًا بارزًا في رسم الحياة السياسية العراقية، وذلك من خلال إقناعه الشعب العراقي بأن الحكم العثماني كان حكمًا رجعيًا ومتخلفًا، وذلك من خلال خطابًا ألقاه عند دخول القوات البريطانية إلى البصرة، وكما بين للعراقيين بأن البريطانيين "ليسوا بمحتلين وإنما جاءوا محررين لهم".

وفي سياق الدراسة تبين أن (برسي كوكس) كان له دورًا في الإدارة البريطانية في العراق، بتعيينه الموظفين البريطانيين حيث عينهم كمستشارين ثم كخبراء في دوائر الدولة كافة وحتى الدوائر العسكرية منها وخصص لهم رواتب ضخمة كلفت ميزانية العراق الشيء الكثير وامتيازات خاصة وأخذ العمل بعدة أساليب من أجل أن يبقى العراق تابعًا اقتصاديًا وإداريًا لبريطانيا، فضلًا عن علاقاته الدبلوماسية واقناعه الملك فيصل الذي كان له دور في تنصيبه ملكًا على عرش العراق في فرض معاهدة ١٩٢٢ التي كبلت العراق بقيود كثيرة.

كما كشفت الدراسة أيضًا عن محاولات الملك فيصل والحكومات العراقية المتعاقبة للأعوام ١٩٢١م–١٩٣٢ لتخلص من نفوذ البريطانيين من خلال التشريعات التي نصت على تقليص صلاحياتهم تحديدًا بعد أن تصاعدت الأصوات المعارضة من قبل بعض أعضاء مجلس النواب.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الرسائل الجامعية غير المنشورة:

١. إبراهيم، فرح باسم، اللورد كرزون ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، (جامعة المستنصرية، ٢٠٠٦).

٢. حاتم، صالح محمد، صحيفة الاستقلال في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠–١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٥).

٣. العاني، عبد المجيد عبد الحميد، السياسة البريطانية تجاه الكويت (١٨٩٦–١٩١٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٨٤).

ثانياً: الكتب:

أ- الكتب العربية:

١. صفحات من تاريخ العراق المعاصر، أحمد، كمال مظهر، ط١، منشورات البد ليسي، (بغداد، ١٩٨٧).

٢. الصراع السياسي على السلطة بين الملك فيصل الأول وبريطانيا، الأدهمي، محمد مظهر، (بغداد، ١٩٩٠).

٣. العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢–١٩٣٢، البرقاوي، أحمد رفيق، دار الطليعة، (بغداد، ١٩٨٠).

٤. تاريخ القضية العراقية، البصير، محمد مهدي، مج١، مطبعة الفلاح، (بغداد، ١٩٢٣).

٥. العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، بطاطو، حنا، ترجمة: عفيف الرزاز، (بيروت، ١٩٩٠).

٦. ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة، التلعفري، قحطان أحمد عبوش، مطبعة الأزهر، (بغداد، ١٩٦٩).

٧. البصـــرة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤–١٩٢١)، التميمي، حميد أحمد حمدان، مركز دراســـات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الإشادة، (بغداد، ١٩٧٩).

٨. لمحات من عراق القرن العشـــرين، حبيب، كاظم، الكتاب الثالث، العراق الملكي، بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب ١٩١٤–١٩٣٢، ج١، ط١، دار اراس للطباعة والنشر، (أربيل، ٢٠١٣).

٩. تاريخ العراق السياسي الحديث، الحسني، عبد الرزاق، ج٣، ط٧، مطبعة العرفان، (بيروت، ٢٠٠٨).

١٠. تاريخ الوزارات العراقية، الحسني، عبد الرزاق، ج٤، ط٢، مطبعة العرفان، (صيدا، ١٩٥٣).

١١. الثورة العراقية الكبرى، الحسني، عبد الرزاق، ط١، مطبعة سرو، (قم، ٢٠٠٠).

١٢. الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤–١٩٥٨، حسين، فاضل، مؤسسة الخليج للطباعة، (بغداد، ١٩٤٨).

١٣. الصـــراع الطائفي وتأثيره على البيئة، الحفيظ، عماد محمد ذياب، ط١، دار الصـــفاء لنشـــر والتوزيع، (عمان، ٢٠٠٦).

١٤. برسـي كوكس والسياسـة البريطانية إزاء أمراء نجد الكويت حائل (١٩١٥–١٩٢٣)، الحمدي، صـبري فالح، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، ٢٠١٦).

١٥. تاريخ العراق المعاصـــر (١٩١٤–١٩٦٨)، حميدي، جعفر عباس، ط١، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشـــر والتوزيع، (بغداد، ٢٠١٥).

١٦. تحرير العراق من الانتداب، خدوري، مجيد، مطبعة العهد، (بغداد، ١٩٣٥).

١٧. دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، الخصوصي، بدر الدين عباس، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، ١٩٨٣).

١٨. الهاشميون من حكم الإمارة العثمانية إلى تأسيس الممالك العربية، البول، خالد، ط١، دار الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١١).

١٩. الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الدوري، زهير عبد الجبار، ط١، الأوائل للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٥).

٢٠. مؤســـس الكويت الحديث (١٨٩٩–١٩١٥)، الصـــباح، ســـلوت مبارك، ترجمة: عســـيوي أيوب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، (الكويت، ٢٠٠٨).

٢١. أرض السواد، الصوفي، أحمد علي، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥٥).
٢٢. كربلاء في ثورة العشرين، آل طعمة، سلمان هادي، ط١، نيسان للنشر التوزيع، (بيروت،٢٠٠٠).
٢٣. دور القواسم في الخليج العربي (١٧٤٧–١٨٢٠)، العابد، صالح محمد، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٨٠).
٢٤. قافلة الحبر والرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢–١٩٥٠)، عطا الله، سمير، ط١، دار الساقي، (بيروت، ١٩٩٤).
٢٥. التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، العقاد، صلاح، (القاهرة، ١٩٨٢).
٢٦. بغداد القديمة، العلاف، عبد الكريم، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٩٩).
٢٧. الصراع على العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، العلوجي، عبد الكريم، ط١، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، ٢٠٠٧).
٢٨. المعاهدات العراقية– البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية، ١٩٢٢–١٩٤٨، العمر، فاروق صالح، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٨).
٢٩. القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي (١٩١٤–٢٠٠٠)، عيسى، حامد محمود، ط١، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٥).
٣٠. رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢–١٩٦٥، الغريري، قيس جواد علي، شركة الحوراء للطباعة والنشر، (بغداد، ٢٠٠٦).
٣١. أسرار الكفاح الوطني في الموصل، الغلامي، عبد المنعم، ج٢، مطبعة شفيق، (بغداد، ١٩٦٨).
٣٢. تاريخ العلاقات الدبلوماسية في الوطن العربي، الفتلاوي، سهيل حسين، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، ط١، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠١).
٣٣. الثورة العراقية الكبرى، الفياض، عبد الله، ط١، مطبعة الانتشار، (بغداد، ١٩٦٣).
٣٤. الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٩٤٠–١٩١٤)، قاسم، جمال زكريا، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٣).
٣٥. تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، تطور النفوذ البريطاني في امارات الخليج العربي والمنافسات الإقليمية والدولية، ١٨٤٠–١٩١٤، قاسم، جمال زكريا، مج٢، ج٢، دار الفكر العربي، (القاهرة، د. ت).
٣٦. العالم العربي الحديث، تخلف فاستعمار فمقاومة، المحجوي، علي، ط١، دار الانتشار العربي، دار محمد علي للنشر، (بيروت، ٢٠٠٩).
٣٧. ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، نظمي، وميض جمال عمر، ط٢، (بغداد، ١٩٨٥).
٣٨. الخليج العربي والحدود الشرقية للوطن العربي، نوفل، سيد، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٩).
٣٩. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من (١٩١٤ إلى ١٩١٨)، الوردي، علي، ج٤، ط٢، دار مكتبة دجلة والفرات، (بغداد، ٢٠٠٩).

الكتب المعرّبة:

١. أدموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، دار الوراق، (لندن، ٢٠٠٩).

٢. بيروز، أديت واغي، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥–١٩٧٥، ج١، ط١، ترجمة: عبد المجيد حسين القيسي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ١٩٨٩).

٣. بيل، جريترود مذكرات المس بيل، ترجمة: جعفر الخياط، ط١، دار المجتبى، مطبعة البرهان، (النجف، ٢٠٠٦).

٤. شيفلي، ألبرت منتشا، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: هاشم صباح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٧).

٥. كوكس، ودوبس، برسي، هنري، تكوين الحكم الوطني في العراق، تعريب: بشير فرجو، مطبعة الإتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥١).

٦. كيلي، جون، بريطانيا والخليج (١٧٩٥–١٨٧٠)، ج١، ترجمة: محمد أمين عبد الله، مطبعة عيسى البازي الحلبي وشركائه، (لندن، ١٩٦٥).

٧. لوريمر، جون غوردن، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب صاحب سمو أمير دولة قطر، (الدوحة، ١٩٨١).

٨. لونكريك، ستيفن همسلي، العراق الحديث (١٩٠٠–١٩٥٠)، ج١، ط١، ترجمة: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٨).

٩. ولينكسون، جون، حدود الجزيرة العربية قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة: مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٤).

ج– الكتب الاجنبية :

1. David. Dilksi Curzon in India, Vol, Printik by Ebenozer Baylix and Sou LTD London, 1969,
2. Philip Grares, Life of Sir Percy Cox, London, (N.D.)

ثالثًا: البحوث والمقالات:

١. الجيلاوي، إيناس خالد، "الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب ١٩١٤–١٩٣٤"، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٧، (جامعة بابل، ٢٠٢٢).

٢. الحفو، غانم محمد،" الحركة الوطنية في الموصل منذ ١٩٢١ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية "، موسوعة الموصل الحضارية، مطبعة ابن الأثير، (جامعة الموصل، ١٩٩٢)، (٥/ ٦٤).

٣. الدوري، أسامة عبد الرحمن نعمان، " أحوال بغداد الاجتماعية في سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٧-١٩٢٠) المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الإسلامية"، دار الشرق للطباعة والنشر، مجلة كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠١١).

٤. الساعدي، محمد حسين زيون،" أهالي العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء التحدي والإستجابة"، مج٨، العدد ١٥، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، (العراق، ٢٠٠٩).

٥. عبد الله، عماد يوسف،" بريطانيا والانتفاضات الكردية في العراق ١٩١٩-١٩٣٢"، مج٧، العدد ٣، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، (جامعة الموصل، ٢٠١٢).

٦. العلواني، أياد طارق خضير، "علماء الدين وموقفهم من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩٢١"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٥٠، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠١٥).

النظام النقدي للدولة العربية الإسلامية في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هجري/ ١٧٩٠ ميلادي)

Monetary System of The Arab Islamic State in The Book Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos by Al-Zubaidi (1205 AH / 1790 AD)

م. م. منير صباح فالح*

Mounir Sabah Faleh *

الملخص:

شكل النظام النقدي عبر التاريخ عصب الحياة للمجتمعات الإنسانية، لذا حاول الكثير من أبناء هذه المجتمعات الكشف عن معاملاته وصياغة نظريات تنسجم مع حاجاتهم، بهدف خلق تكافل اقتصادي يضمن حقوق الفقراء ويقدّم لهم ما يحتاجونه، فضلاً عن تنظيم عملية المضاربة الاقتصادية في الأسواق وأنواع النشاطات الأخرى في سوق العمل. إلا أن هذه النظريات وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة فيها ظلت قاصرة عن تحقيق مبتغاها. وجاء الإسلام لينعم الناس بخيره، مقدمًا لهم نظريات ناضجة في ميادين الحياة كافة، ويأتي نضجها من كونها نظريات ربانية، أرادت أن تكفل موازنة حاجات الإنسان ليس الإنسان فحسب، وإنما الكون بأسره. وتعرض البحث الحالي لبيان نظم الائتمان المالي في الدولة الإسلامية، كالحوالة والرهن والسلف والشركة والصيرفة.

الكلمات المفتاحية: المجتمعات الإنسانية، تكافل اقتصادي، نظم الائتمان المالي.

Abstract:

The monetary system has been the lifeblood of human societies throughout history, so many of the people of these societies have tried to uncover its transactions and formulate theories that are consistent with their needs, with the aim of creating economic solidarity that guarantees the rights of the poor and provides them with what they need, in addition to organizing the process of economic speculation in markets and other types of activities in the labor market. However, these theories, despite all the efforts made in them, remained incapable of achieving their goal. Islam came to bless people with its goodness, providing them with mature theories in all areas of life, and their maturity comes from being divine theories that wanted to ensure the balance of human needs, not only human beings, but the entire universe.

* كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط – العراق.

* tofe.iraq2003@gimail.com

College of Education for Human Sciences/ University of Wasit – Iraq.

The current research presents the statement of the financial credit systems in the Islamic state, such as transfer, mortgage, advance, company, and banking.

Keywords: Human Societies, Economic Solidarity, Financial Credit Systems.

المقدمـة:

شكل النظام النقدي عبر التاريخ عصب الحياة الاقتصادية للمجتمعات الإنسانية لذا حاول الكثير من أبناء هذه المجتمعات الكشف عن معاملاته وصياغة نظريات تنسجم مع حاجاتهم بهدف تنظيم عملية المضاربة الاقتصادية في الأسواق وأنواع النشاطات الأخرى في سوق العمل.

وإنسـجامًا مع هذا الاتجاه وقع اختيارنا على كتاب هو ليس من كتب الاقتصـاد، بل هو معجم من معاجم اللغة وهو "**تاج العروس من جواهر القاموس**" للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠ م)، لكنه تضمن في مادته أخبار اقتصـــادية ومالية، وهو ما دفعنا إلى دراســـته والوقوف على النظام النقدي الوارد فيه على وجه الخصـــوص، تحت عنوان: **(النظام النقدي للدولة العربية في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م).**

أولاً: التعريف بالزبيدي ومكانته العلمية:

صرحت المصادر بأن اسمه محمد بن محمد بن عبدالرزاق المعروف بالسيد المرتضى الحسيني اليماني (القمي، د. ت: ص٩٧٦، أليان سركيس، ١٤١٠هـــ: ص١٧٢٦)، ويعتقد أن أصله عربيًا لعدم ورود اسم اعجمي في سلسلة اجداده ولد سنة (١١٤٥هـ/ ت ١٢٠٥م) أصله من واسط **(العراق)** ونشأ في زبيد **(اليمن)** واستمر في زبيد فترة طويلة حتى عرف بالزبيدي (المازندراني، ١٣٨٢هـــ: ص٣٧٠)، اهتم بالعربية والرجال والأنســـاب واللغة، ويعد من كبار المصـــنفين (الزركلي، د.ت: ص٧٠)، له العديد من المؤلفات منها كتاب الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار، كتاب لغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب، كتاب عقد الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة (كحالة، د. ت: ص٢٨٢).

ثانياً: مفهوم النقود وأهميتها:

تعد النقود واحدة من المجالات الهامة في دراسة التاريخ الإسلامي بصورة عامة، لأنها تكشف عن جوانب مهمة من مراحل حياة المجتمع الإســـلامي، كتحديد تاريخ قيام الممالك وتعيين الولاة ونوع الحكم

فيه، كما إنها تزود الباحث بمعلومات وافية عن ألقاب الحكام والامراء وتاريخ الضـرب (ريتشـاد،١٩٩٤: ص٤٣)، ولها دور مهم في تصـحيح أو أثبات معلومات تاريخية كانت مثار جدل بين المؤرخين، أو الكشـف عن معلومة أخرى غير معروفة (محمد، ٢٠٠٩: ص٥)، فضـلًا عن إنها وسـيلة من وسـائل التعامل وتبادل السـلع والخدمات وهذا ما أشـار إليه الزبيدي **(كنقد السـوق خذ مني وهات)** (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٥٤٦)، لاتساع حجم المبادلة بما فيها المعاملات الاقتصادية والمالية والخدمية، فلولا وجودها لصعب التعبير عن ثمن السلع المعروضة في الأسواق (عبد الجبار، ٢٠٠٦: ص٢٦٢)؛ لذلك فهي تعد وثيقة تاريخية اقتصادية دقيقة يصعب الطعن فيها.

وقد مرت وسائل التعامل التجاري بمراحل تاريخية متعددة قبل أن تصل إلى ما هي عليه، إذ تعامل الناس قديمًا في مبادلاتهم التجارية بالمقايضة التي عرفها الزبيدي بما مفاده: "**قايَضَهُ مُقايضة إذ عاَوضه أي يمتاع وبادلة وذلك اذا اعطاه سلعة، وأخذ عوضها سلعة**" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣٩)، ولعله اشار في ذلك إلى اول خطوات الاقتصاد والتجارة كانت تتم بالمقايضة. ويمكننا القول: أنّ المقايضة قد سادت بنسبة كبيرة في المعاملات، لقلة النقد وليس لعدم وجوده.

وقد ترتب على هذا النظام الاقتصادي الشائع فيما مضى مشاكل كثيرة تمثلت بصعوبة تحقيق التوافق بين رغبات المتعاملين وصعوبة تقدير النسب المقدرة للمقايضة، وعدم قابلية بعض السلع للتجزئة.

وتعامل العرب قبل البعثة بالنقود التي ضـربتها الأمم المجاورة، واسـتخدموها في عملية التبادل والخدمات "**فالدراهم الفضـية**" (المصـدر نفسـه: ص١٤٢)، **(الدنانير الذهبية)** هما النقدان اللذان قدرت بهما السـلع آنذاك. وهو ما أشار إليه المؤرخ (البلاذري ت٢٧٩هـ) صراحة بقوله: "**كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهلية وترد عليهم دراهم الفرس البغلية**"(البلاذري، ١٤٠٣هـ: ٤٥٢) ، وبالمعنى نفسه قال (الماوردي ت٤٥٠هـ) بأن: **(الدراهم الفارسية هي حميرية)**(الماوردي، ٢٠٠٦: ص١٩٦).

وقد حملت العملات النقدية خلال مسيرة تطورها أسماء عديدة، ذكر الزبيدي بعض منها، (العين) (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٩٦)، والورق، وهو لفظ أطلق على الدراهم الفضية (الأزهري، ٢٠٠١: ص١٣٢).

وبعد البعثة أمر رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم)** التعامل بهذه العملات مع الأوزان السائدة، لعدم وجود مسكوكات خاصة بهم ولم يكن أمام الدولة الإسلامية حديثة العهد والنشأة خيار سوى ذلك، خدمة لشؤونها المالية والاقتصادية، وحرصًا على مصالح الناس، لاسيما أن الهدف الأول للمسلمين في تلك

المرحلة، كان نجاح الدعوة الإسلامية وتثبيت أركان الدولة، بدليل فرض رسول الله (ص) الجزية والخراج بالأموال التي كانت سائدة (أبو عبيد، ١٩٨٩: ص٥٢٥)، وتزويجه بنته فاطمة (عليها السلام) من الإمام علي (عليه السلام) بمهر قدره أربعمائة وثمانين درهمًا (ابن المغازلي، ١٤٢٦هـ: ص٢٧٥)، وفي رواية الزبيدي أن الصدقة أخذت بالدراهم الفضة ويستدرك على ذلك: "**قول خالد بن الوليد في يوم مسيلمة: عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة**" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٤٥٩) يريد الفضة والدراهم المضروبة.

وقد مر مصطلح (**المال**) بمراحل عديدة، لاسيما ايام المقايضة، وانتقل معناها من عصر إلى عصر حتى استقرت على مفهوم "**النقود الذهبية**" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٤٨٥) ، و"**النقود الفضية**" (المصدر نفسه: ص٢٧٦) .

كما أنّ مصطلح (**المال**) أخذ يطلق على الأرض، ثم امتد هذا المفهوم يشمل خيولهم وأبلهم وسائر حيواناتهم) وهو ما أكده **ابن الأثير** (ابن الأثير، ١٩٩٦: ص٢٦) و**ابن أبي الحديد** (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ١٦٠) ، ونستنتج من ذلك أنه لم يكن المقصود بها النقود فقط، إنّما الأصل في مدلول كلمة المال، هو المال الصامت كالذهب والفضة والجوهر، والناطق من الحيوانات والرقيق.

ونظرًا لأهمية النقود في حياة العرب الاقتصادية، إلا أنّ سكها كان يعتمد على الخبرة والأيادي العاملة المتخصصة، في عمل ونقش قوالب سك العملات، وعرف **الزبيدي** بقوله: "**السكة حديدة منقوشة كُتب عليها يضرب عليها الدراهم**" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٢٠١) . ونستنتج من ذلك أنّ مصطلح السكة حمل معنيين، الأول أنه ضرب بآلة تقوم بتحويل المعادن من خام إلى عملة متداولة، والآخر أنه الحديد المخصصة لضرب الدراهم، ومما يؤيد رأينا ما ذكره العلامة **ابن خلدون** بحديثه عن السكة حيث أشار إليها قائلًا: **(السكة وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها من الناس بطابع حديد ينقش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد عن ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددًا وان لم تقدر أشخاصًا يكون التعامل بها وزنًا... ولفظ السكة كان اسمًا للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم)** (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص٢٦١).

وقد شاع بين الصيارفة ثلم وكسر أطراف الدرهم والدينار للتأكد من صحة النقود وسلامتها (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص٢٦١)، وذلك لأن من النقود ما يحتوي على نسبة عالية من المعادن الرخيصة كالرصاص

والنحاس، ونسبة قليلة من الفضة والذهب (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٢٩٢)، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان قيمتها الذاتية، لذلك نهى الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم): (أَنْ تُكْسَرَ سِكَّةُ الْمُسْلِمِينَ الْجَائِزَةُ بَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ بَأْسٍ)** (ابن ماجة، د. ت: ص٧٦١)، وأكد هذا شيوع ظاهرة تزييف النقود عن العرب، ولعل ذلك بسبب اضطراب الوضع السياسي وتفكك المؤسسات الحكومية والإدارية لإمبراطورية الفرس، وهو ما نفهمه من تصريحات بعض المؤرخين ونصها: **(لما أخذ أمر الفرس يضمحل، ودولتهم تضعف وسلطانهم يهن، وتدابيرهم تفسد، وسياستهم تضطرب، فسدت نقودهم، فقام الإسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة)** (ابن جعفر، ١٩٨١: ص٥٩، الماوردي، ٢٠٠٦: ص١٩٦) .

وذكر (الماوردي) أن النقود **(كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة، وكان غشها عفوًا لعدم تأثيره بينهم إلى أن ضربت الدراهم الإسلامية)** (الماوردي، ٢٠٠٦: ص١٩٦)، وهو رأي فيه نقاش، لأن رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم)** نهى بصورة صريحة عن غش النقود؛ لأثرها في اقتصاد الدولة والأفراد، وعزّز ذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب أنّه قال: **(هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل، فقيل له: إذن لا بعير، فأمسك حينئذ)** (البلاذري، ١٤٠٣: ص٤٥٦)، وهذا يدل على انتشار ظاهرة التزييف في العملة، ووجود إجراءات لتحجيمها، لأثرها السلبي في الحياة الاقتصادية.

ثالثاً: أنواع النقود:

تعامل العرب والمسلمين بـ"**الدرهم**" و"**الدينار**" على حد سواء، وقد حصل تطور كبير على هاتين العملتين، لذلك لا غرور إذا وجدناهما في تاريخنا الإسلامي بتسميات مختلفة، وأحجام متباينة، وبعضها كان خاصًا لمناسبة معينة، كما سيتبين من الاستعراض الآتي لها في ضوء المعطيات التاريخية لاسيما ما أورده **الزبيدي**.

فما يخص الدرهم فقد عرفه علماء اللغة أنه فارسي الأصل معرب (ابن منظور، د. ت: ص١٩٩، الزبيدي، ١٩٩٤: ص٢٩٨)، أشتق اسمه من الدراخمة اليونانية (الكرملي، ١٩٣٩: ص٢٤)، ونجد استعماله في المعاملات عن تعامل الأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي به، إذ اتبعت قاعدة الفضة باعتبار الفضة هو نقدها الرئيسي (الأبيض، ١٩٩٤: ص١١٨). وأورد **الزبيدي** تسميات عديدة أطلقت على الدراهم، منها "**الورق**" (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٧٥– ٤٥٨) ، و**الرقة** ويؤكد **(الزبيدي)** رأيه بما قاله خالد بن الوليد أنه قال **في يوم مسليمة: (إن السهام بالردى مفوقه، والحرب ورهاء العقال مطلقة وخالد**

من دينه على ثقة، لا ذهب ينجيكم ولا رقة.... أعطاه ألف درهم رقم لا يخالطها شيء من المال غيرها) (المصدر نفسه: ص٤٥٩) ، وهو تعبير دل على الدراهم الخالصة، وهذا ما أكده الشرع الإسلامي بحسب ما ورد في قوله تعالى: **(فأبعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة)** (سورة الكهف: ١٩)، وحديث رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا بلغت الرقة مائتين ففيها ربع العشر)** (أبو عبيد، ١٩٨٩: ص٥٢٤) .

وصنف **الزبيدي** الدراهم تبعًا لجودتها إلى رديئة وجيدة، وكانت هذه العملة على وجه التحديد عرضة منذ وقت مبكر من عمر الدولة إلى التزييف؛ لذلك فكر عمر بن الخطاب (رض) باستبدالها قوله: **(هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل، فقيل له: إذن لا بعير، فأمسك حينئذ)** (البلاذري،١٤٠٣هـ: ص٤٥٦)، ولعل سبب ذلك هو ضعف الرقابة المالية واتساع نطاق استعمال الدرهم دون غيره.

ومن أنواع الدراهم التي ذكرها **الزبيدي** "**البهرج**" ووصفه بأنه **(درهم بهرج أي باطل زيف... لا يباع به لردائته)** (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٤٣٢)، وفصل بهذا النوع من الدراهم أن: **(درهم بهرج إذا ضرب في غير دار الأمير)**، وفصل **ابن خلدون** بهذا النوع من الدراهم، أضاف أن كل درهم يضرب في غير دار السكة فهو بهرج (ابن خلدون، ١٩٨٤: ص٢٢٦)، ولم يكن هذا النوع من الدراهم مقبولًا في المعاملات الاقتصادية (المقريزي، ٢٠٠٧: ص١٤٢). ولجأ بعض المسؤولين أحيانًا إلى التلاعب بالنقد، لاسيما عند حصول الأزمات المالية، ففي سنة (٣١٧ هـ/ ٩٣٨م) ضرب الأمير **بجكم البويهي** (ابن الجوزي، ١٩٩٢: ص٩ وما بعدها) دنانير بهرج حاوية على نسبة عالية من المعاون الرخيصة (الصولي، ٢٠٠٤: ص١٣٦).

ومن الأنواع الأخرى **(الستوق)**، وهي: **(درهم زيف لا خير فيه ملبس بالفضة... ما كان النحاس أو الصغر هو الغالب والأكثر)** (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٤٣٣)، وجاء عن المفضل بن عمر الجعفي (ابن داود، د. ت: ص٢٨٠).

قوله: **(كنت عند أبي عبدالله الصادق (ع) فألقي بين يديه دراهم فألقى إلي منها فقال: أيش هذا؟ فقلت: ستوق، فقال: وما الستوق ؟ فقلت: طبقتين فضة وطبقة نحاس وطبقة منه فضة)** (الطوسي، د. ت: ص١٠٩) ، ورأى أحد الباحثين إن: **(هذا النوع من الدرهم مركب من ثلاث جواهر: الفضة والنحاس والحديد، أو ما يشبه الحديد من المعادن)**(الكرملي، ١٩٣٩: ص١٤٧) .

ومن أنواع الدراهم الأخرى التي أوردها **الزبيدي قسي**، وقيل: **(درهم قسي ضرب من الزيوف أي فضته حلبة رديئة ليست بلينة)** (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٢٩٨)، احتوت على نسب عالية من المعادن الرخيصة

كالرصاص والنحاس (الغزالي، د. ت: ص٣٨٢)، كما وذكر **(الزبيدي)** أنواع أخرى، منها: **(المفرغ)** والذي: **(أفرغ الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر الذائبة صبها في قالب ودرهم مفرغ مصبوب في قالب ليس مضروب)** (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٥٥١)، وعرفه أحد الباحثين بأنه: **(ما حفر وأخذت برادته، ووضع في الحفرة معدن آخر، غير متقدم، ثم يموه لمحضفور لكي لا ينته إليه أخذه** (الكرملي، ١٩٣٩: ص١٥٦)، وهي دراهم فضتها رديئة لا احتوائها على نسبة من المعادن الاخرى(الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣٠٣)، فضلاً عن الضريجي: **(درهم زائف الاصل أنه من ضرب مدينة جَيَ (أصبهان حالياً) لكون فضتها صلبت من طول الضياء وأسودت ثم جمعوه على ضرب جيات)** و(النمي) الفلس بالرومية وذكر **(الزبيدي)** إن تزيف العملة كانت من الجرائم الخطيرة التي اهتم المسؤولين بمكافحتها ومعاقبة المسببين بها والمروجين لها، مستشهداً بالعديد من الأحكام التي صدرت من القضاة أتجاه المزيفين بالسجن وتجريدهم من أموالهم وإعلان إفلاسهم (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣٤٤).

وجاء في الرواية أن أبن مسعود (الذهبي، ١٤١٣هـ: ص٤٦١)، حين **(باع نفاية بيت المال وكانت زيوفا وقسياناً بدون وزنها، فذكر ذلك لعمر فنهاه وأمره أن يردها)** (الزمخشري، ١٩٩٦: ص٩٧)، كما اصدر أبان بن عثمان أثناء ولايته على المدينة (٧٦هـ/ ٦٩٥م) أمراً بمعاقبة كل من يقطع الدراهم ويزيفها، بضربه ثلاثين سوطاً والطواف تشنيعاً لعمله (الماوردي، ٢٠٠٦: ص١٩٧). وروي **(أن ابن الزبير حين قدم مكة وجد رجلاً يقرض الدراهم فقطع يده)** (ابن حزم، د.ت: ص٣٦٣، الماوردي، ٢٠٠٦: ص٢٨٣، ابن عبد البر، ٢٠٠٠: ص٣٥٩)، وأشار البلاذري إلى اجراءات الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء ولايته على العراق (٧٥هـ/ ٦٩٤م) بقوله: **(فاتخذ دار ضرب وجمع فيها الطباعين، فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من التبر وخلاصة الزيوف وستوقة والبهرجة)** (البلاذري، ١٤٠٣هـ: ٤٥٤)، وأتخذ عمر بن هبيرة أثناء ولايته على العراق زمن يزيد بن عبدالملك (١٠١– ١٠٥هـ/ ٧١٩– ٧٢٣م) إجراءات مشددة لتخليص الدراهم الفضية من الشوائب ومحاسبة المزيفين.

ولم يقتصر الزبيدي على ذكر الدراهم المزيفة فحسب، بل ذكر أيضا الانواع الجيدة من الدراهم، وهي المضروبة على عيار صحيح من فضة نقية، وكانت على أنواع عديدة منها العراش: ويعرفها: **(وهي الجياد الخشن الحديثة العهد بالسكة التي عليها خشونة النقش)** (الزبيدي، ١٩٩٤: ص١٣٨)، و(الأبيض)، أي الصافي البياض وقد ضرب هذا النوع من الدراهم زمن الحجاج بن يوسف، ونقش علي (عليه السلام) قول (هو الله أحد)، وقد كرهها الناس، فقيل لها (المكروهة) فعرفت بذلك، وعليه قبل للخليفة

الأموي عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧- ٧١٩م): **(هذه الدراهم البيض فيها كتاب الله تعالى، يقلبها اليهودي والنصراني والجنب والحائض، فإن رأيت أن تأمر بمحوها، فقال: أردت أن تحتج علينا الأمم أن غيرنا توحيد نبينا واسم نبينا...)** (ابن عساكر، ١٤١٥هـ: ص١٩٣، المقريزي، ٢٠٠٧: ص١٦٤).

أما بخصوص الدينار، فقد عرفه **الزبيدي** بأن "**دينار مدنر مضروب**"، أصل دينار **(دنار)**، لذلك جمع على دنانير (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣١٦)، وهو مشتق من كلمة رومية هي **(denariu)** بتقدير **(hum mus)** ومعناها ذو عشر آسات والآس من النقود النحاسية عندهم (الكرملي، ١٩٣٩: ص٢٥).

وورد ذكر الدينار في قوله تعالى: **(ومن أهل الكتاب من أمن إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك)** (سورة آل عمران: ٧٥) .

وأشارت المصادر التاريخية أن دنانير العرب كانت تسمى **(هرقلية رومية)** (البلاذري، ١٤٠٣هـ: ٤٥٢، الماوردي، ٢٠٠٦: ص١٩٦)، وبين **(الزبيدي)** سبب ذلك، بأن: **(الدنانير القوقية من ضرب قيصر ملك الروم لانه كان يسمى قوقاً)** سبب ذلك بأن هرقل أول من ضربها(الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣٤٣)، وكثرة التداول الناشيء عن التجارة والجزية وغنائم الحرب وكانت بعض الدنانير تمتاز بجمال ضربها ونقوشها، حتى ضرب المثل بجمالها، بدليل ان امرأة: **(عجوز رأت طلحة يوم الجمل فقالت: من هذا الذي وجهه كأنه الدينار الهرقلي)**(الدوري، ١٩٩٥: ص٢٣٦)، ومن أنواع الدنانير **(الاحرش)**، وسميت كذلك لما فيه من الخشونة لجدته (الزمخشري، ١٩٩٦: ص٢٠٣). فضلًا عن (موه)(الزبيدي، ١٩٩٤: ١٢٧)، وهو الدينار الذي كان يضرب بقصبتي البصرة وفارس (الزبيدي، ١٩٩٤، ١٢٩).

رابعاً: نظم الائتمان المالي:

كان للأئتمان دور مهم في التجارة إذ انه وفر المال للتجارة عند الحاجة، ويهيء السبيل لتشغيل رأس المال الزائد بصورة منتجة، ويساهم عموماً في توسيع النشاط التجاري، وكان التعامل بالأئتمان شائعاً في الفعاليات التجارية، وخاصة في التجارة البعيدة، لأختلاف الاوضاع العامة في البلدان الإسلامية (الدوري، ١٩٩٥: ص١٥٠).

ونستعرض في هذا البحث نظم الائتمان المالي التي ذكرها (الزبيدي) وبحسب الآتي:

أولًا: الحوالة:

قدم (الزبيدي) تعريفاً لغوياً واضحاً، قال فيه: **(إحالتك غريماً وتحول من في نهر الى نهر ويقال أحلت فلاناً بالمال الذي له علي..... حيله احالة فأحتال بها عليه وضمنها له)**(الزبيدي، ١٩٩٤: ص١٥٩).

أما اصطلاحاً: فهي تحويل المال من ذمة إلى ذمة مشغولة بمثل، فأحتال بها عليه وضمنها له والحوالة من المعاملات التي اقرها الإسلام وأجازها للحاجة إليها، وعدها **(الزبيدي)** من المعاملات الثابتة في السنة النبوية لورودها في حديث النبي **(صلى الله عليه واله وسلم): (وإذا أحيل أحدكم على ملئ فليحتل)**(الكليني، ١٩٨٢، ص١٥٩)، والمراد به انه أراد شخص أن يحيل دينه إلى آخر أستحب له أن يجيب إليه لما فيه من قضاء حاجة مسلم.

ثانياً: الرهن:

ورد تعريف **(الرهن)** لغة في **(تاج العروس): (رهنت فلاناً داراً رهناً وأرتهنه إذا أخذه رهناً، والرهون والرهان والرهن جماعة الرهن...)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٦: ص١٤٧)، وقيل هي (الحبس)، ومنه قوله تعالى، **(كل امرئ بما كسب رهين)** (سورة الطور: ٢١)، وقوله الكريم: **(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** (سورة المدثر: ٣٨).

أما اصطلاحاً: هو جعل المال تحت يد المرتهن بملاك وثوقه لدينه، ويقال للعين الرهن والرهان والمرهون، ولدافعهن الراهن، ولأخذها المرتهن (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٨: ص٣١٧، المشكيني، ١٩٩٩: ص٢٧٧–٢٧٨)، وقد أقر الإسلام الرهن واعتبره عملية شرعية سداً للحاجة، أو لقاء عمل، وهو ما وضحه **الزبيدي** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٩: ص٣٣٩) مستنداً إلى قوله المولى عز وجل **(فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ)** (سورة البقر: ٣٣٩)، والسنة الشريفة، **(الرهن لمن رهنه له غنمه وعليه فرمه غنمه)** أي زيادته ونماؤه وفاضل قيمته (الزبيدي، ١٩٩٤: ص٣٣– ١٨٨)، وقد ورد في الرواية ان النبي **(صلى الله عليه واله وسلم): (رهن درعه عند يهودي في مقابل شعيراً افترضه منه)**، وعن عائشة أنها قالت: **(أشترى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من يهودي طعاماً بنسيئة ورهنه درعه)** (البخاري، ١٩٨١: ص١١٦) ، ولم يجوز **(الزبيدي)** غلق الرهن، إذ كان من عادة العرب ان الراهن إذا عجز عن اداء ما عليه من دين خرج عن ملكه واستولى عليه المرتهن، واستناداً لحديث رسول الله (ص): **(لا يغلق الرهن)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٦:

ص٢٦٠)، كما رأى عدم استحقاق المرتهن، إذا لم يرد الراهن ما رهنه فيه وهو أمر متفق عليه بين الفقهاء (مالك، د. ت: ص٧٢٨، الشافعي، ١٩٨٣: ص١٧٣، الحلي، ١٤١٤هـ: ص٢٤٧).

ثالثاً: السلف:

عرف **(الزبيدي)** لفظ **(السلف)** لغة بقوله: **(السلف القرض، كل مال قدمته في ثمن سلعة مضمونة اشتريتها لصفة فهو سلم وسلف)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٣: ص٤٥٤) بمعنى ان يعطى مالاً في سلعة إلى اجل معلوم ولربح بينهما على ما يشترطان والوصفية على المال.

اما اصطلاحاً: بيع موصوف في الذمة إلى أجل ليجازى عليه(المصدر نفسه، ج١٩: ص١٧)، وهو من البيوع المحللة استناداً إلى قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)** (سورة البقرة: ٢٩٢)، واشترط **(الزبيدي)** في صحتها ضبط الكيل الوزن مستنداً إلى حديث الرسول **(صلى الله عليه واله وسلم): (من سلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٣: ص٤٦٢)، وعن ابن عباس أنه **(صلى الله عليه واله وسلم)** لما قدم المدينة، وهم أهل زروع وثمار، وهم يسلفون بأن يقدموا الثمن ويؤجلوا في الثمار مدة سنة وسنتين، فاقره النبي على ذلك، وبين لهم الضوابط التي لا تدع مجالا للمنازعات فيما بينهم، فأمرهم بضبط الكيل والوزن في السلف(البخاري، ١٩٨١: ص٤٣)، وهو امر اصبح محط اتفاق الفقهاء فيما بعد (الشافعي، ١٩٨٣: ص٨٩، ابن ماجة، د. ت: ص٧٦٥، ابن ادريس، ١٤١٠هـ: ص٣٠٦)، **(وللزبيدي)** رأي مفاده: عدم جواز السلف في النخل حتى يبدو ثمره استند فيه إلى رواية ابن عباس ونصها ان الرسول (ص): **(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عن بيع النخل حتى يؤكل منه وحتى يوزن ؟ قلت وما يوزن فقال رجل عنده حتى (يُحزر)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٣٦: ص٢٥١) وهو رأي موافق فيه أغلب فقهاء المذاهب الإسلامية (البخاري، ١٩٨١: ص٤٣، ابن حزم، د. ت: ص١٦٥، البيهقي، د. ت: ص٣١٠).

رابعا: الشركة:

قدم **(الزبيدي)** مفهوماً لغوياً واضحاً لمفردة **(الشركة)**، بأنها: **(مخالطة الشريكين، يقال اشتركنا وتشاركنا وشارك أحدهما الاخر الاشتراك هنا بمعنى التشارك)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٧: ص٢٢٣).

أما اصطلاحاً؛ فهي ثبوت الحق في الشيء الواحد المتعدد واجتماع حقوق الملاك في شيء واحد على سبيل أشياع(المشكيني، ١٩٩٩: ص٣١٥) ، لتحصيل الربح والنفع (الحلفي، ٢٠٠١: ص٣٥٧) في رأس المال والربح، أو في العمل والربح (أيوب، ٢٠١٠: ص٢١٧).

وأقر الإسلام هذا النوع من المعاملات المالية، اذا ادلت العديد من الايات القرانية والاحاديث النبوية على مشروعيتها، كقوله تعالى: **(فهم شركاء في الثلث)** (سورة النساء: ١٢)، وقوله الكريم: **(وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)** (سورة ص: ٢٤) .

وحث الرسول **(صلى الله عليه واله وسلم)** على الشركة، وشارك البعض في التجارة قبل المبحث وبهذا الصدد قال السائب اين أبي السائب (ابن الأثير، ١٩٩٦: ص٢٥٣): **(أتيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فجعلوا يثنون علي، ويذكروني وفي، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنا أعلمكم به فقال صدقت بأبي أنت وأمي، كنت شريكي فنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري)** (الطبراني، ٢٠١٠: ص١٤٠)، كما روي عن ابن الأرقم (ابن سعد، د. ت: ص ١٨)، وابن عازب (ابن سعد، د. ت: ص ١٧)، **(أنهما كانا شريكين فأشتريا فضة بنقد ونسيئة فبلغ ذلك النبي فأمرهم، فقال: أما ما كان بنقد فأجيزوه، وما كان نسيئة فردوه)** (الطوسي، د. ت: ٢٤٢، ابن قدامة، د. ت: ص١٠٩). وذكر (الزبيدي) إن الشركة على أنواع، منها: **(شركة العنان)، (وهو ان يعطر كل واحد من الشريكين دنانير او دراهم مثل ما يخرج صاحبه ويخلطاها ويأذن كل واحد منهما لصاحبه ان ينجر فيه)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٣٥: ص٤١٥)، وأن ربحا فالربح بينهما، وأن وصفا فعلى رؤوس أموالهم وسميت كذلك لمعارضة كل واحد منها صاحبه بمال مثل مال صاحبه(المصدر نفسه: ص٤١٦)، وتقسم الارباح والخسائر على الشركاء حسب ما اتفق عليه (الغزالي، د. ت: ص٦٢)، وهو أمر جوزه أغلب فقهاء الإسلام (ابن حزم، د. ت: ص١٢٣، السيوطي، ١٩٩٦: ص١٥٢).

ومنها أيضاً **(شركة المفاوضة)**، وهي **(ان يشترك الرجلان، فيتساويان في ماليها، وكل شيء يملكانه أو يتفيدانه من بعد)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٣٥: ص٤١٥) وسميت بهذا الاسم لتفاوض الشركاء في كل ما لديهم وما عليهم (الزبيدي، ١٩٩٤، ج١٨: ص٤٩٧)، وكل منهم يفوض التصرف إلى صاحبه وأبطل **(الزبيدي)** هذا النوع من الشركة متفقاً في ذلك مع الشافعية (الرافعي القزويني، د. ت: ص٤١٣)، والحنابلة (ابن قدامة، د. ت: ص١٣٩)، والإمامية (الطبرسي، د. ت: ص٥٨٩)، وسبب بطلانها أنها عرر، كونه يدخل شريكاً في كل ما يحصل عليه الشريك (ابن زهرة الحلبي، ١٤١٧هـ: ص٢٦٣).

في حين أجازها المالكية (الرعيني، ١٩٩٥: ص٧٨)، وأتباع أبو حنيفة إذا كان الشريكان مسلمين حرين بالغين عاقلين لتساويهما في أهلية الكفالة، وانفقا قدر المال في الجنس والغنيمة، وشارك كل واحد منهما

في كل ما كسب (السمرقندي، د. ت: ص٩)، ويمكن ترجيع بطلان هذه الشركة لاتفاق أغلب فقهاء المذاهب على ذلك (السمرقندي، د.ت، ص١١).

خامساً: الصيرفة:

عرف (**الزبيدي**) الصيرفة لغة: (**الصراف صراف الدراهم ونفادها من المصارفة وهو من التصرف صيارفة صيارف**)(الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٤: ص١٩). ويقال صرفت الدراهم بالدنانير وبين الدرهمين صرف، أي فضل لجودة فضة أحدهما (ابن منظور، د. ت: ص١٩٠)، ويعبر عن الصرف بأنه: (**فضل الدرهم على الدرهم في القيمة، فسميت من قولهم صرفت الدينار دراهم**) (ابن فارس، ١٩٩٩: ص٧٤١)، والصراف بياع الدراهم (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٤:ص٢٧٤).

أما اصطلاحاً: فهو بيع جنس الاثمان بعض ببعض (ابن مولود، ٢٠٠٩: ص٣٣٣)، أو من يتولى قبض الاموال وصرفها، وهو صرف الذهب والفضة في الميزان سواء كانا مسكوكين أو غير مسكوكين واشترط في اتمامه التقابض في المجلس (القلقشندي، د. ت: ص٤٣٨).

وأقر الإسلام العمل المصرفي لما له من أهمية، إذ عمل بعض الصحابة بالصرافة، فقد ورد ان البراء بن عازب سئل عن الصرف فقال: (**كنا تاجرين على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فسألنا رسول الله (ص) من الصرف فقال: ان كان يداً بيد فلا بأس، وأن كان نساءً فلا يصلح**) (البخاري، ١٩٨١: ص٧٢٦) .

ويعد الصرف من المعاملات المهمة في النشاط الاقتصادي؛ لما يوفره من أموال يحتاجها السوق والأفراد، ومن مهام الصيرفي، تميز الدراهم من حيث الجودة والرداءة والوزن، وهذا ما يتطلبه تعدد العملات، وهي ضرورية لما تقدمه من صرف لها، فضلًا عن القضاء على حالات الغش والتزوير والتلاعب بالعملات، وكان الصيارفة حذرين في تعاملهم بالدرهم والدينار، فأذا اشتروه أو باعوه او صرفوه فحصوه فحصاً دقيقاً، لذا فتقويم العملات ونقدها أحد أهم اعمالهم (الزبيدي، ١٩٩٤، ج٢٤: ص٢٧٤)، وتسمى هذه العملية بـ(**التناقد** أي تميز الدرهم والدينار، جيدة عن رديئة ، ولا تقل عمليه تحويل الاموال من فئة إلى فئة اخرى شأناً عما ذكرناه، وهي ضرورية في التعامل المالي وعمل الصيارفة هنا تبديل عملة باخرى، أو تحويل العملة من مكان إلى آخر، وظهر هذا النوع من التعامل مبكراً منذ قيام الدولة الإسلامية وروي: (**ان إبن الزبير كان يأخذ بمكة الورق من التجار فيكتب لهم إلى البصرة والى الكوفة فيأخذون أجود من ورقهم**) (السرخسي، د. ت: ص٣٧)، وكانت عملية الائتمان موجودة ومنتشرة، وعمل بها المسلمون، وكان الزبير

ابن العوام أحد من عمل بذلك فقد كان الرجل يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: **(لا ولكنه سلف، إني أخشى عليه ضيعة)**(ابن ابي شيبة، ١٩٨٩: ص٧١٧)، ويعد منح القروض للمحتاجين والتجار الذين يلجأون اليهم في تسهيل معاملاتهم التجارية، جزءاً هاماً من أعمال الصيارفة، ووصلت الينا روايات عن وجود مثل هذه المعاملات لاسيما اقراض التجار، كأقتراضه على بن جعفر، وكان أحد تجار الكرخ ببغداد قسط يدفعه إلى ابن عيدان الصيرفي، فأخر دفع المبلغ لضرورة ألمت بالتاجر (التنوخي، د. ت: ص٢١٥)، كما كانو يقومون بصرف الصكوك مقابل ضمانات مالية، وأخذ نسبه من قيمة الصك، وذلك بأن يسلم التاجر مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكاً يشتري كل ما يلزمه، ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري غير صك الصراف (ناصر خسرو، ١٩٨٣: ص١٤٦).

واستخدم الصرافون طرق عديدة في معرفة النقود والتأكد منها، ومنها ما اورده المؤرخ الجاحظ (ت٢٥٥/ ٨٦٨م) في قوله: **(يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيها)** (الجاحظ، ١٩٣٥: ص١١) ، وقدم الدمشقي (ت بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) توضيحاً لطرق أخرى مفاده ان يحمي الدينار في النار، فأذا كان مغشوشاً بالفضة أو النحاس أسود او اخضر، وكذلك عن طريق تميز صوته، فاذا كان الدينار خالص الذهب كان صوته رخيماً معتدلاً، وأذا غش بالنحاس أو الفضة ظهر صوته دقة واحدة تدل على صلابته، واذ لبس الذهب على الفضة أختلف صوته عند نقره، فضلاً عن قطع بعض الصيارفه الدينار الذي يشك في اصالته بواسطة ثغره يطلق عليها **(الكاز)**، الا ان هذه الطريقة غير مأمونة(الدمشقي، ١٩٧٧: ص١٥)، كما أشار الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠) إلى طريقة أخرى نصها: **(**لمس العملة وفركها باليد**)** (الكاشاني، ١٣٤٢هـ: ٣٤) .

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة، والدور الاقتصادي المهم لمهنة الصيرفة في الاقتصاد الإسلامي، إلّا أن النظرة إلى الصيارفة بشكل عام كانت نظرة حذرة وريبة وشك، وبرزت بعض حالات الغش تلك لاسيما التلاعب بنوعية الذهب والفضة، ومزج المعادن الرخيصة فيها، فضلاً عن استخدام بعض مقصات يقطعون بها الدراهم المنحسة والذهب المغشوش، ويباع ولان اليهود والموردين لدور الضرب بسعر المصاغ ليعاد جديد (الجبرتي، د. ت: ٧٩)، وأن من شروط صحة الصرف والوزن و**(الكيل)** أن يباع وزناً بوزن، وهو أإن تلقي ديناراً فتوازن به ديناراً ديناراً، وهذا ما أكده الرسول محمد **(صلى الله عليه واله وسلم)** في الحديث الشريف: **(الفضة بالفضة مثلاً بمثل، وزناً بوزن، والذهب بالذهب، وزناً بوزن، مثلًا بمثل، فمن زاد فهو ربا)** (ابن حنبل، د. ت: ص٢٦٢).

كما تعامل الصيارفة مع الحكام والسلاطين، إذ أن تعاملهم معهم كان أقل من معاملاتهم مع الشعب (الدوري، ١٩٩٥: ص١٩٣)، إلا ان ذلك لم يمنع ان يكون اثرهم في الجانب السياسي، لاسيما تمويلهم للحركة العباسية في خراسان (الذهبي، ١٤١٣هـ: ص٤٠١).

سادساً: القرض:

عرف **(الزبيدي)** لفظ **(القرض)** لغة بانه: **(القطع وقرض الشيء بمعنى قطعة)** (الزبيدي، ١٩٩٤، ج١٩: ص١٤)، وقرض الشيء بمعنى قطعة(المصدر نفسه: ص١٧)، والقرض **(ما تعطيه غيرك ليقضيك، وكل أمر يتجازى به الناس فيما بينهم فهو من القروض)**.

أما اصطلاحاً، فالقرض: هو دفع المال إلى الغير ينتفع به ويرده كما استقرضه عند قدرته عليه بدون فائدة تقرباً إلى الله ويتحقق بكل لفظ دال على المقصود. والقرض ثوابه كبير، حتى عده **(الزبيدي)** أفضل من الصدقه بمثله في الثواب والجزاء عند الله (الزبيدي، ١٩٩٤، ج١٨: ص٤٤٩)، داعماً رأيه يقوله عز وجل: **(مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً)** (سورة البقرة: ٢٤٥)، الذي فسره بأن القرض في هذه الآية إنّما هو تانيس وتقريب للناس، والله عز وجل لا يتقرض من عوز لكن يبلو عباده بما مثل لهم من خير يقدمونه وعمل صالح يعملونه (الزبيدس، ١٩٩٤، ج١٩: ص١٧).

وقد نظمت السنة النبوية الشريفة، عملية القرض، فشجعت عليه، وبنيت أسسه وآدابه وأصوله، إذ تعامل رسول الله **(صلى الله عليه واله وسلم)** بالقرض، إذ ورد إنه **(صلى الله عليه واله وسلم): (استقرض من رجل بعير فجاء يتقاضاه بعيره، فقال: اطلبوا له بعيراً فادفعوه اليه، فلم يجدوا الا سنا فوق سن بعيره، فقال: اعطوه فأن خياركم إحسانكم قضاء)** (ابن حنبل، د. ت: ص٥٠٩) .

الخاتمة:

خلاصة البحث وأهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها، قال تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). في ختام رحلتنا البحثية، نسجل بالنقاط الآتية خلاصتها وما أسفرت عنه من نتائج:

١. امتاز كتاب تاج العروس بأسلوب سلس، وعبارة مشرقة ودقة في تأدية المعنى وموضوعية في عرض الآراء، وسلاسة التعبير من التعقيدات اللفظية.
٢. أفصح البحث أن (الزبيدي) في كتابه، كان واسع الأفق شامل النظرة ربط بين الجوانب اللغوية والتاريخية والفقهية والاقتصادية في آن واحد مما دل على موسوعيته وسعة أفق معارفه.

٣. أثبتت الروايات الاقتصادية الواردة في كتاب (تاج العروس) أن الجانب الاقتصادي اتسم بالشمول في أحكامه والتي شرعت على أسس علمية مما يضمن ثباتها وديمومة التعامل بها.

٤. احتوى الكتاب على كم كبير من المعلومات الخاصة بالنقود وأنواعها فضلًا عن أثرها في مواقع الاقتصاد الإسلامي.

٥. بيّن دور الصيارفة والذي لم يقتصر على عملية البيع والشراء والتحويل المالي، بل هي ضرورية في القضاء على حالات الغش والتزوير والتلاعب بالعملات.

٦. بيّنت لنا البحث الحالي مدى التطور في مجال التعامل الاقتصادي والمالي والذي ينطبق مع الشريعة الإسلامية والسنة النبوية الشريفة.

٧. النظام النقدي نظام مهم ظهر وتطور مع تطور المجتمع الإسلامي ليواكب تطورات المجتمع على مر العصور والأزمنة، ذلك التطور الذي تمخض عنه نظام نقدي متكامل وضع وتطور إلا أنه لم يبتعد عن الشريعة والسنة.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن أبي الحديد، محمد أبو الفضل ابراهيم (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)،شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩.

٢. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر بيروت ١٩٨٩.

٣. ابن ادريس الحلي، أبي عبدالله محمد بن أحمد (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، السرائر، تحقيق: لجنة تحقيق، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠.

٤. ابن الاثير، علي أبن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦.

٥. أبن الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد بعدالقادر عطاء مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

٦. ابن المغازلي، ابي الحسن علي بن محمد (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠)، مناقب علي بن ابي طالب، ط١، انتشارات سبط النبي (ص)، ١٤٢٦هـ.

٧. ابن جعفر، أبو الفرج قدامة (ت٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١.

٨. أبن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣)، المحلى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر .د.ت.

٩. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت .د.ت.
١٠. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، ط٥، دار القلم، بيروت ١٩٨٤.
١١. ابن داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، رجال ابن داود، تحقيق: محمد صادق، منشورات الرضي، قم .د.ت.
١٢. ابن زهرة الحلبي، حمزة بن علي بن زهرة (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، غنية النزوع إلى علمي الاصول والفروع، تحقيق: ابراهيم البهادري، ط١١، مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤١٧هـ.
١٣. أبن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت .د. ت.
١٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.
١٥. ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)،تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شبري، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
١٦. ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، مقاييس اللغة، تحقيق. عبدالسلام محمد، ط٢، دار جبل، بيروت ١٩٩٩.
١٧. ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، المغني، دار الكتب العربي، بيروت .د . ت.
١٨. ابن ماجه، أبي عبدالله محمد بن يزيد (ت٢٧٥ هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر . د. ت.
١٩. ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم (٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: امين محمد ومحمد صادق، دار أحياء التراث العربي، بيروت .د. ت.
٢٠. ابن مولود، عبدالله محمد محمود الحنفي (ت٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م)،الاختيار لتعليل المختار، تحقق: عبد المنشاري، دار الحديث للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢١. أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، الاحوال، تحقيق: د. محمد عمارة، ط١، دار الشروق، بيروت ١٩٨٩.
٢٢. الابيض، د. أنيس. بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط١، جروس بروس، طرابلس ١٩٩٤.
٢٣. الازهري، محمد بن أحمد بن طلحة (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تعليق: عمر سلامي وعبدالكريم حامد، ط١، دار أحياء التراث، بيروت ٢٠٠١.
٢٤. ايوب، حسن، فقه المعاملات المالية، ط٤، منشورات دار السلام، القاهرة ٢٠١٠.
٢٥. البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٩٨١.
٢٦. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣.

٢٧. بلانت، ريتشارد، النقود العربية الإسلامية، ترجمة: بسام نوح وابراهيم سروج، ط١، مكتبة السائح متى. مملو، سوريا ١٩٩٤.
٢٨. البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥)، السنن الكبرى، دار الفكر. د.ت.
٢٩. التنوخي، أبي علي المحسن بن علي (ت٣٤٨هـ/ ٩٥٩م)، مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. تحقيق. عبود الشالجي .د.ت.
٣٠. الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن (١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م). عجائب الاثار، دار الجبل للنشر، بيروت . د .ت.
٣١. الحلفي، عبدالعظيم بن بدوي. الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، ط٣، دار ابن رجب المنصورة ٢٠٠١.
٣٢. الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، الاشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشرى الشورنجي، ط١، مطبعة الغد للنشر والتوزيع، الاسكندرية ١٩٧٧.
٣٣. الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٥.
٣٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣.
٣٥. الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني، فتح العزيز بشرح الوجيز، دار الفكر، د.ط، د.ت
٣٦. الرعيني، أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبط: زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.
٣٧. الزبيدي، محب الدين أبي فيض محمد (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). تاج العروس من جواهر النفوس، تحقيق: علي بشري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤.
٣٨. الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، الفايق في غريب الحديث، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
٣٩. السرخسي، شمس الدين، كتاب المبسوط، دار المعرفة، بيروت– لبنان، د. ن
٤٠. السمرقندي، علاء الدين (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، تحفة الفقهاء، ط٢١، دار الكتب العلمية، بيروت .د.ت.
٤١. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
٤٢. الشافعي، محمد بن ادريس (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، الام، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣.
٤٣. الصولي، أبي بكر محمد يحيى (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، الاوراق، تحقيق: ج. هيورث. د. ت، ٢٠٠٤.
٤٤. الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، الجامع الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، ط٢، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة ٢٠١٠.

٤٥. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، المؤتلف والمختلف بين أئمة السلف، تحقيق لجنة من الاساتذة، قم .د.ت.
٤٦. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (٩٩٥هـ/ ١٠٥٠م)، تهذيب الاحكام، تعليق: محمد جعفر، دار المعارف للمطبوعات، بيروت. د. ت.
٤٧. عبدالجبار، عفاف، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، أطروحة غير منشورة، كلية التربية بنات، جامعة بغداد ٢٠٠٦.
٤٨. العلامة الحلي، جمال الدين، ابي منصور الحسن بن يوسف (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط١، مؤسسة ال البيت للنشر، قم ١٤١٤هـ.
٤٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، أحياء علوم الدين، نشر دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.
٥٠. القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت .د. ت.
٥١. القمي، عباس، الكنى والالقاب، منشورات مكتبة الغدير، طهران . د .ت.
٥٢. الكاشاني، محمد بن مرتضى فيض، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٤٢هـ
٥٣. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين دار احياء التراث العربي، بيروت. د. ت.
٥٤. الكرملي، الاب انستانس ماري، النقود العربية وعلم النميات، مجمع فؤاد الاول، القاهرة ١٩٣٩.
٥٥. المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١ هـ/ ١٦٧٠م). العقد المنير، منشورات مكتبة الصدوق، طهر ١٣٨٢هـ.
٥٦. مالك، عبدالرحمن بن قاسم الحنفي (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥)، الموطأ، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث، بيروت .د. ت.
٥٧. الماوردي، علي بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد عبدالسلام، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦.
٥٨. المشكيني، علي، مصطلحات الفقه، مؤسسة جاب الهادي، ايران ١٩٩٩.
٥٩. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، إغاثة الامة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحان، ط١، ٢٠٠٧.
٦٠. ناصر خسرو، أبو معين الدين (ت٣٩٤ هـ/ ١٠٠٢م). سفر نامة، تحقيق: د. يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتب الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.
٦١. اليان سركيس، يوسف، معجم المطبوعات العربية، منشورات مكتبة المرعشي، قم ١٤١٠هـ.

آل الفرات ودورهم في العصر العباسي

Al- Furat Family and their Role in the Abbasid Era

أ. م. رنا صلاح طاهر طاقة*

Rana Salah Tahir Taqa*

الملخّص:

تعد مرحلة تولي آل الفرات للوزارة من المراحل المتميزة في التاريخ العباسي، فقد امتد ما بين سنتي ٢٨٦–٣٢٠هـ/٨٩٩–٩٣٢م، حيث برزت هذه الأسرة في العمل الإداري والاقتصادي ثم تلا ذلك العمل السياسي، فكانت أحد أهم الأسر التي اجتمعت فيها قوة الوزارة، وبراعة الإدارة، فكان أفراد هذه الأسرة وزراء، ومعلمين، وأدباء، وقادةً عسكريون، وبرعوا في علوم شتى، ومن أبرز شخصيات هذه الأسرة علي بن الفرات، الذي تقلد منصب الكتابة وإدارة الدواوين، وسعى جاهداً للوصول بأي ثمن إلى أعلى المناصب السياسية في الدولة العباسية، وهذا ما أدى إلى تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي، في مرحلة اتصفت بكثرة القلاقل والاضطرابات والفتن، وذلك نتيجة سيطرة القادة العسكريين الأتراك على مقاليد الأمور في الدولة العباسية، بل ونجاحهم في التحكم بمنصب الخلافة، حتى أصبح هؤلاء هم من يعين الخلفاء ويعزلونهم، والتنافس بين المسؤولين وكبار رجالات الدولة على المناصب السياسية والعسكرية في البلاد، فضلاً عن الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد، وعجز كيان الدولة عن تأمين مستحقات الجند المالية، مما دفع هؤلاء إلى التمرد والعصيان بين الحين والأخر مطالبين بأرزاقهم المتأخرة، فكان آل الفرات هم الضامن لتحقيق الاستقرار في البلاد.

الكلمات المفتاحية: آل الفرات، العصر العباسي، علي ابن الفرات، القوى المعارضة، القرامطة.

Abstract:

The period when the Al-Furat family took over the ministry considered one of the distinguished stages in Abbasid history. It extended between the years 286 – 320 AH /899 –932 AD, when this family emerged in administrative and economic work followed by political work. It was one of the most important families in which power gathered, ministry, and the prowess of administration. the members of this family were ministers, teachers, writers, and military commanders, and they excelled in various sciences. Among the most prominent figures of this family was Ali Ibn Al-Furat, who held the position of writing and managing collections, and

* كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة الموصل – العراق.

Email: Ranataqa@uomosul.edu.iq

* College of Education for Human Sciences/ University of Mosul - Iraq.

strove hard to reach at all costs the highest political positions in the Abbasid state, and this is what it led to the achievement of political and economic stability, in a period characterized by a lot of unrest, unrest and strife, as a result of the Turkish military leaders control over the reins of affairs in the Abbasid state, and even their success in controlling the position of the caliphate, until they became the once who appointed and removed caliphs, and the competition between officials and senior statesmen. On political and military positions in the country, in addition to the economic crises that the country was exposed to and the inability of the state entity to secure the soldiers financial entitlements, which led them to rebel and disobey from time to time, demanding their delayed livelihoods, The Al-Furat family was the guarantor of achieving stability in the country.

Keywords: Al-Furat, Abbasid Era, Ali ibn Al-Furat, Opposition Forces, Qarmatians.

إشكالية البحث:

لم تحظَ مرحلة آل الفرات بنصيب وافرٍ من كتابات المؤرخين، شأنه شأن غيره من موضوعات العصر العباسي الثاني، لذلك فالكتابة عن مرحلة آل الفرات شاقة ومجهدة، بسبب تشعب الأحداث، وتعدد الوزراء، وتنافسهم فيما بينهم وتداخل حكمهم، ثم أصبحوا قوة لا يستهان بها ووصلت تلك القوة لدرجة أن الخلفاء العباسيين كثيراً ما اضطروا إلى إخراجهم من السجن، للاستفادة منهم في المواقع والمناصب السياسية والإدارية، ولكن رغم هذه التطورات السياسية السريعة إلا أن ذلك العصر شهد نهضة اقتصادية وفكرية كبيرة، إذ نبغت فيه شخصيات عديدةً وأسراً علمية بارزة، تركت أثراً كبيراً في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية، كان منها أسرة آل الفرات التي سيتم تناولها في هذا البحث من خلال الواقع السياسي في العهد العباسي.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بآل الفرات، والدور المهم لهذه الأسرة في عصر حكم الأتراك، وبشكل خاص دور علي بن الفرات الذي شغل مناصب، ومراتب إدارية وسياسية مهمة في الدولة، وذلك من خلال الحديث عن دوره السياسي والاقتصادي في الدولة العباسية، وكذلك مساعيه لترسيخ سيطرته، والطرق والسبل التي اتبعها وابنه المحسن لديمومة وزارته.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والدراسات التاريخية والأدبية، وكذلك المراجع الحديثة ومن ثم تحليلها ونقدها من أجل الوصول إلى الحقيقة

المتعلقة بموضوع البحث مع الالتزام بجميع قواعد منهجية البحث التاريخي من حيث دقة اللغة، وحسن التعبير وسهولة الأسلوب.

أولًا: ظهور آل الفرات:

ترجع البدايات الأولى لنشوء آل الفرات إلى أبيهم محمد بن موسى بن الفرات، الذي عرف برغد العيش في بلدته، فبقي فيها حتى وفاته، بينما نجح أولاده من الوصول إلى أعلى المناصب في الدولة العباسية.

١–**ظهور آل الفرات وتسلمهم الوزارة:** بدأ آل الفرات وهما أحمد وعلي أولاد محمد بن موسى بالظهور على مسرح الأحداث السياسية، مع تولي اسماعيل بن بلبل[1] الوزارة، إلا أنهما ما لبثا أن سجنا بعد عزله، وتولى الوزارة الوزير عبيد الله بن سليمان الذي لم يكن كفء لهذا المنصب، فوجهت نصيحة له من قبل أصدقائه للاستعانة بولدي محمد بن موسى، فطلب من الخليفة المعتضد العباسي[2] أن يقلدهما أمور الكتابة وإدارة الدواوين، فتولى أحمد ديوان المشرق، أما علي تولى إدارة المغرب، لكن سياستهما المالية لم تعجب الخليفة المعتضد ولا وزيره فعزلاهما في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م[3]، وأمر الخليفة بسجنهما ومصادرة أموالهما، لكن الدولة العباسية ما لبثت أن تعرضت لضائقة مالية، وعجز الوزير عبيد الله عن إيجاد حل لها، فأحضر أحمد بن الفرات من سجنه وطلب منه إيجاد الحلول للضائقة المالية، سعى ابن الفرات جاهداً للخروج من الأزمة الاقتصادية، وطلب من الوزير استقدام أخيه من السجن لمواجهة الخطر الاقتصادي، وقام الأخوان بتضمين أعمال سقي الفرات ودجلة، لأحد الاقطاعيين مقابل مبلغ قدره ألفي ألف دينار وخمسمائة وعشرين ألف دينار، يدفع منها كل يوم سبعة آلاف دينار، وفي كل شهر مئتي ألف وعشرة آلاف دينار .[4]

(1) اسماعيل بن بلبل: ولد سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤ م)، تولى الوزارة للخليفة المعتمد على الله سنة (٢٦٥هـ/٨٧٩ م)، فعزل وأعيد إليها أكثر من مرة، وقبض عليه أخيراً في سنة (٢٧٨هـ/٨٩٢ م) حيث عذب بشتى أنواع العذاب، حتى وافته المنية. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سِيَر أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م)، ٢٠١/١٣.

(2) أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم، ولد سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)، وأمه أم ولد اسمهما صواب، بويع بالخلافة في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، كان ملكاً شجاعاً مهيباً، وافر العقل، شديد الوطأة، نشر العدل ورفع الظلم عن الرعية، مرض المعتضد في سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) وتوفي على إثره. السيوطي، عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، ط١، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م):٢٩٣–٢٩٦.

(3) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ٢١٩/١٣، ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، (دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت، ٢٠١٢م)، ١٩٦/٦.

(4) الصابئ، هلال بن المحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار فراج، (دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٨م):١٣–١٤.

دفع نجاح ابنا الفرات في سياستهما الاقتصادية الخليفة المعتضد للتفكير في جعل أحدهما وزيراً بعد وفاة الوزير عبيد الله كونه الأقدر على معرفة مواقع المال[1] ، فضلاً عن وقوفه في وجه أطماع الكثير من حاشية الخليفة، حيث رفض إعطائهم الضياع السلطانية، لأنه يجب الاحتفاظ بها، فقوام الملك لا يتم إلا بالمال وأن الجند لا يسمعون ولا يطيعون الأوامر إلا بعد إعطائهم المال[2] . ومن هنا فقد انقسم الكتاب ومسؤولي الدواوين إلى حزبين أساسيين، الأول تزعمه آل الفرات، وهم من أعيان الكتاب، وعلى رأسهم أحمد وعلي ابنا محمد بن موسى بن الفرات[3] ، والحزب الأخر فيمثله آل الجراح الذين ينتمون إلى الأصول الفارسية، وهم أسرة من أعيان الكتاب، وعلى رأسهم علي بن عيسى (٢٤٥-٣٣٤هـ/٨٥٩-٩٤٥)[4] ، وعمه محمد بن داوود بن الجراح (٢٤٣-٢٩٦هـ/٨٥٧-٩٠٨م) [5] .

وفي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، توفي أحمد بن الفرات فتولى أخاه علي ديوان الخراج والضياع بناءً على اقتراح الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م)[6]، فسعى الوزير العباس بن الحسن (٢٩١-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٨م)[7] إلى القبض على علي بن الفرات، ومصادرة أمواله لكن المكتفي رفض ذلك لقناعته بكفاءته وحسن إدارته[8]، وعندما مرض المكتفي واشتد المرض عليه، طلب الوزير العباس نصيحة عدد من الكتاب ذوي الحظوة والمكانة والمعرفة الدقيقة بشؤون الدولة، لكنهم لم يتفقوا على رأي معين، فمحمد بن داوود بن الجراح رأى بعبد الله بن المعتز خليفة محتمل لعلاقته الحسنة به، كما أنه صاحب عقل ورأي

(1)ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ٣٢٣/١٢.

(2) الصابئ، الوزراء:٢٠٠-٢٠١.

(3) الهمذاني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط١، (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م):٤٦.

(4) علي بن عيسى كان يوصف بالصلاح والديانة والستر، وكان كثير الصدقات والصلاة والصيام، ويذكر له عفة يده ولسانه، وله العديد من المؤلفات العلمية. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد او مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ١٥/١٢، ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (دار صادر، بيروت، د.ت):٢٦١-٢٦٢.

(5) ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، د.ت):١٦١، البغدادي: تاريخ بغداد، ٣٢٠/٢-٣٢١.

(6) هو أبو محمد علي بن المعتضد ولد سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، وأمه تركية اسمها جيجك، تولى ولاية العهد وبويع بالخلافة سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، وكان في الرقة، فعاد إلى بغداد ونزل بدار الخلافة، حيث هدم المطامير التي صيرها والده مساجد، وأمر برد الحوانيت والبساتين التي أخذها أبوه من الناس ليعملها قصراً إلى أهلها، وسار في الناس سيرة جميلة، فأحبه الناس، توفي المكتفي في شبابه في سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م). السيوطي، تاريخ الخلفاء :٢٩٨-٢٩٩.

(7) العباس بن الحسن ولد سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١ م)، وزير الخليفة المكتفي، كان معروفاً بحسن خطه وبلاغته اللغوية، إلا أنه كان ضعيفاً في علم الحساب، فترك الأعمال لنوابه وكتابه، وكان يعرف بالغنى والثراء الفاحش، إلا أنه كان مجرداً من المبادئ الأخلاقية، ويسعى لتقديم مصالحه الخاصة، فمنع أصحاب الدواوين من الوصول للخليفة. ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري:٢٥٣، الصابئ، الوزراء: ٢٥٢-٢٥٣.

(8) الصابئ، الوزراء :٢٥١-٢٥٢.

وأدب، ولديه مؤهلات ترشحه إلى هذا المنصب[1]، أما علي بن عيسى فقد رأى أن يكون المرشح ديناً، ومتقدماً في السن محنكاً عالماً بأمور البلاد، ذا حنكة وتدبير ليكون أهلاً للخلافة[2]، أما ابن الفرات فقد طلب الانفراد بالوزير العباس ليطرح رأيه بخصوص الشخص المرشح للخلافة بعد وفاة المكتفي، فجاء في نصيحته: "فليتق الله الوزير ولا ينصب إلا من قد عرفه واطلع على جميع أحواله، ولا ينصب بخيلاً فيضيق على الناس ويقطع أرزاقهم، ولا طامعاً فيشره في أموالهم فيصادرهم ويأخذ أملاكهم، ولا قليل دين فلا يخاف العقوبة والآثام ويرجوا الثواب فيما يفعله، ولا من عرف دار هذا، ونعمة هذا، وبستان هذا، وجارية هذا، وضيعة هذا، وفرس هذا، ومن لقي الناس ولقوه، وعاملهم وعاملوه، وعرف الأمور وتحنك، وحسب حساب نعم الناس"[3]. فقال الوزير العباس: صدقت ونصحت، فيمن تشير؟ قال ابن الفرات: "تقلد جعفر بن المعتضد [4]، فإنه صبي لا يدري أين هو، وعامة سروره أن يصرف من المكتب، فكيف أن يجعل خليفة، ويملك الأعمال والأموال، وتدبير النواحي والرجال، ويكون الخليفة بالاسم وأنت على الحقيقة، وإلى أن يكبر تكون قد انغرست محبتك في صدره، وحصلت محصل المعتضد في نفسه" .[5]

وبالفعل فقد أخذ العباس بنصيحة ابن الفرات، ففي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م وبعد وفاة الخليفة المكتفي بالله بويع جعفر بن المعتضد بالخلافة ولقب بالمقتدر، وكان عمر الخليفة الجديد ثلاثة عشرة سنة ونيف[6]، وهي المرة الأولى التي يبايع فيها صبي في مثل هذا العمر بالخلافة، وقد نجح المقتدر بالتغلب على العديد من المشكلات التي واجهت حكمه، أهمها حركة عبد الله بن المعتز [7] ويسانده عدد من كبار رجالات الدولة

(1) التنوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، ط٢، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م)، ٦٤/٥)٦٥، مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت)، ٣/٥-٥.

(2) الصابئ، الوزراء:١٤٣)١٤٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ:٦/٢٠٠-٢٠٢.

(3) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)، ٢٤/٢٣.

(4) جعفر بن أحمد المعتضد بالله، أمه أم ولد رومية، ولد يوم الجمعة سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، عاش فترة قصيرة في كنف والده المعتضد، الذي توفي وله من العمر سبع سنوات، وبالتالي لم يتوفر الوقت الكافي للتعليم على يديه لاكتساب الخبرة، واتسمت شخصيته باللين والدعة وسلامة الصدر، مما جعله أقرب إلى الضعف منه إلى الحزم، وكان يرى أن التقرب من الناس بالرغبة والإحسان، أحب إليه من الإساءة والرهبة. الصولي، محمد بن يحيى، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ هجرية، عني بنشره: ج. هيورث. دن، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص٥٣)٧٤. ومتز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريدة، (مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠م)، ٣٥/١.

(5) الصابئ، الوزراء: ١٣١-١٣٢.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١٥/٥.

(7) ولد أبو العباس عبد الله بن الخليفة محمد المعتز من أم ولد في سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م)، وقيل (٢٤٧هـ/٨٦١م)، وقيل سنة (٢٤٩هـ/ ٨٦٣ م) من حيث اتجه للدراسات الادبية، وبرز في مجال الشعر، الذي امتاز ببلاغته ودقة معانيه وسهولة ألفاظه، وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب، كان صاحب شخصية مرموقة في المجتمع، فشعر الخلفاء بخطره عليهم، ففي عهد المعتضد شعر بالقلق منه وفكر في سجنه، وفي عهد المكتفي تم سجنه حتى تتم البيعة له، ولاحقاً طلب منادمته وملازمته لكنه رفض ذلك. التنوخي، الحسن بن علي بن محمد، الفرج بعد الشدة، تح: زكي مجاهد، (د. م،

الذين بايعوه سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م[1]، وقد انتهت حركة التمرد تلك بمقتل ابن المعتز[2]، وعدد كبير من أنصاره ومريديه، ونفي البعض الأخر، وتم ترسيخ حكم المقتدر بالله في الخلافة، حيث أعلن ابن الفرات الأمان إلى جميع المشاركين في الفتنة، مما قاد إلى تحقيق الاستقرار في البلاد .[3]

٢- وزارة آل الفرات في عهد المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م): تولى آل الفرات خلال حكم الخليفة المقتدر تدبير أمور الوزارة في أكثر من مناسبة، حيث كانت تلك الوزارات على الشكل الآتي:

أ- وزارة ابن الفرات الأولى (٢٩٦-٢٩٩هـ/٩٠٨-٩١١م): بدأ ابن الفرات يجني ثمار موقفه من المقتدر خلال حركة ابن المعتز، حيث ولاه الخليفة المقتدر الوزارة بين سنتي ٢٩٦-٢٩٩هـ/٩٠٨-٩١١م، كمكافأة له على جهوده الكبيرة التي بذلها لتدعيم مركزه، ولكونه الكاتب الوحيد الذي لم يشارك في الأزمة[4]، بدأ ابن الفرات وزارته الأولى بشكل قوي، وذلك بعد أن قالت له والدة المقتدر: "هذا يا أبا الحسن ولدك، وأنت قلدته الخلافة أولاً وثانياً"[5]، إذ سعى إلى التخلص من العناصر التي تشكل تهديداً لمركزه في الوزارة، ثم التفت إلى تقوية مركز وجمع ثروة مالية كبيرة، حيث كان يستغل أموال لدولة لمصالحه الشخصية، واكتساب الأنصار[6]، واشترى ولاء الكثير من الناس، حيث كان يدعو يومياً إلى طعامه تسعة من خاصة كتابه[7]، لقد تميزت سياسة ابن الفرات بتبذير أموال الدولة، وقد كان لسياسته تلك دوراً في تفاقم الأزمة الاقتصادية، حتى أنه لم يجد في بيت مال العامة ما يكفي لسد حاجة ونفقات عيد الأضحى، فطلب من الخليفة إعطائه من بيت مال الخاصة ليسد نفقات هذا العيد، فرفض الخليفة ذلك، وقاد هذا الأمر إلى زعزعة ثقة الخليفة به[8]، وتم القبض على ابن الفرات وأعوانه وحاشيته في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م[9]، وصودرت أمواله

القاهرة، ١٩٣٨م)، ٧٨/١؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ٩٩/١؛ أبن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، ٣٧/٢.

(1) كان ممن اشترك في التأمر على الخليفة الجديد كلاً من: محمد بن داوود بن الجراح والحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف بن صوار تكين ومحمد بن عبدون وأبو عمر محمد بن يوسف القاضي وغيرهم. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، ط١، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٩م)، ٣١١/٤.

(2) الهمذاني، محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط١، (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م):٦.

(3) التنوخي، نشوار المحاضرة، ٧٣/٥-٧٤.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٤/٥.

(5) الصابي، الوزراء: ١٣٢.

(6) كان ابن الفرات يجري العطايا على خمسة آلاف إنسان، حيث يوزع عليهم بين ٥دراهم إلى ١٠٠دينار في الشهر، ومن بين هؤلاء كان ابن الفرات يولي الشعراء اهتماماً خاصاً، حيث كان يمنحهم كل سنة من سنين وزارته عشرين ألف درهم، من دون ما يصلهم متفرقاً عند مديحهم إياه. الصابئ، الوزراء :٢٢٣.

(7) متز، الحضارة الإسلامية، ١٨١/٢.

(8) الصابئ، الوزراء:٣٤.

(9) المسعودي، مروج الذهب، ٢٤٣/٤، ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢١/١٣.

وأملاكه وما كان له من الضياع والإقطاعات والعقارات والغلات، حيث بلغ مجموع ما صودر منه مليون دينار عيناً وستمئة ألف دينار نقداً[1]، وبذلك انتهت وزارة ابن الفرات الأولى، بعد أن تم عزله، وكان لسياسته المالية في الدولة، العامل الأهم في تفاقم الأزمة الاقتصادية في البلاد، وبالتالي فقدان ثقة الخليفة المقتدر بوزيره ابن الفرات.

ب- وزارة ابن الفرات الثانية (٣٠٤-٣٠٦هـ/٩١٦-٩١٨م): أعيد إلى وزارته للمرة الثانية بعد خمس سنوات قضاها في السجن، بسبب فشل الوزراء اللاحقين لابن الفرات في إدارة أمور البلاد، وذلك بعد أن تعهد بدفع مبلغ ألف دينار للخليفة يومياً، وكذلك خمسمئة دينار لوالدته ولكل واحد من الأمراء[2]، وفي هذه المرحلة تعرضت وزارة ابن الفرات إلى حدثين كبيرين، الأولى: تمثل في مطالبة الهاشميين [3]بأرزاقهم التي منعت عنهم، فتطاولوا على الوزير، مما دفع شيوخهم إلى الاعتذار منه، كما أنكر الخليفة المقتدر فعل الهاشميين تجاه وزيره، فعين جماعة من الغلمان الحجرية[4] حرساً له يرافقونه في أي مكان يذهب إليه[5]. أما الحدث الثاني: فكان في سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، والمتمثل بتأخر أرزاق الفرسان، بحجة أن أكثر الأموال أنفقت في محاربة الحركات المعارضة للدولة، فشغب الجند عليه، فالتمس الوزير مساعدة الخليفة، وطلب منه دفع مبلغ ٢٠٠ ألف دينار من بيت مال الخاصة، وهو يضيف عليها مثلها لإسكات شغب الجند، فاستاء الخليفة من طلب ابن الفرات، وخاصةً أنه تعهد بأن يدفع كافة نفقات الخليفة عند توليه منصبه[6]، وعندما عجز ابن الفرات عن دفع مستحقات الجند قبض الخليفة عليه، وعزله من منصبه، ومن الأمور التي دفعت الخليفة لعزله من وزارته الثانية:

- صرفه لعدد كبير من أصحاب الدواوين والعمال والقضاة وبعض المعارضين لسياسته عن مناصبهم وتعيين بدلاً منهم أقاربه وأصدقائه، دون مراعاة جانب الكفاءة.

(1) الصابئ، الوزراء:٣٤-٣٥.

(2) ابن الأثير، الكامل، ٩٩/٥.

(3) ظهرت في العصر العباسي جماعة من المسلمين تفتخر بقرابتها من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأهل بيته، ونسبها إلى قبيلة قريش، أطلق عليهم تسمية الأشراف، وقد انقسم هؤلاء إلى فئات عدة، منها: نقابة العباسيون: المنتسبين إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول. ونقابة الطالبيون: المنتسبون إلى علي بن أبي طالب وأولاده. ونقابة الهاشميون: وتضم ما تبقى من الأشراف من بني هاشم. البغدادي: تاريخ بغداد،١٤٦/٢، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري:١٦.

(4) إحدى الفرق العسكرية التي تكون منها الجيش العباسي، ظهرت في عهد الخليفة المعتضد بالله عندما عينهم لحراسة قصر الخليفة، ورتبهم في حجرات خاصة وسماهم الحجرية، شاركوا في إخماد الكثير من الثورات الداخلية التي هددت كيان الدولة. الصابئ، الوزراء:١٧، القرطبي، عريب بن سعيد، صلة تاريخ الطبري، (مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٧م):٥٥ – ٥٩.

(5) القرطبي، صلة تاريخ الطبري:٥٩.

(6) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري:٢١٢.

- استرداده لأملاكه وضياعه التي صودرت منه في وزارته الأولى، ووزعت على عدد من القواد والخواص، وهذا ما أغضبهم وحقدوا عليه، فسعوا للوشاية عليه والإطاحة به .[1]

وبذلك سقطت وزارة ابن الفرات الثانية بعد مدة لم تتجاوز السنتين، لم يخرج فيها عن إطار وزارته الأولى في التعامل بقسوة مع المعارضين له، فضلاً عن مصادرة أملاك كل من يشك بسعيه للعمل ضده.

ج- وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م): أخرج ابن الفرات من السجن في سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، وأعيد إلى منصب الوزارة، فبدأ وزارته بالسعي لتصفية العناصر المناوئة له، حيث ادعى أن اعتداله في التعامل معهم أدى بهم إلى محاولة إقصائه وتدميره، وفي هذه المرحلة أشرك الخليفة المحسن بن علي بن الفرات في إدارة شؤون الدولة[2] ، فبدأ الوزير وزارته الجديدة بالقبض على الوزير السابق حامد بن العباس (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م)[3] ومساعده علي بن عيسى الذي كان يتولى إدارة الدواوين [4].

لكن الأمر الذي أسقط ابن الفرات هو خلافه مع مؤنس الذي كان غائباً عن بغداد في معركة ضد الروم سنة٣١١هـ/٩٢٣م، فلما عاد أنكر ما جرى للوزير حامد، وعماله من التعذيب والتنكيل على يد ابن الفرات[5]، فسعى ابن الفرات للإيقاع بمؤنس فأشار على الخليفة بإبعاده إلى الرقة، بحجة أن ذلك يسهل جمع الضريبة من الولايات الغربية، ويكون بالإمكان دفع رواتب الجيش منها، فاقتنع الخليفة بفكرة ابن الفرات وأمر مؤنس بالتوجه نحو الرقة، وعلم مؤنس أن ما جرى معه من تدبير ابن الفرات[6]، وفي خضم تلك المشكلات التي تواجه ابن الفرات، هاجم القرامطة(٢٧٨-٣٧٨هـ/٨٩١-٩٨٨م)[7] قافلة للحجاج، وأخذ الأموال والحريم، وهلك الناس جوعاً وعطشاً، مما أدى إلى هيجان العامة في بغداد، فرجموا ابن الفرات

(1) الصابئ، الوزراء:١١١-١١٢.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ٢١٥/٤.

(3) حامد بن العباس: يرجع أصله إلى واسط، كان صاحب نعمة، له ألف وسبعمئة حاجب وأربعمئة مملوك يحملون السلاح، وصل إلى الوزارة بناءً على مشورة أحد كبار رجال الدولة المدعو علي بن محمد الحواري، الذي وصف حامد بأنه نبيل النفس، وقادر على تحصيل الأموال الكثير لهيبته عند العمال. مسكويه، تجارب الأمم، ٣٣/٥-٣٤؛ متز، الحضارة الإسلامية:١٦٨.

(4) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ٩٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٢١٧/٥.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٢٢٢/٥.

(6) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري :٢٣٥.

(7) القرامطة: حركة دينية سياسية اجتماعية نشأت في المشرق العربي عام (٢٧٨هـ/٨٩١م)، في عهد الخليفة العباسي المعتضد، ونجحت في مد سلطتها على الإحساء والبحرين وعمان وبلاد الشام، وقد هاجم هؤلاء مكة في موسم الحج وسرقوا منها الحجر الأسود، بعد أن قتلوا الكثير من الحجاج عام (٣١٧هـ/ ٩٣١ م). ابن الجوزي، عبد الرحمن، القرامطة، تح: محمد الصباغ، ط٥، (المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨١م):٣٦ -٥٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م)، ٦٣/٤.

وأطلقوا عليه القرمطي الكبير[1]، استغل الحاجب الوضع المضطرب في بغداد، وخاطب ابن الفرات بلهجة قاسية بحضور الخليفة، واتهمه بالتواصل مع القرامطة، وزعزعة استقرار الدولة، وأشار على الخليفة بإعادة القائد مؤنس إلى بغداد، وبالفعل فقد استجاب الخليفة لطلبه، وطلب من مؤنس العودة إلى بغداد[2]، ذهبت مساعي ابن الفرات للتقرب من القائد مؤنس أدراج الرياح، فتم عزله واعتقاله عند صاحب الشرطة، ونقل إلى دار الخلافة، الأمر الذي اثار كبار القواد، فطلبوا من الخليفة إخراجه من دار الخلافة[3]، فتعرض مع ولده المحسن إلى أقسى أنواع القسوة والتعذيب على يد العامة التي كانت حاقدة عليه، فتم قطع رأسيهما وأرسلا إلى الخليفة حيث أمر برميهما في نهر دجلة، وتمت مصادرة أملاك ابن الفرات مع أفراد أسرته[4]، وبذلك انتهت حياة أحد أهم الوزراء الذين حكموا في عهد المقتدر، ولم تشفع له ما قدمه للخليفة من خدمات وأعمال.

د- وزارة الفضل بن جعفر بن الفرات (٣٢٠هـ/٩٣٢م): لم يستمر الأمر طويلاً حتى تولى أحد أبناء آل الفرات منصب الوزارة من جديد، وهو الفضل بن جعفر الذي تولى الوزارة في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، فكان الوزير الجديد مشهوراً بالفضل والعلم وقدرته على حسن التصرف، وتبصره بالأمور، لم يقم الوزير بتغييرات كبيرة بين موظفي الدولة، كما أنه لم يقم بأعمال جدية للنهوض بواقع المالية المتردية، ولم يستطع توفير المال للأخطار التي باتت تهدد الدولة، حيث جاء وفد من أهل الثغور والجبال، واستقروا في العاصمة خوفاً من هجمات الروم على أراضيهم، وهذا ما أحدث حالة من الهيجان في بغداد، ونتيجة للأوضاع السيئة طلب الوزير من الخليفة الاستعانة بالقائد مؤنس، فاقتنع الخليفة بالأمر، لكن تدخل بعض أفراد الحاشية الذين اعتبروا أن عودة مؤنس تشكل خطراً على مصالحهم[5]، فما لبثت أن سقطت وزارة الفضل، بسبب مقتل الخليفة المقتدر فاستتر عن الأعين حتى تهدأ الأمور[6]، لتنتهي بذلك مرحلة تولي آل الفرات للوزارة في الدولة العباسية.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/٢٧٥.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٥/٢٢٣.
(3) القرطبي، صلة تاريخ الطبري: ١٠٤.
(4) القرطبي، صلة تاريخ الطبري :١٠٧)١٠٨.
(5) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٦٨-٦٩.
(6) ابن طباطبا، الفخري: ٢٧٥.

ثانيًا: موقف ابن الفرات من القوى المعارضة له:

تغيرت سياسة ابن الفرات بين مرحلة وأخرى من مراحل تسلمه الوزارة، وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت سياسة العداء القائمة بينه وبين كبار رجالات الدولة الطامعين بالسيطرة على منصب الوزارة، كما حدثت عدد من الحركات السياسية في أنحاء الدولة، هزت أركان الدولة، فمن هم أبرز الشخصيات التي عارضت وزارة ابن الفرات، وما هي أهم الحركات السياسية التي واجهت الدولة.

١- الشخصيات التي عارضت وزارة آل الفرات:

أ- علي بن عيسى: كان الاختلاف السمة البارزة لعلاقتهما[1]، فمع تولي ابن الفرات وزارته الأولى أمر بالقبض على علي بن عيسى وإخوته، ويرجع ذلك إلى إقدام علي بن عيسى على المشاركة في فتنة ابن المعتز ووقفه إلى جانبه[2]، فكتب الوزير إلى الخليفة أن علي بن عيسى لم يكن ممن أثاروا فتنة ابن المعتز، وخفف عنه ابن الفرات مال المصادرة، إذا ما قارناه بالمال الذي حصل عليه من غيره، ممن تورطوا في فتنة ابن المعتز، فلبى المقتدر رغبة ابن الفرات، فوافق على نفي علي بن عيسى إلى واسط، فسيره ابن الفرات إليها[3]، وأطلق له عشرة ألاف درهم نفقة الطريق، وأعطى الحمالين نفقات النقل ثمانية ألاف درهم[4]، وبعد تعيين الوزير أبو علي الخاقاني (٢٩٩-٣٠١هـ/ ٩١١-٩١٤م)، أظهر الوزير الجديد فشلاً ذريعاً في إدارة أمور البلاد، وعندما علم المقتدر بسوء تدبيره[5]، استوزر علي بن عيسى في سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، وبقي فيها حتى سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م عندما أمر الخليفة المقتدر باعتقاله، استجابةً لضغوط رجالات القصر الذين رأوا في إصلاحاته خطراً على وجودهم ومصالحهم، حيث بقي في السجن لمدة سبعة عشر شهراً[6]،

ومن خلال المقارنة بين الوزيرين علي بن الفرات وبين علي بن عيسى، ولم تكن تلك الأمور التي انشغل فيها ابن الفرات وحده، وقد عبر العامة عن رأيهم في تعيين الخليفة لابن الفرات عوضاً عن علي بن عيسى، فقالوا: "أخذوا منا مصحفاً وأعطونا طنبوراً"[7]، فبلغ ذلك الخليفة فكان سبب ذلك الإحسان إلى علي

(1) متز، الحضارة الإسلامية، ١٨٥/١.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٥٧٠/٦.

(3) الصولي، أخبار المقتدر بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٢٩٥-٣٢٠هـ)، تح: خلف رشيد نعمان، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م):١٠٠-١٠١.

(4) الصابئ، الوزراء: ٥٨.

(5) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري: ٣٢.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٥/٥، الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري:١١٦.

7() ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٧/١٣.

بن عيسى إلى أن أخرجه، فهذه العبارة التي جرت على ألسنة العامة لما عاد ابن الفرات إلى الوزارة في المرة الثانية، تدل على أن كفاءة الوزير المعزول علي بن عيسى في إدارة الأمور لم تكن تقل عن كفاءة ابن الفرات، فعصفت السعايات والأهواء بالأول وجاءت بالثاني.[1]

ولما آل أمر الوزارة لابن الفرات مجدداً عمل على ألا يصيب علي بن عيسى بمكروه، ومع ذلك فقد استخدم المحسن بن الفرات أشد أساليب القسوة مع ابن عيسى، وقام بمصادرته على ثلاثمئة ألف دينار، والإقرار بما عنده من مال، ولقد حاول المحسن بن علي بن الفرات إنزال الأذى بعلي بن عيسى فحال والده بينه وبين مآربه اعترافاً بفضل علي بن عيسى عليهم لما نكبوا في وزارة ابن الفرات الثانية، وخلال مناظرة بين ابن الفرات وابن عيسى فقد وجه ابن الفرات عدد من الاتهامات لابن عيسى منها: تعامله مع القرامطة وسعيه للجمع بين الجانبين، فكان رده: "إنه من كان في مثل حالتي وتحت سخط السلطان كاشفه الناس بالكذب والباطل لا سيما إذا كان الوزير منحرفاً ومغتاظاً"[2]. وهكذا فإن ابن الفرات فعل ما فعل بعلي بن عيسى طاعة للسلطان وإرضاء الأفراد الحاشية الذين أبغضوه، لما أنزله بهم من عسف وإرهاق حيت عطل أرزاقهم، ومهما يكن من أمر فإن علي بن عيسى قد استطاع النجاة بنفسه بسبب ذكائه وما قدم من خير خلال مدة عمله.

ب- حامد بن العباس[3] : مرت العلاقة بين ابن الفرات وحامد حين تولى الأول الوزارة للمرة الثالثة بمرحلتين:

الأولى: سادها الود في العلاقات بين الرجلين، حيث أمر الخليفة المقتدر لما عهد إلى ابن الفرات بالوزارة سنة٣١١هـ/٩٢٣م أن لا ينكب حامداً، وأن يناظره على ما يجب عليه من فضائل الضمان، فإذا وجب عليه شيء بحضور الكتاب والقضاء أخذ بعضه وغض الطرف عن الباقي، ومن ثم فإن الوزير اجتهد ما وسعه الاجتهاد في إحصاء ما لدى حامد من الأموال حتى يناظره في أمرها أمام الكتاب والقضاة ليحصل منها ما يستطيع دون أن ينزل بحامد مكروهاً بناءً على أمر الخليفة له[4]،شاع خبر أمير المؤمنين مع ابن الفرات بالنسبة لحامد بن العباس بين كبار رجال الدولة، فكتب بعضهم إليه كتاباً وهو بواسط يتضمن إكرام الخليفة له وحرصه على عدم إيذائه، فأظهر للناس بواسط أن الخليفة بعث إليه في الحضور إلى بغداد فخرج

(1) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة، د. م، ١٩٨٦م)، ص٢٦٨.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ٥٩/٥.

(3) تولى حامد بن العباس الوزارة في سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، بدأ حياته بالاشتغال بأمور التجارة والمال، وضمان الخراج، تولى الوزارة وكان في الثمانين من عمره، وكان المدبر الرئيس لها علي بن عيسى. متز: الحضارة الإسلامية، ١٨٩/١.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، ٥٤/٥.

منها في موكب مهيب أحاطت به مماليكه وحاشيته، فلما علم ابن الفرات بهيئة قدوم حامد بغداد توجس في نفسه خيفة، فذهب إلى المقتدر ليستطلع منه الأمر ويعلم ما إذا كان قد كتب إلى حامد بواسط في القدوم إلى بغداد ، فأنكر المقتدر ما نسب إليه في هذا الأمر، ومن ثم فقد داهمت الشرطة موكب حامد بن العباس، فألقت القبض على بعض رجاله وظلت تبحث عنه دون جدوى، حتى دخل بنفسه متنكراً إلى دار الخلافة فأمر الخليفة بتسليمه إلى ابن الفرات، وعامل ابن الفرات حامد معاملة انطوت على عظيم الإكرام والإجلال له، والحفاظ على مكانته فأمر قهرمان داره بأن ينزل حامداً داراً واسعة من دياره، ويفرشها فرشاً حسناً ويوسع عليه في طعامه وشرابه وطيبه، حتى يخدم بمثل ما كان يخدم به وهو وزير، وأن يقطع له كسوة فاخرة ويجعل معه لخدمته إذا كان خالياً خادمين أسودين أعجمين، ثم أحضر الوزير حامداً بحضرة الفقهاء والكتاب والعمال والمناظرة بالحسنى كما طلب المقتدر من وزيره ابن الفرات، فأقر حامد بمال يسلمه للدولة وقدره ألف ألف دينار.[1]

وأما المرحلة الثانية: فحل فيها البغض والخصام، إذ نجح المحسن بن علي بمعاونة بعض رجالات القصر، من استصدار أمر من الخليفة بأخذ حامد من بين يدي والده وأعطى ضماناً على نفسه للحضرة بخمسمائة ألف دينار[2]، ولم تجد نفعاً جهود علي بن الفرات لدى أمير المؤمنين كي لا يتسلم ولده حامد بن العباس، لما تمكن المحسن من حامد أشفى غليله منه، فأنزل به من صنوف العذاب وظل به حتى استخرج ما لديه من مال، ثم أشخصه إلى واسط ليبيع ما لديه من أملاك بها حتى يسلم أموال بيعها للمحسن، فلما وصل إليها تخلص منه المحسن بخادم وضعه عليه فجعل السم في طعام أكله حامد، وتوفي في سنة ٣١١هـ/٩٢٤م[3]، وبهذا يكون حامد بن العباس دفع حياته ثمناً لأطماعه بالوصول إلى منصب الوزارة، حيث عوقب دون رحمة، أو النظر إلى خدماته السابقة التي قدمها للدولة.

ج- علي بن مقلة[4]: مرت العلاقات بين علي بن الفرات وبين علي بن مقلة بمرحلتين أساسيتين، الأولى: مرحلة الوفاء وإجزال العطاء: حيث كان ابن مقلة يخدم في بعض الدواوين بعطاء يبلغ كل شهر ستة دنانير، وعندما كان ابن الفرات يتولى أمر الوزارة الأولى، كان ابن مقلة قد تعلق به فكان الساعد الأيمن

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٨٢/٦-٦٨٤.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٧/١١.

(3) مسكويه، تجارب الأمم،٥٨/٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٦٨٤/٦.

(4) ولد في بغداد سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م)، نشأ في بيت متواضع، تقلد الوزارة وهو في الستين من عمره وكان ممن اشتغل بين يدي ابن الفرات، وارتفع بسببه، كان صاحب مؤامرات، حيث أوقع بين الخليفة القاهر وجنده. متز: الحضارة الإسلامية، ١٩١/١-١٩٢.

له، حيث منحه الوزير ٦٠ الف دينار وهذا ما جعل الكاتب ابن مقلة يسير وفق إشارة الوزير، ويسكت عن أطماعه ولا يبوح بها لأحد[1]، فلما ألقى المقتدر القبض على ابن الفرات عندما عزله عن وزارته الأولى، استطاع ابن مقلة النجاة بنفسه باستخفائه عن أعين الرقباء والطالبين له[2]، بمصادرته وتعذيبه، حتى آل أمر الوزارة من جديد لعلي بن الفرات عاد إلى الظهور بعد اختفائه، وإلى العيش مرة أخرى في الأضواء ينعم بحياة الأعزاء، ليدبر أمر الوزير ابن الفرات من جديد.[3]

أما المرحلة الثانية: مرحلة البغض والمنافرة: ويرجع سبب تغير الأحوال بين ابن مقلة وابن الفرات يعود إلى أن الوزير قلد ابن مقلة الكتابة لنصر الحاجب، حين عين عوضاً عنه سعيد بن إبراهيم التستري[4]، فأثار ذلك الأمر حفيظة ابن مقلة الذي راح يكلم نصر عن ابن الفرات وأمواله التي يحصلها، على الرغم من تكتمه في وزارته الأولى وقدرها خمسمائة ألف دينار، استغل نصر الحاجب هذه الفرصة فأنشأ يغري المقتدر بأموال ابن الفرات التي مازال يملكها، فلما وصلت الأخبار للوزير عما فعله به كاتبه ابن مقلة، ومنذ ذلك الوقت أخذ ابن مقلة يتوجس خيفة من ابن الفرات، فلم يجد ملاذاً يأوي إليه حتى يمنعه من بطش ابن الفرات سوى نصر الحاجب، وفي تبرير موقف نصر الحاجب من ابن الفرات، وقبوله مؤازرة ابن مقلة الكاتب حين أراد النيل من وزيره، ذلك أن نصراً لم يكن بينه وبين ابن الفرات من الود مثلما كان بين الوزير وغيره من رجالات القصر، ومن ثم فعل ما فعل من إيغار صدر المقتدر على ابن الفرات.

٢- موقف ابن الفرات من القوى المعارضة للحكم العباسي:

أ- يوسف بن أبي الساج: كان يوسف بن أبي الساج يتولى أعمال أرمينيا[5] وأذربيجان[6] أثناء وزارة ابن الفرات الأولى حيث بقي مواظباً على إرسال المال الذي كان يدفعه للخلافة العباسية، حتى سنة

(1) الصابئ، الوزراء: ٢٣٧.

(2) مسكويه، تجارب الأمم،٥/ ١٤.

(3) ابن طباطبا، الفخري: ٢٧٠.

(4) يكنى بأبي الحسين، كان نصرانياً من صنائع ابن الفرات، له العديد من المؤلفات في اللغة والتاريخ. الصفدي، خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م)، ٥/ ١٩٥.

(5) أرمينيا: اسم لصقع عظيم واسع من جهة الشمال، سميت أرمينيا نسبةً إلى أرمينا بن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح، وقيل إن أرمينيا مقسمة إلى قسمين الكبرى والصغرى، الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)، ١/١٩١-١٩٢.

(6) أذربيجان: تبلغ حدودها من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل، وهو أقليم واسع ومن أهم مدنها تبريز، واردبيل ومرند وغيرها، وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال، وفيها قلاع كثيرة وخيرات واسعة، وفواكه جمة، ومياه وفيرة، وفي أهلها لين وحسن معاملة. الحموي، معجم البلدان، ١/١٥٦.

٣٠٤هـ/٩١٦م عندما عزل علي بن عيسى من الوزارة، وعيّن علي ابن الفرات مجدداً في الوزارة، فاستغل ابن أبي الساج كثرة تغير الوزراء، فأخر المال الذي كان يدفعه للخلافة، وأعلن لاحقاً العصيان على الخلافة العباسية وبدأ بالتوسع في المناطق المجاورة لولايته، مستغلاً عزل الوزير ابن عيسى ومصادرته، وادعى أن الوزير علي بن عيسى هو من أرسل له الري[1]، فهاجمها وطرد عاملها منها، طلب الخليفة من الوزير ابن الفرات التحري عن مدى مصداقية ابن أبي الساج، فانكر علي بن عيسى الأمر، وقال: "لا بد للواء والعهد أن ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قواده وهؤلاء الخدم والقواد بين أيديكم سلوهم عن ذلك، ولديوان الرسائل كاتب ينفذه يكتب العهود والولايات سلوه هل كتب شيء"[2]. وبعد أن كشف كذب ابن أبي الساج، بعث الخليفة قائده مؤنس لمحاربته، وبعد معارك عدة نجح مؤنس من الانتصار على ابن أبي الساج، فأسر وأدخل إلى بغداد مشهراً على جمل ثم حبس بدار الخلافة .[3]

أدت الحروب بين الدولة العباسية والمتمرد ابن أبي الساج إلى نقص الأموال في خزينة الدولة، بسبب صرفها على محاربته، واتهم الوزير ابن الفرات بأنه كاتب ابن أبي الساج وحثه على التمرد[4]، ويرجع ذلك إلى أنه طلب إلى الخليفة أن يقاطع على أعمال الري وما يليها على سبعمئة ألف دينار لبيت المال، سوى ما يحتاج الجند إليه، لكن المقتدر لم يجبه إلى طلبه بسبب إقدامه على التزوير، فاضطر إلى ترك الري والعودة إلى ولايته، وقبل إرسال حملة لمحاربته، اختلفت أراء كبار رجال الدولة حول موقفهم من ابن أبي الساج، فبينما رأى ابن الفرات الاستجابة لطلبه حقناً للدماء وتوفيراً للأموال، رأى فريق أخر استمرار المجابهة ليكون عبرة لغيره، ولتبقى الدولة مهابة في أعين نظرائه من العمال، وأخذ المقتدر بهذا الرأي، ولعل الامر يرجع إلى تصفية حسابات قديمة بين كبار رجال الدولة خلال وزارة ابن الفرات الأولى، مما دفع الفريق المعارض لابن الفرات من اتهامه بالوقوف مع ابن أبي الساج[5]، لكن ابن الفرات قام بمعاداة من وقف ضده ومنعهم من أكثر حوائجهم، وعزل من كان يلي الأعمال منهم عن بعض أعمالهم[6]، ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه القضية أحد القضايا التي عزل ابن الفرات على إثرها من وزارته الثانية.

(1) الري: من مدن إقليم الجبل وهي عاصمته، تقع في القسم الشمالي الشرقي من الإقليم، وهي من أجمل البلدان. المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشارى، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م):٣٨٥.

(2) مسكويه، تجارب الأمم، ٤٧/٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٤٦/٦.

(3) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري:١٤٨.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٤٦/٦–٦٤٨.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٩/٥.

(6) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م)، ١٢٧/١١.

ب– القوى المعارضة للدولة في بلاد فارس: كان علي ابن الفرات يسعى الوقوف في وجه أطماع الزعماء في بلاد فارس الذين أرادوا الخروج على الدولة والتلكؤ في إرسال الأموال إلى الحاضرة، ومن هؤلاء أبو طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث الصفاري اللذين دخلا في نزاع مع سُبكري، من أجل زيادة أملاك إمارته غير مبال بسلطة الخلافة وهيبتها، وكان سبكري يدين بالطاعة آنذاك للخلافة العباسية، فلما علم المقتدر بذلك أمر وزيره ابن الفرات بأن يتخذ ما يلزم في سبيل إعادة الأمور إلى ما كانت عليه ببلاد فارس، وتدعيم السلطة المركزية في تلك الأقاليم، وجه ابن الفرات مؤنساً الخادم على رأس جيش لمعارضة السبكري في مجابهته لعلي بن الليث الصفاري، فيجتمع جيش الخلافة وجيش السبكري عند أرجان[1]. فلما علم علي باجتماع الجيشين سار إليهم، غير أن الظروف لم تمشي في ركابه، فبينما هو كذلك جاءته الأنباء بأن الحسين بن حمدان قد سار بجيشه ليأخذ بعض أملاك إمارته، حتى يعاون جيش الخلافة الذي خرج لمجابهة علي الصفاري، فبعث من يحفظ له شيراز.[2]

سار علي بجيشه عبر طريق غير ممهد، فلحق الجيش ما لحق من الإعياء، فلما وصل وجد جيش الخلافة العباسية في انتظاره، فقاتله وألحق الهزيمة به وأخذ علي الصفاري أسيراً إلى بغداد، وإذ كان ابن الفرات قد نجح في كبح جماح أطماع علي بن الليث، بتمكنه من أسره وإدخاله إلى بغداد ليلاً[3]، وحفظ للسبكري سلطاته، فإن هذا القائد لم يشأ أن ينعم بالاستقرار بعد تخلصه من علي بن الليث في ممتلكاته، إذ انتفض على سلطة الدولة هو الآخر، وكان سبباً في حدوث خلاف كبير بين مؤنس الخادم وعلي بن الفرات، ذلك أن السبكري قد جعل من نفسه أذنا للواشين الذين سعوا بكاتبه المخلص له وللخلافة معاً، عبد الرحمن بن جعفر، فأخبروه أنه يكاتب الوزير سراً كي يأخذ بلاد فارس من السبكري، فاستبدل به آخر، فشجعه في الخروج على السلطة المركزية ببغداد فمنع المال عن دار الخلافة، فلما علم ابن الفرات بما عليه أمر سبكري، أرسل محمد بن جعفر على رأس جيش كبير استطاع إلحاق الهزيمة بسبكري واعتقاله وأسره، لكنه كلف ميزانية الدولة أموال طائلة[4]، وكتب الرسائل إلى الخليفة بالفتح، فخلع على وزيره ابن الفرات الخلع، وولى الوزير محمد بن جعفر بلاد فارس، لم يهنأ محمد بن جعفر بولاية بلاد فارس طويلاً، حيث وافته المنية في عام ولايته سبع وتسعين ومائتين هجرية، وعلى الرغم من النجاحات العظيمة التي حققها ابن الفرات في

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٦٠٥–٦٠٦.
(2) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/١٠–١١.
(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٠/١٤٣.
(4) مسكويه، تجارب الأمم، ٥/٣٤.

الداخل والخارج خلال مدة وزارته الأولى، إلا أن العصر الذي تم توزيره به، قد كان عصراً مليء بالوشايات سريع التقلبات، ومن ثم تجمعت عدة أسباب أدت إلى خلعه من منصبه الوزاري.

٣- أسباب خلع آل الفرات من الوزارة والتنكيل بهم: تعددت الأسباب التي أدت إلى عزل ابن الفرات، وهنا سيتم الحديث عن الأسباب التي دفعت الخليفة إلى عزله عن كل وزارة من وزارته، ففي وزارته الأولى فقد عزل ابن الفرات لأسباب عدة منها:

- إسرافه وبذخه في أموال الدولة، مما أدى إلى خلو خزينة الدولة من الأموال، وأفقر الدولة، حيث وجد في خزينة الدولة العباسية فائض كبير من المال، وصل إلى خمس عشرة ألف ألف دينار، حيث استغلها ابن الفرات في صالحه الخاص، حيث أخذ مبلغ سبعمئة ألف دينار من الخزينة العامة، كما أن دخله الخاص تضاعف أربع مرات بعد عامين من توليه منصب الوزارة، بم استصفاه واجتذبه من الأملاك والضياع[1]، حتى أن يده وصلت إلى بيت مال الخاصة، فألحق أضراراً فادحة في مالية الدولة التي باتت تئن تحت وطأة الأزمات الاقتصادية المتتالية، وذلك لعمق الهوة التي أحدثها علي بن الفرات بمؤسسات الخلافة المالية[2]، حتى أن مؤنس كان من المحرضين على إقصاء ابن الفرات طمعاً في الأموال التي يمتلكها والتي فاقت ميزانية الدولة .[3]
- تمرد العامة في بغداد علي سياسة ابن الفرات، فقاموا بأعمال السلب والنهب، وهاجموا منزل الوزير ابن الفرات وسلبوا محتوياته، وعجز الخليفة عن إخماد تلك الحركات، مما أغضب الخليفة على وزيره، ومما زاد من غضبه ما تردد عن اتصاله بالأعراب ليقوموا بنهب البلاد .[4]

وفي وزارته الثانية عزل ابن الفرات لأسباب عدة منها:

- ثورة الجند عليه في بغداد بسبب التأخر في دفع أرزاقهم، فطلب ابن الفرات من الخليفة المقتدر منحه ٢٠٠ألف دينار، ويدفع هو مثلها لتهدئة الجند من تمردهم، أثار هذا الأمر حفيظة الخليفة المقتدر، وخاصةً ان ابن الفرات كان قد تكفل عند توليه وزارته الثانية بنفقات الخليفة وأسرته، فكانت حجة ابن الفرات التمرد الذي قاده ابن أبي الساج على الدولة، وكثرة نفقات الحرب، لكن هذه الحجة لم تقنع الخليفة فلم يستمع له ثم غضب عليه .[5]

(1) الصابئ، الوزراء: ١٥٧-١٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٦/١٣؛ ابن خلدون، تاريخ العبر، ٤٥٩/٣.

(2) القرطبي، صلة تاريخ الطبري:٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٥/١١.

(3) مسكويه، تجارب الأمم، ١٦/٥.

(4) الصابي، الوزراء: ٥٦-٥٧.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، ٢٧/٥-٣٠.

- ثورة يوسف ابن أبي الساج: وما أثير فيها من تورط الوزير ابن الفرات في إثارة ابن أبي الساج على الدولة، ومن ثم ما كلفته الحروب المرافقة للثورة م أموال طائلة انفقت على الجيش الخارج لحربه، وهذا ما أدى إلى قلة الأموال في الدولة وخزينتها، فعجز الوزير عن تدبير أمور البلاد .[1]
- وشاية بعض السعاة للإيقاع بابن الفرات، وذلك عندما تحدثوا عن مساعي ابن الفرات لإرسال الحسين بن حمدان أحد رجالات ابن المعتز لمحاربة المتمرد ابن أبي الساج، فإذا وصل لعنده اتفق الجانبان على الثورة ضد الخليفة، وهذا ما توافق مع ما قاله ابن الفرات عندما عرض على الخليفة أن يأمر بإرسال ابن حمدان بالمسير لمقابلة ابن أبي الساج، فتأكد الخليفة بصحة هذه المعلومة، وفقد الثقة بوزيره، وقبض على ابن الفرات بعد عزله .[2]

أما في وزارته الثالثة والأخيرة فقد وجدت عدة أسباب ساهمت في عزله من منصبه وقتله مع ولده المحسن، ومن هذه الأسباب:

- تأييد حركة القرامطة في تمردها على الدولة العباسية: حيث كلفت هذه الحركة الدولة العباسية الكثير من المال والحروب للقضاء عليها، وأسهموا في إضعاف الخلافة، وتراجع هيبة الوزارة، وكانت التهمة لأي وزير يتم عزله تأييده لحركة القرامطة[3]، حتى أن ابن الفرات لقب لدى العامة بالقرمطي الكبير، ولعل هذا الاتهام يرجع إلى قيام القرامطة بشن هجوم على أحد قوافل الحج، وسرقوا ما فيها من أموال وسبوا الأطفال والنساء، فعمت الفوضى أرجاء بغداد على هذه الحادثة[4]، وحمّل نصر الحاجب مسؤولية ما جرى لابن الفرات بحضور الخليفة، حيث قال له: "تقول أي شيء الرأي، بعد أن زعزعت أركان الدولة، وعرضتها للزوال، في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر، ومكاتبته ومهادنته، وفي الظاهر بإبعادك مؤنساً ومن معه إلى الرقة وهم سيوف الدولة، فمن يدفع الآن هذا الرجل" .[5]

(1) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري:٢١٣-٢١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٠٨/١٣.
(2) النويري، نهاية الارب، ٥٢/٢٣.
(3) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١٩/٤.
(4) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/١٣.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٧٥/٦.

- تعسف المحسن بن علي بن الفرات في التعامل مع معارضي والده، حيث عمد إلى قتل عدد كبير من المساجين حتى بعد اعتقال والده وعزله، فقتل إبراهيم أخو الوزير علي بن عيسى ومؤنس خادم الوزير حامد بن العباس، فخرج أهالي هؤلاء للمطالبة بإقالة ابن الفرات، ومحاسبة ابنه المحسن .[1]

على آية حال: فقد قبض على الوزير ابن الفرات بعد وزارته الثالثة (٣١١-٣١٢هـ/ ٩٢٣-٩٢٤م)، وأودع السجن، لكن ابنه المحسن هرب واستتر عند خنزابة[2]، التي كانت تحمله كل يوم متنكراً بزي النساء إلى مقابر قريش، وتعيده إلى مأمنه، وصادف أنه في يوم تأخرت في العودة إلى منزلها، فتوجهت إلى إمرأة صديقتها للمبيت عندها وطلبت منها أن تفرد لها موضعاً خاصاً، وبعد أن اطلعت المضيفة على حقيقة المحسن وأنه كان متهم بقتل زوجها، سعت به عند المقتدر بالله الذي طلب من نازوك[3] الركوب إلى الموضع المقصود والقبض عليه وجيء به ليلاً، وصودر[4]، وبعد مقتل الوزير ابن الفرات وابنه تراجع نفوذ تلك الأسرة عن مسرح الأحداث السياسية، ولم يبق شخص بارز منهم إلا جعفر بن محمد بن الفرات، الذي عرضت عليه الوزارة فأباها وتولاها عوضاً عنه ابنه الفضل، وفي عهده انقطعت موارد كثيرة عن خزينة الدولة ويرجع ذلك إلى سوء تقدير الوزير.

الخاتمة:

ومما سبق يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

- لعب بنو الفرات دوراً مهماً في الحياة السياسية في الدولة العباسية، حيث نجح هؤلاء إلى حد كبير في إدارة شؤون البلاد، وبالتالي إدارة قضايا الدولة بنجاح، أسهمت لاحقاً في وصولهم إلى منصب الوزارة، وأصبحوا بذلك المسير الرئيس لشؤون البلاد.
- لم تعجب سياسة ابن الفرات الداخلية واصلاحاته الكثير من رجال الدولة والقصر، وخاصةً من كانت لديه رغبة بتولي منصب الوزارة، أو ممن استاء من اصلاحاته التي حدت من نفوذ الكثير

(1) الذهبي، محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تح: محمد سعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ٤٦٣/١.

(2) خنزابة: جارية رومية الأصل، والدة الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، الذي وزر لكافور الإخشيدي ثم المقتدر بالله، وهي حماة المحسن بن الفرات. البغدادي، تاريخ بغداد، ١٥٦/٨.

(3) نازوك بن عبد الله صاحب شرطة بغداد، وولي إمرة دمشق، قتل في بغداد سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م). ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تح: عمر بن غرامة العمروي، ط١، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م)، ٣٧٩/٦١.

(4) الصابئ، الوزراء: ٦٣)٦٤، مسكويه، تجارب الأمم، ٧٢/٥-٧٥.

من رجال القصر، فاصطدم بالكثير منهم خلال توليه الوزارة، وجرت الكثير من المؤامرات والفتن التي قضت على مضجع الدولة، وأسهمت بشكل مباشر في الحد من سلطة منصب الوزير كمنصب سياسي وإداري، على حساب قوة الجند والعسكر.

- كان التنافس على أشده بين الوزراء والخاصة من رجالات القصر والكتاب والجيش، لتحقيق مصالحهم الخاصة، على حساب سياسة الدولة العليا، وهذا ما قاد إلى كثرة تغيير هؤلاء، وحبسهم بعد كل منصب يتولونه، حيث يعمل كل طرف جاهداً على التخلص منافسه، وقد نجحوا في ذلك في كل مرة يتم تعيينه وزيراً، حيث كان يتعرض للسجن والمصادرة، وبلغت حدها في وزارته الثالثة عندما نجح أعدائه بإثارة الخليفة عليه، ففقد حياته نتيجة تلك المؤامرات التي حيكت ضده.

مما سبق يمكن القول أنّ علي بن الفرات، نجح إلى حد كبير في سياسة البلاد، وتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي، في مرحلة اتصفت بكثرة القلاقل والاضطرابات والفتن، نتيجة سيطرة القادة العسكريين الاتراك على مقاليد الأمور في الدولة العباسية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:

١- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ- ١٢٣٣ م): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي للطباعة، بيروت، ٢٠١٢م .

٢- التنوخي، الحسن بن علي بن محمد (ت:٣٨٤هـ/٩٩٦م): الفرج بعد الشدة، تح: زكي مجاهد، د. م، القاهرة، ١٩٣٨م.

٣- التنوخي، المحسن بن علي (ت: ٣٨٤هـ/٩٩٦م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٤- ابن الجوزي (عبد الرحمن) (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): القرامطة، تح: محمد الصباغ، ط ٥، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨١م.

٥- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م .

٦- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م): معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٧- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت:٤٦٣هـ /١٠٧٠م): تاريخ بغداد او مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٩- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٠-الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م): سِيَر أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

١١-الذهبي، محمد بن أحمد (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تح: محمد سعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م .

١٢-السيوطي، عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٣-الصابئ، هلال بن المحسن (ت: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٨م.

١٤-الصفدي، خليل بن ايبك (ت:٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م .

١٥-الصولي، محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٧ م): أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هجرية، عني بنشره: ج. هيورث. د ن، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٦-الصولي: أخبار المقتدر بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (ت: ٢٩٥–٣٢٠هـ)، تح: خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م.

١٧-ابن طباطبا، محمد بن علي (ت: ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت.

١٨-الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .

١٩-ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، تح: عمر بن غرامة العمروي، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م .

٢٠-القرطبي، عريب بن سعيد (ت: ٣٦٩هـ/ ٩٧٩ م): صلة تاريخ الطبري، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٧م.

٢١-ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م .

٢٢-الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/ ١٩٥٨م): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.م، ١٩٨٦م.

٢٣-المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٩م .

٢٤-مسكويه، أحمد بن محمد (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت .

المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشارى (ت: ٣٨١هـ/٩٩١ م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م .

٢٥-ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥ م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٢٦-النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٢٧- الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري، تح: ألبرت يوسف كنعان، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

ثانياً: المراجع الثانوية:

١- متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٠م.

سياسة الولايات المتحدة الأميركية حيال الدولة العثمانية (١٧٨٣–١٨٣٠)

The policy of the United States of America towards the Ottoman Empire (1783 – 1830)

أ. م. د. لمياء صفاء حسن*

Dr. Lamia Safaa Hassan*

المُلخّص:

تمتعت الدولة العثمانية بأهمية استراتيجية واقتصادية جعلتها محط أنظار القوى الدولية التي أخذت ترنو إليها منذ فترات طويلة، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر وجهت الولايات المتحدة الأميركية اهتمامها نحو الدولة العثمانية التي بدأت مكانتها بالتراجع منذ وقت ليس بالقليل. وعلى الرغم من أنّ المصالح الأميركية في بدايتها كانت متواضعة، إلا أنّها حقّقت حتى بدايات القرن العشرين تطورًا ملموسًا.

يتطرق هذا البحث ولو بشكل موجز إلى بواكير التغلغل الأمريكي في الولايات العثمانية ١٧٨٣ –١٨٣٠، إذ مثل التاريخ الأول نهاية الحرب الأهلية الأميركية وانعكاسها على التوسع الخارجي، في حين مثّل التاريخ الثاني عقد أول معاهدة رسمية بين البلدين وضعت أسس العلاقة بينهما. إذ أعطى هذا البحث تصوراً عاماً عن بدء النشاط الأميركي منذ نهاية القرن الثامن عشر وتطوره حتى عام ١٨٣٠.

قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة، سلط المحور الأول الضوء على التغلغل الأميركي في شمال أفريقيا، وتناول المحور الثاني بواكير العلاقات التجارية الأميركية – العثمانية، وكيف استطاعت الولايات المتحدة الأميركية أن تؤمن وجودها في البحر المتوسط عبر المعاهدات التي عقدتها مع قوى شمال أفريقيا، في حيت تناول المحور الثالث النشاط التبشيري الأميركي في الدولة العثمانية، ووضع اللبنات الأولى للتغلغل الأميركي فيها.

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الأمريكية، شمال أفريقيا، الدولة العثمانية.

Abstract:

The Ottoman Empire's strategic and economic importance attracted the attention of the international workforce, which had been yearning for it for a long time. Since the late eighteenth century, the United States had directed its attention towards the Japanese state, which had begun

* وزارة التربية: المديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الثانية – العراق.

Email: Laymaasfaa@gmail.com

* Ministry of Education: General Directorate of Education of Baghdad/ Karkh 2 – Iraq.

to decline not long ago. Although it was denied that its beginning was modest, it was not until the beginning of the twentieth century that it achieved tangible progress.

This research clearly identifies the beginnings of American penetration into the Ottoman Empire from 1783-1830, as since the end of the First Civil War since the first and its repercussions on foreign expansion, while the second history represented, the first conflicts were held between the various powers. This research gave an expected idea about the beginning of American activity at the end of the eighteenth century and continued until 1830.

The research was divided into three main axes. The first axis focused on the penetration of American light into North Africa, and the second axis focused on the beginnings of innovative - close relations, and how the innovative United States was able to secure its presence in the Mediterranean Sea through the treaties it concluded with the North African powers, in It dealt with the third axis of American missionary activity in the Austrian state, and laid the first building blocks for completing the work therein.

Keywords: United States of America, North Africa, Ottoman Empire.

أولاً: التغلغل الأميركي في شمال أفريقيا:

سعى الأميركيون بعد حرب الاستقلال الأميركية (هي الحرب التي قام بها المستوطنون الاميركيون في المستعمرات البريطانية الثلاث عشرة التابعة للتاج البريطاني بسبب الاستياء الذي شعر به سكان هذه المستعمرات من فرض بريطانيا ضرائب جديدة عليهم، (الطوابع والسكر)، وكذلك امتعاضهم من عدم تمثيلهم في البرلمان البريطاني، اندلع القتال في ١٩ نيسان ١٧٧٥، أعلن بعدها الأميركيون في ٤ تموز ١٧٧٦، استقلالهم عن بريطانيا، وبعد معارك متبادلة بين الطرفين انتهت بالانتصار الأميركي في يورك تاون Yorktown، في ١٩ تشرين الأول ١٧٨١، بمساعدة فرنسا للقوات الأميركية وإعلانها الحرب على بريطانيا في حزيران ١٧٧٨، انتهت الحرب باعتراف بريطانيا باستقلال الولايات الثلاث عشرة في ٣ أيلول ١٧٨٣، التي شكلت بعد المصادقة على الدستور الأميركي في أيلول ١٧٨٧، الولايات المتحدة الأميركية) (Morris, 1953: 110-130) (١٧٧٥-١٧٨٣) لتوسيع تجارتهم الخارجية وذلك من خلال فرض اقل الرسوم الكمركية عن طريق هيئاتهم الدبلوماسية الناشئة لعقد اتفاقيات دولية ضماناً لمصالحهم (عبد العزيز، ٢٠٠٦: ٧).

ومن الملاحظ أن أول الصعوبات التي واجهت الولايات المتحدة الأميركية بعد الاستقلال هي التجارة، إذ قبل الثورة الأميركية كانت معظم تجارتها بصورة طبيعية مع الدولة الأم، على وفق سياسة الاحتكار التي كانت تتبعها بريطانيا على تجارة مستعمراتها. وعندما حصلت هذه الولايات على استقلالها

عن بريطانيا أغلقت الأخيرة تجارتها معها، مما دفعها للبحث عن منافذ تجارية أخرى خارج حدودها (Bemis, 1970: 56)، لهذا دعت الإدارات الأميركية المتعاقبة إلى حرية الملاحة في البحار مثلما اتجهوا لعقد اتفاقات تجارية مع عدد من البلدان البحرية (Sprout, 1939: 30) مثل حوض البلطيق والشرق الأوسط والبحر المتوسط لتعوض فرصها التجارية الضائعة مع بريطانيا وفرنسا وأسبانيا (Bryson, 1977: 1).

تعود بداية ظهور السفن التجارية الأميركية في البحر المتوسط إلى القرن الثامن عشر، إذ كانت (٨٠ – ١٠٠) سفينة أميركية تصل حمولتها إلى (٢٠) ألف طن تصل سنوياً إلى البحر المتوسط (ايروين، ١٩٧٦: ٤٠)، إذ إن موانئ البحر المتوسط كانت توفر سوقاً لنحو سدس الصادرات الأميركية من الحبوب والدقيق، ونحو ربع الصادرات من السمك المملح والمجفف (الدوري، ٢٠٠٦: ١٦)، فضلاً عن المشروبات الكحولية والرز وخشب الصنوبر والبلوط وشمع النحل، أما الواردات الأميركية فقد تكونت من الملح والزيت والجلد المدبوغ (الإمام، ١٩٧٩: ٦٥).

والملاحظ إن التجار الأميركيون ركزوا اهتمامهم على شحن الأفيون، ذي المردود المالي الهائل(خاطر، ١٩٧٨: ٤٢٠)، من ميناء سميرنة (أزمير) العثماني إلى ميناء كانتون، الميناء الصيني الجنوبي، وعلى الرغم من طول المسافة إلا إن الأرباح كانت طائلة ومغرية (كان التجار الأميركيون يتسلمون (٤–٥) دولارات لقاء كل دولار ينفقونه في شراء الأفيون، وقد بلغ مجمل ما كان يصدره هؤلاء التجار في مستهل القرن التاسع عشر (٥) أطنان سنوياً، انظر: نوري عبد بخيت السامرائي، "من تاريخ الوجود الأمريكي في البحر المتوسط أواخر القرن الثامن عشر وأوائل= = القرن التاسع عشر) (المؤرخ العربي، ١٩٨٣: ٢٢٤).

فرضت تلك التجارة الأميركية بناء علاقات مع القوى المحلية في شمال أفريقيا، إذ كان حكامها قد فرضوا ضرائب عالية على السفن التجارية الأجنبية، وزيادة على ذلك فإن أكبر خطر هدد التجار الأميركيين كان المقاومة البحرية (سمت المصادر الأجنبية ذلك النشاط البحري "قرصنة" وحذا حذوها عدد من الكتاب بمن فيهم بعض العرب، إلا أن هذا النشاط كان يمارس من قبل الحكومات الرسمية في شمال أفريقيا، وان ممارسيها لم يكونوا يهاجمون سفن الدول التي لها علاقات حسنة ومعاهدات مع حكوماتهم، وإنهم ملتزمون بقواعد إنسانية ودينية لا تعيرها القرصنة العادية اهتماماً. وكانت أيضاً بمثابة احتجاج بعض

السكان المحليين على فقدانهم المداخيل الهامة لحياتهم في التجارة والملاحة جراء منافسة القوى الأوربية لهم) (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٦) لسكان تلك القوى (بونداريفسكي، ١٩٧٥: ٢١٣).

إن فقدان بريطانيا لمستعمراتها في أميركا الشمالية دفعها إلى رفض إعطائها الحماية للسفن الأميركية في البحر المتوسط (بعد إعلان الثورة الأميركية مباشرة، سحبت الحكومة البريطانية الوثائق التي كانت تمنحها للسفن الأميركية في البحر المتوسط، وبذلك أصبحت سفن المستعمرة البريطانية السابقة عرضة لسفن رجال البحر المغاربة) (ايروين، ١٩٧٦: ٤٣)، الأمر الذي دفع بالأميركيين للبحث عن قوى أوربية أخرى لحماية تجارتهم البحرية فيه (كان التجار الأميركيين من ألد المنافسين للتجار البريطانيين في تجارة الأفيون، لذا إن العديد من وكلاء شركة الليفانت البريطانية ١٥٨١–١٨٢٥ غالباً ما ساعدوا رجال البحر في شمال أفريقيا في هجماتهم على السفن التجارية الأميركية بغية القضاء على التجار المنافسين) (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٣–٢٢٧)، لذا اتجهوا نحو الفرنسيين، ولكن الأخيرين اثبتوا عدم قدرتهم على حماية التجارة الأميركية في البحر المتوسط، فاستقر رأي المسؤولين الأميركيين على عقد معاهدات تجارة وصداقة مع القوى الأفريقية المعنية (تكر، د ت، ١٠٦). فقرر الكونكرس الأميركي في ٧ آيار ١٧٨٤ شمول قوى شمال أفريقيا ضمن قائمة الدول التي عزمت الولايات المتحدة الأميركية عقد معاهدات تجارية معها(Vucinich, 1965: 173)، فشكلت لجنة للقيام بهذا الغرض برئاسة جون آدمز (جون آدمز (١٧٣٥–١٨٢٦): سياسي أميركي، خريج جامعة هارفرد بالقانون، أصبح احد أعضاء المؤتمر القاري الأول ١٧٧٤، عين في لجنة صياغة إعلان الاستقلال، عمل دبلوماسياً في فرنسا وهولندا وبريطانيا، وانتخب أول نائباً لرئيس للجمهورية في إدارة جورج واشنطن، وثاني رئيس أميركي (١٧٩٧–١٨٠١)) John Adams (Encyclopedia, 2006: DVD) وعضوية كل من توماس جيفرسون (توماس جيفرسون (١٧٤٣–١٨٢٦): سياسي أميركي، خريج كلية القانون، أصبح احد أعضاء المؤتمر القاري الثاني، عين بلجنة صياغة إعلان الاستقلال، أصبح بعدها حاكم فرجينيا، عمل وزيرَ بلاده في فرنسا، عين من قبل جورج واشنطن أول وزير خارجية أميركي (١٧٩٠–١٧٩٣)، وأصبح نائباً للرئيس جون آدمز، فاز بانتخابات عام ١٨٠٠، ليكون الرئيس الأميركي الثالث لدورتين متتاليتين، كانت أهم أعماله الرئاسية هي شراء لويزيانا وإقرار قانون منع تجارة الرقيق) (Encyclopedia, 2006: DVD) Thomas Jefferson وبنيامين فرانكلين (بنيامين فرانكلين (١٧٠٦–١٧٩٠): رجل دولة، وعالم وفيلسوف وناشر أميركي، أسس جريدة بنسلفانيا، ومخترع لطباخ فرانكلين والنظارات ثنائية البؤرة، عارض قانون الطوابع وعمل على إبطاله، أصبح احد أعضاء المؤتمر القاري الثاني، وعضواً في لجنة صياغة إعلان

الاستقلال، شارك في التفاوض لعقد معاهدة السلام مع بريطانيا، وهو عضو في لجنة صياغة الدستور الأميركي) (Benjamin Franklin (Encyclopedia, 2006: DVD، وتم رصد (٨٠) ألف دولار للقيام بهذه المهمة(Bemis, 1970: 67) .

فاتجهت النية أولا لعقد معاهدة تجارية مع سلطان المغرب في ٢٨ حزيران ١٧٨٦ (العقاد،١٩٦٥، ٧٥) صادق الكونكرس عليها في تموز ١٧٨٧، نصت على تسليم مبلغ عشرة آلاف دولار لسلطان المغرب لقاء عدم عرقلة التجارة الأميركية (الشيخ، ١٩٧٩: ٢١٦؛ Bailey, 1925: 65)، وعلى التمثيل القنصلي بين البلدين وحماية السفن الأميركية من أي هجوم تتعرض له بالشواطئ المغربية (Hurewitz, 1965: 101).

كما تم فتح باب المفاوضات مع حكام الجزائر، لاسيما إنها كانت ذات نفوذ واسع في شمال أفريقيا في ذلك الوقت، واعتبر الأميركيون انه بالأمكان استغلال نفوذها للتأثير على تونس وطرابلس الغرب من اجل عقد معاهدات معها (السبع، ٢٠٠٦: ١١)، وبعد مفاوضات مطولة وتدخل فرنسي عقدت معاهدة تجارة وصداقة بين الطرفين في ٥ أيلول عام ١٧٩٥ (Miller, 1933: 304 - 312)، تضمنت بنوداً مالية ودبلوماسية وقضائية (خصصت الحكومة الأميركية (٨٠٠) ألف دولار من أجل عقد المعاهدة وتخليص المحتجزين، وكانت الحصيلة النهائية للمبالغ التي تم إنفاقها لعقد المعاهدة قاربت المليون دولار) (Ross, 1939: 422 - 423)، كذلك تعهد الداي بتقديم مساعدته للحكومة الأميركية من اجل تسهيل مهمة عقد المعاهدات مع قوى شمال أفريقيا الأخرى، تونس وطرابلس الغرب (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٨).

وكانت طرابلس الغرب القوة الثالثة في الشمال الأفريقي التي وقعت على معاهدة تجارة وملاحة مع الولايات المتحدة الأميركية في تشرين الثاني عام ١٧٩٦ (Hurewitz, 1965: 110)، بمواد شبيهة بمعاهدة الجزائر، وتبع ذلك مفاوضات مع باي تونس تمخضت عن عقد معاهدة في ٢٨ آب عام ١٧٩٧ (Hurewitz, 1965: 101)، وقد أجريت بعض التعديلات عليها من مجلس الشيوخ الأميركي قبل إقرارها عام ١٧٩٩(Bryson, 1977: 4). لم تكن تختلف في مضمونها عن المعاهدات السابقة التي عقدتها الحكومة الأميركية مع مراكش والجزائر وطرابلس الغرب (السبع، ٢٠٠٦: ١٢).

وهكذا يمكن القول إن الحكومة الأميركية قدمت التنازلات المالية للشمال الأفريقي جراء غياب قواه البحرية في مياه البحر المتوسط، لهذا اتجهت نية الأميركيين لتواجد أسطول حربي في شواطئه لإحكام السيطرة الاقتصادية (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٨)، إذ لم تكن الحكومة الأميركية جادة في دفع مخصصات

قوى الشمال الأفريقي من الضريبة السنوية التي عدّها بعض المسؤولين الأميركيون إهانة للكبرياء الأميركي (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٢؛ السبع، ٢٠٠٦: ٣٣٠)، فمثلاً بنى الرئيس الأميركي جيفرسون سياسته على إن القوة وليس المال هي التي تحمي السلام في البحر المتوسط (Sprout, 1939: 56)، فأرسل أربع سفن حربية إلى شواطئ البحر المتوسط لاستعراض القوة (ايروين، ١٩٧٦: ١٤٩)، لتأكيد عدم خرق الاتفاقيات المعقودة مع قوى الشمال الأفريقي، في هذه الأثناء وجه يوسف القرمنلي (حكم القرمنليون طرابلس الغرب منذ عام ١٧١١، عندما استغل أمد القرمنلي، مؤسس الأسرة القرمنلية، غياب حاكم طرابلس العثماني وأعلن نفسه حاكماً عليها، تمكن بعدها من إرضاء السلطان العثماني عن طريق إرسال الهدايا من اجل إقرار منصبه، واستطاع الحصول منه على فرمان سلطاني ثبته فيه في الحكم في طرابلس، على أن يكون وراثياً في أسرته، ومنحه لقب (بيار باري) (زيادة، ١٩٥٨: ١٥) (١٧٩٦–١٨٣٢) أوامره للاستيلاء على السفن التجارية الأميركية في البحر التوسط (Bryson, 1977: 5) بسبب تأخر الحكومة الأميركية في دفعَ الأموال المنصوص عليها في معاهدة عام ١٧٩٦ (Bailey, 1925: 101). جرت الحرب بين الطرفين بين عامي (١٨٠٢ – ١٨٠٥)، تخللتها محاولات أميركية لإثارة صراع بين الأخوين يوسف واحمد القرمنلي، عن طريق تقديم مساعدتهم للأخير ضد أخيه، وتوصل القنصل الأميركي في تونس وليم ايتون(وليم ايتون (١٧٦٤–١٨١١): ضابط ودبلوماسي أميركي، اشترك في حرب الاستقلال الأميركية، والحروب الهندية بأوهايو، عين عام ١٧٩٨ قنصلاً لبلاده في تونس) (Encyclopedia, 2006: DVD) William Eaton إلى عقد معاهده معه في ٢٣ شباط عام ١٨٠٥، نصت على أن تلتزم الولايات المتحدة الأميركية بتقديم المساعدة العسكرية والمالية له بغية جعله حاكماً لطرابلس الغرب (السبع، ٢٠٠٦: ١٣)، وذلك بإمداده بالمال والمؤن والقوات العسكرية، لقاء تعهده بإطلاق سراح المحتجزين الأميركيين لدى يوسف القرمنلي، وتم تعيين ايتون قائداً للحملة التي جمعت قواتها من قبل المرتزقة في مصر (خاطر، ١٩٧٨: ٤٢٣).

وعلى الرغم من الاستعداد الواضح للحكومة الأميركية لخوض غمار الحرب، إلا أنها وجهت في ٣ آذار عام ١٨٠٥ تعليماتها إلى ممثلها في تونس بان لا يكون احمد القرمنلي العائق في تحقيق الصلح إذا قبله باشا طرابلس يوسف القرمنلي (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣٤٠–٣٤١). ومن الواضح أن عدم موافقة باشا طرابلس على الصلح هو الذي دفع ايتون ومن معه من قوات المرتزقة إلى مهاجمة مدينة درنة من البر بإسناد مدفعية الأسطول الأميركي من البحر، واستسلمت المدينة في ٢٧ نيسان عام ١٨٠٥ (تم تخليد مشاركة القوات المسلحة الأميركية في حملة الغزو هذه في السطور الأولى للنشيد الرسمي لمشاة البحرية

الأميركية، " **من هضاب مونتسيوما إلى سواحل طرابلس، في الجو والبر والبحر، خضنا معارك الوطن**") (بونداريفسكي، ١٩٧٥: ٢١٦)، وقد أثّر هذا الانتصار على موقف يوسف القرمنلي ليوافق بعده على عقد اتفاقية الصلح مع الولايات المتحدة الأميركية في ٤ حزيران من العام نفسه، نصت على دفع الحكومة الأميركية (٦٠) ألف دولار فدية عن المحتجزين الأميركيين (Bailey, 1925: 101)، وأن تمتنع عن تقديم الدعم لأحمد القرمنلي (Hurewitz, 1965: 157)، بدأ بعدها الأسطول بالتوجه غرباً نحو تونس، التي أُجبِرت على توقيع شروط السلام تحت تأثير السفن الحربية الأميركية بعد أن نقضت تونس معاهدتها السابقة مع الولايات المتحدة الأميركية، عن طريق التعرض للسفن التجارية الأميركية في البحر المتوسط(السبع،٢٠٠٦، ١٤).

واللافت للنظر إن تلك المعاهدات والاتفاقيات، ولاسيما منها التي وقعت بعد معارك حربية، لم تدم طويلاً فقد حاول حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب التنصل منها إذ ما أن انشغل الأميركيين بالحرب مع بريطانيا (بسبب عدم التزام الولايات المتحدة الأميركية بالحياد والحظر التجاري الذي كان مفروضاً على فرنسا من قبل بريطانيا، لذلك ولغيره من الأسباب أعلنت بريطانيا الحرب على الولايات المتحدة الأميركية عام ١٨١٢، تمكنت فيها القوات البريطانية من احتلال واشنطن وإحراق البيت الأبيض، انتهت الحرب في عقد معاهدة الصلح في مدينة كينت البلجيكية في ٢٤ كانون الأول عام ١٨١٤، اقرها مجلس الشيوخ في ١٥ شباط ١٨١٥) (Beirn, 1949: 36-92) (١٨١٢ – ١٨١٤) إلا وجددوا هجماتهم على السفن الأميركية (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣٤٢)، لكن الأميركيين سرعان ما عادوا في ٢٣ شباط ١٨١٥، أي بعد إبرام معاهدة الصلح مع بريطانيا، عن طريق إرسالهم أسطولاً حربياً من بوسطن بقيادة الكومودور وليم بينبردج (١) وليم بينبردج (١٧٧٤–١٨٣٣): ضابط بحري أميركي، كان قائداً للفرقاطة الأميركية جورج واشنطن التي اعتبرت أول سفينة حربية أميركية تدخل الموانئ العثمانية، عين عام ١٨٠١ مساعداً لقائد الأسطول الأميركي في البحر المتوسط، أُسر أثناء العمليات العسكرية الأميركية ضد طرابلس (١٨٠٢–١٨٠٥) ومن معه على متن السفينة الأميركية "فيلادلفيا" عام ١٨٠٤ لمدة تسعة عشرَ شهراً، وفي عام ١٨١٩ أصبح قائداً للأسطول الأميركي في البحر المتوسط) (Encyclopedia, 2006: DVD) William Bainbridge وواحدٍ آخَرَ من نيويورك بقيادة ستيفن ديكاتور (ستيفن ديكاتور (١٧٧٩–١٨٢٠): ضابط بحري أميركي اشتهر في حرب طرابلس وحرب الجزائر ١٨١٥، ألزم حينها داي الجزائر بتوقيع معاهدة بين البلدين أنهت بموجبها دفع الحكومة الأميركية الضرائب التي كانت تدفعها إلى حكام الجزائر)) (Encyclopedia, 2006: DVD) Stephen Decatur اللذين استوليا حال وصولهما

السواحل الجزائرية على جميع السفن الجزائرية فيها، وفي ١٧ تموز عام ١٨١٥ تمكنت القوات البحرية الأميركية من القضاء على قوات "أمير البحر" الجزائري المعروف باسم الريس حميدو (هو من رؤساء البحر الجزائريين، له دور فاعل في بناء الأسطول الجزائري، حتى قدر بحارته عام ١٨١٥، ثلاثين ألف بحار) (العقاد، ١٩٦٥: ٥٠) وتم الاستيلاء على سفنه البالغ عددها (٤٦) سفينة (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٣١)، اضطر بعدها داي الجزائر إلى توقيع معاهدة السلام مع الحكومة الأميركية في ٣٠ حزيران عام ١٨١٥ (Miller, 1933: 585 - 591)، نصت على عدم دفع الأميركيين أي ضريبة سنوية للجزائر ابتداءً من ذلك التاريخ وإعطائهم أمتيازات الدولة ذات الرعاية في الجزائر. وكانت المعاهدة على درجة كبيرة من التعسف حتى إن داي الجزائر عمر أغا (١٨١٥–١٨١٧) طلب من ممثل الولايات المتحدة الأميركية أن يعطيه شهادة تقر على إنه كان مجبراً على توقيع هذه المعاهدة تحت تهديد المدافع الأميركية (شمالي، ٢٠٠٦)، وبعد التوقيع على هذه المعاهدة لم يحدث بين الولايات المتحدة الأميركية والجزائر أية حادثة تذكر، ولعل ذلك يعود إلى ازدياد تدهور الأوضاع الداخلية للجزائر، وزيادة النفوذ العسكري الأميركي في المنطقة (الإمام، ١٩٧٩: ٧٦)، كما أجبرت الحكومة الأميركية عن طريق أساطيلها الحربية تونس وطرابلس الغرب على توقيع معاهدات مماثلة لما جرى مع الجزائر (Bryson, 1977: 7).

والملاحظ أيضا أن الأسطول الأميركي بقي في البحر المتوسط بشكل دائم منذ عام ١٨٢٠ (Sprout, 1939: 95)، عن طريق إنشاء عمارة البحر المتوسط ، وتم الحصول على موافقة أسبانيا من اجل استخدام ميناء ماون (جزر البليار) كقاعدة عسكرية لهذه العمارة (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣٤٢)، وقاموا بتنظيم دوريات منتظمة في مياه البحر المتوسط، وعدّوها رمزاً لقوة الولايات المتحدة الأميركية وقدرتها فيه (السبع، ٢٠٠٦: ٢١) .

وإذا كانت شواطئ الشمال الأفريقي قد جلبت اهتمام الأميركيين اقتصادياً لحد إرسال قوة بحرية دائمة فمن المؤكد إن الموانئ العثمانية حظيت باهتمام أميركي متزايد جراء تنامي الصلات التجارية بينهما.

ثانياً: بواكير العلاقات التجارية الأميركية– العثمانية:

جلبت أسواق الدولة العثمانية اهتمام التجار الأميركيين منذ نهاية القرن الثامن عشر، فتشير الدلائل إلى وجود بعض السلع العثمانية(مارس تجار بوسطن التجارة مع الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر،

وكان قسم منهم مستقرين في سميرنة، وتم عرض تين سميرنة للبيع في بوسطن مع بدايات عام ١٧٨٥، فضلاً عن سلع عثمانية أخرى مثل زيت الزيتون والجوز) (Trask, 1970: 4) في بوسطن منذ عام ١٧٨٥ (لم تشر سجلات مصلحة المالية الأميركية في كشوفاتها للاستيراد والتصدير، إلى دخول سلع عثمانية إلا في عام ١٨٠٠، ولم يأت ذكرها تحت بند الدولة العثمانية، أنما أجملت تحت بند من بنود تجارة الصين والهند الشرقية، وتظهر تلك الكشوفات للمرة الأولى عام ١٨٠٣ ببند مستقل عنوانه، "سلع تركيا والشرق ومصر") (Field, 1969: 113)، ويعود تأخر تطور المصالح الأميركية في الدولة العثمانية إلى حداثة التاريخ الأميركي بظهورها دولة مستقلة عن بريطانيا مع نهاية القرن الثامن عشر، والبعد الجغرافي بين البلدين وتأخر تطور المواصلات آنذاك بدرجة تسمح بالتقليل من تأثير هذا البعد، فضلاً عن الصعوبات التي واجهت التجار الأميركيين في البحر المتوسط من قبل قوى شمال أفريقيا، والسبب الأهم هو منافسة التجار الأوربيين لاسيما التجار الفرنسيين والبريطانيين على أسواق الدولة العثمانية وعدم سماحهم بظهور منافس جديد يهدد تجارتهم معها (Sousa, 1933: 128).

بدأ الاهتمام الأميركي بالدولة العثمانية، قبل الاستقلال عن بريطانيا، متمثلاً بتجارة الأفيون، الذي يُجمع من وكلاء التجار الأميركيين في سميرنة والمناطق المجاورة لها، يشحن بعدها إلى الولايات المتحدة الأميركية ويعاد تصدير الجزء الأكبر منه إلى الصين (السامرائي، ١٩٨٩: ٢٢٥) لذلك كان ميناء سميرنة المركز التجاري الرئيس للتجارة الأميركية مع الدولة العثمانية (Bryson, 1977: 9)، ففي عام ١٨٠٥ وصل عدد السفن الأميركية التي وصلت هذا الميناء إلى ست سفن تجارية ارتفعت إلى أربع وعشرين سفينة تجارية عام ١٨٠٩، إذ بدأ تجار فيلادلفيا وبالتيمور الاهتمام بتجارة الدولة العثمانية، لاسيما تجارة الأفيون (Howard, 1976: 292) .

تمثل توسع النشاط الاقتصادي الأميركي في الدولة العثمانية بتأسيس أول بيت تجاري لهم في سميرنة عام ١٨١١ (Issawi, 1984: 109)، عندما أفتتح البيت التجاري الأميركي ووادمس واوفلي American Commercial House Of Woodams & Offley الذي مقره في بوسطن، أول فرع له في المدينة (Trask, 1970: 4)، وتمكن ديفيد اوفلي David Offley مدير الفرع، ونائبه جارلس رايند Charles Rhind من إدارة اكبر عملية تجارية خارجية، عندما شحنا مئة طن من الأفيون من ميناء سميرنة إلى ميناء كانتون الصيني (Morison, 1961: 225)، ولم تقتصر العمليات التجارية للبيت التجاري الأميركي على الأفيون فقط، بل امتد نطاق سفنه ليشمل نقل الصوف الخام والسجاد والصمغ

وزيت الزيتون والزبيب والجلود غير المدبوغة والأخشاب والتبغ والسكر (Issawi, 1984: 78)، فضلاً عن تصديرها المنتجات الأميركية مثل المنتوجات القطنية والمشروبات الكحولية (Finnie, 1967: 32).

أثرت ظروف عدم الاستقرار التي تولدت نتيجة حروب نابليون (وهي سلسلة من الحروب البرية والبحرية جرت بين فرنسا ودول أوربا عند اعتلاء نابليون بونابارت الحكم في فرنسا، بصورة خاصة مع بريطانيا التي انتهت بمعركة واترلو عام ١٨١٥) (Hill, 1949: 15 - 60) والحرب الأميركية البريطانية (١٨١٢–١٨١٤) على تطور وازدهار التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية خلال هذه الحقبة، إلا انه بعد عودة السلام مباشرة استأنفت الولايات المتحدة الأميركية علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية (Bryson, 1977: 17). في هذه الأثناء نُقل الميناء الرئيسي لإدارة تجارة البحر المتوسط من نيويورك إلى بوسطن، ونجح البيت التجاري البوسطني جيمس وتوماس بيركنز James & Thomas Perkins House في إدارة التجارة مع الدولة العثمانية، وانضمت في عام ١٨١٦ إلى شركة اوفلي شركة أخرى هي شركة بيركنز برذرز من بوسطن Perkins Brothers Of Boston (انضمت عام ١٨٢١ شركة لانجدون من بوسطن Langdon & Co.، و شركة اسفاردينس Issaverdens & Co. من بالتيمور إلى شركة اوفلي وبيركنز في التجارة مع الدولة العثمانية) (Finnie, 1967: 30).

انعكس نمو التجارة الأميركية مع سميرنة باحتلالها المرتبة الرابعة عام ١٨٢٠، وفي أحيان كثيرة المرتبة الثالثة بين الدول التي لها علاقة وطيدة مع سميرنة، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا والنمسا(Issawi, 1984: 109)، وهذا ما يؤكده عدد السفن الأميركية التي كانت تتاجر سنوياً مع سميرنة، فما بين عامي (١٨١١ – ١٨٢٠) كان هناك على الأقل ثلاث عشرة سفينة تجارية أميركية تصل سنوياً إلى ميناء سميرنة (Howard, 1974: 7)، وإنه لغاية عام ١٨٣٠ كانت هناك على الأقل سبع وعشرون سفينة تجارية أميركية و ثلاثمئة رجل يعملون بالتجارة بين ميناء سميرنة ومختلف الموانئ الأميركية(Sousa, 1933: 129)، كما كانت معظم تجارة الأفيون العثمانية في هذه المرحلة تحت سيطرة التجار الأميركيين(Spain, 1975: 295)، فضلاً عن إن العديد من السفن الأميركية التي تتردد على ميناء سميرنة قامت بنقل البضائع التجارية بين الموانئ العثمانية الأخرى وبريطانيا (إبراهيم، ١٩٨٢ :٩٢).

وعلى الرغم من نمو التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية، إلا انه كانت هناك العديد من العقبات التي أثرت في توسع التجارة بين البلدين، منها بصورة خاصة عدم وجود معاهدة تجارية بين البلدين تعمل على تسهيل العمليات التجارية بينهما إذ إن التجار الأميركيين اعتمدوا في تجارتهم مع الدولة العثمانية في

هذه الآونة على الإمتيازات التي قدمتها لهم شركة الليفانت البريطانية (احتكرت شركة الليفانت البريطانية منذ تأسيسها التجارة مع الدولة العثمانية، وحصلت على دعم الحكومة البريطانية بالكامل، وانه لأكثر من قرنين على إنشائها كان جميع الدبلوماسيين البريطانيين في الدولة العثمانية يعملون لصالح الشركة، إلا انه مع مطلع عام ١٨٢٥ تم حل الشركة عن طريق قرار صدر من البرلمان البريطاني لإفساح المجال أمام جميع التجار البريطانيين للمتاجرة بحرية مع الدولة العثمانية) (Hurewitz, 1965: 10-15) British Levant Co. ، وكانوا خاضعين لحماية القنصلية البريطانية بشكل فعلي (Finnie, 1967: 26)، ومقابل هذه الإمتيازات التي كانت تقدمها لهم شركة الليفانت البريطانية كان على التجار الأميركيين دفع الرسوم الكمركية نفسها التي كانت مفروضة على البضائع البريطانية فضلاً عن أجور الحماية التي كانوا يدفعونها إلى القنصل البريطاني (في مقابل هذه الحماية كان التجار الأميركيون يدفعون ما معدله (١– ١.٥٪) من قيمة البضائع الأميركية الداخلة والخارجة إلى الموانئ العثمانية وقد بلغ مجمل ما دفعه التجار الأميركيين نظير= =هذه الحماية بين عامي (١٧٩٩ – ١٨١١) ما يقارب (٦٥.٥٠٠) دولار) (Bryson, 1977: 26; Koprulu, 1987: 930).

وبحلول عام ١٨١١، وجراء المنافسة التي أظهرها التجار الأميركيين في تجارة الأفيون العثماني مع شركة الليفانت البريطانية، سحبت الأخيرة الحماية والإمتيازات التي كانت تقدمها إليهم في الدولة العثمانية، مما أدى إلى رفع الحكومة العثمانية قيمة الرسوم الكمركية المفروضة على الصادرات والواردات إلى الضعف (في ثمانينيات القرن الثامن عشر أصدرت الحكومة العثمانية قراراً يلزم تجار الدول الأجنبية التي لا تخضع للامتيازات الأجنبية، بدفع ٥٪ رسوم كمركية من قيمة البضاعة بينما كان تجار الدول التي تخضع للامتياز وفق المعاهدات التجارية الخاصة يدفعون ٣٪ فقط رسوم كمركية عن بضائعهم) (Paullin, 1965: 57)، وقد رفض ديفيد اوفلي، مدير فرع شركة وودامز واوفلي، أن يدفع قيمة الرسوم المضاعفة، لذا استولت السلطات العثمانية على أحدى السفن التابعة لشركته في ميناء سميرنة مما دفع اوفلي للذهاب إلى اسطنبول (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٣)، ومن خلال علاقاته الشخصية مع بعض المسؤولين العثمانيين استطاع اوفلي مقابلة السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٨–١٨٣٩) حصل خلال اللقاء على اتفاق خاص بجعل الرسوم الكمركية على التجارة الأميركية على قدم المساواة مع الرسوم الكمركية المفروضة على التجارة الفرنسية، يدفع بموجبه التجار الأميركيين نسبة ٣٪ عن الصادرات العثمانية مضافاً إليها ٠.١٥٪ أخرى كخدمات (رايت، ١٩٨٧: ٥٨)، وقد استمر هذا الاتفاق ساري المفعول حتى تم أبرام معاهدة عام ١٨٣٠ بين البلدين(Field, 1969: 118)، وعلى الرغم من هذا الاتفاق الذي قام به

اوفلي إلا إن المواطنين الأميركيين كانوا مضـــطرين للخضـــوع للحماية القنصـــلية البريطانية، إذ بلغت مجموع المدفوعات السنوية التي دفعوها إلى القنصلية البريطانية ما يقارب (٤ـــ٥) آلاف دولار، لذا فرض هذا الواقع على جميع المواطنين الأميركيين مطالبة حكومتهم لإقامة علاقات تجارية وقنصـــلية مع الدولة العثمانية لإنهاء مرحلة من التبعية للحماية البريطانية (Sousa, 1933: 129).

على ضـوء ذلك تتطور العلاقات، ذكر اسـم الدولة العثمانية عام ١٧٨٦ ضـمن قائمة الدول التي يمكن التفاوض معها من اجل عقد معاهدات تجارية في أثناء المفاوضـــات التي كانت تقوم بها اللجنة الخاصـــة التي كلفت من قبل الكونكرس الأميركي عام ١٧٨٤ لعقد معاهدة مع الجزائر (Vucinich, 1965: 173)، كان الغرض منها استغلال نفوذ الدولة العثمانية للتأثير على الجزائر في أثناء مفاوضـاتها معها لعقد المعاهدة باعتبار إن الجزائر كانت تابعة من الناحية الرسـمية للدولة العثمانية (Koprulu, 1987: 927)، إلا إن اللجنة عدلت عن هذه الفكرة بسـبب ارتفاع تكلفتها المادية فضـلاً عن إدراك اللجنة أن السـيادة العثمانية على الجزائر لم تكن إلا أمراً شـكلياً، وقد خالف داي الجزائر الحكومة العثمانية أكثر من مرة حين تطلبت مصلحته التخلي عنها (إبراهيم، ١٩٨٢: ٣١٦).

إلا إن الحـاجـة المتزايـدة لحمـايـة المواطنين الأميركيين في الـدولـة العثمـانيـة، نتيجـة ازديـاد أعداد التجار الأميركيين المتواجدين فيها بعد التوســـع الملحوظ للتجارة الأميركية مع ميناء ســـميرنة العثماني، والجهود التي بذلها الســـفير الأميركي في لندن روفوس كنك (روفس كنك (١٧٧٥–١٨٢٧): سـياسـي ودبلوماسـي أميركي، واحد أعضـاء المؤتمر القاري (١٧٨٤–١٧٨٧)، ومن الأعضـاء الأوائل لمجلس الشيوخ الأميركي (١٧٨٩–١٨١٣)، عمل سفيراً لبلاده في بريطانيا (١٧٩٦–١٨٠٣) و (١٨٢٥–١٨٢٦) (Encyclopedia, 2006: DVD) Rufus King بإقناع الرئيس الأميركي جون آدمز بإنشاء علاقات صداقة وتجارة مع الدولة العثمانية (Bryson, 1977: 18)، لاسيما بعد المفاوضات الاستطلاعية التي قام بها روفوس كنك عام ١٧٩٧ مع السفير العثماني في لندن في أمر عقد اتفاق تجاري بين البلدين، التي بيّن خلالها الســـفير العثماني لنظيره الأميركي مقدار الفائدة التي ســـوف يحصـــل عليها التجار الأميركيين في الدولة العثمانية بعد أبرام الاتفاق (الســـبع،٢٠٠٦، ٣٠)، مما دفع الحكومة الأميركية عام ١٧٩٩ إلى الشروع في بدء مفاوضـاتها مع الحكومة العثمانية من اجل عقد معاهدة تنظم أسـس العلاقات التجارية والقنصـلية بين البلدين، وتم تعيين وليم سـمث William Smith السـفير الأميركي في البرتغال ليقوم بهذه المهمة (Trask, 1970: 5)، إلا إن الوضع الدولي غير المشجع، بسبب أحداث الثورة الفرنسية

وغزو نابليون لمصـــر أدت إلى تخلي الحكومة الأميركية عن بعثة ســمث ومن ثمَ فشــل مهمته حتى قبل البدأ بها (Howard, 1974: 7).

أُبلِغت أخبار سـفارة سـمث إلى السـلطات العثمانية في ٩ تشـرين الثاني عام ١٨٠٠ عن طريق الكابتن البحري الأميركي وليم بينبردج، قائد الفرقاطة الأميركية جورج واشـنطن George Washington الذي اجبره داي الجزائر على حمل هدايا الداي الموجهة للسلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩–١٨٠٧) في أثناء تسليم بينبردج الضـريبة السـنوية لداي الجزائر (على الرغم من الصـلاحيات السـياسـية التي كان يتمتع بها داي الجزائر، إلا أن شـرعيته بقيت مرهونة بإقرار السـلطان العثماني لحكمه، لهذا اسـتمر الداي بإرسـال الهدايا ورسـائل الولاء إلى السـلطان العثماني) (Morison, 1961: 212)، التي كانت مفروضـة على الحكومة الأميركية بموجب معاهدة عام ١٧٩٥ المبرمة بين البلدين(تكر، د ت، ٣٨)، وفي أثناء اللقاء الذي تم بين القبودان باشـــا (مســؤول شــؤون البحرية) والكابتن بينبردج، أبلغه بينبردج بأنّ الرئيس الأميركي جون آدمز عين وزيراً للتفاوض مع الحكومة العثمانية من اجل عقد معاهدة تجارية بين البلدين، وانه قد يصـل إلى اسـطنبول في غضـون سـتة أشـهر (Field, 1969: 116)، وقد أعطى القبودان باشـا رسـالة إلى بينبردج من أجل تسـليمها إلى وليم سـميث، المزمع إرسـاله للتفاوض حول عقد المعاهدة، بيّن فيها اســـتعداد الحكومة العثمانية لعقد معاهدة بين البلدين، وأنه ســـوف يقوم بتقديم الحماية إلى الوزير الأميركي في حالة وصوله إلى الدولة العثمانية من أجل بدء المفاوضات (Koprulu, 1987: 927).

وقد أسـهمت هذه الزيارة غير المتوقعة للفرقاطة الأميركية، التي أثارت إعجاب المسؤولين العثمانيين لضـــخامتها، في جعل الولايات المتحدة الأميركية موضـــع اهتمام الســـلطات العثمانية بعد أن كانت غير معروفة سابقاً عندهم (Morison, 1961: 212).

دفع النشـاط المتنامي للتجارة الأميركية مع الدولة العثمانية، الرئيس الأميركي توماس جيفرسـون في نيسان عام ١٨٠٢ إلى تعيين وليم ستيوارت William Stewart برتبة نائب قنصل أميركي في سميرنة (Trask, 1970: 4) ، غير إن ستيوارت حال وصوله إلى الدولة العثمانية تم تجاهله من قبل السلطات العثمانية بسـبب عدم وجود معاهدة بين الطرفين تنص على هذا التعيين، لذا لم تكن لسـتيوارت أي سـلطة قضـائية أو تمثيل رسمي للتعامل مع المسؤولين العثمانيين (Howard, 1976: 292)، مما دفع ستيوارت إلى مغادرة ســـميرنة في تشـــرين الثاني عام ١٨٠٣، وتكررت محاولات الإدارة الأميركية عام ١٨٠٨ في تعيين سلون بالتيمور Sloane Baltimore للمنصـب نفسـه في سميرنة، إلا انه فشل أيضـاً بسـبب عدم

الاعتراف به من قبل الحكومة العثمانية، كما حدث للنائب القنصلي السابق (Field, 1969: 116). ومع بدايات عام ١٨١٦ استطاع ديفيد اوفلي استغلال علاقاته الشخصية مع المسؤولين العثمانيين، وبصورة خاصة مع خسرو باشا، قائد الأسطول العثماني في سميرنة في ذلك الوقت، من الاعتراف به من قبل الحكومة العثمانية نائب قنصل أميركي شبه رسمي في سميرنة (Koprulu, 1987: 930)، تركز عمله بشكل خاص في تسهيل بعض المعاملات التجارية للتجار الأميركيين.

وكما اشرنا سابقاً فان الظروف التي ولدتها حروب نابليون في أوربا والحرب الأميركية البريطانية، أثرت هنا أيضا في تأجيل الحكومة الأميركية لمفاوضاتها مع الدولة العثمانية حتى عام ١٨٢٠ (Bryson, 1977: 17)، وفي ذلك العام أرسلت الحكومة الأميركية غابريال لوثر برادش G. Luther Bradish بصفة محققاً سرياً إلى اسطنبول من اجل إعداد التقارير الخاصة عن أمكانية التفاوض من اجل عقد المعاهدة مع الدولة العثمانية (عمدت الحكومة الأميركية بسبب مواقف الدول الأوربية الرافضة لعقدها معاهدة مع الدولة العثمانية، على التكتم والاحتفاظ بسرية مهمة برادش، الذي وصل إلى اسطنبول بجواز سفر مزور واسم مستعار) (بونداريفسكي،١٩٨٥، ١٥٩). وحال وصول برادش إلى اسطنبول وقيامه بإجراء المباحثات السرية مع بعض المسؤولين العثمانيين ، أرسل تقريراً مفصلاً في ٢٠ كانون الأول ١٨٢٠ إلى الخارجية الأميركية(Gordon, 1932: 8)، ذكر فيه أن التفاوض حول عقد معاهدة مع الدولة العثمانية ، سيكون أمراً مرغوباً به من وجهة النظر التجارية، لان التجار الأميركيين يضطرون لدفع رسوم كمركية تبلغ ٥٪ من قيمة البضاعة، في حين إن تجار الدول الأوربية التي لهم علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية، بموجب معاهدات خاصة لا يدفعون سوى ٣٪ من قيمة البضاعة ، وقد قدر برادش تكاليف المعاهدة بـــ (٥٠) ألف دولار(Vucinich, 1965: 143)، وإنه على الرغم من أن التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية تبلغ حوالي مليون ونصف المليون دولار سنوياً(من المؤكد أن هذا الرقم مبالغ فيه فلم تصل مجمل التجارة الأميركية إلى هذا المستوى حتى عام ١٨٣٦، عندما بدأت التجارة الأميركية بالتوسع بصورة كبيرة مع الدولة العثمانية)، إلا إنها كانت تعاني من نقص الحماية الحكومية. وقد أكد برادش في تقريره إن المسؤولين العثمانيين يشجعون إمكانية عقد اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الأميركية لكنهم يرون الحذر وجعل المفاوضات سرية بين الطرفين لمواجهة المعارضة المتوقعة من قبل بريطانيا، إذ ذكر ما نصه :

" ابلغني الصدر الأعظم شخصياً أن بريطانيا قد قدمت احتجاجاً رسمياً هددت فيه بقطع العلاقات الرسمية وإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، إذا وَقْعَ أي اتفاقية مع الحكومة الأميركية. وأضاف برادش

في تقريره، انه من المتوقع حدوث نفس رد الفعل من جانب كل من فرنسا والنمسا وهولندا، وإنْ كان بدرجة اقل" (رايت،١٩٨٧، ٥٨-٥٩).

كانت خشية برادش من طبيعة ما يحدث مبالغاً فيها، ومع ذلك فما من شك إن الممثلين الدبلوماسيين للدول الأوربية اظهروا فعلاً امتعاضهم من احتمال نجاح المنافسة الأميركية، وتآمر الجميع ضدها، لاسيما بريطانيا ذات المصالح الواسعة في الدولة العثمانية، والمتمثلة بحمايتها لشركة الليفانت البريطانية من منافسة التجار الأميركيين لهم، لاسيما في تجارة الأفيون (بونداريفسكي،١٩٧٥، ١٥٩).

وعلى اثر التقرير الذي بعث به برادش، قررت الحكومة الأميركية البدء هذه المرة بخوض مباحثات رسمية مع الدولة العثمانية لعقد المعاهدة، عن طريق تعيين الكابتن البحري وليم بينبردج، الذي أصبح قائد الأسطول الأميركي في البحر المتوسط، ليقوم بهذه المهمة، إلا إن الأوضاع التي نجمت عن إحداث الثورة اليونانية (نشبت الثورة اليونانية في نيسان ١٨٢٠ ضد السلطات العثمانية من اجل تخلص اليونانيين من الحكم العثماني، وقد استولى اليونانيون على جزيرة المورة ١٨٢٢، وقد استعان السلطان محمود الثاني بقوات محمد علي باشا والي مصر، الذي أثارت انتصارات ابنه إبراهيم باش على اليونانيين حفيظة الدول الأوربية الكبرى (بريطانيا وروسيا وفرنسا) التي تدخلت عن طريق أسطولها المشترك في محاصرة الأسطول العثماني والمصري، وتم القضاء عليهما بصورة كاملة في معركة نافارينو ١٨٢٧، اضطر بعدها السلطان محمود الثاني إلى وقف القتال ومنح الحكم الذاتي لليونانيين، تمكن بعدها اليونانيون عام ١٨٣٢ من حصولهم على الاستقلال) (Smith, 1942: 10-76) عام ١٨٢١، أدت إلى تأجيل المفاوضات مجدداً بين البلدين، إذ كان الرأيان العام والسياسي الأميركي مؤيدين للثورة اليونانية بشكل صريح (Trask, 1970: 5)، إلا إن سياسة الحكومة الأميركية المتمثلة بسياسة الرئيس جيمس مونرو (جيمس مونرو (١٧٥٨-١٨٣١): الرئيس الأميركي الخامس، خريج قانون، وحاكم لفرجينيا، وعضو مجلس الشيوخ، وسفير بلاده في فرنسا عام ١٧٩٤ وبريطانيا (١٨٠٣-١٨٠٧)، ووزيراً للخارجية (١٨١١-١٨١٧)، ووزيراً الدفاع (١٨١٤-١٨١٥)، كان من بين أهم السياسيين الأميركيين الذين كانوا يدعون إلى تطوير مبادئ السياسة الخارجية الأميركية) James Monroe (Encyclopedia, 2006, DVD) (١٨١٧-١٨٢٥) ووزير خارجيته جون كوينسي آدمز (جون كوينسي آدمز (١٧٦٧-١٨٤٨): الابن الأكبر للرئيس جون آدمز، عين سفيراً لبلاده في هولندا (١٧٩٤) وفي روسيا (٩-١٨١١) وفي بريطانيا (١٥-١٨١٧)، وعين وزيراً للخارجية (١٧-١٨٢٥)، وفاز في انتخابات عام ١٨٢٤ ليكون الرئيس الأميركي السادس (١٨٢٥-١٨٢٩)) John Quincy Adams (Encyclopedia, 2006, DVD) (١٨١٧-١٨٢٤)

تمسكت في الالتزام بسياسة الولايات المتحدة الأميركية بعدم التدخل بشؤون الدول الأخرى، لكي لا يخلق هذا الموقف ذريعة للدول الأوربية للتدخل في شؤون أميركا الجنوبية (كان لهذا الموقف أهميته في صياغة السياسة الأميركية التي اتبعتها مع الحكومة العثمانية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، لأكثر من قرن كامل).

وانسجاماً مع هذه السياسة التي اتبعتها الحكومة الأميركية رفض الرئيس جيمس مونرو الطلب المرفوع من أحد الثوار اليونان، عن طريق السفير الأميركي في لندن ريتشارد رش Richard Rush في شباط عام ١٨٢٣، والذي طالب فيه باعتراف الولايات المتحدة الأميركية بشرعية الثورة اليونانية ومد يد العون لها، إذ جاء الرد من قبل الرئيس الأميركي في ١٨ آب من العام نفسه:

"**مع إن الرئيس والشعب الأميركي يتعاطفان مع قضية الحرية التي يسعى لها اليونانيون، إلا إن حكومة بلاده بحكم التزامها بمبدأ عدم التدخل، فانه ليس بالأمكان التخلي عن موقفها المحايد من القضية اليونانية**" (Bryson, 1977: 1).

تمثل الموقف الرسمي الأميركي من المسألة اليونانية في خطاب الرئيس مونرو في ٢ كانون الأول عام ١٨٢٣ أمام مجلس الشيوخ، الذي تجسد في إعلان مبدأ مونرو (أكد مبدأ مونرو على عدم التدخل الأوربي في الشؤون الداخلية لدول أميركا اللاتينية، كان الغرض منه إخضاع دول أميركا اللاتينية للسيطرة والنفوذ الأميركي، (أميركا للأميركيين)) (برنكس، ١٩٥٢: ٣-١٢؛ السامرائي، ١٩٨٩: ١٣٧-١٤١)، الذي أكد من خلاله عدم تدخل الحكومة الأميركية في المسألة اليونانية، إذ جاء فيه فيما يخص المسالة:

" **إن سياستنا تجاه أوربا التي تم تبنيها منذ بدء الحرب اليونانية، التي عملت على إثارة ذلك الجزء من العالم، هي عدم التدخل في الأوضاع الداخلية لأي من تلك القوى، إنها سوف تستمر ولن تتغير مطلقاً**" (Earal, 1927: 35).

إلا إن هذه السياسة التي أعلن عنها بوضوح الرئيس مونرو لم تؤثر على تأييد الرأي العام الأميركي وتقديم الدعم والمساعدة لليونانيين (تمثل الموقف الشعبي الأميركي بجمع التبرعات وإرسال المتطوعين، وان حجم التبرعات وصل عام ١٨٢٧ إلى (١٠٠) ألف دولار، تطلب نقل هذه المساعدات خمس سفن تجارية، فضلاً عن تقديم (٦٠) ألف دولار أخرى في السنة التالية، كان لهذه التبرعات من الأهمية لتمكين الثوار اليونانيين من الاستمرار في المقاومة حتى تم حل المسالة اليونانية وإعطاؤهم الحكم الذاتي عام ١٨٢٧) (Bryson, 1977: 15)، على الرغم من إن التدخل الرسمي الأميركي في المسالة ظل أمراً

مرفوضـــاً من قبل أغلبية أعضـــاء الحكومة الأميركية، على أســـاس إن التدخل يشـــكل خطراً كبيراً على المصـالح التجارية الأميركية النامية مع الدولة العثمانية وانه سـوف يؤدي إلى حصـول عداء مع السـلطان العثماني في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الأميركية تحاول عقد معاهدة تجارية مع الدولة العثمانية (الســـبع،٢٠٠٦، ٣٦). وعلى ما يبدو فإن الحكومة الأميركية أعطت الأولوية لمصـــالحها التجارية فيما يخص المسـألة اليونانية في علاقتها مع الدولة العثمانية، إذ إن النشـاط الاقتصـادي يتوافق مع المصـلحة العامة الأميركية (تطلبت المصـــلحة القومية الأميركية تأخر الاعتراف بالحكومة اليونانية حتى حصـــل اليونانيون على اسـتقلالهم بشـكل رسـمي عام ١٨٣٢ على الرغم من التعاطف الكبير الذي شـهده الشـعب الأميركي والضـــغوطات التي مارســـه ضـــدها من اجل التدخل في المســـألة، مما يعكس حرص الحكومة الأميركية على استمرار علاقتها الودية مع الدولة العثمانية وتوسيع مصالحها الاقتصادية معها. بل يعكس ايضاً تمسك الحكومة الأميركية بمبدأ مونرو) (Field, 1969: 122).

مهما يكن من أمر الموقف الأميركي من المســـالة اليونانية، عزمت الحكومة الأميركية عام ١٨٢٣ على اسـتئناف مفاوضـاتها مع الدولة العثمانية من اجل عقد المعاهدة، عن طريق تكليف جورج بي انكلش (جورج بي انكلش: محامي وصـحفي، فضـلاً عن دراسته اللاهوت المسيحي، خدم ضـابطاً في الأسطول الأميركي في البحر المتوسط، ثم استقال وذهب إلى مصر والتحق بجيش محمد علي باشا، شارك ما بين (١٨٢٠–١٨٢٤) مع إسـماعيل باشـا في جيش محمد علي إبان حملته على السـودان، وقد اعتنق انكلش الإســلام وتســمى باســم (محمد أفندي)، عاد بعدها إلى بلاده) (Stookey, 1975: 24) George P. English بالتحري عن إمكانية إكمال المفاوضـــات لعقد المعاهدة التجارية مع الدولة العثمانية بصـــورة ناجحة (Gordon, 1932: 9). وفي تقريره الذي أرسـله إلى حكومته بعد وصـوله إلى اسـطنبول، أكد أنّ معارضة القوى الأوربية هي التي حالت دون نجاح المحاولات السابقة للاقتراب من الدولة العثمانية، واقترح انكلش لمواجهة هذا الأمر إجراء المفاوضـــات بصـــورة ســـرية بين قائد الأســـطول الأميركي في البحر المتوســـط، وقائد الأســـطول العثماني (القبودان باشـــا) من أجل عقد المعاهدة بين البلدين (Vucinich, 1965: 173).

وفي عام ١٨٢٤ بدأت الحكومة الأميركية بإتباع سياسـة أكثر فاعلية تجاه الدولة العثمانية من اجل التمهيد لعقد المعاهدة عن طريق إقرار تعيين التاجر الأميركي ديفيد اوفلي وكيل قنصـــل الولايات المتحدة الأميركية في سـميرنة (السـوداني،٢٠٠٢، ١٧)، الذي أدى دوراً كبيراً في تسـهيل نشـاط التجار الأميركيين

في الدولة العثمانية حتى قبل أن تعينه الحكومة الأميركية بمنصب القنصل الأميركي فيها بصورة رسمية (Kurat, 1959: 9).

وبناءً على توصية انكلش تم تفويض الأميرال جون رودريجز (قائد الأسطول الأميركي في البحر المتوسط الذي خلف بينبردج على منصبه في تلك السنة) John Rodreges عام ١٨٢٥ بالتفاوض سراً مع المسؤولين العثمانيين (Finnie, 1967: 55)، وكانت التعليمات الصادرة إليه من قبل الخارجية الأميركية، هي التفاوض سراً مع المسؤولين العثمانيين بشأن منح الحق للتجار الأميركيين لممارسة تجارتهم بكل حرية في الموانئ العثمانية، والتمثيل القنصلي بين البلدين، وضمان حرية مرور السفن التجارية الأميركية عبر الدردنيل (Gordon, 1932: 9). وفي بداية تموز من عام ١٨٢٦ التقى رودريجز بالقبودان خسرو باشا في عرض البحر المتوسط، وفي أثناء اللقاء الذي تم بين الطرفين أُجلت المفاوضات جراء تطور الأوضاع التي شهدتها الساحة العثمانية بسبب أحداث الثورة اليونانية (Koprulu, 1987: 931)، الذي يمكن أن يعزى أيضاً إلى الدور الذي قام به الدبلوماسيون البريطانيون في تحفيز الحكومة العثمانية على عدم عقد المعاهدة مع الأميركيين، عن طريق إظهارهم للحكومة العثمانية المساعدات التي كان يقوم بتقديمها الأميركيون إلى الثوار اليونانيين (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٤)، مما اضطر القنصل الأميركي ديفيد اوفلي إلى شرح سياسة الولايات المتحدة الأميركية الخارجية لدى المسؤولين العثمانيين القائمة على عدم التدخل، كما أكد اوفلي على أن تفرق الحكومة العثمانية بين ما يقوم به الأفراد وما تفعله الحكومة الأميركية (Field, 1969: 135). وعلى الرغم من اللهفة التي أظهرتها الحكومة الأميركية لعقد المعاهدة التجارية مع الدولة العثمانية، إلا إن الحكومة العثمانية لم تكن بالجدية التي كانت عليها الحكومة الأميركية (Kurat, 1959: 17)، بسبب عدم حاجة العثمانيين في هذه المرحلة إلى الاتصالات الرسمية مع الولايات المتحدة الأميركية لاسيما وان سفنهم لم تكن في اتصال معها، وان مواطنيها من الأصل اليوناني قاموا بأغلب الصفقات التي كانت تجري بين البلدين في الموانئ العثمانية (Grabill, 1971: 36)، الأمر الذي يفسر فشل جميع المحاولات السابقة لعقد المعاهدة مع الحكومة الأميركية، إلا إن الأحداث السياسية التالية دفعت الدولة العثمانية إلى تغيير موقفها من عقد المعاهدة مع الولايات المتحدة الأميركية، والذي تمثل في تحطم الأسطول العثماني والمصري بالكامل على يد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) في معركة نافارين عام ١٨٢٧ (اوسي والجهماني، ٢٠٠٠: ٨)، مما دفع الدولة العثمانية إلى البحث عن حليف جديد لها يعينها على بناء أسطولها المدمر في المعركة (الغالبي، ٢٠٠٢: ٥٥). ولهذا السبب اتجهت أنظار الدولة العثمانية نحو الولايات المتحدة الأميركية، لاسيما وأنها ليس لها أطماع سياسية في الدولة العثمانية، فضلاً

عن السمعة التي حظيت بها الولايات المتحدة الأميركية بين المسؤولين العثمانيين، في براعتها في الهندسة البحرية التي اشـتهرت بها منذ وصـول سـفينة بينبردج عام ١٨٠٠(Grabill, 1971: 37)، لذلك ارتأت الحكومة العثمانية الحصول على المساعدات الأميركية في بناء أسطولها البحري(Field, 1969: 147). وقد اعتقد المسؤولون العثمانيون بأن عقد معاهدة رسمية بين البلدين سوف يتيح لهم الحصول على السفن الحربية الأميركية من قبل بنائي السفن الأميركيين (Howard, 1976: 294)، لذا كشف القوبودان خسرو باشا في ١١ تشرين الثاني عام ١٨٢٧ إلى وكيل القنصل الأميركي في سميرنة ديفيد اوفلي أن الوقت قد حان للبدء بالمفاوضات بين البلدين من اجل عقد المعاهدة، إلا إن ديفيد اوفلي اعتذر لخسرو باشا من انه لا يملك الصلاحيات الكافية للقيام بهذه المهمة، وعلى هذا الأساس وفي شباط عام ١٨٢٨ دعت الحكومة العثمانية بصـورة رسـمية ديفيد اوفلي لمفاتحة حكومته من اجل إرسـال ممثل أميركي للقيام بالمفاوضـات (Koprulu, 1987: 931).

وفي ٢١ تموز من العام نفسـه بعث الرئيس الأميركي جون كوينسـي آدمز الضـابط البحري وليم كرين William Crane قائد الأسطول الأميركي الجديد للبحر المتوسط، إضـافة إلى ديفيد اوفلي للقيام بمهمة التفاوض مع الحكومة العثمانية لعقد المعاهدة (السـبع، ٢٠٠٦: ٣٧). وفي كانون الأول ١٨٢٨ وصل كرين واوفلي إلى اسطنبول، وحال وصولهما بدأت المفاوضات مع المسؤولين العثمانيين، إلا إنها لم تسفر عن أي نتيجة تذكر بسبب إصرار الريس أفندي، احد موظفي الشؤون الخارجية العثماني، الذي كان يقوم بالمفاوضـات مع الممثلين الأميركيين، على أن تقوم الحكومة الأميركية ببناء بعض السـفن الحربية للدولة العثمانية نظير موافقتها على عقد المعاهدة (Finnie, 1967: 57)، وقد رفض الجانب الأميركي الموافقة على الطلب العثماني، لأنهم لم يكونوا مخولين للقيام بمثل هذا الأمر، كذلك اعترض الممثلون الأميركيون على المطلب العثماني الرامي إلى دفع التجار الأميركيين ٥٪ رسوماً كمركية من قيمة البضائع الداخلة إلى الموانئ العثمانية، في حين إن التجار الأوربيين لا يدفعون مقابلها سوى ٣٪ من قيمة البضاعة ، وقد اقترح المفاوضـون العثمانيون تخفيض النسـبة إلى ٣.٥٪ عن قيمة البضـاعة، إلا إن اوفلي أصـر على المسـاواة التامة مع بقية تجار الدول الأوربية (إبراهيم، ١٩٨٢: ٩٦)، لذا أرسـل المفاوضـون الأميركيون في ١٧ آذار عام ١٨٢٩ برقية إلى وزارة الخارجية الأميركية، ابلغوها بعدم إمكانية عقد المعاهدة في ظل التعليمات الصـادرة إليهم(Gordon, 1932: 10). لذا توقفت المفاوضـات بين الجانبين عند هذا الحد، ولم تنجح الحكومة الأميركية بعقد المعاهدة إلا في ٧ أيار عام ١٨٣٠.

ثالثًا. النشاط التبشيري الأميركي في الدولة العثمانية:

مع بدايات القرن التاسع عشر بدأ أهم مجال من مجالات النشاط الأميركي في الدولة العثمانية، وهو النشاط التبشيري، والذي جاء متأخراً إذا ما قورن بالنشاط الفرنسي أو الروسي في هذا المجال.

بعد حركة الإحياء الديني التي شـهدتها الولايات المتحدة الأميركية منذ نهايات القرن الثامن عشـر، تم تأسـيس العديد من الجمعيات الدينية المحلية، كان الغرض منها هو نشـر العقيدة البروتسـتانتية (البروتستانتية: حركة دينية نشأت عن حركة الإصلاح ومبادئها، وتنطوي البروتستانتية على أفكار تحررية في الأمور الدنيوية والدينية، وكذلك في إعطاء الفرد حرية التقدير والحكم على الأمور، وفي التسـامح الديني، وهذا مضاد للتقليد وللسلطة الدينية. وروح البروتستانتية هي في مسؤولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة. ويستعمل البروتستانت في صلواتهم "التوراة"، على عكس جميع الطوائف المسيحية الأخرى التي تستعمل العهد الجديد، ويعتنق ٦٠٪ من سكان الولايات المتحدة الأميركية البروتستانتية، ويشتق منها عدة طوائف منهم الانجيلكان والمشيخان والسبتيون) (الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٨٧: ٣٥٧؛ غلمية، ١٩٨١: ١٥٦) في الغرب الأميركي، ومن اجل هذا الغرض تم إعداد المبشـرين من قبل مختلف الكنائس الأميركية البروتستانتية، لاسيما من قبل الكنيسة المشيخية (الكنيسة المشيخية أو المشيخانية: طائفة دينية بروتستانتية ذات نظام كنسي ترتكز السلطة فيه على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الدين، وهو وسط بين النظام الكنسي الجمهوري، الذي يستند في إدارة شؤون الكنيسة على الشيوخ العلمانيين، والنظام الأسقفي، الذي يستند في إدارة شؤون الكنيسة على رجال الدين، إذ يدير الشيوخ شؤون الكنيسة الروحية، بينما يهتم الأمناء بالأمور الزمنية. ومجلس الطائفة يسـمى مجمعاً، يليه السـندوس، أما المجمع الأعلى فهو المرجع الأعلى في هذا التنظيم، وله سلطة الإشراف على الطائفة، ورئيس المجمع هو المدير العام. والكنيسة المشيخية وريثة النظم الكلفنية في العقيدة والنظام) (الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٨٧: ١٧٠٦) Presbyterian Church من أجل إرسالهم إلى الهنود القاطنين في النصف الغربي من الولايات المتحدة الأميركية، وسرعان ما اخذ الحماس الديني يتصاعد بشكل لم يسبق له مثيل، إذ إن هذا الهدف المحدود في نشر المسيحية بين الهنود في الغرب الأميركي توسع إلى هدف اكبر في نشر البروتستانتية في جميع أنحاء العالم ليس فقط بين غير المسـيحيين، لكن أيضـاً لملايين المسـيحيين من الكنائس غير البروتستانتية (Stookey, 1976: 354).

وعلى أثر هذه الحماسة الدينية التي شهدتها الولايات المتحدة الأميركية تم إنشاء المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية (A.B.C.F.M) في بوسطن عام ١٨١٠(ضم المجلس مختلف الأعضاء من الجمعيات الدينية والشخصيات السياسية والكنائس الأميركية كان من أبرزها الكنيسة المشيخية والكنيسة الإصلاحية الهولندية والاتحاد العام لماساتشوستس، وقد كان المجلس ممول من قبل الحكومة الأميركية، صندوق الحضارة، مبالغ المواطنين، وقد تحول المجلس بعد تأسيسه إلى قوة اقتصادية وصيرفية، وأصبح له جهاز إداري كفوء كان يقوم بتنظيم الدورات والمؤتمرات السنوية للمبشرين الأميركيين، لمزيد من التفاصيل حول هذه الجمعيات الدينية وحركة الأحياء الديني الأميركي) (http://microformguides.gale.com/Data/Introductions/30410FM.htm)، الذي كان أول منظمة أميركية تخص هيئة للمبشرين في الولايات المتحدة الأميركية كان الغرض منها تولي مسؤولية الإشراف على البعثات التبشيرية الخارجية (Grabill, 1971: 4)، وتم تعيين القس صاموئيل ورستر Samuel Worcester أول سكرتير للمجلس، واخذ المجلس الأميركي أول نشاطه العملي عن طريق جمع التبرعات من اجل تحقيق أهدافه(Stookey, 1975: 9)، وقد اعتمد المجلس في بداية تأسيسه بصورة كبيرة على جمعية المبشرين البريطانية (أرسلت الجمعية وليم جويت William Jowett إلى مالطا، كأول مبشر بروتستانتي إلى منطقة البحر المتوسط، كانت مهمته نشر البروتستانتية بين اليهود والمسلمين، فضلاً عن جمع المعلومات عن المنطقة وسكانها، وقد جعلت منه هذه التجربة الدليل والخبير للإرساليات التبشيرية التي تبعث لأراضي البحر المتوسط، وقد عزم المجلس الأميركي الاستعانة به في أثناء إرسال مبشريه إلى المنطقة) (Tibawi, 1966: 11) C.M.S في التحريات والنصيحة، وحتى الدعم المادي، فضلاً عن اعتماده بصورة عامة على جمعية يهود لندن (جمعية يهود لندن: هي جمعية تبشيرية بروتستانتية تأسست في لندن عام ١٧٩٦، كانت تهدف إلى تشجيع اليهود لاعتناق المسيحية، وقد انتقل معظم أعضاء هذه الجمعية إلى الولايات المتحدة الأميركية وفتحوا فرعاً للجمعية فيها) (Shaw, 1937: 21) London Jews Society L.J.S في مساعدته في أعماله (Finnie, 1967: 114).

أرسل المجلس عام ١٨١٣ أول مجموعة من مبشريه إلى الهند، لاسيما بعد أن لمس النجاح الذي حققه المبشرون البريطانيون فيها، إذ كانت مختلف الجمعيات التبشيرية في لندن تقوم بإصدار التقارير السنوية عن أعمالهم، فضلاً عن النشرات الشهرية دعاية من اجل قضيتهم، والتي أسهمت في تشجيع الجمعيات التبشيرية الأميركية لإرسال مبشريها إلى خارج الولايات المتحدة الأميركية (Elsbrece, 1928: 192).

وفي عام ١٨١٨ عزم المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية على توسيع مجال نشاطه ليشمل الشرق الأدنى، عن طريق الإعداد لإرسال مبشريه إلى القدس، التي تتميز بقدسيتها لدى أبناء الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، بوصفها ارض الإنجيل، ولاتخاذها قاعدة للتوسع في نشر البروتستانتية في المنطقة (Koprulu, 1987: 936)، إذ تم اختيار كل من ليفي بارسونز (ليفي بارسونز (١٧٩٨–١٨٢٢): ولد في بوسطن وتطوع للعمل التبشيري مع الكنيسة المشيخية تحت أشراف المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية، كرس حياته بعدها للعمل التبشيري في الدولة العثمانية) (Wilson&others, 2001) LeviParsons وبلني فسك (بلني فسك (١٨٠٠–١٨٢٥): ولد في بوسطن من عائلة ثرية، انضم للمجلس الأميركي للإرساليات الخارجية الذي أرسله إلى الدولة العثمانية للقيام بالعمل التبشيري، أشرف على عمل بعثة القدس بعد وفاة ليفي بارسونز عام ١٨٢٢، توفي على يد بعض قطاع الطرق في بيروت) (Encyclopedia, 2001) Pliny Fisk من الكنيسة المشيخية (Erhan, 2001: 316)، ومن الملاحظ إن أسباب اختيار المجلس لبارسونز يعود لاعتبارات عديدة، أولها أن هذا الرجل فضلاً عن كونه خريج معهد أندوفر اللاهوتي، فإنه كان ملماً بالدراسات الشرقية، ولم يكن كذلك زميله في البعثة بلني فسك اقل منه دراية ومعرفة في الثقافات الدينية للمنطقة، إذ انه فضلاً عن كونه خريج المعهد اللاهوتي نفسه، فإنه كان ملماً أيضاً بالدراسات الشرقية، كان الهدف الرئيس من البعثة هو نشر البروتستانتية بين اليهود والمسلمين (Stookey, 1976: 354). وقد أمضى فسك وبارسونز عاماً كاملاً يجوبان الولايات المتحدة الأميركية من اجل جمع التبرعات اللازمة لتمويل رحلتهما إلى الدولة العثمانية (Shaw, 1937: 30).

كانت التعليمات الصادرة للمبشرين من قبل سكرتير المجلس وستر إلى فسك وبارسونز هو التوجه نحو مالطا، والاستفادة من خبرات الجمعيات البروتستانتية المقيمة فيها، والاتصال بوليم جويت، عضو جمعية المبشرين البريطانية، ومن ثم التوجه نحو سميرنة والاتصال بأحد أفراد القنصلية البريطانية، وهو وليم سون William Son ويجب أن يكون اهتمامها منصباً نحو تعلم اللغات المحلية (Tibawi, 1966: 20)، لاسيما العربية والعثمانية والإيطالية واليونانية والعبرية، والقيام بجولات استطلاعية من اجل جمع اكبر قدر من المعلومات عن المنطقة وسكانها، فضلاً عن استهلال نشاطهم التبشيري، عن طريق نشر الإنجيل والكراسات الدينية باللغات المحلية، فضلاً عن رصد الصعوبات التي سوف تصاحب إنشاء المحطة التبشيرية في القدس، والتأكيد على عدم المساس بالقوانين المحلية لتلك المناطق، والتوجه بشكل فردي في ممارسة نشاطهم التبشيري في المنطقة (Grabill, 1971: 6)، وقد أكد سكرتير المجلس وستر

إلى المبشرين أن بعثتهم ما هي إلا مقدمة لإقامة نظام أوسع للتبشير يغطي جميع أرجاء الدولة العثمانية (خاطر، ١٩٧٨: ٤٣٢).

بدأت أول خطوة في أهم نشاط أميركي في الدولة العثمانية، عندما أبحر فسك وبارسونز في ٣ تشرين الثاني عام ١٨١٩ من ميناء بوسطن متوجهين نحو مالطا التي وصلوها في ٢٣ كانون الأول ١٨١٩ (Trask, 1970: 4)، التقوا فيها بوليم جويت الذي زودهم بعدها بالتعليمات اللازمة لمواصلة عملهم التبشيري في الدولة العثمانية، ونسخ من الإنجيل والكراسات الدينية المترجمة باللغات المحلية، التي منحتها لهم مختلف الجمعيات البروتستانتية البريطانية الموجودة في مالطا (Boztemur, 2005: 45)، اكمل بعدها المبشران رحلتهما إلى سميرنة، وفور وصولهما إلى المدينة في ١٥ كانون الأول عام ١٨٢٠ (Trask, 1970: 4) تم اتخاذها أول مركز تبشيري لهما في الدولة العثمانية أرسيا فيها الدعائم التي مهدت لقدوم المزيد من الإرساليات التبشيرية الأميركية إلى الدولة العثمانية (Sousa, 1933: 140).

استهل فسك وبارسونز نشاطهما التبشيري عن طريق القيام بالعديد من الجولات الاستطلاعية في أراضي الدولة العثمانية، وزعوا خلالها كتب الإنجيل والكراسات الدينية، فضلاً عن بدء تعلم اللغة اليونانية في سميرنة التي قضوا فيها ستة أشهر لتحقيق هذا الأمر (Stookey, 1976: 355). وقد اعتمد فسك وبارسونز إبان وجودهما في سميرنة على حماية القنصل البريطاني في سميرنة بيتر ابوت Peter Abbott فبغياب العلاقات الرسمية الأميركية–العثمانية حتى عام ١٨٣٠ اعتمد المبشرون كما هو الحال مع التجار الأميركيين في الدولة العثمانية على حماية القنصلية البريطانية، إذ قام بيتر ابوت بتزويد فسك وبارسونز الأوراق الرسمية التي أتاحت لهما حرية التنقل بين الأراضي العثمانية (خضير، ٢٠٠١: ٤٧).

تبعاً لذلك أبحر بارسونز وحده في ٥ كانون الأول عام ١٨٢٠ على متن إحدى السفن اليونانية المتوجهة إلى يافا، في طريقه للتوجه نحو القدس التي وصلها في ١٧ شباط ١٨٢١ (Erhan, 2001: 88)، الذي اعتبر أول مبشر أمريكي يصل القدس، قضى فيها ثمانين يوماً التقى خلالها بالعديد من الشخصيات الدينية من رجال الدين اليهود والأرثوذكس، فضلاً عن توزيعه العديد من نسخ الإنجيل باللغات المحلية (Shaw, 1937: 34). أدرك بارسونز بعدها أن القدس كانت مغلقة أمام الأميركيين، وحتى لأصحاب الدول ذات التمثيل الدبلوماسي، إذ كان للقدس وضع خاص مقارنة بسائر المدن العثمانية، بوصفها ثالث مدينة مقدسة في الإسلام، كانت مغلقة أمام جميع الأجانب، باستثناء القيمين عليها من رجال الدين، وحراس الأماكن المقدسة، ولم يكن يسمح لأي أجنبي الاستقرار فيها، إلا للحجاج والسياح

ولأوقات محددة في السنة، ولم تكن السلطات العثمانية وحدها لا تقبل بأي توسع من قبل مجموعات أجنبية جديدة في المدينة، بل أيضاً رجال الدين المحليين فيها (Tibawi, 1966: 17).

بعد الجولة الاستطلاعية التي قام بها بارسونز في القدس عاد بعدها إلى سميرنة ومن ثم قام بجولة إلى مصر وقبرص ومالطا، وعزز التنقل بين هذه المناطق لدى بارسونز فكرة أن القدس هي أفضل من سميرنة لتكون المحطة الرئيسة للبعثة، أو على الأقل أهم محطة من محطاتها، وذلك للدور الذي تؤديه المدينة جراء توافد أعداد كبيرة من الحجاج والسياح، مما يتيح فرص كبيرة للمبشرين في ممارسة نشاطهم التبشيري بينهم على أتم وجه (Grabill, 1971: 6).

قرر بارسونز بعد الجولة الاستطلاعية التي قام بها في المنطقة، الذهاب مع فسك إلى مكان دافئ في فصل الشتاء، بسبب سوء حالة بارسونز الصحية، لذا ذهب الاثنان في كانون الثاني عام ١٨٢٢ إلى الإسكندرية في مصر، وبعد شهر من الرحلة توفي بارسونز فيها، وقد أدت الظروف السائدة نتيجة الفوضى التي رافقت أحداث الثورة اليونانية، بتوجه فسك نحو مالطا، وليس سميرنة بسبب الأحداث، لكون مالطا هي أول محطة للمبشرين الأميركيين، وكذلك وجود الحماية البريطانية، وأنها مقر البعثات التبشيرية البروتستانتية البريطانية في المنطقة (Stookey, 1976: 356).

حال وصول فسك إلى مالطا في نيسان عام ١٨٢٢، وجد دانيال تمبل Daniel Templ مع آلة طابعة صغيرة أرسلت من بوسطن من قبل المجلس الأميركي للإرساليات (Erhan, 2001: 87)، عزز بعدها المجلس الأميركي بعثة القدس بإرسال جوناس كنك Jonas King الذي كان قد درس العربية في باريس، ووليم كوديل (وليم كوديل (١٧٩٢–١٨٦٧): مبشر أميركي، خريج معهد أندوفر اللاهوتي، انضم عام ١٨٢٢ إلى المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية للعمل في الدولة العثمانية، ذهب عام ١٨٣١ إلى اسطنبول التي أسس بها بعثة الأرمن، كرس حياته لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الارمنو–عثمانية، وقد اكمل ترجمة العهد القديم ١٨٤١ والعهد الجديد ١٨٤٣ واستمر العمل به وتنقيحه حتى عام ١٨٦٣، عاد بعدها عام ١٨٦٥ إلى الولايات المتحدة الأميركية) (Encyclopedia, 2001) William Goodell وايساك بيرد Issac Bird وجميعهم خريجوا معهد أندوفر اللاهوتي، الذين وصلوا مع زوجاتهم إلى مالطا في بداية كانون الثاني عام ١٨٢٣ (Sousa, 1933: 140)، من أجل توجههم إلى القدس، قضى فيها بيرد وكوديل تسعة اشهر في تعلم اللغة الإيطالية للاستفادة منها في عملهم التبشيري (Field, 1969: 94).

وفي كانون الثاني عام ١٨٢٣ ذهب فسك مع كنك إلى مصر وفلسطين، ومن ثم ذهبا بعدها إلى شمال لبنان قبل موسم الحر (Polk, 1975: 92)، التقيا خلال ذلك بأحد المبشرين البروتستانت التابعين لجمعية يهود لندن وهو لويس وي (كان الغرض الرئيس لبعثه لويس وي هو البحث عن أمكانية إقامة مركز تبشيري في القدس، الذي اتخذ من جبل لبنان مقراً للاستراحة في أثناء موسم الحر. لمزيد من التفاصيل حول البعثة ونشاط جمعية يهود لندن في الدولة العثمانية) (Tibawi, 1961: 10-24) Lewes Way الذي أقام داراً للاستراحة في عنطورا بجبل لبنان وأصبح مركزاً لتجمع المبشرين البروتستانت في المدينة، وفي أثناء اللقاء الذي تم بين لويس وي وفسك وكنك، اتفق الطرفان على تنسيق الجهود بين الطرفين لممارسة نشاطهم التبشيري، انصرف بعدها فسك وكنك لتعلم اللغة العربية، وقد وجه فسك، مسؤول البعثة، التعليمات إلى بيرد وكوديل الموجودين في مالطا للتوجه نحو بيروت، وحال وصولهما في ١٦ تشرين الثاني عام ١٨٢٣ تحول بيرد إلى تعلم اللغة العربية وكوديل إلى اللغة الأرمنية (Erhan, 2001: 88).

عزمت البعثة على اختيار بيروت مقراً رئيساً للبعثة بسبب إن سميرنة لم تكن أمينة بسبب اضطرابات الثورة اليونانية (السوداني،٢٠٠٢، ٢٩)، وان القدس كانت مقيدة لان تكون مقراً دائماً، وان وجود القنصل البريطاني في بيروت (Grabill, 1971: 6)، وموقع المدينة الجغرافي المتميز البحري والبري، فضلاً عن بعدها عن السيطرة المركزية العثمانية (Finnie, 1967: 191)، وتواجد أعداد كبيرة من السكان المسيحيين فيها، كل ذلك جعلها مفضلة لعمل المبشرين الأميركيين (Fisher, 1953: 4)، لذا أصبحت في السادس من كانون الأول ١٨٢٣ المقر الرئيسي للبعثة، مثلما بقيت القدس مقراً غير دائم يتردد عليه المبشرون بين الحين والآخر (Kortepeter, 1991: 242). ومما يؤشر من خلال الصفحات السابقة إن الوجود التجاري وحتى التبشيري ابتدءاً في موانئ حوض البحر المتوسط في الأغلب الأعم.

بعد تأسيس مقر البعثة في بيروت، استهل المبشرون الأميركيون نشاطهم التبشيري عن طريق القيام بجولات في المنطقة، وفي أثناء الجولة التي قام بها فسك وبيرد في القدس عام ١٨٢٤ ألقت السلطات المحلية القبض عليهما في أثناء توزيعهما الإنجيل المترجم باللغات الشرقية بين بعض الحجاج الأرمن الموجودين في القدس، بتهمة الإخلال بالأمن العام لمخالفتهما القوانين العثمانية، إذ كانت الحكومة العثمانية قد أصدرت مرسوماً في العام نفسه حرمت فيه توزيع الكتاب المقدس المترجم باللغة العربية والعثمانية المطبوع في أوربا (Stookey, 1976: 356). وقد نسب المبشرون الأميركيون الإجراء الذي قامت به الحكومة العثمانية إلى تحريض البطريرك الماروني (الموارنة كاثوليك لبنان ويتبعون الكنيسة

الفرنسية، وقد ارتبط المارونيون بجبل لبنان منذ مدة طويلة، وإنهم كانوا تحت سلطة البابا منذ القرن السادس عشر، والحماية الفرنسية منذ القرن السابع عشر، وبسبب أعدادهم وتاريخهم أدعو بسيادتهم السياسية على جبل لبنان) (بتكوفتش، ١٨٨٥)، الذي وجه منذ عام ١٨٢٣ لعناته لإتباعه ضد أي شخص من أبناء كنيسته يتعامل بالنسخة البروتستانتية من الكتاب المقدس التي كان يوزعها المبشرون الأميركيون بينهم، أو يقوم بأي اتصال معهم (Tibawi, 1966: 20). لذا هرع نائب القنصل البريطاني في يافا جون ماهوني John Mahoney من اجل إطلاق سراحهما،عن طريق الاتصال بالمسؤولين العثمانيين، وقد ادعى جون ماهوني بان الشخصين هما من أتباع الملة البريطانية، وبأنهما يحملان وثائق سفر قانونية، وانهما قد مارسا عمليهما في حدود القانون بين نظرائهم من المسيحيين، بعدها تم إخلاء سبيلهما (Anderson, 1925: 40).

ومن خلال الجهود التي بذلها كوديل في تعلم اللغة الأرمنية، قام بكسب بعض رجال الدين الأرمن إلى البعثة، أمثال الأسقف دايونس كاربت، وغريغوري ورتبت، اللذين عينهما كوديل معلمين للغة الأرمنية لرجال البعثة ومترجميها، تمكن من خلالهم البدء بأوسع نشاط تبشيري أميركي بين الأرمن (Erhan, 2001: 88). طالب بعدها المبشرون الأميركيون من المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية في بوسطن توسيع نشاط البعثة عن طريق إرسال اكبر عدد من المبشرين، بضمنهم طبيب يسهل عمل البعثة، فضلاً عن إرسال آلة طابعة تضم الحروف العربية للاستفادة منها في طبع الكراسات الدينية باللغة العربية والارمنية والعثمانية (Tibawi, 1961: 34) .

استغل المبشرون الأميركيون بعد إقامة مقر البعثة في بيروت، حاجة سكان المنطقة إلى تعلم اللغات الأجنبية للاستفادة منها في الوظائف القنصلية والتجارية، لذا شرعوا بممارسة بعض الأنشطة التعليمية في مقر القنصلية البريطانية في بيروت، في اللغة الإنكليزية (Erhan, 2001: 88)، بدأ بعدها كوديل بتعليم سبعة أولاد محليين اللغة الإيطالية، التي تعلمها وبيرد في السابق عند وصولهما مالطا، في مقر البعثة في عنطورا بمساعدة بعض المساعدين المحليين الذين استعانت بهم البعثة بتعيينهم مترجمين لها. وفي ٢٤ تموز عام ١٨٢٤ دفع توسع نشاط البعثة التعليمي إلى افتتاح أول مدرسة رسمية للمبشرين الأميركيين في الدولة العثمانية في عينتاب، في بناية أوسع لكي تتسع لعوائل المدرسين والخمسين طالباً الذين كانوا مسجلين في هذه المدرسة (Tibawi, 1961: 33).

ومدارس شـبيهة لها تم افتتاحها في بيروت والمناطق المجاورة لها مارس المبشـرون الأميركيون من خلالها الوعظ في الداخل إلى الطلاب، والأهالي من الخارج، ومن خلال هذه المدارس أيضاً وزع المبشرون نسخاً عديدة من الكتاب المقدس والكراسات الدينية، وتم استخدام العهد الجديد كتاباً منهجياً للتدريس به في المدرسـة (Grabill, 1971: 7)، وقد كان هناك إقبالٌ كبيرٌ على المدرسـة التي أقامها المبشـرون في عينتاب، من قبل السـكان المحليين، الذي انعكس من خلال زيادة أعداد طلابها إلى المئة طالبٍ، وثلاثة معلمين محليين (خضير،٢٠٠١، ٥٠).

أثار نشـاط المبشـرين الأميركيين التعليمي بين أبناء الطائفة الأرثوذكسـية في بيروت البطريرك الأرثوذكسـي، مما دفعه إلى إصـدار اللعنات التي تحرم على الأطفال التابعين لكنيسـته حضـور مدارس المبشرين الأميركيين أو التعامل مع نسخ الكتاب المقدس الذي يقوم المبشرون بتوزيعه، مما دفع الكثير من العوائل الأرثوذكسية بإبعاد أطفالهم عن المدرسة، وعلى الرغم من ذلك واصلت المدرسة نشاطها حتى بعد أن فقدت نصـف عدد طلابها الأصـليين (Tibawi, 1961: 33). وفي عام ١٨٢٦ كانت هناك بداية ضـعيفة من قبل كوديل لفتح مدرسـة للأطفال اليهود في بيروت، غير إنها لم تستمر سوى يومين فقط، إذ قام بعض المتشـددين من أتباع الديانة اليهودية بالاعتداء على المدرسـة وحطموا أثاثها وقاموا بتمزيق الكتاب المقدس (Speiser, 1947: 15).

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذي واجهه المبشرون الأميركيون في ممارسـة نشاطهم التبشيري بين المسـلمين واليهود، والموقف المعارض من قبل رجال الدين المارونيين والأرثوذكس لهذا النشـاط بين أبناء طوائفهم، إلا انه كان هناك بعض النجاح في نشاط المبشرين التعليمي في بيروت الذي يمكن إدراكه من خلال زيادة عدد المدارس التي أقامها المبشـرون فيها وفي المناطق المجاورة لها، إذ انه بحلول عام ١٨٢٦ بلغ عدد هذه المدارس مابين (٦–٩) مدرسـة، ضـمت أكثر من (٣٠٠) طالبٍ، ارتفعت بسـببها تكاليف البعثة التي تم تزويدها من قبل المجلس الأميركي من (١٦٠) دولار عند بداية إرسـال البعثة عام ١٨١٩، إلى (٦٩٠.٣٩٣) دولاراً عام ١٨٢٦ (Tibawi, 1961: 42). علماً أن هذه التكاليف لا تشـمل نسـخ الكتب المقدسـة والكراسـات الدينية التي وزعها المبشـرون في هذه المرحلة، التي زودتهم بها مختلف الجمعيات الدينية البريطانية والأميركية (Boztemur, 2005: 46).

في هذه الأثناء عزز المجلس الأميركي بعثة القدس بإرسـال اثنين من أعضـائه، وهما إلي سـمث (إيلي سـمث (١٨٠١–١٨٥٧): مبشـر بروتسـتانتي أميركي، خريج جامعة ييل ومعهد أندوفر اللاهوتي،

انضـم إلى المبشـرين التابعين للكنيسـة المشـيخية تحت أشـراف المجلس الأميركي للإرسـاليات الخارجية، للعمل في الدولة العثمانية، تنقل برفقة المبشـــر هاريســـون دوايت عبر أرمنيا وجورجيا وبلاد فارس، وقام بجولتين أيضًـــا برفقة ادوارد روبنســـن إلى الأرض المقدســـة، بعد ذلك تابع أهم أعماله على الإطلاق وهو ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، على الرغم من أنه توفي قبل أكمال المهمة، إذ أكملها بعده المبشـــر الأميركي فانديك، ونشر عام ١٨٦٦) (Encyclopedia, 2001) Eli Smit وهومان هالوك Homan Hallok الذي تم تعيينه مساعداً للمبشرين في العمليات الميكانيكية لمطبعة المبشرين في مالطا، وقد كلفا بالعمل مع دانيال تمبل لتولي مسـؤولية إدارة مطبعة المبشـرين في مالطا، وحال وصـــول إلي سـمث إلى بيروت في شـــباط عام ١٨٢٧، بدأت معه عمليات طويلة من اجل الطباعة باللغة العربية، ومن اجل هذا الغرض توجه ســـمث إلى المنصـــورية في جبل لبنان من اجل تعلم اللغة العربية فيها(Finnie, 1967: 191).

لم يقتصـــر رد الفعل من مدارس المبشـــرين الأميركيين على البطريرك الأرثوذكســـي، إذ أصـــدر البطريرك الماروني في تشـــرين الأول عام ١٨٢٦ لعنة أخرى ضـــد المبشـــرين الأميركيين، اتهمهم فيها بالهرطقة وعداوة الكنيسـة الكاثوليكية، واسـتخدام الحافز المادي بين أتباع كنيسـته من اجل تحقيق أهدافهم في تغيير ولائهم الروحي إلى الكنيسة البروتستانتية، كما منع البطريرك كل أتباعه من الاتصـال بالمبشرين الأميركيين بأي شـكل من الأشـكال ودعاهم إلى المقاطعة الصـارمة لمدارس المبشـرين وكتبهم، أو القبول بأي وظيفة في مؤسساتهم، وهدد بالطرد من كنيسته أي شخص من أتباعه يخالف هذه التعليمات(Erhan, 2001: 88)، وإنه بعد مدة ليســت بالطويلة من إصـــدار البطريرك هذه اللعنة حتى تم إلقاء القبض على الماروني أسعد الشدياق، معلم ومترجم المبشرين الأميركيين، وتم حجزه في سجن البطريرك، لعدم انصياعه لأوامر البطريرك في الابتعاد عن المبشـــرين الأميركيين وعدم التعامل معهم، وقد توفي على أثرها في السجن (رستم، ١٩٧٣: ٢٧٤).

رافق ممارسـة المبشـرين الأميركيين لنشـاطهم التبشـيري في الدولة العثمانية عقبات كثيرة، تمثلت العقبة الأولى بالصـــعوبات التي نشـــأت من عدم دراية أفراد البعثة باللغات الشـــرقية التي تؤهلهم للعمل التبشيري في المنطقة، وعدم وجود جالية بروتستانتية معترف بها في الدولة العثمانية (انطونيوس، ١٩٦٦: ٩٨)، والى صـــرامة القوانين العثمانية التي تمنع العمل التبشـــيري بين المســـلمين أو توزيع الكتب الدينية باللغات العربية أو العثمانية (Speiser, 1947: 13).

أما العقبة الثانية فتمثلت بالموقفين الفرنسي والروسي المعارض لوجود منافس جديد لهما في المنطقة، الذي كان له دورٌ كبيرٌ في تأخر تطور العمل التبشيري في الدولة العثمانية في هذه المرحلة (أحمد، ١٩٧٨: ٣٢)، فمنذ أن بدأ المبشرون الأميركيون نشاطهم التبشيري في سوريا حذر القناصل الفرنسيون في بيروت حكومة بلادهم من الخطر المحتمل لنشاط المبشرين الأميركيين على النفوذ الفرنسي في المنطقة، وقد طالب نائب القنصل الفرنسي في بيروت من مختلف البطارقة في لبنان منع أتباعهم من التقرب إلى المبشرين الأميركيين أو التعامل معهم وارتياد المدارس التي أنشأوها، فضلاً عن تحفيز السلطات العثمانية لإصدار الأوامر الخاصة في منع استيراد المبشرين الأميركيين نسخ من الكتاب المقدس أو تداولها (Tibawi, 1961: 43-44)، ويعزى لهم أيضاً الدور الرئيس في إصدار قرار الحرمان من قبل البطريرك الماروني بصورة مباشرة، أو عن طريق حث حكوماتهم بتوجيه التعليمات إلى الكاردينال، رئيس الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا، في دفع رجال الدين المارونيين للقيام بإصدار تلك اللعنات ضد المبشرين الأميركيين، كما طالب القناصل الفرنسيون من حكومتهم دعم البعثات الكاثوليكية وتشجيعها في المنطقة على أن تكون هذه البعثات تحت رعاية القنصلية الفرنسية بصورة مباشرة (Erhan, 2001: 88).

أما العقبة الثالثة فهي الوضع غير المستقر للدولة العثمانية خلال هذه المرحلة من النشاط التبشيري (Stookey, 1975: 12)، والمتمثل بالاضطرابات التي رافقت أحداث الثورة اليونانية والتدخل الأوربي لحل المسالة، فضلاً عن الوضع المتأزم الذي نجم عن الحرب الروسية العثمانية لعام ١٨٢٨ (سببت الاضطرابات التي نجمت عن أحداث الثورة اليونانية ١٨٢١–١٨٢٧ وعدم التزام الدولة العثمانية بمعاهدة اق كرمان لعام ١٨٢٦ مع روسيا بشأن الجلاء عن ولايتي الدانوب وتدعيم استقلال الصرب، إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان ١٨٢٨ حققت بعدها القوات الروسية انتصارات ساحقة على القوات العثمانية، استولت في أثرها على أدرنة، انتهت بمعاهدة ادريانوبل ١٨٢٩) (التكريتي،١٩٩٠، ١١٣–١٢٥)، الأمر الذي دفع المبشرين ومساعديهم إلى التوجه نحو مالطا، وتوقف عملهم التبشيري بالكامل في المنطقة في ذلك الوقت (Grabill, 1971: 8).

أما العقبة الأخيرة التي واجهت المبشرين فهي قوة تمسك السكان الشرقيين بعقيدتهم الدينية، فعلى الرغم من الجهود والنفقات التي قامت بها البعثة، إلا إنها لم تثمر عن نتائج مشجعه، إذ إنها لم تتمكن من تنصير أي مسلم أو يهودي فقد كان المجتمع اليهودي مغلقاً على نفسه، فضلاً عن إن كل طائفة كانت محمية عن طريق نظام الملة (يعود تاريخ نظام الملة إلى عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١–١٤٨١)، فبعد فتحه القسطنطينية عام ١٤٥٣ منح الكنيسة اليونانية الحرية في ممارسة طقوسها الدينية، ومنح

لرئيسها سلطات مدنية ودينية على جميع المسيحيين في الدولة العثمانية وكذلك ولائهم للسلطان ودفع "الخراج"، ضريبة الرأس، وفض النزاعات التي تحدث بينهم، وقد رقي "كيناريوس"، الذي عين من قبل الفاتح لمنصب العرش البطريقي للكنيسة اليونانية، ومنح لقب "ملت باشي"، أي رئيس طائفة. وفيما بعد امتد منح هذا الامتياز إلى الأرمن واليهود والكاثوليك وغيرهم، لمزيد من التفاصيل) (آداموف،١٩٨٢؛ Kent, 1984: 20) المتبع بالدولة العثمانية، الذي كان لزعماء هذه الطوائف التأثير المباشر في منع التأثيرات الأجنبية على أبناء طائفته (Grabill, 1971: 12)، إذ إن بطارقة هذه الطوائف لم يشاركوا الرأي الأميركي بتفوق الكالفنية على المسيحية الشرقية، بل إنهم عزموا على الاعتراض عليهم وعرقلة نشاطهم، وقد وجهت اللعنات من قبلهم مراراً وتكراراً لأتباعهم من أجل عدم التقرب من المبشرين الأميركيين أو التعامل معهم (Finnie, 1967: 124)، فقد وصل المبشرون الأميركيون وكلهم لهفة إلى تحويل المسلمين واليهود إلى المسيحية، لكنهم واجهوا تمسكاً ومقاومة شديدة، دفعتهما إلى التركيز على الأقليات المسيحية (Szyliowicz, 1979: 116)، وبما إنهم كانوا ينظرون إلى الكنائس الشرقية المسيحية، على إنها كنائس مرتدة عن الدين، اخذوا ينتقدون تمسكها بالنواحي الشكلية وتبجيلهم صور القديسين والملائكة، ونعتهم إياها بالجهل والبعد عن التقوى (رايت، ١٩٨٧: ١٨٠)، فلم يكتف المبشرون الأميركيون بان يظل المسيحي أرثوذكسي أو كاثوليكي، بل يجب أن يصبح مسيحياً بروتستانتياً، فبحسب اعتقادهم إن هوى الكاثوليك مع فرنسا، وهوى الأرثوذكس مع روسيا، فإذا تحول هؤلاء إلى البروتستانتية، فان هواهم سيكون مع الأميركيين بالدرجة الأولى (خالدي وفروخ، ١٩٦٤: ٤٥).

الخاتمة:

وفق ما تقدم يتضح لنا أن التجارة كانت هي الدافع الرئيس لتوجه الولايات المتحدة الأميركية نحو الدولة العثمانية منذ أواخر القرن الثامن عشر، ولأهمية التجارة للاقتصاد الأميركي في تلك المرحلة حرصت الإدارة الأميركية على تأمينها في البحر المتوسط عبر عقد معاهدات ملاحة وتجارة مع قوى الشمال الأفريقي فعلياً بقوة الأسطول الأميركي. وقد حتّم نمو التجارة الأميركية مع ميناء سميرنة العثماني، ورغبة الحكومة العثمانية في الاستفادة من الخبرة الأميركية في مجال صناعة السفن لإعادة بناء أسطولها المدمر في معركة نافارينو عام ١٨٢٧ إلى عقد معاهدة آيار عام ١٨٣٠ بين البلدين.

تركز التغلغل الاقتصـــادي الأميركي في الدولة العثمانية بالدرجة الأولى على التجارة، وعلى الرغم من التوســـع الملحوظ في إجمالي حجم التجارة بين البلدين، إلا أن التبادل التجاري الأميركي مع الدولة العثمانية لم يرتق إلى مســـتوى التبادل التجاري العثماني مع باقي الدول الأوربية مثل بريطانيا وفرنســـا، ومبرر ذلك أن هاتين الدولتين كانتا قد عززتا مركزهما السـياسـي والاقتصـادي في البلاد منذ قرون طويلة مما قلل من فرص باقي الدول الاستعمارية الأقل منها تجربة في هذا المجال، فضـلاً عن العامل الجغرافي وبعد المسافة بين البلدين.

كان ميدان النشـــاط التبشـــيري من أبرز ميادين التغلغل الأميركي في الدولة العثمانية، الذي تركز بصورة رئيسة على نشاط الإرساليات التبشيرية الأميركية في الدولة العثمانية، وقد كان المجلس الأميركي للإرساليات الخارجية من ابرز الهيئات التبشيرية الأميركية التي عملت في الدولة العثمانية على الإطلاق. وعلى الرغم من فشل تلك الإرساليات في تحقيق هدفها الرئيس الذي أنشئت من أجله وهو كسب المسلمين واليهود إلى البروتستانتية، إلا إنها نجحت في استقطاب أعداد كبيرة من غير المسلمين إلى البروتستانتية، لاســـيما الأرمن، وهو أمر له أهميته الخاصـــة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنه لم تكن هنالك أي طائفة بروتستانتية في الدولة العثمانية قبل وصول المبشرين الأميركيين إليها، وكان لمؤسساتهم التعليمية والطبية ودور النشر التي أنشأوها في الدولة العثمانية الفضل الأكبر في هذا النجاح.

قائمة المصادر والمراجع:

١. أسـامة عبد الرحمن نعمان الدوري، العلاقات العراقية – الأمريكية في سـنوات الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥، (بغداد–٢٠٠٦).

٢. أسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، (بيروت–١٩٧٣).

٣. انسكلوبيديا الكترونية، منشورة على الانترنت.

٤. بونداريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي، ترجمة الياس شاهين، (موسكو–١٩٨٥).

٥. بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، ترجمة: خيري الضامن، (موسكو– ١٩٧٥).

٦. جلين تكر، معارك طرابلس بين الأسـطول الليبي والأسـطول الأمريكي في القرن التاسـع عشـر، ترجمة عمر الديداوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني (طرابلس – د.ت).

٧. جواد رضـــا رزوقي الســـبع، تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأميركية في الدولة العثمانية (١٨٣٠–١٩٠٩)، رســـالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

٨. جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، أحسان عباس، (بيروت–١٩٦٦).

٩. دكستر برنكس، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة وتحليل، ترجمة: حسين عمر، (القاهرة–١٩٥٢).

١٠. رأفت غنيمى الشيخ، أميركا والعلاقات الدولية، (القاهرة–١٩٧٩).

١١. راي ون ايروين، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأميركية ١٧٧٦–١٨٢٦، ترجمة: إسماعيل العربي، (الجزائر–١٩٧٦).

١٢. سالار اوسي ويوسف إبراهيم الجهماني، تركيا وأمريكا، سلسة ملفات تركية، ط ١، (دمشق–٢٠٠٠).

١٣. سحر عباس خضير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تركيا ١٩١٧–١٩٢٣، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠١.

١٤. سلوى سعد الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية ١٨٣٠–١٩١٨، (القاهرة–٢٠٠٢)

١٥. صلاح العقاد، المغرب العربي، (القاهرة–١٩٦٥).

١٦. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، " بداية الإمتيازات الأمريكية في الشرق الأوسط "، مجلة الدارة (الرياض)، العدد ١، السنة الثانية، تموز ١٩٨٢.

١٧. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، "بداية الوجود الأمريكي في البحر المتوسط"، مجلة كلية العلوم الاجتماعية (الرياض)، العدد ٦، ١٩٨٢.

١٨. فؤاد المرسي خاطر، " النشاط الأمريكي في الوطن العربي في القرن التاسع عشر"، مجلة آداب المستنصرية (بغداد)، المجلد ٢، العدد ٢٣، ١٩٧٨.

١٩. قسطنطين بتكوفتش، لبنان واللبنانيون، سلسة المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث، ١٨٨٥.

٢٠. الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج١، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ط ١، (البصرة–١٩٨٢).

٢١. كمال مظهر احمد، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، (بغداد–١٩٧٨).

٢٢. لينوار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر ١٨٣٠–١٩١٤، ترجمة: فاطمة علم الدين عبد الواحد، (مصر–١٩٨٧).

٢٣. مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٣، ١٩٨٣.

٢٤. مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٣، (بيروت–١٩٦٤).

٢٥. الموسوعة العربية الميسرة، ج ١–٢، (بيروت – ١٩٨٧).

٢٦. نصار غلمية، سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأميركية، ط١، (بيروت–١٩٨١).

٢٧. نصر شمالي، "قرنان منذ أول حرب أميركية ضد العرب "، جريدة المغرب العربي، ٢٠٠٦ http://www.geocities.com/nassershamali/new_page_141.htm

٢٨. نقولا زيادة، " ليبيا في القرن التاسع عشر"، مجلة الأبحاث (بيروت)، السنة ١١، ج ١، آذار ١٩٥٨.

٢٩. نوري عبد بخيت السامرائي، " مبدأ مونرو وحقيقة أهدافه"، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٤، الستة ١٤، ١٩٨٩.

٣٠. هاشم سوادي هاشم السوداني، العلاقات الأمريكية العثمانية ١٩٠٨–١٩٢٠، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية – جامعة الموصل، ٢٠٠٢.

٣١. هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية، المرحلة الأولى ١٧٧٤–١٨٥٦، (بغداد–١٩٩٠).

٣٢. هيفاء معلوف الإمام، "العلاقات الأمريكية الشمال افريقية في العصر الحديث"، المجلة التاريخية المغربية، السنة ٦ ، العدد ١٥-١٦ ، (المغرب-١٩٧٩).

References:

- A.C. Bailey, A Diplomatic History of The American People, (New York-1925).
- A.L. Tibawi, American Interests in Syria 1800-1901, A Study of Education, Literature and Religion, (Oxford-1966).
- A.L. Tibawi, British Interests in Palestine 1800-1901, A Study of Religious and Educational Enterprise, (Oxford-1961).
- A.N. Kurat, Turk-Amerikan Munasbetlerine Kisa Bir Bakis 1800-1959, (Ankara-1959).
- American Board of Commissioner for Foreign Missions (A.B.C.F.M.).
- C. D. Paullin, Diplomatic Negotiations of American Naval Officers 1774-1883, (New York-1965).
- Cagri Erhan, Turk-Amerikan Iliskilerinin Tarihsel Kokenleri, (Ankara-2001).
- Carl Max Kortepeter, The Ottoman Turks: Nomad Kingdom to World Empire, Isis Press, (Istanbul-1991).
- Charles Issawi, the Economic History of Turkey 1800-1914, (London-1984).
- David H. Finnie, Pioneers East: The Early American Experience in the Middle East, (Massachusetts-1967).
- E.A. Speiser, The United States and The Middle East, (London-1947).
- Encarta Encyclopedia, Copy Wright, 2006. DVD.
- F.F. Beirn, The War Of 1812, (New York-1949).
- Frank E. Ross, "The Mission of Joseph Donaldson 1795-1799", The Journal of Modern History, Vol. Vii, No. 3, (1939).
- H. Hill, Napo leon Era, (London-1949).
- H. Miller, Treaties and Other International Acts of the United States of America, Vol. I, (Washington-1933).
- Harold Margaret Sprout, the Rise of American Naval Power 1776-1918, First Edition, (Princeton-1939).
- Harry N. Howard, "Bicentennial in American-Turkish Relations", The Middle East Journal, Vol. 30, No. 3, Summer 1976.
- Harry N. Howard, Turkey the Straits and U.S. Policy, (Baltimore & London-1974)
- Henry Smith, the Question of Greek Independence, a Study of British Policy in the Near East 1821-1942, (London-1942).
  http://jsri.ro/old/html%20version/index/no_11/boztemur.htm

- J.C. Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politics, A Documentary Record 1535-1914, Vol. I, 2 Editions (New Haven&London-1956).
- James A. Field, American and the Mediterranean World 1776-1882, (Princeton-1969).
- James Grant Wilson, And Others, Appleton's Cyclopedia of American Biography, Six Volumes, (New York-2001): Appleton's Encyclopedia, Copyright, 2001.
- James W. Spain, "The United States, Turkey and The Poppy", The Middle East Journal, Vol. 3, No. 29, Summer-1975.
- Joseph L. Grabill, Protestant Diplomacy and the Near East, Missionary Influence on American Policy 1810-1927, (Minneapolis-1971).
- Joseph S. Szyliowicz, Education and Modernization in the Middle East, (London-1979).
- Leland James Gordon, American Relations with Turkey 1830-1930, An Economic Interpretation, (Philadephia-1932).
- Marian Kent, the Great Powers and the End of the Ottoman Empire, (London-1984).
- Nasim Sousa, the Capitulatory Regime of Turkey, (Baltimore-1933).
- O.W. Elsbrece, the Rise of Missionary Spirit in America 1700-1816, (Boston-1928).
- Orhan Koprulu, "Tarihte Turk-Amerkan Munasebetleri", Belleten, Li 200,1987.
- P.E. Shaw, American Contact with The Eastern Church, (Chicago-1937).
- Quoted In Edward Mead Earal, "American Interest in The Greek Cause 1821-1827", American History Review, XXIII, (Oct. -1927).
- Recep Boztemur, "Religion and Politics in The Making of American Near East Policy, 1918-1922", Journal for The Study of Religions and Ideologies, No.11 Summer 2005.
- Richard B. Morris, Encyclopedia of American History, (New York-1953).
- Robert W, Stookey, American and The Arab States, Un Easy Encounter, (U.S.A-1975).
- Robert W. Stookey, "The Holy Land And, The American Experience", Middle East Journal, Vol. 30, No. 3, Washington, Summer-1976.
- Roger Trask, The United States Response to Turkish Nationalism and Reform 1914-1939, (Minneapolis-1970).
- Rufus Anderson, History of The Mission of the A.B.C.F.M To the Oriental Churches, 2. Nd Edition, (Boston-1925).
- S.E. Morison, the Maritime History of Massachusetts 1773-1850, (Oxford-1961).
- Samuel Flagg Bemis, A Diplomatic History of The United States, (New York-1970).
- Sydney Nettleton Fisher, Evolution in The Middle East, (Washington-1953).
- Thomas A. Bryson, American Diplomatic Relation with The Middle East 1784-1975: A Survey, (N. J.-1977).

- Wayne S. Vucinich, The Ottoman Empire, Its Record and Legacy, (New York-1965).
- William R. Polk, The United States and The Arab World, 3. Edition, (U.S.A-1975).

أثر مؤلفات الإمام الغزالي على ابن الجوزي

The Impact of Imam Al-Ghazali's Writings on Ibn Al-Jawzi

م. م. أشرف عزيز عبدالكريم *

Ashraf Aziz Abd Al-Karim *

الملخّص:

يهدف البحث إلى كشف مدى تأثر العلماء فيما بينهم، والذي بموجبه يولد نتائج إيجابية في مجال التصنيف فابن الجوزي كان من أشدّ المتأثرين بالغزالي في المجال العلمي بالرغم من نقده بعض مؤلفاته. ومن هذا التأثر هناك تشابه فيما بينهم سواء كان في العناوين أو مضمون بعض الكتب، نأخذ مثال كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي الذي انتهج ابن الجوزي نفس نهجه في مضمون كتابه بكتاب عنوانه "منهاج القاصدين ومفيد الصادقين"، وهناك كتب متشابهة إلى حدٍ ما في العناوين مثل كتاب "التبر المسبوك في سيرة الملوك" للغزالي وكتاب "الذهب المسبوك في سيرة الملوك" لابن الجوزي.

وشملت مادة البحث مشتركات ابن الجوزي من الغزالي في مجالات الوزارة، والمذاهب والفرق والعزلة والمخالطة والوعظ وغيرها من المواضيع.

ولا يخلو البحث من نقد ابن الجوزي للغزالي في بعض المسائل التي وضحها في بعض كتبه مثل "منهاج القاصدين" وكتاب "تلبيس إبليس" هذا النقد لا يدل على كراهية ابن الجوزي لتصوف الغزالي بدليل تردد ابن الجوزي إلى شيوخ ورابطة الصوفية.

ويبدو أنّ جميع كتب الغزالي كانت في متناول ابن الجوزي من خلال اقتباس أفكار وعناوين ومضامين كتب الغزالي في مجالات مختلفة.

الكلمات المفتاحية : الغزالي، ابن الجوزي، الاقتباس، نقاط التشابه، التأثير.

Abstract :

The purpose of the research is to reveal the vulnerability of scientists among themselves, which generates positive results in the field of classification. Ibn Al-Jawzi was one of the most influenced by Al-Ghazali in the scientific field, even if he criticizes some of his writings. Among these, there is a similarity between them, whether in the titles or in the content of some books. We take the example of the book of Al-Ghazali "Revival of religious sciences" in which Ibn Al-Jawzi took the same approach in the content of his book, in a book entitled "Minhaj al-

* كلية التربية/ جامعة الموصل – العراق.

Email: Mobell160@gmail.com

* College of Education/ University of Mosul - Iraq.

Qasidin w Mufid al-Sadiqin", and there are books that are somewhat similar in titles, such as the book "Al-Tabar al-Masbok fi Sirat al-Muluk" by al-Ghazali and the book "Al-Dhahab al-Masbok fi Sirat al-Muluk" by Ibn al-Jawzi.

The research material included Ibn Al-Jawzi's commonalities with Al-Ghazali in the areas of the ministry, doctrines, sects, isolation, mixing, preaching, and other topics.

The research is not without Ibn Al-Jawzi's criticism of Al-Ghazali in some of the issues that he clarified in some of his books, such as "Minhaj al-Qasidin" and the book "Deceit of Iblis". This criticism does not indicate that Ibn Al-Jawzi hates of Al-Ghazali's Sufism, with evidence that Ibn Al-Jawzi frequent visits to Sufi sheikhs and associations.

It appears that all of Al-Ghazali's books were within Ibn Al-Jawzi's reach by quoting thoughts, titles, and contents of Al-Ghazali's books in various fields .

Keywords: Al-Ghazali, Ibn Al-Jawzi, Quotation, Commonalities, Influence.

المقدمة:

كانت وفاة الإمام الغزالي سنة ٥٠٥ هجرية، وولادة ابن الجوزي ٥١٠ هجرية، وهذا يعني أن ابن الجوزي لم يكن معاصـــرًا للغزالي. بالرغم من ذلك كان ابن الجوزي متأثرًا جدًّا به ومطلع على جميع كتبه وخاصـــة كتاب "إحياء علوم الدين" حيث قام ابن الجوزي باختصـــار هذا الكتاب باسـم "منهاج القاصـــدين ومفيد الصادقين" وألّف كتاب آخر بهذا الخصوص باسم "إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء" .

يذكر الغزالي في كتابه الغرور أنه سوف يصنف كتاب باسم "تلبيس إبليس" اذا توفر له وقت إلا أنه لم يحدث، فقام ابن الجوزي بتأليف كتاب بعنوان "تلبيس إبليس" وقد اقتبس الفكرة من الإمام الغزالي.

أما بالنســبة لعناوين الكتب المتشــابهة فقد اقتبس ابن الجوزي بعض عناوين كتبه من الغزالي على سبيل المثال منهاج العارفين للغزالي ومنهاج الصادقين لابن الجوزي وألّف الغزالي كتب في مجال السياسة ككتاب التبر المسبوك في سيرة الملوك وقام ابن الجوزي بتأليف كتاب الذهب المسبوك في سيرة الملوك .

بالنسبة للكتب المتشابهة في المضمون اشترك كلا الإمامين ببعض الكتب مثل "أيها الولد" للغزالي و"لفتة الكبد في نصـــيحة الولد" لابن الجوزي وكلاهما في مجال النصـــيحة وكذلك ألّف كلا الإمامين في مجال الفرق التي ظهرت فألّف الغزالي كتاب "فضائح الباطنية" وألّف ابن الجوزي كتاب "القرامطة".

شـــعر الإمامين بالندم في نهاية حياتهما، الغزالي ندم على دراســـة علم الكلام والفلســـفة ومخالطة رجالات السلطة، وتوجه نحو التصـوف والعزلة. وابن الجوزي ندم على مخالطة رجالات السـلطة وفضـل العزلة، وله كتاب بهذا الخصوص بعنوان العزلة.

الوعظ أهم ما يميز الإمامين فألفه كتب بهذا الفن وكلاهما أيضًا سلك مسلك التدريس، حيث درس الغزالي بالمدرسة النظامية ودرس ابن الجوزي في خمسة مدارس أهمها الجوزية ومدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني والمدرسة الشاطئية.

وكان للمسجد الأقصى مكانة لدى العلماء فألف الغزالي كتاب بعنوان معارج القدس في مدارج معرفة النفس بينما كان عنوان كتاب ابن الجوزي فضائل بيت المقدس .

بعدما أصيب الغزالي بمرض قرر أداء فريضة الحج وله كلام عن في هذا الجانب بينما ابن الجوزي زار بيت الله مرتين وألف كتاب الحج بعنوان مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، وجاء ترتيب الفقرات حسب الأحرف الأبجدية.

التدريس:

التدريس أهم ميزة كانت تميز علماء العصر العباسي وتصنيف الكتب كانت نواته الأولى وسوف نتطرق في هذه الفرقة عن المدارس التي درس بها الإمامين الغزالي وابن الجوزي.

قام الإمام الغزالي بالتدريس في عدة مدارس وكان أهمها المدرسة النظامية من خلال معرفته بالوزير نظام الملك الذي كان له اهتمام بالمدارس حيث قام بأنشـــاء العديد منها، فلما التقى الإمام الغزالي بالوزير نظام الملك اعجب به لما يمتلكه من علم ومعرفة حيث قدمه ووجهه إلى بغداد، وهناك قام بالتدريس فالتف حوله كبار العلماء، وطلاب المعرفة ينهلون من علمه الجم وغزيرة معرفته (الغزالي، د. ت.، ٨) .

هذا الأمر ولد عدد من التلاميذ إذ يذكر الغزالي " فاقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التدريس والتصـــنيف في العلوم الشـــرعية، وأنا ممنو (ممنو : اي المنعم علي ويقصـــد انعم الله عليه) بالتدريس والإفادة لثلاثمئة نفر من الطلبة ببغداد " (الغزالي، د. ت.، ١٥).

وإن أفضـل شـيء حصـل للإمام الغزالي هو التدريس حسـب قوله: " ثم لاحظت أحوالي، فاذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من كل جانب ولاحظت أعمالي – وأحسـنها التدريس والتعليم – فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة، ولا نافعة في طريق الآخرة." (الغزالي، د. ت.، ٣٦).

ويذكر أيضًـــا أن التدريس لم يكن خالص لله ســـبحانه وتعالى إذ يقول " ثم تفكرت في نيتي في التدريس، فإذا هي لم تكن خاصـــة لوجه الله تعال ،بل باعثها ومحركها طلب الجاه، وانتشـــار الصـــيت (الغزالي، د. ت.، ٣٦).

هذا الأمر دعاه إلى التفكير في مغادرة بغداد متوجه إلى بلاد الشـــام وهو في حيرة من امره ومتردد بين تجاذب شـهوات الدنيا ودواعي الآخرة إلا أن الأمر تحول من الاختياري إلى الاضـطراري إذ أصـيب بمرض إذ يذكر ذلك بقوله " اقفل الله على لسـاني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت اجاهد نفسـي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب المختلفة إلى، فكان لا ينطق لسـاني بكلمة واحدة ولا أسـتطيعها البتة "(الغزالي، د. ت.، ٣٧). وبعد ذلك تعالج الغزالي من مرضه ولازم العزلة ولم يُدرس مدة عشر سنين. وبعد ذلك عاد إلى وطنه (الغزالي، د. ت.، ٣٩). وقام بالتدريس هناك وعلى الرغم من المراســـلات التى قام بها رجالات السـلطة بالعودة إلى بغداد والتدريس بها إلا أنه رفضـها بالجملة، وبعد وفاة الوزير نظام الملك (٥٠٤ هـ/ ١١١٠م) ووفاة شـمس الإسـلام كيا الهراسـي لم يعد هناك من يقوم بالتدريس بالمدرسـة النظامية فوقع الاختيار على حجة الاسـلام الغزالي الذي لم يوافق على التدريس لأسـباب دينية (الغزالي، ١٩٧٢: ٧٥ – ٧٦).

أمّا بالنسبة لابن الجوزي فقام بالتدريس في خمس مدارس جميعها في بغداد وأولها كانت مدرسة أبي حكيم النهرواني والمدرسـة الثانية كانت مدرسـة ابن شـمحل (ابن الجوزي، د. ت.، ١٤٩–١٥٠) حيث قام بالتدريس بها بعد وفاة أبو حكيم النهرواني (ابي حكيم النهراني هو ابو ابراهيم بن دينار ولد ســـنة ثمانين وأربعمائة قام بالتدريس في مدرســـة ابن الشـــمحل اذا كان عاماً في المذهب والاخلاق والفرائض) (ابن الجوزي، د. ت.، ١٤٩) بشـهرين سـلمت إلى تلميذه ابن الجوي فقام بالتدريس بها من بعده (ابن الجوزي، د. ت.، ١٤٩–١٥٠؛ سبط، ٢٠١٣: ١٨) والمدرسة الثالثة هي بنفشا الشاطئية (رؤوف، ١٩٦٦: ١٨٤).

قام ابن الجوي بالتدريس بها سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) إذ يقول " سلمت الي المدرسة التي كانت دترا لنظام الدين أبي مصـر بن جهير وكانت قد وصـلت ملكيتها إلى الجهة المسـماه بنفشـة فجعلها مدرسـة وسلمتها إلى ابو جعفر ابن الصباغ (ابو جعفر ابن الصباغ : ولد سنة ثمان وخمس مئة شافعي المذهب ولي القضـاء في بغداد، كان نزيهاً دخل في صـلاة العصـر، فصـلى ثلاث ركعات ومات في الرابعة، دفن بباب حرب) (سبط ، ٢٠١٣: ٣٨٥)، فبقي المفتاح معه أيامًا استعدت منه المفتاح وسلمته إلى من غير طلب كان مني" (الجوزي، د. ت.، ٢١٤؛ سبط ، ٢٠١٣: ١٢٥؛ بن رجب، د. ت.، ٤٧٤).

أما المدرسـة الرابعة كانت المدرسـة الجوزية (رؤوف، ١٩٦٦: ١٨٢) حيث قام ببناء هذة المدرسـة لنفســـه يدرب دينار ووقف عليها كتبه (بن رجب، د. ت.، ٤٨٥) وآخر مدرس درس بها هي مدرســـة المخرمي (مدرسـة عبد القادر الجيلاني) (رؤوف، ١٩٦٦: ١٤٠) بعد مشـاكل حدثت مع أسـرة عبد القادر

الجيلاني اذ يذكر ابن رجب في ترجمة الركن عبد السلام حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني إذ قال " أخرجت مدرسة جده من يده ويد أبيه عبدالوهاب وفوضت إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي فذكر فيها الدروس مدة"(ابن رجب، د. ت.، ١٥٥-١٥٦).

إنّ البحث في هذا الموضوع يتطلب كتابة أطروحة وذلك لوفرة المادة، وقد اختصرنا التصوف من وجهة نظر الإمامين، بالنسبة للإمام الغزالي فإنه يعتبر من كبار رواد التصوف في عصره إذ ذكر في كتابه (المنقذ من الضلال) " اني علمت يقيناً أنّ الصوفيين هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أقرب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق" (الغزالي، د. ت.، ٣٩) .

وقد صنف كتب في التصوف منها كتاب (بداية الهدايا) (الغزالي، ٢٠٠٤، د. ص. ؛ الحنبلي، ١٩٨٦: ٢١)، إلا أن اهم كتب التصوف (إحياء علوم الدين) (الغزالي، ٢٠٠٥، د. ص.)، الذي خصص جزء منه في غرور المتصوفين وقسمه إلى أصناف (الغزالي، ٢٠٠٥: ١٣٢٣-١٣٣٥؛ الشامي، ٢٠٠٦: ١٣٨) . وأن كتاب إحياء علوم الدين أكثر الكتب التي تأثر بها ابن الجوزي الذي كان رأيه في التصوف ما بين المدح والذم الذي تمثل في بعض المسائل خاصة في كتابه (تلبيس إبليس) وكتاب (صيد الخاطر) اما في كتابه الأول فقد خص الإمام الغزالي في نقده (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦٠ – ٣٨٦) وفي صيد الخاطر خص الصوفية بشكل عام (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٥٣-٥٧١) .

وجهة نظر ابن الجوزي للتصوف ينقسم إلى رأيان: الأول عن صوفية عصره والثاني عن صوفية القدامى.

بالنسبة للرأي الأول قال فيهم " مختلطة الصوفية اليوم الذين لا نظر لهم في الرزق الحاصل... لا يتواعون ان يأخذوا من ظالم "(ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٥٦٨-٥٦٩).ويذكر أيضًا " وقد كان اوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦١).

ويذكر أيضًا " كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهد منها... فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٧٨-١٧٩).

كان ابن الجوزي محب الصوفية القدامي بدليل ما ذكره " لقد دخلت بعض الاربطة" (ابن الجوزي، د. ت.، ١٧٩) ويذكر أيضًا في ترجمه احد كبار الصوفية في عصرة " وكنت ازوره كل سبت وانا صبي فيدعوا لي ويقرأ على صدري "(ابن الجوزي، د. ت.، ٢٨٨) وأيضًا جاء في ترجمة احد كبار علماء

الصوفية منهم منصور ابو نصر الصوفي الهمذاني اذ قال " سمعت عليه الحديث في رباط بهزاد الخادم "(ابن الجوزي، د. ت.، ٢٢)

لا يخفى علينا ان ابن الجوزي تتلمذ في صباه على يد علماء الصوفية ولكن الأثر الذي تركه له كتاب الإحياء للإمام الغزالي كان واضحاً من خلال نقد الغزالي في بعض المسائل في كتابه تلبيس إبليس وكذلك اختصاره كتاب الإحياء بكتاب أسماه منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) (ابن الجوزي، ٢٠١٠، د. ص.).

تلبيس إبليس بين الإمامين:

أثر مؤلفات الإمام الغزالي على ابن الجوزي واضحاً وخاصة في تأليف ابن الجوزي كتابه (تلبيس إبليس) إذ أن فكرة الكتاب اقتبسها من الغزالي بدليل ما ذكره الغزالي " سنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع، ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسميه (تلبيس إبليس) فإنه انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد للسينما في المذاهب والمعتقدات، حتى لم يبقى من الخيرات إلا رسمها، كل ذلك اذعاناً لتلبيسات الشيطان ومكايده" (الغزالي، ٢٠٠٥: ٩٧٠).

وما يؤكد صحة ذلك ما ذكره تلميذه ابن العربي إذ قال " وقد قال لي شيخنا الطوسي: إن أمهلت فسأفرد كتاباً لتلبيس إبليس "(العربي، ١٩٨٦: ٦٣٢) .

من خلال ما تقدم يتضح أن ابن الجوزي كان مطلع على كتب الغزالي وقام بتأليف كتابه المسمى تلبيس إبليس وكذلك مطلع على كتاب الإحياء الذي قام باختصاره في كتابان الاول منهاج القاصدين ومفيد الصادقين والثاني إعلام الاحياء بأغلاط الإحياء (سبط، ٢٠١٣: ٩٨) اما بالنسبة لكتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي فقد قسمه إلى ثلاث عشر باباً إذ بدء كلامه عن الشيطان واحتوى الباب الثالث من الكتاب على معنى إبليس ومكايده بينما احتوى الباب الرابع على معنى الغرور "(ابن الجوزي، د. ت.، د. ص.) الذي ألف الغزالي كتاب بعنوان الغرور ويتضح أن مادة كتاب تلبيس إبليس فيما يخص الغرور مقتبسه من كتاب الغزالي (الغزالي، ٢٠٠٥: ١٢٩٧-١٣٠٩) .

الحج:

قام الغزالي بأداء فريضة الحج حيث ذكر ذلك في كتابه المنقذ من الضلال إذ قال " ثم تحركت في داعية فريضة الحج، والإستمداد من بركات مكة والمدينة، وزيارة رسول الله (صل الله عليه وسلم) بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله وسلامه عليه فسرت إلي الحجاز "(الغزالي، ٢٠٠٥: ٣٨) إذ ان السبب

الحقيقي وراء اداء فريضة الحج هو المرض الذي أصابه اذ قال " قفل الله لساني حتى اعتقل عن التدريس "(الغزالي، د. ت.، ٣٧) وللغزالي كتاب عن الحج بعنوان (أسرار الحج) فيه تفاصيل دقيقة على فضيلة الحج مقسم إلى فصول" (الغزالي، ٢٠٠٥ : ٢٨٣-٣١٤). ذكر الغزالي الحج في كتابه منهاج العارفين في الباب الثالث والعشرون بشكل مختصر (الغزالي، ١٩٦٨: ٣٥).

أمّا بالنسبة لابن الجوزي قام باداء فريضة الحج مرتين الاولى كانت سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) إذ قال في احداثها " حججت انا ومعي الزوجة والأطفال "(ابن الجوزي، د. ت.، ٥٠)، وقصدها مرة ثانية في سنة (٥٥٣ هـ/ ١١٥٨ م) إذ ذكر " حججت في هذه السنة فتكلمت في الحرم نوبتين وزرنا قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٦).

وقد صنف ابن الجوزي كتاب عن الحج وذكر فيه عدة أبواب في أداء فريضة الحج سماه (مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن)(ابراهيم، ١٩٩٥). وله كتاب آخر بعنوان (كتاب أسرار الحج ومهاته) مقسم إلى ثلاث أبواب (ابن الجوزي,١٩, ١٩٧-٢٣٦)، وله كتاب آخر عن الحج بعنوان (كتاب الحج) مقسم إلى ثلاث عشر باباً (ابن الجوزي، ١٩٦٦: ٢٠٩-٢٢٠).

الطب:

اشترك الإمامين في تصنيف الكتب في مجال الطب، إذ اقتبس ابن الجوزي كتابه المسماه (الطب الروحاني) (ابن الجوزي،١٩٨٦: د.ص.) من الإمام الغزالي الذي بدوره صنف في المجال نفسه كتاب بعنوان (الطب الروحاني للجسم الانساني) (الغزالي، ١٩٩٢)، وله كتاب آخر بعنوان (مجريات الغزالي في الطب الروحاني أو الأسرار المخزونة في الطب الروحاني) (الغزالي، د.ت.: د.ص.) أي أن أغلب كتب الغزالي المذكوره هي نفس الكتاب بمسميات مختلفة وله بعض النصوص التي تدل على معرفته بالطب متناثرة في بطون كتبه على سبيل المثال لا الحصر، إذ ذكر في كتابه ايها الولد في النصيحة الرابعة قال فيها " لو كان لرجل حرارة أو مرض صفراوي، يكون علاجه بالسنكنجبيل والكشكاب، فلا يصل البر إلا باستعمالها" (الغزالي، د.ت.: ٢١).

لقد ذكرنا إن لابن الجوزي كتاب في الطب بعنوان (الطب الروحاني) وأيضًا له عدة كتب في المجال نفسه منها(كتاب المرض) المقسم إلى ابواب منها باب كتمان المرض، وباب تمحيص المرض للذنوب، وباب ان البلاء علامة المحب، وباب ثواب المريض، وباب ثواب من ذهب بصره، وباب ذكر العدوى، باب مخبئ العافية قليلًا قليلًا المذكور في كتاب الموضوعات (ابن الجوزي، ١٩٦٦: ١٩٩-٢٠٩). له

كتاب (الطب) المذكور أيضًا في كتاب الموضوعات المقسم إلى عدة ابواب منها باب شرب الدواء، وباب الحمى والاغتسال للمحموم وباب الاستشفاء بالقرآن، وباب فضل الحجامة يوم الثلاثاء، وباب تأثير العسل في الأمراض (ابن الجوزي، ١٩٦٦: ٢١٠-٢١٥)، ولابن الجوزي أيضًا كتاب في الطب بعنوان (لقط المنافع) ذكره في كتابه تلبيس إبليس (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٧٩).

وله أيضًا نصوص عن الطب وعلاج بعض الحالات إذ يذكر " أن الماء الكدر يولد الحصا في الكلية والسدد في الكبد، وأنّ الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة، ويقوي الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة، وإذا كان الماء حاراً افسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سخن بالشمس خيف منه البرص (ابن الجوزي، د. ت.، ٢١٠).

ونقد الصوفية الذين يرفضون التداوي ويفضلون التوكل على الله (ابن الجوزي، د. ت.، ٢٧٩).

العزلة:

لجأ الإمامين في نهاية حياتهم إلى العزلة وابتعدوا عن مخالطة رجالات السلطة.

وأن الغزالي له كتاب عن العزلة وكذلك له نصوص وأبواب في هذا الجانب متناثرة في كتبه، سوف نعرضها بشكل مبسط.

فكتابه كان بعنوان (كتاب أداب العزلة) جاء ذكره في كتاب إحياء علوم الدين، وكتاب العزلة قسمه إلى أبواب، الأول كان في حجج المائلين إلي المخالطة ووجه ضعفها وذكر حجج المائلين إلى تفضل العزلة، والباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها وقسمها إلى ست فوائد الأولى كانت في التفرغ للعبادة والفكر، والثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي، والثالثة الخلاص من الفتن والخصومات، والرابعة الخلاص من شرّ الناس، والخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك، والسادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى.

وذكر أيضًا آفات العزلة وقسمها إلى سبع فوائد الأولى في التعليم والتعلم، والثانية النفع والانتفاع، والثالثة التأديب والتأدب، والرابعة الاستئناس والإيناس، الخامسة في نيل الثواب وإنالته، والسادسة من فوائد المخالطة التواضع، والسابعة في التجارب (الغزالي، ٢٠٠٥: ٦٨٦-٧٠٨).

وجاء ذكر العزلة في كتاب (منهاج العارفين) في الباب الخامس والعشرون، كان مختصر الغزالي انه هناك عشرة اشياء يحتاجها الانسان للعزلة وكذلك ذكر ان العزلة هي صيانة الجوارح... وكسر سلاح الشيطان (الغزالي، د. ت.، ٣٧–٣٨).

وهناك نص في كتاب (المنقذ من الضلال) يذكر فيه إنه مال إلى العزلة إذ قال " ثم، خلت الشام، وأقمت بها قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة... فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي "(الغزالي، د. ت.، ٣٨).

وفي دمشق عاش قرابة عشرة سنين في عزلة وخلوة إذ قال " ثم اني واظبت على العزلة قريباً من عشر سنين "(الغزالي، د. ت.، ٤٦).

وحتى بعد عودته إلى وطنة استمر في عزلته إذ قال " ثم جذبني الهممُ، ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته بعد إن كنت ابعد الخلق عن الرجوع إليه، فآثرت العزلة به أيضًا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر "(الغزالي، د. ت.، ٣٩) .

أما بالنسبة لابن الجوزي أيضًا مال في نهاية حياته إلى العزلة وله كتاب ونصوص وأبواب في هذا المجال الأولى جاء ذكر العزلة في كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) الذي كان مقسم إلى فصول ذكر فيها العزلة في الفصل الثامن بعنوان (العزلة والتمثل بأخلاق اهل العلم) ينصح فيه ولده بالعزلة ويحذره من جليس السوء ويذكره بان العزلة هي اصل كل خبر (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٤١–٤٥).

والثانية ذكرها في كتاب صيد الخاطر الأولى بعنوان (العزلة) لا تتجاوز صفحتين (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٧٢– ٧٤).

والثانية بعنوان (عزلة العالم) لا تتجاوز أربع صفحات يذكر فيها أن أفضل شي للعالم هو العزلة (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٣٢٥–٣٢٨).

والثالثة كانت بعنوان (العزلة للعالم وللعابد) يذكر لابد للعالم الزاهد العزلة (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٣٦٨–٣٧٠).

والرابعة بعنوان (وجوب العزلة وذم الصوفية) لا تتجاوز صفحتين (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٥٦٨–٥٧٢).

ولابن الجوزي كتاب مؤلف من جزء واحد إلا أنّه غير مطبوع بعنوان (العزلة) ذكره كل من سبط ابن الجوزي والذهبي والعلوجي (سبط، ٢٠١٣: ٩٨؛ الذهبي، ١٩٩٦: ٣٦٣؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٥٦).

وقد ذكر العزلة أيضًا في كتاب (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) بعنوان (العزلة) وهو مختصر لكتاب العزلة للغزالي (ابن الجوزي، ٢٠١٤: ٤٥٩-٤٧٣)، وفي الفصل الثاني خصص ابن الجوزي فصل عن العزلة في كتابه (المدهش) يذكر فيها ان العزلة حمية البدن (بن الجوزي، د. ت.، ٣٣٨-٣٤١).

عناوين الكتب المتشابهة:

تشمل هذه الفقرة الكتب المتشابهة والقريبة بالعنوان والمضمون، الغزالي سبق ابن الجوزي في تأليف الكتب، وقد انتهج ابن الجوزي واقتبس بعض هذة العناوين واختارها عناوين لكتبه.

صنف الغزالي كتاب بعنوان (التبر المسبوك في سيرة الملوك) (الغزالي، ١٩٨٨: د.ص.)، ولابن الجوزي كتاب مقارب لهذا العنوان (الذهب المسبوك في سيرة الملوك) يبدو أنه في سيرة ملوك الزمان السالفة.

وكذلك للغزالي كتاب بعنوان (جواهر القرآن) (الغزالي، ١٩٩٠)، ولابن الجوزي كتاب مقارب من حيث المضمون والعنوان باسم (جواهر المواعظ) (خليفة، د. ت.: ٦١٧)، وأيضًا له كتاب بعنوان (الجوهر) (الحنبلي، ١٩٩٢: ٣٠٩).

اشترك الإمامين في تصنيف كتب الفرق وأنواعها، بالنسبة للغزالي له كتاب يتكلم فيه عن الباطنية بعنوان (فضائح الباطنية) (الغزالي، د.ت.)، وقام ابن الجوزي بتصنيف كتاب يتكلم أيضًا عن الفرق بعنوان (القرامطة) (بن الجوزي، ١٩٦٨).

ومن الكتب المتشابهة في العنوان والمضمون كتاب (منهاج العارفين) (ينظر تفاصيل هذا الكتاب فيما سبق)، وصنف ابن الجوزي كتاب مقارب من حيث العنوان والمضمون بأسم (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) (ينظر تفاصيل هذا الكتاب فيما سبق).

أيضًا من المتشابهة في العنوان والمضمون في مجال النصيحة والإرشاد هو كتاب (أيها الولد) (قام بتحقيقه وتقديمه: جميل ابراهيم حبيب) للإمام الغزالي وهو عبارة عن مجموعة من النصائح قدمها الغزالي إلى تلميذه، وقام ابن الجوزي بتصنيف كتاب عن النصيحة والإرشاد بعنوان (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) (الدرويش، ٢٠١٤) وهو محج عدة نصائح قدمها ابن الجوزي لابنه.

وقام الإمامين بتأليف كتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، للغزالي كتاب بعنوان (فقة السيرة) (الغزالي، ١٩٦٥) وهو في سيرة الرسول، ولابن الجوزي عدة كتب عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم منها كتاب (الوفاة بفضائل المصطفى) (سبط، ٢٠١٣: ٩٧) وكتاب (مولد النبي) (العلوجي، ١٩٩٢: ٢٤٢) وكتاب (حديث وفاة الرسول) (العلوجي، ١٩٩٢: ١٢٣).

ومن الكتب المتشابهة في العنوان والمضمون هو كتاب (السحر) (الغزالي، د.ت.) للغزالي، وكتاب (نسيم السحر ومنظوم الدرر) (بن الجوزي، ٢٠١٨) لابن الجوزي.

ومن الكتب المختلفة في العنوان والمشابهة في المظموم كتاب إحياء علوم الدين للغزالي وكتاب منهاج القاصدين ومفيد الصادقين لابن الجوزي وهو اختصار لكتاب إحياء علوم الدين أيضًا اختصره بكتاب آخر بعنوان إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء سوف ننطرق عليهم بشكل مفصل بفقرة (ما بين كتاب إحياء علوم الدين ومنهاج القاصدين).

الغرور:

يؤدي غرور الإنسان إلى التنكر للحق والابتعاد عنه، وقد صنف الإمام الغزالي كتاب عن المغرورين بعنوان (ذم الغرور) وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين، إذ قام الغزالي بتصنيف المغرورين من العلماء والقضاة والصالحين ويذكر ان فرق المغرورين كثيرة إلا انه جمعهم في اربع اصناف، الاول العلماء، والثاني العباد، والثالث المتصوفة، والرابع أرباب الأموال (الغزالي، ٢٠٠٥: ١٢٩٦-١٣٣٥).

اما ابن الجوزي قام باختصار كتاب الإحياء من ضمنه كتاب ذم الغرور للغزالي وسماه نفس تسمية كتاب الغزالي باسم (كتاب ذم الغرور) إلا أنه قام بحذف بعض المسائل منه، وكان تقسيم كتاب ابن الجوزي إلى العلماء، والصنف الثاني ارباب التعبد والعمل، والصنف الثالث المتصوفة، والصنف الرابع أرباب الأموال (ابن الجوزي،٢٠١٠: ٩١٦- ٩٧٠).

من خلال ما تقدم ان ابن الجوزي لم يغير من عناوين كتاب الغزالي ولكن قام بحذف بعض الاحاديث والمسائل التي يشويها الشك.

وقد ذكر ابن الجوزي الغرور في كتابه تلبيس إبليس لكن بشكل مختصر جدا في الباب الرابع في معنى التلبيس والغرور (ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٣٨-٣٩).

الفرق:

حمل الإمامين مهمة الدفاع عن الدين الاسلامي ومواجهة الفرق الباطنية، فألف كلاهما كتات عنهم وذكره تفاصيل فرقهم إلا ان الغزالي أطنب في ذكرهم بشكل مفصل من خلال كتابة (فضائح الباطنية)، اما ابن الجوزي ذكرهم بشكل مختصر وان كتابه (القرامطة) هو اختصار لكتاب الغزالي فضائح الباطنية الذي الفه الغزالي بطلب من الخليفة العباسي المستظهربالله وقد احتوى الكتاب على عشرة ابواب، كان الباب التاسع بعنوان إقامة البراهين الشرعية على ان الإمام القائم على الحق الواجب على الخلق طاعته في عصرنا هذا هو امام المستظهر والله جرس الله ضلاله (الغزالي، د. ت.، ١٣٥–١٧١).

وقد ذكر الغزالي في الفصل الأول من الباب الثاني في كتابه فضائح الباطنية الألقاب التي تداولتها هذه الفرق على اختلاف العصور وهي عدة ألقاب (الباطنية، القرامطة، الخرمية، الاسماعلية، البابكية، المحمرة، التعليمة، السبعية، الخرمدينية) (الغزالي، د. ت.، ٢١–٢٦)، وهذا يعني ان الغزالي شمل جميل الفرق على عكس ابن الجوزي الذي ألف كتاب عن القرامطة فقط الذي اقتبس فكرته من كتاب فضائح الباطنية للغزالي الذي ذكر القرامطة بشكل مختصر إذ قال عنهم " اما القرامطة فإنما لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال حمدان قرمط وكان احد دعاتهم في الابتداء، فستجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية "(الغزالي، د. ت.، ٢٢–٢٣).

من خلال قراءة كتاب (القرامطة) و(فضائح الباطنية) تبين أنّ الإمامين تكفلاً يذكر معنى القرامطة وكشف ميولهم، وقد اعتمد ابن الجوزي بشكل كبير على كتاب فضائح الباطنية للغزالي مع ذكر مواضع الجودة والاختصار وحذف كل ما يخص الفلسفة والمنطق وكذلك بعض المسائل المعقدة التي كانت بعيدة عن فهم عامة الناس.

يتفق الغزالي وابن الجوزي على ان القرامطة والفرق الاخرى هم في الأصل من الباطنية (الغزالي، د. ت.، ١٣٥–١٧١؛ ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٢٩)، إذ قال عنهم ابن الجوزي " هؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع وانا أشير إلى البدايات التي بنوا عليها، ثم إلى الباعث لهم على ما فعلوا؛ من نصيب دعوتهم، ثم إلى القابهم ثم إلى مذهبهم وعلومهم "(ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٢٩–٣٠).

وقد قسم ابن الجوزي القرامطة وفرقهم حسب ما جاء ترتيب كتابه من حيث القابهم وسبب تسميتهم بالاسماعلية وسبب تسميتها بالباطنية وتسميتهم بالقرامطة الذي أطنب في ذكرهم، ويذكر أيضًا سبب تسميتها بالخرمية وكذلك سبب تسميتها بالبابكية وسبب تسميتها بالمحمرة والسبعية والتعليمية (ابن الجوزي،

١٩٦٨: ٣٥-٥٠) من خلال ما تقدم نلاحظ كمية التشابهة في ما ذكره الغزالي عن اصناف الفرق مع ما ذكره ابن الجوزي.

ويذكر ابن الجوزي مذهب القرامطة " واعلم ان مذهبهم ظاهرة الرفض وباطنه الفكر "(ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٥٧).

وذكر ابن الجوزي الباطنية في كتابه تلبيس إبليس بفصـــل منفرد بعنوان تلبيس إبليس على الباطنية وقد أطنب في ذكر تفاصيلهم و تلبيس إبليس عليهم (ابن الجوزي، ١٩٦٨: ٩٩-١١١).

الفلسفة:

يعتبر الإمام الغزالي من رواد الفلاسفة في عصره وله كتب في هذا الجانب منها (تهافت الفلاسفة) (الغزالي، ١٩٦٦) الذي يعتبر من اهم المفاهيم العقلانية النقدية في الاســـلام في مجال نقد المنهج والفكر الفلسفي، وله أيضًا كتاب بعنوان (مقاصد الفلاسفة) (الغزالي، ٢٠٠٠).

الذي يتضمن النظام الداخلي الفلسفة وكشف مضامين النظام بحسب ما يراه الغزالي .

وهناك كتاب آخر في هذا الجانب بعنوان (المنقذ من الضـلال) (ينظر تفاصـيل الكتاب فيما سـبق) الذي تضمن بحث الغزالي عن الحقيقة ومعاناته من اجل استحصالها.

ويعتبر كتاب المنقذ للغزالي نقطة تحول وابتعاده عن الفلســـفة والتوجه إلى المنهج الروحي، ويذكر الغزالي انه قام بدراسـة الفلسـفة دون اسـتاذ او معلم وانه اطلع على علوم الفلاسـفة باقل من سـنتين، ثم لم ازال أواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة، اعاوده وأتفقد غوائله وأغواره حتى اطلع على ما فيها من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل اطلاعاً لم اشك فيه (الغزالي، د. ت.، ١٥).

وكذلك يبين الغزالي ان الفلاسـفة القدامى افضـل من فلاسـفة عصـره إذ قال " فإني رأيتهم أصـناف، ورأيت علومهم اقسـاما، وهم على كثرة أصـنافهم يلزمهم وصـمة الكفر والإلحاد، وان كان بين القدماء مهم والاقدميين، وبين الاواخر منهم والاوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحق بالقرب منه "(الغزالي، د. ت.، ١٥).

ومر الغزالي في مجال الفلسفة بمرحلتين الأولى كان محب لها ومطلع عليها وملم بها إذ يذكر " ولم أزال في عنوان شـبابي... أسـتكشـف أسـرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل... ولا فلسـفيًا إلا

واقصده والوقوف على كنه فلسفته " (الغزالي، د. ت.، ٧). والمرحلة الثانية بدأ يبحث عن حقيقة الفلاسفة وعلمهم وكشف حقيقتهم إذ يذكر" حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس" (الغزالي، د. ت.، ١٥).

وقد قسم الغزالي الفلاسفة إلى اصناف إذ يذكر " واعلم انهم على كثرة فرقهم، واختلاف مذاهبهم، ينقسمون إلى ثلاث أقسام : الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون "(الغزالي، د. ت.، ١٦).

وكذلك قام بتقسيم علومهم إذ قال " اتعلم ان علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه سنه اقسام: رياضية، ومنطقية، طبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية "(الغزالي، د. ت.، ١٩).

اما بالنسبة لابن الجوزي فإنه قرأ كتب الغزالي الفلسفية وتشبع منها إلا انه لم يؤلف كتاب في هذا الجانب بل هناك نصوص وفقرات عن الفلاسفة مبعثرة في كتبه اغلبها نقد لهم.

نقد ابن الجوزي الفلاسفة في كتابه (صيد الخاطر) بعنوان الفلسفة والرهبانية (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣١٧–٣١٨)' وكذلك قام ابن الجوزي بحرق الكتب الركن عبد السلام حفيد عبدالقادر الجيلاني التي احتوت على الفلسفة (سبط، ٢٠١٣: ٥).

ذكرهم أيضًا في كتابه (تلبيس إبليس) بعنوان ذكر تلبيسه على افلاسفة وتابعيهم (ابن الجوزي، د. ت.، ٤٥–٥٠) وذكرهم أيضًا في (صيد الخاطر) بعنوان الرد على المجسمة والفلاسفة (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣٧٤–٣٧٥).

وجاء ذكر فلاسفة اليونان في كتاب المنتظم في الجزء الأول (ابن الجوزي، د. ت.، ٤٢٦–٤٢٧) وذكر في الجزء الثاني علماء اليونان وملوكهم (ابن الجوزي، د. ت.، ٣–٤).

وذكر أيضًا كلام عن الفلاسفة في كتاب (ذم الهوى) في سبب الحب والعشق (ابن الجوزي، د.ت.، ٢٢٥)، وجاء ذكر الفلاسفة في كتاب (الطب الروحاني) بعنوان رياضة النفس (ابن الجوزي، ١٩٨٦: ٥٧).

كلا الإمامين كانا متأثيرين الفلسفة ومتطلعين على كتب فلاسفة اليونان وجاء ذكرهم في كتبهم، ولكن مدى هذا التأثير كان متباين بينهم، فالغزالي كان متأثرًا كثيرًا بالفلسفة وألف كتب في هذا المجال مثل كتاب تهافت الفلاسفة، ومقاصد الفلاسفة وجاء ذكرهم أيضًا في كتاب المنقذ من الضلال، اما ابن الجوزي كان تأثيره محدودًا جداً ونقده لهم كان كثيرًا.

القدس:

للقدس مكانة مقدسة لدى المسلمين والعلماء وكان محط اهتمامهم، إذ صنف اغلب العلماء كتب عن بيت المقدس ومن ضمنهم الغزالي وابن الجوزي.

الغزالي له كتاب بعنوان (معارج القدس في مدارج معرفة النفس) (الغزالي، د.ت.)

يبدو أنه الفه في فترة اقامته في بيت المقدس إذ قال " ثم رحلت منها (يقصد بها الشام) إلى بيت المقدس، وادخل كل يوم إلى الصخرة وأغلق بابها على نفسي"(الغزالي، د. ت.، ٣٨).

ولابن الجوزي كتاب عن بيت المقدس بعنوان (فضائل بيت المقدس) احتوى على خمس وعشرون باباً بدأ بفضل الأرض المقدسة وذكر الجبل الذي عليه بيت المقدس وبداية أسرار البيت وذكر العجائب التي كانت فيه وفضل بيت المقدس وفضل زيارته وفضل الصلاة فيه (بن الجوزي، ١٩٨٠)، ولم يزور ابن الجوزي بيت المقدس ولم يغادر بغداد إلا بأداء فريضة الحج (ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٦).

قيمة الوقت:

نشأة الإمامين وانشغالهم في التأليف وتصنيف الكتب السبب في اهتمامهم بالوقت واستغلاله من أجل نشر العلم والمعرفة إلا أنه لم يصنفه كتاب في هذا الجانب. الا ان لهم نصوص ومواعظ في كتبهم.

الوقت واستغلاله كان مهم لدى الإمام الغزالي اذ ذكر "ولا ينبغي ان تكون أوقاتك مهملة، فتشتغل في كل وقت بما اتفق وكيف اتفق بل ينبغي ان تحاسب نفسك وترتب وظائفك في ليلك ونهارك، وتعيين لكل وقت شغلاً لا يتعداه ولا تؤثر فيه سواه، فيه تظهر بركة الاوقات"(الغزالي، ٢٠٠٤: ١٢٠).

ويذكر أيضًا على أهمية الوقت "وأوقاتكَ عمرك، وعمرك رأسمالك، وعليه تجاربك، وبه وصولك إلى نعيم الأبد"(الغزالي، ٢٠٠٤: ١٢٠).

وينصح الغزالي تلميذه على أمية الوقت واستغلاله في سبيل العلم والمعرفة " كم ليال أحييتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث فيه"(الغزالي، د. ت.، ٢٤).

ويذكر الغزالي ان يكون الانسان منظم لوقته اذ قال " ولن تقدر على ذلك الا بأن توزع أوقاتك، وترتب أورادك من صباحك إلى مسائك"(الغزالي، ٢٠٠٤: ٧١).

وينبغي ان لا يستبق المؤمن الوقت وان يكون السعي للحصول على مراده في أوانه " فلا تسأل قبل الوقت وتيقن انك لا تصل الا بالسير"(الغزالي، د. ت.، ٤٠).

ومن مواعظ الغزالي عن الوقت والحرص عليه وعدم انفاقه فيما لا فائده منه:

فالوقت هو عمر الانسـان، وكل نفس من الأنفاس جوهرة لا تقدر بثمن لأنها اذا فاتت لا تعود، واذا كان الامر كذلك، فينبغي ان يحرص الانسان على وقته فلا يكون قضاءه الا في الخير(الشامي، ٢٠٠٦: ٣٢).

حال ابن الجوزي كحال الغزالي، الوقت مهم بالنسبة له ويجب استغلاله في تصنيف الكتب،فقد ذكر اهمية الوقت في كتابه صـيد الخاطر بعنوان قيمة الوقت اذ قال " ينبغي للانسـان ان يعرف شـرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضـيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الافضـل فالافضـل من القول والعمل"(ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٤٦).

وجاء ذكر أهمية الوقت في كتابه لفتة الكبد في نصـــيحة ولده بعنوان أهمية قيمة الوقت اذ قال (فأنتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة... واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عظة... يبكون على فوات واحدة منها).

وينصـح أيضًـا ولده " واعلم يابني، ان الايام تبسـط السـاعات، والسـاعات تبسـط أنفاسًـا، وكل نفس خزانه"(بن الجوزي، ٢٠١٤: ٣١).

من خلال النصـــوص المذكورة في قيمة الوقت هي بمثابه نصـــيحة كانت للتلميذ و للابن على استغلال الوقت في العبادة والرجوع إلى الله وترك المعاصي.

كتب الخلفاء ورجالات السلطة:

صنف الإمام الغزالي كتب في السياسة سواء كانت للخليفة العباسي او رجالات السلطة في عصره، اذ له كتاب بعنوان (فضائح الباطنية) للخليفة المستظهر بالله (ت٥١٢) الفه بأمر منه اذ يطلب من الغزالي بالدفاع عن عن الدين الاسلامي ضد الافكار التي تستهدفه، ويذكر الغزالي " حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسـة النبوية المسـتظهرية بالإشـارة إلى الخادم في تصـنيف كتاب في الرد على الباطنية مشـتمل على الكشف بدعهم وضلالتهم، وفنون مكرهم وحيالهم"(الغزالي، د. ت.، ١٢-١٣).

وللغزالي مكانه خاصـة لدى الخليفة المسـتظهربالله حتى عندما اراد السـفر إلى بلاد السـام لم يخبر الخليفة بذلك " وســهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والاصـــحاب... حذرا ان يطلع الخليفة اعز الله انصاره وجملة الاصحاب"(الغزالي، د.ت.، ٣٧).

ومن الكتب السياسية الأخرى كتاب (التبر المسبوك في سيرة الملوك) هو كتاب نصح فيه الغزالي السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي يذكروا بأن العدل واختيار وزراء صالحين هم أساس ملكه (شمس الدين، ١٩٨٨).

وله كتاب ثالث عبارة عن مجموعة رسائل التي ارسلها إلى اصحاب السلطة، اذ قسم الكتاب إلى خمس ابواب، كان الاول بعنوان الرسائل التي بعثها إلى الملوك والسلاطين، والثاني كانت الرسائل التي كتبها للوزراء، اما الثالث كانت بعنوان الرسائل التي كتبها للامراء واركان الدولة، والرابع الرسائل كتبها للفقهاء وأئمة الدين، والخامس فصول في مواعظ متفرقة (الغزالي، د.ت.).

ولا يختلف ابن الجوزي عن الغزالي من حيث اهتمام الخليفة ورجالات السلطة به حيث قام بتصنيف عدة كتاب في السياسة سواء للخليفة العباسي او الوزارة والوزراء اذ له كتاب بعنوان (اخبار البرامكة) في الوزارة والعمال (حاجي، د. ت.، ٢٦؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢١؛ العلوجي، ١٩٩٢، ٤٩–٨٧).

وله كتاب بعنوان (الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء) مادته مشابهة لكتاب التبر المسبوك للغزالي (الغزولي، ٢٠٠٠: ٩٩).

ولابن الجوزي أيضًا كتاب بعنوان (الذهب المسبوك في سيرة الملوك) من خلال العنوان يتضح انه في سيرة الملوك (حاجي، د. ت.، ٨٢٩؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢١؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٠١–١٠٢)، ويعتبر كتاب المنتظم من اهم كتبه في مجال السياسة (ابن الجوزي، د.ت.).

وله كتاب أيضًا بعنوان (الفخر النوري) وهو في مجلد واحد غير مطبوع يبدو انه في سيرة نور الدين محمود الزنكي من العنوان (سبط، ٢٠١٣: ٩٧؛ ابن رجب، د. ت.، ٤٩٥)

ومن الكتب المؤلفة للخلفاء العباسين كتاب " المصباح المضيء في خلافة المستضيء"(ابن الجوزي، ٢٠٠٠؛ سبط، ٢٠١٣: ٩٧؛ ابن رجب، د. ت.، ٤٦٩؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٦٨).

وأيضًا كتاب "النصر على مصر"من الكتب السياسية الذي الفه ابن الجوزي للخليفة العباس المستضيء بامر الله اذ جاء ذكره في كتاب المنتظم في حوادث سنة (٥٧٦هـ/ ١١٧١م) عندما اعلان الخطبة للخليفة المستضيئ في مصر (ابن الجوزي، د. ت.، ١٩٦) ذكره أيضًا سبطه (ابن الجوزي، ٢٠١٣: ١٧١) وهو مطبوع وله ثلاثة كتب للخليفة الناصر، الأول بعنوان (الأعاصر في ذكر الإمام الناصر) ذكره السبط (ابن الجوزي، ٢٠١٣: ١٧١؛ العلوجي، ١٩٩٢: ١٦٤) وقال انه في مجلد والدافع

وراء هذا الكتاب هو التقرب من السلطة كما فعل مع الخليقة المستضئ الذي صنف له كتابات (مصباح المضئ والنصر على مصر).

اما الكتاب الثاني أيضًا كان في مدح الخليفة الناصر بعنوان (الفاخر ايام الإمام الناصر) (ابن رجب، د. ت.، ٤٩٦؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢٢).

اما الثالث كان في ذم الخليفة الناصر كان بعنوان (عقد الخناجر في ذم الخليفة الناصر) (ابن رجب، د. ت.، ٤٩٦) يبدو انه صنفه ايام نفيه إلى واسط اذ ان الخليفة كان السبب في ذلك.

ما بين كتابان إحياء علوم الدين وكتاب منهاج القاصدين ومفيد العارفين:

يعتبر كتاب الإحياء للغزالي الذي كتبه في القدس واتمه في دمشق إذ قال ابن الجوزي في ترجمته" اخذ في تصنيف الاحياء في القدس، ثم أتمه بدمشق إلا انه وضعه على مذهب الصوفية، وترك فيه قانون الفقة"(ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٥).

أصبح كتاب الإحياء موضع اهتمام العلماء والباحثين واعجاب المريدين والقاصدين على قرأته ومطالعته من ضمنهم ابن الجوزي إلا أن الأخير أخذ عليه ما اودعه الغزالي في بعض المسائل كالأحاديث التي لا تثبت والروايات التي لا صله لها، إذ يذكر " وفي كتاب الإحياء آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث الباطله الموضوعة، والموقوفة ،وقد جعلها مرفوعة، وإنما نقلها كما اقتراها "(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٦).

ولابن الجوزي نصوص كثيرة ينقد فيها كتاب الإحياء منها ما ذكره في كتابه تلبيس إبليس " وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم (يقصد الصوفية) كتاب الاحياء على طريقة القوم وملاه بالاحاديث الباطلة وهو لايعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقة "(ابن الجوزي، د.ت.، ١٦٠).

وذكر أيضًا " وذكر في كتاب الاحياء من الاحاديث الموضوعة وما لا يصح غير قليل وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل فليته عرض تلك الاحاديث على من يعرف وإنما نقل نقل حاطب ليل "(ابن الجوزي، د.ت.، ١٢٦)

وقال أيضًا " وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء فاعلمته بعيوبه، تم كتبته له فأسقطت ما يصلح اسقاطه وزدت ما يصلح أن يزيد "(ابن الجوزي، د.ت.، ١٢٦).

كان للأحاديث التي لا تثبت والروايات الضعيفة في كتاب الإحياء سبب في تصنيف ابن الجوزي كتب ينقده، والكتابان هو مختصر كتاب الإحياء، الأول كان بعنوان (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) الذي ذكره سبط ابن الجوزي وقال انه في فصل الرياضات ونحوها (سبط، ٢٠١٣: ٩٨) وقد ذكر ابن الجوزي كتابه منهاج القاصدين إذ قال " وسميت كتابي هذا منهاج القاصدين ومفيد الصادقين"(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٩).

والكتاب الثاني بعنوان (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) مكون من جزءان (سبط، ٢٠١٣: ٩٨).

وقد خص ابن الجوزي في كتابه منهاج القاصدين فصل بعنوان(في تصنيف كتاب إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) ذكر فيه " لما خفت أن تتوق، إلى ذلك الكتاب لمكان ألفك له، أفردت في كتابٍ (يقصد كتاب إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء) وذكر عيون عيوبه وأوردت هنالك بعض زلاته، لتعليم عله نهي... وانما لم اذكر اغلاطه ها هنا لِئلا يتكدر قلب قد شرعنا في تصنيفه، او يتأذى بالتخليط سقيم قد رأينا أول عافيته"(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٨).

ويذكر أيضًا ابن الجوزي " وقد جمعت اغلاط الكتاب وسميت إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء واشرت إلى ذلك في بعض كتابي تلبيس إبليس"(ابن الجوزي، د. ت.، ١٢٥).

كما ذكرنا سابقاً أن كتاب منهاج القاصدين هو اختصار لكتاب الإحياء والهدف كان حذف الأحاديث الضعيفة منه إذ ذكر ابن الجوزي فصل في اختصار كتاب الاحياء في كتابه منهاج القاصدين "

وربما رأيتني أقصر في بعض الابواب والفصول، واحذف كثيرًا من الأخبار والآثار فلا تظنن ذلك سهوًا، بل عمدًا لأني لم أترك ذلك إلا لآفة في المتروكِ، فربما كانت الاحاديث لا تثبت، والاثار لا تصح، وربما قلت فائدتها، وربما تكون قد سبقت، فاعرف ذلك "(ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٧–٨).

وقد اعتبر ابن الجوزي كتاب منهاج القاصدين من الكتب السلوكية إذ نصح ابنه في قرأتها " عليك بكتاب منهاج المريدين فإنه يعلمك السلوك فأجعله جليسك ومعلمك"(بن الجوزي، ٢٠١٤: ٥٩).

مخالطة رجالات السلطة:

خلاصة التجربة التي خاضها الإمامين مع رجالات السلطة كان لهم آراء في المخالطة.

الغزالي ذكر لنا بعضـــها في كتابه (أيها الولد) في نصـــيحة تلميذه أن يبتعد عن مخالطة الأمراء والسلاطين إذ قال "لا تخالط الأمراء والسلاطين، ولا تراهم، لان رؤيتهم ومجالستهم آفة عظيمة، ولو ابتليت من غير اختيار بها، دع عنك مدحهم، وثناءهم "(الغزالي، د. ت.، ٤٦).

ومن نصـــائح الغزالي لتلميذه أن لا يقبل الهدايا من الأمراء إذ قال " أن لا تقبل شـــيئاً من عطايا الأمراء وهداياهم وان علمت أنها حلال"(الغزالي، د. ت.، ٤٨).

ويحذر من الطمع وقبول عطاياهم " الطمع منهم يفســـد الدين " (الغزالي، د. ت.، ٤٦-٤٧) وخصـص الغزالي الباب السـادس من كتاب الحلال والحرام عن مخالطة السـلاطين بعنوان فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم (الغزالي، ٢٠٠٥: ٥٩٣-٦٠٥).

ويرى الغزالي ان عزلة السـلاطين هي افضـل شـيء إذ ذكر " أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه، وهو الواجب إذ لا ســـلامة إلا فيه؛ فعليه أن يعتقد بغضـــهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخير عن احوالهم، ولا يتقرب إلي المتصلين بهم، ولا يتأسف على ما يفوق بسبب مفارقتهم " (الغزالي، ٢٠٠٥: ٥٩٧).

أما بالنســبة إلى مخالطة ابن الجوزي للســلطة ورجالاتها ليس له كتاب بهذا الخصـــوص لكن له نصـــوص وعناوين في بعض كتبه إذ ذكر في كتاب صـــيد الخاطر بعض منها (مخالطة الســـلاطين وأضرارها) (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٥٠١).

وكذلك (شروط مصاحبة السلاطين)(ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٤٥٩)، ويرى ضرورة العزلة للعالم العابد (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣٦٤-٣٧٠) وكذلك (النهى عن مخالطة الســـلاطين) (ابن الجوزي، ١٩٦٠: ٣٩٨-٤٠٣).

ويفضـل ابن الجوزي العزلة عن مخالطة ومصـاحبة السـلاطين إذ يقول " أشـرف وأطيب عيشًـا من منفرد في زاوية لا يخالط السلاطين (الجوزي، ١٩٦٠: ٣٩٩)".

ويحذر على ضـرورة عدم مخالطة العالم الزاهد رجالات السـلطة " اعوذ بالله من عالم مخالط للعالم ولا سيما لارباب المال والسلاطين " (الجوزي، ١٩٦٠: ٣٦٩).

يخبرنا ابن الجوزي كيف تقرب من السلطة إذ قال " فانتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاية الأمور يستحسن كلامي، فأمالني إليه فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة، ثم استمالني آخر، فكنت أتقي مخالطة ومطاعمة، لخوف الشبهات " (الجوزي، ١٩٦٠: ١٢١).

من خلال ما تقدم من نصوص يتفق الإمامين على ان المخالطة تجلب الظلمة وعدم الإستقرار وتخلق لهم نزاعات وعلاجهم هي العزلة التي نتيجتها الزهد والتعبد والابتعاد عن السلطة.

المذهب:

للغزالي عدة كتب في المذهب الشافعي الأول هو الوسيط في المذهب، والكتاب الثاني بعنوان الوسيط وهو اختصار لكتاب البسيط وقد اعتبره الفقهاء أحد الكتب الخمسة التي عليها مدار الفقة الشافعي، والكتاب الثالث هو الوجيز أيضًا يعتبر من الكتب الخمسة التي عليها مدار الفقة الشافعي (الحنبلي، ١٩٨٦: ٢١).

اما بالنسبة لابن الجوزي، له عده كتب في المذاهب ولم يكون تأليفه مختصرعلى مذهبه الحنبلي فقط بل شمل المذهب الأربعة، له كتاب بعنوان (المنفعة في المذهب الأربعة) (سبط، ٢٠١٣: ٩٧) أيضًا له كتاب بعنوان (المذهب في المذهب) (سبط، ٢٠١٣: ٩٧) وكتاب (المذهب الأحمد في فقة الإمام أحمد) (العلوجي، ١٩٩٢: ٢٠٩) وكتاب (مسبوك الذهب في المذهب) (العلوجي، ١٩٩٢: ٢١١).

النكاح:

قام الإمامين بتأليف كتب عن موضوع النكاح وبنوا آفات وفؤائد وشرحوا الكثير من المسائل التي تخص النكاح، إذ قام الإمام الغزالي بتأليف كتاب بعنوان (أداب النكاح) وقسمه إلى ثلاث ابواب، وكان القسم الاول مقسم إلى قسمين حيث احتوى الكتاب على جميع التفاصيل التي تخص النكاح من أداب المعاشرة وعلى المرأة من واجبات وما على الرجل من حقوق وواجبات (الغزالي، ٢٠٠٥: ٤٩٧-٤٥٦) إذ قام ابن الجوزي بأختصار كتاب أداب النكاح للغزالي ولم يقوم بتغير إسم الكتاب فقط قام بحذف بعض المسائل، ولم يغير العناوين الرئيسية (ابن الجوزي، ٢٠١٠: ٣٥٠-٣٧٣).

وألف ابن الجوزي كتاب بعنوان (احكام النساء) الذي احتوى في الباب الثاني والستون في الأمر بتزويج أو فضل النكاح لم يتجاوز الصفحتين (بن الجوزي، ١٩٩٧: ١٩٥-١٩٧).

واحتوى كتاب الموضـــوعات المقســم إلى عدة كتب على كتاب النكاح إذ ذكر فيه ابن الجوزي عدة مشـائل تخص النكاح شـكلت ثمان وثلاثون بابًا (ابن الجوزي، ١٩٩٧: ٢٥٥-٢٨٠) وكذلك احتوى كتاب صـــيد الخاطر لابن الجوزي على ابواب تخص النكاح منها في موضـــوع الحب والزواج (بن الجوزي، ١٩٦٠: ٧٨-٨٤) وكذلك احتوى كتاب صيد الخاطر فيالباب الأخير على شرح مفصل عن النكاح بعنوان كيف يجب أن تعاشر النساء (بن الجوزي، ١٩٦٠: ٦٦٢-٦٦٣).

الوزارة:

من القواسم المشتركة بين الغزالي وابن الجوزي هو كلامهم وتصنيفهم كتب عن الوزراء والوزارة.

قام الإمام الغزالي بتأليف كتاب عنوانه (التبر المسبوك في سيرة الملوك) ألّفه الغزالي للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي إذ احتوى الباب الثاني من الكتاب على سياسة الوزراء واهم ما جاء فيه هو الأهمية في اختيار الوزير على ان يكون عادل وصـادق لانه أسـاس الدولة ولم يتجاوز كلام الإمام الغزالي سـوى خمس صفحات شكلت حكيات وحكم عن الوزراء (الغزالي، ١٩٨٨: ٨٣-٨٩).

اما بالنســبة لابن الجوزي له كتاب عن الوزارة بعنوان (اخبار البرامكة) ذكره الصــفدي وقال انه في تـاريخ الوزراء والعمـال(الصـــفدي، ٢٠٠٠، ٦٠) وذكره حـاجي خليفة والبغدادي (خليفة، د. ت.، ٢٦؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢١) إلا أن الكتاب غير مطبوع ولا نعلم مادة الكتاب ويتضـــح من خلال العنوان أن مادته عن سياسة الوزراء البرامكة.

واحتوى كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم عن ترجمات طويلة لوزراء عصـــره والذين ســـبقوه كالوزير ابن هبيرة والوزيز ابن يونس (ابن الجوزي، د. ت.، ١٦٦).

الوعظ:

لم يصــنف الغزالي كتاب عن الوعظ إلا أن له مقططفات موزعة بين كتبه قام أحد الباحثين بجمعها وجعلها كتاب بعنوان مواعظ الإمام الغزالي (الشامي، ٢٠٠٦).

وما يؤكد أن الغزالي لم يكن له كتب ولم يكن واعظ هو رســـالته إلى أبي حامد احمد بن ســـلامة بالموصـــل فقال خلال فصـــوله " اما الوعظ : فلا أرى نفســـي اهلا له، لان الوعظ زكاة نصـــابه الابتعاد "(الغزالي، ٢٠٠٤: ٣٨) .

وله مواعظ في كتاب أيها الولد في نصيحة تلميذه (الغزالي، ٤٤–٤٥) بينما ابن الجوزي له مجالس وعظ، والعديد من كتب الوعظ وأسهمها (الازج في الموعظة) (سبط، ٢٠١٣: ٩٩) وكتاب (بستان الواعظين ورياض السامعين) (خليفة، د. ت.، ٢٤٤؛ البغدادي، د. ت.، ٥٢١) وكتاب (جواهر المواعظ)(خليفة، د. ت.، ٦١٧) وغيرها من الكتب.

الخاتمة:

١– مؤلفات الإمام الغزالي كانت متنوعة وقد اقتبس منها ابن الجوزي الكثير من العناوين.

٢– من خلال قراءة البحث يتضح مدى تأثر ابن الجوزي بالإمام الغزالي في جميع المجالات.

٣– هناك عناوين كتب للإمام الغزالي لم يستطيع انجازها لظروف معينة قام ابن الجوزي بأنجازها مثل كتاب تلبيس إبليس.

٤– قام ابن الجوزي بأختصار بعض من كتب الإمام الغزالي مثل كتاب احياء علوم الدين وفضائح الباطنية.

قائمة المصادر والمراجع:

١– ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق : عبدالقادر الارناووط ،(بيروت :١٩٨٦)، دار ابن كثير، مج ٦.

٢– ابي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (٢٠٠٥: بيروت)، دار ابن حزم.

٣– ابي حامد الغزالي، الطب الروحاني للجسم الانساني، (بيروت : ١٩٩٢)، المكتبة الثقافية.

٤– ابي حامد الغزالي، الاسرار المخزونة في الطب الروحاني، ظبطها ووضحها: عبد الغني محمد علي الفاسي.

٥– ابي حامد الغزالي، الاسرار المخزونة في الطب الروحاني، ظبطها ووضحها: عبد الغني محمد علي الفاسي.

٦– ابي حامد الغزالي، التبر المسبوك في سيرة الملوك، ،ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، (بيروت : ١٩٨٨)، دار الكتب العلمية.

٧– ابي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق : سعد كريم الفقى، (الإسكندرية : د.ت)، ابن خلدون.

٨– ابي حامد الغزالي، أيها الولد، تحقيق : جميل ابراهيم حبيب.

٩– ابي حامد الغزالي، بداية الهداية، (بيروت : ٢٠٠٤)، دار المنهاج.

١٠– ابي حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة تحقيق : سليمان دنيا، ط٤، (القاهرة : ١٩٦٦)، دار المعارف.

١١– ابي حامد الغزالي، جواهر. القران، تحقيق : محمد رسيد رضا القباني، (بيروت : ١٩٩٠)، دار إحياء العلوم.

١٢- ابي حامد الغزالي، فضـــائح الباطنية، اعتنه به وراجعه: محمد علي القطب ،(بيروت : د.ت)، المكتبة العصـــرية، مقدمة المؤلف.

١٣- ابي حامد الغزالي، فضائح الباطنية، اعتنى به وراجعه : محمد علي قطب، (بيروت : د.ت) المكتبة العصرية.

١٤- ابي حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (بيروت : د.ت)، دار الافاق الجديدة.

١٥- ابي حامد الغزالي، مقاصد الفلاسفة، تحقيق : محمود بيجو، (دمشق : ٢٠٠٠)، مطبعة الصباح.

١٦- ابي حامد الغزالي، منهاج العارفين، (بغداد : ١٩٦٨)، مطبعة المعارك.

١٧- ابي حامد الغزالي، فقة السيرة، ط٦، (مصر : ١٩٦٥)، دار الكتب الحديثة.

١٨- احمد الشامي، مواعظ الغزالي، (بيروت : ٢٠٠٦) ،دار الكتب الاسلامي.

١٩- احمد شمس الدين، (بيروت : ١٩٨٨)، دار الكتب العلمية.

٢٠- البغدادي، هدية العارفين، ج١.

٢١- حاجي، كشف الظنون، ج١.

٢٢- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١ .

٢٣- صالح احمد الشامي ،مواعظ الإمام الغزالي ،(بيروت : ٢٠٠٦)، المكتب الاسلامي.

٢٤- صـــلاح الدين خليل أيبك الصـــفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق : أحمد الارناؤوط وتركي مصـــطفى، (بيروت : ٢٠٠٠)، دار إحياء التراث العربي، ج١، ص٦٠.

٢٥- عبد الحميد العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي، (الكويت : ١٩٩٢)، طبعة جريدة مزيدة، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ص١٥٦.

٢٦- عبد الرحمن بن احمد بن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق : عبد الرحمن بن ســلمان العثيمين، (مكة – جامعة ان القرى: د.ت)، مكتبة العبيكان، ج٢.

٢٧- عبد الرحمن بن على بن الجوزي، فضائل بيت المقدس، تحقيق : جيران سليمان جبور، ط٢، (بيروت : ١٩٨٠)، دار الافاق الجديدة.

٢٨- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصـــطفى عبد القادر عطا، (بيروت : د.ت)، دار الكتب العلمية، ج١٨.

٢٩- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تلبيس ابليس، (بيروت : د.س)، دار القلم، هذه صـــفحات نقد ابن الجوزي للغزالي.

٣٠- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، منهاج القاصـــدين ومفيد الصـــادقين، تحقيق : كامل محمد الخراط،(٢٠١٠ : دمشق)، دار التوفيق.

٣١- عبد الرحمن بن علي بن ابن الجوزي ،الطب الروحاني، تحقيق : ابو هاجر محمد الســعيد بن ســيَوني الزغلول، (القاهرة : ١٩٨٦)، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٢- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، احكام النســـاء ،تحقيق عمرو عبدالمنعم ســـليم، (القاهرة :١٩٩٧)، مكتبه ابن تيمية، ص ١٩٥، –١٩٧.

٣٣- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، القرامطة، تحقيق : محمد الصـــباغ، ط، ٢،٣،٤،٥(بيروت دمشـــق : ١٩٦٨-١٩٨١)، المكتبة الإسلامية.

٣٤- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المدهش،ضـــبطه وصـــححه وعلق عليه مروان قباني، (بيروت : د.ت)، دار الكتب العلمية.

٣٥- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المصباح المضئ في خلافة المستضئ، (بيروت :٢٠٠٠)، شركة المطبوعات ؛ سبط، مرآة، ج ٢٢،ص ٩٧ ؛ ابن، رجب، ذيل ،ج٢، ٤٦٩ ؛ العلوجي، مؤلفات، ص١٦٨.

٣٦- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق : ايمن البحيرة، مؤسسة الكتب الثقافية ،.

٣٧- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، لفتة الكبد إلى نصـــيحة الولد، تحقيق : عبد الحميد محمد الدرويش،(بيروت : ٢٠١٤)، دار المقتبس.

٣٨- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، نســـيم الســـحر ومنظوم الدرر، تحقيق : عبد الكريم الانيس، (دبي : ٢٠١٨)، الشؤون الإسلامية.

٣٩- عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي، الدرر المنضـــد في ذكر اصـــحاب الإمام احمد، حققه وقدم له : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (مكة المكرمة : ١٩٩٢)، مطبعة المدني.

٤٠- عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، الموضـــوعات، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة : ١٩٦٦)، المكتبة السلفية، ج ٢.

٤١- عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، صيد الخاطر، حققه : ناجي الطنطاوي، (دمشق : ١٩٦٠)، دار الفكر.

٤٢- عبدالعزيز سيد هاشم الغزولي، ابن الجوزي الإمام المربي والواعظ البليغ والعالم المتقن، (دمشق : ٢٠٠٠)، دار القلم، ص ٩٩.

٤٣- عماد عبد السلام رؤوف، مدارس بغداد في العصر العباسي، (بغداد : ١٩٦٦)، مطبوعة دار البصري.

٤٤- قام بتحقيق هذا الكتاب مرزوق علي ابراهيم (د.م: ١٩٩٥)، دار الدراية.

٤٥- قام بتحقيقه: عبد الحميد محمد الدرويش، (بيروت : ٢٠١٤)، دار المقتبس.

٤٦- محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ســـير اعلاء النبلاء، تحقيق : بشـــار عواد معروف ومحيى هلال الســـرحان ،(بيروت : ١٩٩٦) مؤسسة الرسالة، ج٢١.

٤٧- محمد بن عبدالله بن العربي، قانون التأويل ،تحقيق : محمد الســـليماني،(بيروت:١٩٨٦)، دار القبلة للثقافة الإسلامية.

٤٨- ينظر : أبي حامد الغزالي، بداية الهداية، (بيروت : ٢٠٠٤)، دار المنهاج.

٤٩- ينظر تفاصيل هذة المراسلات: ابي حامد الغزالي، فضائل الأنام من رسائل حجة الاسلام، ترجمه عن الفارسية نور الدين آل علي، (تونس : ١٩٧٢)، المدار التونسية.

٥٠- يوسف بن قزل وغلي المعروف سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: ابراهيم الزئبق، (٢٠١٣: بيروت)، دار الرسالة العلمية، ج ٢١.

References:

1- Ibn al-Imad al-Hanbali, Nuggets of Gold in News of Gold, edited by: Abdul Qadir al-Arnaout, (Beirut: 1986), Dar Ibn Katheer, vol. 6.
2- Abu Hamid Al-Ghazali, Ihya' Ulum al-Din, (2005: Beirut), Dar Ibn Hazm.
3- Abu Hamid Al-Ghazali, Spiritual Medicine for the Human Body, (Beirut: 1992), Cultural Library.
4- Abu Hamid Al-Ghazali, The Secrets Stored in Spiritual Medicine, captured and explained by: Abdul-Ghani Muhammad Ali Al-Fassi.
5- Abu Hamid Al-Ghazali, The Secrets Stored in Spiritual Medicine, captured and explained by: Abdul-Ghani Muhammad Ali Al-Fassi.
6- Abu Hamid Al-Ghazali, The Cast Iron in the Biography of Kings, edited and authenticated by: Ahmed Shams Al-Din, (Beirut: 1988), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
7- Abu Hamid Al-Ghazali, The Savior from Misguidance, edited by: Saad Karim Al-Fiqi, (Alexandria: D.T.), Ibn Khaldun.
8- Abu Hamid Al-Ghazali, O Boy, edited by: Jamil Ibrahim Habib.
9- Abu Hamid Al-Ghazali, The Beginning of Guidance, (Beirut: 2004), Dar Al-Minhaj.
10- Abu Hamid Al-Ghazali, The Incoherence of Philosophers, edited by: Suleiman Dunya, 4th edition, (Cairo: 1966), Dar Al-Maaref.
11- Abu Hamid Al-Ghazali, Jawaher. The Qur'an, edited by: Muhammad Rasid Reda Al-Qabbani, (Beirut: 1990), Dar Ihya' al-Ulum.
12- Abu Hamid Al-Ghazali, Esoteric Scandals, take care of it and review it: Muhammad Ali Al-Qutb, (Beirut: D.T.), Al-Maktabah Al-Asriyya, author's introduction.
13- Abu Hamid Al-Ghazali, Esoteric Scandals, taken care of and reviewed by: Muhammad Ali Qutb, (Beirut: D.T.), Al-Maktabah Al-Asriyya.
14- Abi Hamid Al-Ghazali, Al-Ma'raj Al-Quds fi the Madarij Al-Knowledge of the Self, (Beirut: D.T.), New Horizons House.
15- Abu Hamid Al-Ghazali, The Objectives of the Philosophers, edited by: Mahmoud Bijou, (Damascus: 2000), Al-Sabah Press.
16- Abu Hamid Al-Ghazali, Minhaj al-Arifeen, (Baghdad: 1968), Battle Press.
17- Abu Hamid Al-Ghazali, Fiqh Al-Sira, 6th edition, (Egypt: 1965), Dar Al-Kutub Al-Hadithah.
18- Ahmed Al-Shami, Al-Ghazali's Sermons, (Beirut: 2006), Dar Al-Kutub Al-Islami.
19- Ahmed Shams Al-Din, (Beirut: 1988), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
20- Al-Baghdadi, The Gift of the Knowing, Part 1.
21- Haji, Revealing Suspicions, Part 1,
22- Haji Khalifa, Revealing Suspicions, Part 1.
23- Saleh Ahmed Al-Shami, Sermons of Imam Al-Ghazali, (Beirut: 2006), The Islamic Office.
24- Salah al-Din Khalil Aybak al-Safadi, al-Wafi bi al-Wafiyat, edited by: Ahmed al-Arnaout and Turki Mustafa, (Beirut: 2000), Dar Ihya al-Turath al-Arabi, vol. 1, p. 60.
25- Abdul Hamid Al-Alwaji, Works of Ibn Al-Jawzi, (Kuwait: 1992), Mazidah newspaper edition, publications of the Center for Manuscripts, Heritage and Documents, p. 156.

26- Abd al-Rahman bin Ahmad bin Rajab, The Dhiyl on the Hanbali Classes, edited by: Abd al-Rahman bin Salman al-Uthaymeen, (Mecca - University of Inn al-Qura: d.d.), Al-Obaikan Library, vol. 2.
27- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, The Virtues of Bayt al-Maqdis, edited by: Jeeran Suleiman Jabour, 2nd edition, (Beirut: 1980), New Horizons House.
28- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, The Regulator in the History of Kings and Nations, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, (Beirut: D.T.), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, vol. 18.
29- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, The Devil's Dressing, (Beirut: D.S.), Dar al-Qalam. These are the pages of Ibn al-Jawzi's criticism of al-Ghazali.
30- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, Minhaj al-Qasidin wa Mufid al-Sadiqin, edited by: Kamel Muhammad al-Kharrat, (2010: Damascus), Dar al-Tawfiq.
31- Abd al-Rahman bin Ali bin Ibn al-Jawzi, Spiritual Medicine, edited by: Abu Hajar Muhammad al-Saeed bin Siyuni al-Zaghloul,
(Cairo: 1986), Library of Religious Culture.
32- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, Ahkam al-Nisa', edited by Amr Abd al-Moneim Salim, (Cairo: 1997), Ibn Taymiyyah Library, pp. 195-197.
33- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, Al-Qarmatiya, edited by: Muhammad al-Sabbagh, edition, 2,3,4,5 (Beirut-Damascus: 1968-1981), the Islamic Library.
34- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, al-Mudhidh, compiled and authenticated by Marwan Qabbani, (Beirut: D.T.), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah,
35- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, The Bright Lamp in the Caliphate of the One Who Illuminate, (Beirut: 2000), Publications Company; Sibat, Mirror, vol. 22, p. 97; Ibn, Rajab, Dhayl, vol. 2, 469; Al-Alwaji, writings, p. 168.
36- Abdul Rahman bin Ali bin Al-Jawzi, slandering passion, investigated by: Ayman Al-Buhaira, Cultural Books Foundation.
37- Abd al-Rahman bin Ali bin al-Jawzi, The Liver's Gesture to the Boy's Advice, edited by: Abd al-Hamid Muhammad al-Darwish, (Beirut: 2014), Dar al-Muqtasab.
38- Abdul Rahman bin Ali bin Al-Jawzi, Naseem Al-Sahar and the System of Pearls, edited by: Abdul Karim Al-Anis, (Dubai: 2018), Islamic Affairs.
39- Abd al-Rahman bin Muhammad al-Ulaimi al-Hanbali, al-Durar al-Manadd fi Dhikr al-Mannadh fi Dhikr al-Imam Ahmad's Companions, verified and presented to him by: Abd al-Rahman bin Sulaiman al-Uthaymeen, (Mecca: 1992), Al-Madani Press.
40- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, Al-Mawdoo'at, edited by: Abd al-Rahman Muhammad Othman, (Medina: 1966), Al-Maktabah al-Salafiyya, Part 2.
41- Abd al-Rahman bin Ali Ibn al-Jawzi, The Hunt of Thought, edited by: Naji al-Tantawi, (Damascus: 1960), Dar al-Fikr.
42- Abdulaziz Sayyed Hashim Al-Ghazouli, Ibn al-Jawzi, the imam, the educator, the eloquent preacher, and the masterful scholar, (Damascus: 2000), Dar Al-Qalam, p. 99.
43- Imad Abdul Salam Raouf, Baghdad Schools in the Abbasid Era, (Baghdad: 1966), Dar Al-Basri Publication.
44- This book was edited by Marzouq Ali Ibrahim (D.M.: 1995), Dar Al-Dariah.
45- Verified by: Abdul Hamid Muhammad Al-Darwish, (Beirut: 2014), Dar Al-Muqtasab.

46- Muhammad bin Ahmed bin Othman Al-Dhahabi, Biography of the Most Noble, edited by: Bashar Awad Marouf and Mohya Hilal Al-Sarhan, (Beirut: 1996) Al-Resala Foundation, vol. 21.
47- Muhammad bin Abdullah bin Al-Arabi, The Law of Interpretation, edited by: Muhammad Al-Sulaymani, (Beirut: 1986), Dar Al-Qibla for Islamic Culture.
48- See: Abu Hamid Al-Ghazali, The Beginning of Guidance, (Beirut: 2004), Dar Al-Minhaj;
49- See the details of this correspondence: Abu Hamid Al-Ghazali, The Virtues of Al-Anam from the Letters of Hujjat Al-Islam, translated from the Persian by Nour Al-Din Al Ali, (Tunis: 1972), Al-Madar Al-Tunisia.
50- Yusuf bin Qazal Waghli al-Ma'rouf, the descendant of Ibn al-Jawzi, Mirror of Time in the History of Notables, edited by: Ibrahim al-Zaybaq, (2013: Beirut), Dar al-Risalah al-Ilmiyyah, vol. 21.

أشكال المكان في رواية اكتشاف الحب لمروان ياسين الدليمي

Forms of place in the novel The Discovery of Love by Marwan Yassin Al-Dulaimi

م. م. هالة عادل عبد*

Hala Adel Abd *

الملخّص:

يعد المكان جزءًا أساسيًا من أجزاء السرد وهو الأرضية التي تجري عليها الاحداث، ولا يمكن وجود المكان من دون الزمان فهما مرتبطان مع بعضهما في نسيج واحد. تمظهر المكان في رواية اكتشاف الحب متنوعًا فجاء المكان على أشكال متعددة منها: المكان الأول، والمكان الثاني، والمكان المتخيل، والمكان الواقعي، والمكان الشاهد، فضلًا عن المكان الجسد والمكان الآخر.

انقسم البحث على قسمين وخاتمة. تناول القسم الأول: مهاد نظري عن المكان، وتناول تعريف المكان في اللغة والاصطلاح والفلسفة. والقسم الثاني: تناول تحليل النصوص السردية في رواية اكتشاف الحب للروائي مروان ياسين الدليمي التي تتعلق بالمكان.

الكلمات المفتاحية: المكان، الشخصية، السرد.

Abstact:

Place is an essential part of the narrative and is the ground on which events take place. Place cannot exist without time, as they are linked together in one fabric. The place appears in the novel The Discovery of Love in a variety of forms, including: the first place, the second place, the imaginary place, the real place, and the witness place, as well as the physical place and the other place.

The research was divided into two parts and a conclusion. The first section dealt with: a theoretical introduction to place, dealing with the definition of place in language, terminology, and philosophy. The second section dealt with the analysis of narrative texts in the novel The Discovery of Love by the novelist Marwan Yassin Al-Dulaimi, which relates to place.

Keywords: Place, Character, Narration.

* مديريّة تربيّة نينوى – العراق.

Email: hala.adel.abd1970@gmail.com

* Directorate of Education of Nineveh - Iraq.

المبحث الأول: مهاد نظري عن المكان:

المكان في اللغة موضع لكينونة الشيء ، والمكان في الاصل (مكون) على وزن (مفعل)(الفراهيدي، ١٩٨٦: ٢٩٤) و (الكون) مصدر كان يكون كونا . ويقال مكنه الله من الشيء وامكنه منه بمعنى استمكن الرجل من الشيء (الجوهري، ١٩٩٩: ٢٢٠٥/٢؛ بن منظور، ١٩٥٥، ٥١٦)، و (المكان والمكانة بمعنى واحد والمكان جمع أمكنة وأماكن جمع الجمع)، وهو بمعنى المنزلة والمكانة (أبادي، ٢٠٠٤، ٢٧٤/٤). ان مفهوم لفظة (مكان) قد ارتبط بموقع الإنسان وموضع وجوده. والمكان اما ان يأتي بدلالة اسم مكان مشتق من (كان التامة)، ونجد هذه الدلالة توظف في الحسّيات (الإبياري ومرزوق، دون تاريخ، ١٢٤/٤)، كقوله تعالى: (إذ أنتَبّذتْ منْ اهلها مكاناً شرقيا)(سورة مريم: ١٦)، وتوظف ايضاً في المعنويات، كقوله تعالى: (أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواءِ السَّبيل)(سورة المائدة: ٦٠). او يأتي المكان بدلالة اسم فعل بمعنى الزم مكانك(الإبياري ومرزوق، دون تاريخ، ١٢٤/٤)، كقوله تعالى: (مكانّكُم أنتم وشركاؤكُم)(سورة يونس: ٢٨). اذن المكان في اللغة يدل على الموضع، والموضع بؤرة الحدث الذي يجتمع فيه الزمان والشخصيات في إطار واحد.

المكان في الاصطلاح: تتجسد علاقة المكان بالحدث عبر علاقته بالشخصيات؛ لأن القاص يقود شخصياته إلى المكان الملائم الذي يتفاعل مع فضاء قصته ويتلاحم معها، ولاسيما إذا انتقلت الشخصية من مكان إلى آخر، تنتقل معها احاسيسها النفسية التي خُلِقت عبر اندماجها مع المكان الذي تعيش فيه) (آبادي، ٢٠١١، ١٣)، إنّ لفظة (المكان) هي الترجمة العربية لكلمة (place) الإنكليزية و (Espace) الفرنسية ونتيجة لاختلاف الترجمات وظفت العديد من المفاهيم لتدل على المكان كما تداخلت مصطلحات عدة منها: الفضاء، الحيز، الفسحة.

أما الحيز فهو "الفراغ مطلقاً سواء كان مساويا لما يشغله أو زائدا عليه أو ناقصا عنه... وفي أكثر اللغة أنه المكان"(التهانوي، ٢٠٠٠، ٣٩)، فـ " الـ(مكان) حيث تتواجد الأشياء بذاتها، و(فسحة) حيث العناصر رموز وخطوط وأشكال مستقلة هي وعلاقاتها ومن علائق الأشياء ببعضها إلى الأشياء ذاتها" (المقدسي، ١٩٨٩، ٢٦-٢٥-٢٤)، والمكان الروائي هو "الجغرافية ولو أراد أن يكونها... أنه أكبر من الجغرافية مساحة وأشسع بعداً"(مرتاض، ١٩٩٨، ١٤٤)، و لا بُد من الاشارة الى " إننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن في حين ان كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض

الذوبان والذي يود حتى في الماضـــي، حيث يبدأ البحث عن أحداث ســابقة أن يمســك بحركة الزمن، إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثفاً وهذه هي وظيفة المكان"(باشلار، ٢٠٠٦، ٤٦). فالعلاقة بين الإنســان ومكانه علاقة جدلية قائمة على ترســيخ الذات وإثبات الهوية كونه يشــكل المســرح الجغرافي الذي تتحرك عليه الشــخصــيات وتتفاعل مع ما يوازيه من العناصــر الأخرى (المرزوقي وشاكر، ١٩٨٦، ٦٠).

ويرى بعض النقاد التحول البائن لتوظيف مســـمى المكان عبر" الانتقال من المكان المعاش الى المكان الفني، هو تحول من عالم الحياة اليومية بحســيته واشــيائه وظواهره المتنوعة والمختلفة إلى عوالم فعالة من التخييل عبر لغات مختلفة: علامات لغوية، ألوان، اصوات، صور، ...، من عالم نحيا ونعيش فيه بهدوء ودعة ، حيث الخبرة المباشــرة (الحدســية) بالأشــياء الى الوعي الجمالي بهذه الاشــياء ودورها ودلالاتها ووظائفها، وبكلمة أكثر دقة: نكون ازاء صــورة أخرى للعالم / المكان المعاش"(حسين، ٢٠٠٠، ٧٥-٧٦)، و قد "اســتعمل المكان صــدى للتباين الاجتماعي وتطور الأيديولوجيا والأجيال في المدرســة الطبيعية على يد معلمها الأول زولا واصـــبح عند فلوبير بمثابة مرآة تعكس الصـــدى الســـايكولوجي للشخصية"(جاسم، ١٩٩٧، ١٥١-١٥٢)، فعكس المكان ما يدور في الشخصية وعبّر عن أحزانها وكشف عن مكنوناتها. وقد كثف الروائيون الجدد في تصــويرهم للمكان في رواياتهم اذ " أحل المكان محل الزمان بدعوى إن وجود الأشــياء في المكان إنما يعد أكثر وضــوحاً وأعظم رســوخاً من وجودها في الزمان" (عبد العزيز، ١٩٧٠، ٨).

ورؤية ميشــال بوتور أن " المكان الذي نقيم فيه معقد وهذا يعني إننا عندما نكون في مكان ما نفكر دائماً في مكان آخر"(بوتور & أنطونيوس، ١٩٨٢، ٦١)، وكان لأدباء القرن العشـــرين طريقتان متغايرتان في تجســيد المكان وتمثيله، تعتمد الأولى على تعتيم صــورة المكان والاكتفاء بملامح موجزة عنه في حين تبالغ الطريقة الثانية في وصـــف تفاصـــيل المكان"(لحمداني، ١٩٩٣، ٦٩)، وتبدو "ظاهرة الإغراق في التفاصـــيل الجزئية للمكان إن لم يكن ذا وظيفة دلالية في الرواية وإنما هي في ســـبيل الإيهام بالواقع" (درغوث، ١٩٩٩، ٤٤).

أما حسن بحراوي فقد وجد أن المكان ((شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضــها لتشــييد الفضــاء الروائي الذي ســتجري فيه الأحداث ،فالمكان يكون منظماً بنفس الدقة التي نظمت بها العناصـــر الأخرى في الرواية ، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصـــد

المؤلف ، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه))(بحراوي، ١٩٩٠، ٣٢). والمكان عند ياسين النصير مرهون لديه بالانتماء:((دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة ، وإحساسا آخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه))(النصير، ١٩٨٦، ٥) وهذا هو التأثير الذي يتركه في ذات القارئ إذ باستطاعة الأديب أن يوظفه لتجسيد الأفكار والرموز والحقائق المجردة ، وبالتالي تقريبها من الواقع (قاسم، ١٩٨٥، ٧٤). وللمكان في العمل الأدبي وظيفة أخرى تتمثل في إغناء الأوصاف والصور الأدبية، بشرط أن يكون نقل البصري فيها نقلا جمالياً مشحوناً بالمعاني تترادف بداخله الحقائق والخرافات فتتشظى فيه الدلالات حسب النسق الفني الذي يندرج فيه ، فيُنقَل بذلك المكان الواقعي إلى أدبي عبر العلاقات المكانية القائمة على اللغة بين الذات الواصفة (أو المؤلف)، والحدث الموصوف (اوسبنسكي، ١٩٧٦، ٦٩؛ مونسي، د.ت.، ٦٥–٦٦) تقنياً. في حين أن المكان عند حميد لحمداني له وظيفة محددة تقوم بالدور ذاته الذي يقوم الديكور والخشبة في المسرح وهو بذلك يشكل لوحة جمالية أكثر من كونه عنصرا سرديا تدور حوله بقية العناصر الأخرى (لحمداني، ١٩٩٣، ٦٥).

والمكان يمثل محورًا من محاور نظرية الادب، وله فاعلية تمتد (من خلال أشكال معينة ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحياناً علة وجود الأثر)(بورنوف وأوئيليه، ١٩٩١، ٩٢)، وعلى الكاتب أن يقوم ببناء المكان في كتاباته بدقة وانتظام، لأن (هذه الصنعة لا تطابق الواقع مطابقة حرفية بل هي تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسية)(قاسم، ١٩٨٥، ٨٤)، التي تولد فيه مما أغنى التجربة الأدبية اذ (له شروطه الموضوعية التي تميزه من المكان على الأرض أو في الواقع)(النصير، ١٩٨٦، ١٧–١٨)، وقد سماه البعض المكان الواقعي لأنه يمتلك وجودا في الواقع.

المكان في الفلسفة: تباين المكان في الفلسفة بحسب الفلاسفة . اذ يعد افلاطون المكان "حاوياً وقابلا للشيء"(بدوي، ١٩٧٥، ١٩٦–١٩٧)، فالاحتواء والقبول صفتان للمكان، وقد تحدث افلاطون عما أسماه (القابل) أو (الوعاء) أو (المحل) اذن المكان عند افلاطون هو ذلك القابل الذي يقبل كل ما يلج فيه فهو الذي يقبل الصور وعليه أن يتشكل تبعاً لها، فهو شبيه بالورقة التي يستخدمها الرسام(بدوي، ١٩٧٥، ٢٣١) في رسمه، والمكان "يحيط بالشيء الذي فيه ويحصره، وانما يحيط المكان بشيء جسماني، وكل شيء يحصره المكان ويحيط به فهو جسم"(بدوي، ١٩٧٥، ٤٢)، وبذلك لا بد من وجود جسم/جسد في المكان فـــ " لا يمكننا الكلام اذن على المكان والاشياء الممتدة الا من وجهة نظر الانسان إذا خرجنا من الشرط الذاتي الذي من دونه لن نقدر على أن نتلقى حدساً خارجياً... فلن يعني تصور المكان شيئاً ولا

يُربط هذا المحمول بالأشياء، إلا من حيث تبدو لنا، أي من حيث هي موضوعاتٌ للحساسية والصورة الثابتة لقدرة المتلقي، التي نسميها حساسية هي الشرط الضروري لجميع العلاقات التي بها نحدس الموضوعات بوصفها خارجية، فإذا جردناها من هذه الموضوعات فستكون حدساً محضاً يحمل اسم المكان...، إن المكان يتضمن جميع الاشياء التي يمكن أن تظهر لنا خارجياً" (كنط، د.ت.، ٦٣). "يقول لايبنتز: إن المكان مجرد شيء ظاهر وفكرة مضطربة، ويستند في إثبات ذلك على حقيقة كون كل جزء من المكان مماثلاً للأجزاء الأخرى"(فال، ١٩٦٧، ١٤٢)، والمكان عند الحكماء هو " السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي " (الأعسم، ١٩٨٤، ١٥٤؛ الجرجاني، ٢٠٠٢، ١٨١)، وعند المتكلمين يعني " الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده"(الجرجاني، ٢٠٠٢، ١٨١؛ عمر، ١٩٥٦، ٦)، وللمكان أهمية في حياة الإنسان وقيمته الكبرى ومزيته التي تشده إلى الأرض فهو يلعب دوراً رئيساً في حياة الإنسان، وهو الشيء المرئي القريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه(النصير، ١٩٨٦، ١٩٥)، والمكان أيضاً " عبارة عن مساحات ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم "(عثمان، ١٩٨٦، ٧٦) ويختلف شكله بحسب طبيعة تشكيله. اذ " لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي، وإنما يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني، حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة)(حسين، ٢٠٠٠، ١٥٢). والعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة مفاعلة(الطنطاوي، ٢٠٠٢، ٣٥)، والمكان هوية الإنسان وانوجاده فيه، فضلا عن مشاعره وأفكاره ووجدانه وعقله في رسم أبعاد المكان وتفصيلاته بشكل معين (اليوزبكي، ١٩٩٨، ١٦٦).

المبحث الثاني: تحليل نصوص الرواية:

(اتجه بنا سائق سيارة الأجرة إلى عيادة الطبيب كاروان، وبعد انتظار في صالة المراجعين استغرق أكثر من نصف ساعة أذنت لنا السكرتيرة بالدخول إلى داخل العيادة، وما لفت انتباهي أول وهلة هيئته البدينة بشكل مفرط لدرجة لم أكن أتوقع أن أرى طبيبًا شابًا على تلك الصورة التي لا تنسجم مع مهنته، ولكن رغم وزنه المرتفع كان نشيطاً في حركته، كما أن شخصيته تبعثُ على الحيوية وعلى الانسجام مع المكان رغم رائحة المعقمات والمطهرات التي تشبَّعَ بها الهواء وكل ما في العيادة من أثاث وموجودات، إضافةً إلى قسوة العمل الذي ينجزه والذي يتطلب منه أن يكونَ على قدر كبير من الجَلَد والصبر نظرًا للألم الشديد الذي يشعر به المريض لحظة انتزاع عينة من أنسجته بسرنجة خاصة أكبر حجمًا من تلك

التي تستخدم في زرق الإبر في الحالات الطبيعية حتى إن المريض لا يستطيع أبدًا أن يكتم صرخته)(الدليمي، ٢٠٢٠، ٢١)

يبرز في المشهد المكان (المستشفى) فالسرد يبدأ من النقطة أ وينتهي بالنقطة ي في تتابع خطي، إن الشخصية النسوية تعاني من مرض خطير فكان السارد يصف الطبيب الشاب فضلا عن وصف المكان الحر الذي أبدع الواصف فيه مشيرا الى الادوات الطبية وما ستعانيه الذات حين ينتزع منها عينة ربما تصرخ وربما تكتم صرختها.

لقد كان المكان الارضية التي حوت الشخصيات وبقية التفاصيل الاخرى فهو أس لا بد من وجوده في السرد.

("صديقي أبو الطيّب، نحن نبتة لا تعيش خارج هذا المكان الصغير والجميل، وهذه الارض منحتنا روحها فكيف لنا أن نبتعد عنها؟ كما أننا انسجمنا معها ومع العالم المحيط بنا، مِن أهل وأقارب وأصدقاء وجيران ووجوه كثيرة أخرى لا نعرفها، لكننا تعودنا على رؤيتها في شوارعها ومقاهيها وأزقتها ومكتباتها ومسارحها وصالات السينما فيها، في منطقة الميدان وشهر سوق وشارع فاروق والدواسة والسرجخانة وباب البيض وباب لكش وسوق العطارين وأصبحت كل هذه التفاصيل والأماكن جزءًا منَّا لا نستطيع الانفكاك عنها، وسببًا جوهريًا في عشقنا للحياة")(الدليمي، ٢٠٢٠، ٢٥).

ثمة انتقال من المكان الاول الى المكان الثاني (الأرض) فالحوار اظهر حنين واشتياق الذات الى المكان (الوطن) فضلا عن الحنين الى الاهل والاقارب ووجوه اخرى ثم يكمل الطرف الاول الحوار منتقلاً الى أمكنة تمتلك مرجعية واقعية وجاءت متناوبة (الميدان... سوق العطارين) في تسلسل مقصود ليدلل على عراقة وأصالة مدينته التي اخذت حيزا كبيرا منه في الغربة على الرغم من ابتعاده عنها الا انها حاضرة في ذاكرته.

(لذا كان علينا أن نواجه هذه الانعطافة الحادة التي أصابت كيان أسرتنا وأن نتفادى نتائجها ونخرج منها بأقل الخسائر، ولكي يستوعبَ ولدي المكان الذي أمسينا نقف فيه، وجدت من الأجدى أن أتحدث إليه باعتباره رجلًا، حتى أعيد إليه تماسكه لكن من بعد أن أجعله مطمئنًا على صحة والدتهِ، وإن أمامها فرصة كبيرة جدًّا للشفاء بعد إجراء العملية، وإن مرضها ليس خطيرًا كما يظُن، خاصة وإن هناك العشرات من النساء قد مررْنَ بنفس التجربة وخرجن منها سالمات معافات وعدْنَ إلى حياتهن الطبيعية وإلى مزاولة عملهن مثل بقية النساء، فحاولتُ أن أقنعه بأن كل شيء سيكون على ما يرام، ولا ينبغي أن تذهب به

ظنونه إلى مخاوفَ غير واقعية، بل يتوجب عليه أن لا يتخلى عن أحلامه ولا ينشغل بأي شيء يعيقه عن تحقيقها طالما ما زلنا نشمُّ الهواء ونمدُّ بساط أمالنا في امتدادات الحياة الواسعة، فالمشقَّات يمكن أن تفاجئنا في أي لحظة، وعلينا أن نتعلم كيفية التعامل معها ومواجهتها والاحتيال عليها أحيانا للتقليل من أضرارها هذا إذا لم نستطع قهرها) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٣٠).

يظهر المكان المتخيل في المشهد السردي فالمكان المتخيل: " هو مكانٌ حقيقي أُعمل فيه الخيال، فأطلقه من حقيقته؛ أي مساحة المكان المتخيل تتأتى من رسم مكان حقيقي ما وتغيير بعض صفاته أو عنوانه مع وجود ما يدل عليه، وهو من صنع الخيال، ويبنى المكان على أساس من التخييل، لكنه لا يكتسب أية ملامح أو أهمية دون ان يتماثل بدرجة أو بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص لذا يستحيل بناء حدث أو شخصية في مكان لا ملامح له (ابراهيم، ١٩٨٨، ١٢٧). أما "عن علاقة المكان بالخيال فنحن نعرف ضمنيا ان مظاهر عمليات التخييل تلك انما نعاينها عبر معاينتنا للصورة... في النص"(كحلوش، ٢٠٠٨، ٢٤٥) ففي المشهد جاء سرد الراوي العليم (المكان الذي امسينا فيه) وهو يقصد مكانا متخيلاً عن المرض الذي أصاب الأم وكيف يستوعب ذلك هو وولده من دون شكوى أو اظهار للحزن أمام الأم–الزوجة ومن الأجدر أن يتحملا المشقات وما سيحدث مستقبلا في اي لحظة. اذ لا بد من الصبر ولا بد من التحمل والثبات الى أن يجتازوا تلك المحنة. فالمكان المتخيل اجتمع مع الزمان (لفظة أمسينا) في نسيج سردي ظاهر.

(تفاصيل كثيرة داخل لوحة حياتي الشخصية ستخضع هي الأخرى إلى التأجيل حتى إشعار آخر بعيدًا عن سياق طقوسي اليومية التي اعتدت الركون إلى تناسقها، فكان لا بدَّ من أن أتحمَّل يوميًا ولمدة أسبوع مسؤولية تفريغ علبة بلاستيكية بحجم الكف ما أن تمتلئ بخليط لزج من الدم والماء كان ينسكب فيها من خلال أنبوبين بلاستيك رفيعين طولهما بحدود ٧٠ سم ينفذان إلى داخل العلبة عبر فتحتين ضيقتين تمنعان تسرّب السوائل خارجها، وينتهي الأنبوبان من الجهة الأخرى في فتحتين صغيرتين جدًّا داخل جسدها، الفتحة الأولى تحت الإبط الأيسر حيث المكان الذي أزيلت منه سبع وعشرون غدّةً لمفاوية، والثانية في منطقة الصدر من الجهة اليسرى أيضا، وفي نفس مكان الثدي الذي تمت إزالته نهائيا ولم يبق منه سوى قطعة جلدية تمت خياطتها على شكل خط أفقي متعرج) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٤٩–٥٠).

ترى ناقدة أن ((الحديث عن المكان أيضاً هو بالضرورة الحديث عن الجسد. وبما أنّ الجسد حيزنا الخاص في المكان والعالم، فهو ما إن ينوجد في مكان حتى يكون قد اشتبك في جدل العلاقة بالجسد.

ومجرد الوجود وأخذ حيز ما في المكان علاقة في اللغة، وهو بداية سلسلة من التفاعلات)) ففي المشهد يصف الراوي تأجيل كل المسؤوليات المحيطة به ثم يسرد عن المسؤولية الاخرى التي ستكون على عاتقه في قادم الايام وهي عملية التداوي التي لا بد منها للقضاء على الورم. اذ يتشكل مكانين بصورة متتابعة:

الأول: المكان الجسد الذي سوف يزال منه الورم (المكان الذي أزيلت منه سبع وعشرون غدّةً لمفاوية).

الثاني: المكان الثدي (مكان الثدي الذي تمت إزالته نهائيا).

اذن تغاير تشكيل المكان عبر التنوع الذي كان مقصوداً من لدن الروائي وهذا يكشف عن جماليات الامكنة الموظفة في الرواية.

(على الرغم من أن صحتها لم تكن تحتمل الحركة لأنها تسبب لها الإرهاق إلا أنني لاحظت على محياها ملامح تعبر عن شعور بالراحة وهي تتواجد في مكان جديد غير مألوف لديها، لم يسبق لها أن مرَّت به من قبل، وهذا ما انتبهتُ إليه مذ دخلنا المطار إلى أن جلسنا في صالة الانتظار، حيث وجدتها تراقب كل شيء حولها بعينين يلتمعُ فيهما بريق الدهشة، وتحاول أن تستوعب تفاصيل المكان الفخم والأنيق) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٩٢-٩٣).

يعد المكان الجدد تشكيلا من أشكال المكان في الرواية ونستطيع ان نطلق عليه المكان الاخر او المغاير او المكان الثاني. إنه مكان متجدد لم تالفه الشخصيات في رحلة العلاج المفروضة عليهم فلم يسبق للمرأة ان نزلت في مكار او غادرت مدينتها وكان الادهاش بادٍ عليها وهي تعاين المكان الفخم والأنيق.

("ربما لديكِ هذا الشعور لأنك أول مرة تركبين الطائرة وتكونين على هذا المستوى من الارتفاع".

بهذه الجملة حاولتُ أن أخرجها من هذا الإفراط في التخيل والتحليق بعيدًا عن الواقع، وأن تتعامل مع ما تراه ليس باعتباره تجربة خارقة لن تتكرر، وذكَّرتها بأن هناك ملايين من البشر مثلها ربما يكونون الآن على نفس الارتفاع لكنهم لا يجدون أنفسهم قد أصبحوا أقرب مسافة إلى الله، ولا يعدون ما يمرون به تجربة روحية، إنما هو مجرد انتقال في المكان مثلما يركبون سيارة أو قطار أو باخرة أثناء سفرهم من مكان إلى آخر، فلماذا هذا التوغل العميق في التخيل بما لا يستحق كل هذا الجنوح والشطط في الأفكار والتأملات التي أبعد من أن تكون منطقية؟) (الدليمي، ٢٠٢٠، ٩٦-٩٧).

المكان المذكور في المشهد جاء عبر حديث الرجل مع زوجته وهما في الطائرة . فالرجل كان يذكر زوجته أنهما ينتقلان من مدينتهما الى المدينة الأخرى التي سيجري فيها العلاج فأخذ الرجل يصبر زوجته وهذا جانب انساني يكشف عن محبته لها فضلا عن اعطائها دافعية وهزيمة لمواجهة العلاج واستئصال الورم من جسدها وكيف ستواجه هذا التغير الحاصل في جسدها من دون خوف او جزع او انكسار. لقد كانت تشعر بالخوف لأنها لم تسافر بالطائرة قبل ذلك. ويكمل حديثه معها أنها لا تتوغل في أفكارها وتتأمل في مناطق لا منطقية.

(ولم يأسرني في تفاصيل هذا المشهد سوى حالة الهدوء التي كانت تعم أرجاء المكان، باستثناء أصوات رجالية كانت تخترقه قادمة من كشك صغير يقع مقابل باب الفندق، يقدم للزبائن أكلات لبنانية خفيفة مثل بابا غنوج، فتة، حمص بطحينة، كبة محشية، ولم يكن في الكشك سوى عاملين يقدمان الطلبات لثلاثة أو أربعة زبائن يجلسون حول منضدتين صغيرتين. بقيت أتأمل المنظر من الأعلى، ووجدته يعكس وجهًا آخر للمدينة التي كنت قد شعرت بالنفور منها قبل ساعات، حيث كانت تبدو حميمية من خلاله، ولا أشكُّ في أن مثل هذه اللحظات غالبًا ما تبعث فيّ شعورًا بالتواصل والألفة مع المكان حتى لو كان أجنبيًا) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٠١).

(عشت لحظة ترف حقيقية لدقائق معدودة، انفصلت فيها عن هجير أيامي، شعرتُ بها وهي تنهمر في كياني كله، بينما كنت أستمتع بنسمة هواء باردة كانت تتهادى في الفضاء، مع أننا في منتصف شهر حزيران، فوجدت نفسي هائما بألفة الأشياء التي كانت تلتقطها عيناي وهي تغرق في صمت المكان) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٠٩).

هناك فرق بين هدوء المكان في المشهد الاول وصمت المكان في المشهد الثاني:

الصمت شيء إرادي ذاتي شخصي بالإمكان التحكم به، بينما الهدوء شيء لا يمكن التحكم به بل مفروض فرضاً واضحاً. والهدوء فيه جمال وسكينة وطمأنينة. في النص الاول: حالة الهدوء التي كانت مفروضة على المكان أسرت الشخصية حتى اللحظات الزمنية تحولت الى حميمية. لذلك شعرت الشخصية بشيء من الالفة مع المكان بوصفه مكان أليف تأنس فيه الشخصية على الرغم من وجود بعض الشخصيات فيه الا ان الهدوء أطر محيط المكان.

اما في النص الثاني: فقد اجتمع تقاطب فزيقي ما بين هجير الأيام والهواء البارد في الفضاء. فثمة مكانان الاول الفضاء بوصفه حاضنا لصمت المكان فضلا عن شعرية المشهد: (فوجدت نفسي هائما بألفة الأشياء التي كانت تلتقطها عيناي وهي تغرق في صمت المكان).

(وأنا أتأمل الصخرة وهي تقف شامخة وسط الماء مثل كائن أسطوري عملاق، غير عابئة بالأمواج، وكانت بمثابة شاهد على التاريخ، إلا أن متعتنا أفسدتها امرأة بدينة ملحاحة بينما كنا نتكئ بأذرعنا على السياج الحديدي نتأمل البحر، فما أن لمحتنا حتى اقتحمتنا ونحن نحلق بمخيلتنا مع سحر المكان، فانتزعتنا من صفاء تلك اللحظة الآسرة وهبطت بنا على الأرض إلى حيث الكورنيش الذي كان يعج بحركة الناس، بدت المرأة في لون بشرتها المائل إلى سمرة داكنة أقرب ما تكون إلى الغجر، وما عزز ذلك الإحساس تلك الوشوم التي كانت تزين ذقنها وكفيها إضافة إلى سِنِّها الذهبي الذي كان يلمع بين بقية أسنانها الأخرى) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٢١).

دهشة الشخصية في المكان جعلته ينعته بالسحر، لأن السحر فيه شيء من التغاير البصري الجاذب. فأنا المتكلم شاهدت ما لم تشاهده أمام منظر لم تألفه فضلا عن المخيلة التي طافت في سحر المكان، ونستطيع ان نطلق على المكان في هذا المشهد بالمكان الساحر فالصخرة والامواج شكّلا لوحة فنية امتلكت جمالية ظاهرة. ثم تصف الشخصية تلك المرأة البدينة وصفا خارجياً لبشرتها ولون اسنانها.

(لأنني وجدت في المكان الذي اخترته زاوية متسعة تمكنني وبشكل خفي من التقاط بعض الصور التي تظهر حجم الازدحام، ولكي أبدو للآخرين كما لو أنني أتصفح المواقع في الهاتف) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٦٠).

تمظهر المكان الثنائي في المشهد (المكان و زاوية متسعة) فالسرد أبان ائتلاف المكان الزاوية مع المكان فالمخاتلة البادية للعيان انه يتصفح الموبايل لكي لا يجذب الاخر بينما هو يلتقط الصور في تلك الزاوية بعد ان اعجب بتفاصيل المكان.

(عندما نلتقي بعد كل واحد وعشرين يوما لتلقي الجرعة الشهرية، وكل واحد منَّا كان مطمئناً من أنَّ ما يبوح به من أوجاع سيلقى آذانا صاغية، ربما لن يجد خارج ذلك المكان من يصغي اليها، فيكشف كل واحدٍ عن تفاصيل مطمورة من حكايات مرت به، فيمضي الوقت بنا سريعًا) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٦٧).

المكان الذي يكون شاهداً على الجرعة الشهرية كشف عن حالة الشخصيات فهو بؤرة الاسرار وهو المكان الشاهد، اذ تبوح فيه الشخصيات بكل الحكايات التي تعرفها من أجل أن يمضي الزمن زمن العلاج

فهو زمن لا تستسيغه الشخصيات لكنه مفروض عليها وهو الزمن الذي ستجد فيه الشخصيات مع بعضها أذان صاغية أثناء الكلام.

(بل أستطيع أن أقول عنه بأنه أكبر فاجعة تلقتها المدينة منذ عشرات السنين، لأن جامع النبي يونس كان جزءًا من تاريخ كل واحد من الأجيال التي عاشت في الموصل، فالمكان له علاقة بكل الموصليين وليس المسلمين وحدهم) (الدليمي، ٢٠٢٠، ١٧٠).

يتحدث الراوي عن المكان الديني (جامع النبي يونس) وعن الفاجعة التي عصفت بأهل المدينة حين قامت الرايات السوداء بتفجيره على الرغم من عمق إرثه التاريخي وارتباطه بالأجيال التي تعيش في المدينة. فهو لا يخص المسلمون وحدهم. إن المكان الديني مكان روحي تسكن فيه الشخصية وتطمئن وهي تؤدي عبادتها فيه فهو مكان اثير بالنسبة لها.

الخاتمة:

١. يعد المكان محورا من محاور السرد وهو عنصر أساسي يرتكز عليه الحدث.
٢. اعتنى الروائي في تشكيل للأمكنة عبر الاحداث والشخصيات والزمان، لأن هذه الثلاثية لا بد لها ان تجتمع مع المكان في نسيج سردي واحد.
٣. ظهر المكان الواقعي في الرواية عبر المسميات التي كان لها وجودا في الواقع.
٤. كان المكان الديني نقطة مهمة في حياة اهل المدينة. اذ له خصوصية أثيرة ومميزة لديهم.
٥. المكان الشاهد تمظهر عبر تفاعل الشخصيات فيه وسرد حكاياتهم.
٦. ان المكان الثنائي تميز بوجود مكانين متداخلين مع بعضهما البعض لذا اسميناه المكان الثنائي.
٧. اكتسب المكان الجسد فرادة بوصف الجسد الارضية التي تحوي امكنة عدة.
٨. إن المكان الاخر مثّل مكانا مغايرا للمكان الذي جمع الشخصيات حين انتقلوا اليه بسبب المرض.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إشكالية المكان في النص الأدبي – دراسات نقدية، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، العراق – بغداد، ١٩٨٦.

٢. اكتشاف الحب اوراق من مدونتي الشخصية، مروان ياسين الدليمي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية – دمشق، ط١، ٢٠٢٠-١٤٤١.

٣. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ت. فريد أنطونيوس، دار عويدات للنشر، بيروت–باريس، ط٢، ١٩٨٢.

٤. بلاغة المكان – قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت –لبنان، ٢٠٠٨.

٥. بناء الرواية – دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٨٥.

٦. البناء الفني لرواية الحرب في العراق – دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، عبد الله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٨٨.

٧. بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت–لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٠.

٨. بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣.

٩. تاريخ الفلسفة اليونانية: من طاليس (٥٨٥ ق.م) الى افلوطين (٢٧٠م) وبُرقليس (٤٨٥م): ماجد فخري، القاهرة، ط١، ١٩٨٩.

١٠. التعريفات ،علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢.

١١. جماليات المكان في قصص سعيد حورانية: محبوبة محمدي محمد آبادي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، د ط.

١٢. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٦، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦.

١٣. جمهرة اللغة لابن دريد ابي بكر محمد بن الحسن الازدي البصري في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر أباد الدكن ، ط١. د.ت.

١٤. الرواية والمكان ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، العراق – بغداد، ١٩٨٦.

١٥. الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٧٠.

١٦. شعرية التأليف – بنية النص الفني وأنماط التشكيل التأليفي: بوريس اوسبنسكي، ترجمة : سعيد الغانمي وناصر حلاوي، ط١، ١٩٧٦.

١٧. شعرية المكان في الرواية الجديدة – الخطاب الروائي لادوار الخراط نموذجا، خالد حسين حسين، كتاب الرياض يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ٢٠٠٠..

١٨. الصـــحاح تاج اللغة وصـــحاح العربية ، إســماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان. ١٩٩٩.

١٩. طريق الفيلسـوف، جان فال، ترجمة: احمد حمدي محمود، مراجعة: أبو العلا عفيفي، مؤسـسـة سـجل العرب بإشـراف الدكتور إبراهيم عبده، القاهرة، ١٩٦٧.

٢٠. العين للخليل ابن احمد الفراهيدي، حققه مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بغداد، ط ٢ ، ١٩٨٦.

٢١. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية : د. حبيب مونسي.

٢٢. عالم الرواية، رولان بورنوف وريال أوئيليه، ترجمة: تهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي ود. محســن الموســوي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، ط١، بغداد، ١٩٩١.

٢٣. في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.

٢٤. القـاموس المحـيط ، مجـد الـدين محمـد بـن يـعقـوب الفـيروز أبـادي ، المؤســســـة العربيـة للنشر ، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٤.

٢٥. كشـاف اصـطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، ج٢، المؤسـسـة المصـرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠.

٢٦. لسان العرب، بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٢٧. مدخل إلى نظرية القصة – تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي – جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦.

٢٨. مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت، ١٩٧٥.

٢٩. المصطلح الفلسفي عند العرب، د. عبد الأمير الأعسم، مكتبة الفكر العربي، ١٩٨٤م.

٣٠. الموسوعة القرآنية، تصنيف ابراهيم الإبياري وعبد الصبور مرزوق، مطابع سجل العرب، القاهرة، د.ت.

٣١. نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية – ابن سينا نموذجا، د. حسن مجيد العبيدي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ٢٠٠٧.

٣٢. نقد العقل المحض، عمانوئيل كنط، ترجمة وتقديم: موسى وهبة، مركز الانماء القومي، لبنان.

٣٣. جماليات المكان اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، ع٢ ، ١٩٨٦.

٣٤. حقيقة الزمان والمكان ، محمد فرحات عمر ، مجلة الأديب ، ع١–١٢ ، ١٩٥٦.

٣٥. شخصية المكان في ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ، جابر عصفور، مجلة الأدب الإسلامي ، مصر ، مج ٩ ،ع ٣٤ – ٣٥ ، ٢٠٠٢

٣٦. عندما يصير المكان فسحة، أنطون المقدسي، مجلة المسار (اتحاد الكتاب التونسيين)، ع٢٤، ١٩٨٩.

٣٧. المكان والزمان، في يوميات نائب في الأرياف، ليلى درغوث، مجلة الحياة الثقافية، ع٥٨، ١٩٩٩.

٣٨. ملامح المكان في قصة الحرب ، القصيدة في العراق ، مؤيد اليوزبكي، آداب الرافدين، جامعة الموصل ، ع٢١ ، ١٩٩٨ .

٣٩. من المكان إلى المكان الروائي ، خالد حسين حسين، مجلة المعرفة، السنة ٣٩ ، ع٤٤٢ ٢٠٠٠.

٤٠. غائب طعمة فرمان روائيا، د. فاطمة عيسى جاسم، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل– كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، ١٩٩٧.

حكم الاختلاط وأثره في المجتمع الإسلامي

The Ruling on Mixing and Its Impact on Islamic Society

الباحث خليل أحمد حمزة النعيمي *

Khalil Ahmed Hamza Al Nuaimi *

الملخّص:

هدفت هذه الدّراسة إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن الاختلاط من الأمور التي انتشرت في هذه الأمة الغراء، وابتليت به بلاءً عظيماً، ولا تكاد تخلو أمة من الأمم من الاختلاط، وما له من عظيم الأثر. وقد حاولت هذه الدراسة تعريف الاختلاط من حيث اللغة والاصطلاح، وبيان أدلته الشرعية، وحكمه في الشريعة الإسلامية أيضاً. ومحاولة تدوين المشكلات التي قد تنشأ عن الاختلاط وإيجاد الحل لها ضمن الشريعة الإسلامية.

الكلمات المفتاحيّة: الاختلاط، الشريعة، آثار الاختلاط، المجتمع الإسلامي.

Abstract:

This study aimed to conclude that mingling is something that this nation has become widespread with, and has been afflicted with by a great affliction, and hardly any nation is devoid of mingling, and it has a great impact. I have tried to define mingling in terms of language and terminology, and to explain its legal evidence, and its ruling in Sharia as well. And an attempt to write down the problems that may arise from mixing and find a solution within Islamic law.

Keywords: Mixing, Sharia, Effects of Mixing, Islamic Society.

المـقـدمــة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سـلطانه، والصـلاة والسـلام على نبيه الذي بعثه خير الأنبياء لخير الأمم إلى يوم حسابه، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم، وبعد:

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة الجنان – لبنان.

Email: aldlymykhlyl66@gmail.com

* Al-Jinan University – Lebanon.

فقد بحثت في بحثي الموسوم بـ (حكم الاختلاط وآثارها في المجتمع الاسلامي)، لما لهذه الظاهرة من بالغ الأهمية، وكبير الخطر، وذلك لوقوعه في مجتمعاتنا وأسرنا وبيوتنا وأهلينا.

وقد قسّم البحث الى مبحثين وتسعة مطالب، فأما المبحث الأول ألا وهو مفهوم الاختلاط وحكمه، ففيه أربع، الأول منها يتضمن تعريف الاختلاط لغة واصطلاحًا، والثاني منها في الأدلة الواردة في حكم الاختلاط، والثالث يتضمن حكم الاختلاط في الشريعة، وأما المطلب الرابع فيه الفرق بينه وبين الخلوة.

وأما المبحث الثاني فهو عن آثار الاختلاط في المجتمع الاسلامي، وأيضا فيه خمسة مطالب، يتضمن الأول من هذه الخمسة أنواع الاختلاط مع الحكم، والثاني منها عن الأسباب المؤدية الى الاختلاط، والمطلب الثالث يتضمن أضرار الاختلاط ومفاسده، والمطلب الرابع فيه آثار الاختلاط الاجتماعي على كيان الأسرة، وأما المطلب الخامس والأخير وفيه آثار الاختلاط على المجتمع ومكوناته.

المبحث الأول: مفهوم الاختلاط وحكمه:

المطلب الأول: تعريف الاختلاط لغةً واصطلاحًا:

الاختلاط لغة: أصله من خلط الشيء بالشيء خلطًا أي ضمه إليه، وفي القرآن العزيز: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٠٢﴾ (التوبة: ١٠٢).

"واختلط الشيء بالشيء وخلطته خلطا، والخلط: اسم كل نوع من الأخلاط كالدواء ونحوه" (الفراهيدي: ٤/ ٢١٨).

"والخلط: خلطك الشيء بعضه ببعض، واختلط القوم اختلاطا في الحرب خاصة إذا تشابكوا والاسم الخلاط" (ابن دريد، ١٩٨٧: ١/ ٦١٠).

وقال صاحب تهذيب اللغة: (قال الليث): "خلطت الشيء بالشيء خلطا فاختلط، والخلط كل نوع من الأخلاط كأخلاط الدواء ونحوه" (الهروي، ٢٠٠١م: ٧/ ١٠٧).

وقال أيضًا: (وقال الليث): "رجل خلط: مختلط بالناس متحبب، وامرأة خلطة كذلك" (الهروي، ٢٠٠١م: ٧/ ١٠٩).

"خلطت الشئ بغيره خلطا فاختلط، وخالطه مخالطة وخلاطا" (الفارابي، ١٩٨٧: ٣/ ١١٢٤، ابن فارس، ١٩٨٦: ١/ ٣٠٠).

"الخاء واللام والطاء أصـــل واحد، تقول: خلطت الشـــيء بغيره فاختلط. ورجل مخلط، أي حســـن المداخلة للأمور. وخلافه المزيل" (ابن فارس، ١٩٧٩: ٢/ ٢٠٨).

والاختلاط في الاصطلاح:

لقد قيل في تعريف الاختلاط أقوالا عدة منها، كما في كتاب اظهار الحق والصـــــواب في حكم الحجاب:

فقيل: (هو اختلاط جنســـي الذكور والإناث بمختلف الوجوه، كالاختلاط في الدراســـة الجامعية، أو في ميدان العمل بالدوائر الرسمية، والمحلات التجارية، والشركات، والمعامل، وغير ذلك).

وقيل (الاختلاط: هو اجتماع الرجل بالمرأة التي ليســـــت بمحرم اجتماعا يؤدي إلى ريبة، والأمر بالقرار في البيت وتحريم الخلوة يعتبران نهيا عنه).

والتعريف الاصطلاحي المختار للاختلاط المحرم هو:

(انضمام واجتماع ومداخلة الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم: بالنظر، أو الإشـــارة، أو الكلام، أو البدن، من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفســـاد. والله تعالى أعلم) (القحطاني، ١/ ٥٣٠).

فلفظ الاختلاط يعتبر قديما من حيث اللفظ، وحديثا من حيث تعريفه لاختلاط الرجال بالنســـاء، فلم أجد له تعريفا عند العلماء القدامى، وكذلك لم أجد له تعريفا في الكتب الاصطلاحية، إلا في هذا الكتاب.

المطلب الثاني: الأدلة الواردة في حكم الاختلاط:

ذكر العلماء في مسـألة حكم الاختلاط أدلة كثيرة من القرآن والسـنة، وهنا اذكر ما يتعلق بالاختلاط بغض النظر عن أصـحية الاستدلال بها على اباحة او حرمة الاختلاط، فلست هنا إلا في إيراد الأدلة التي يظن منها ان فيها إشارة الى الاختلاط أو حكمه أو صوره أو أنواعه.

أولاً: الأدلة من الكتاب:

أولًا: هذه الآية تتحدث عن حجاب زوجات النبي (ρ) عند سـؤالهن من قبل الصـحابة (ψ) وهذا لزوجات النبي (ρ) فنســـاء المؤمنين أولى بالحجاب، فكيف بالاختلاط، قال تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا

مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الاحزاب: ٥٣).

قال صاحي السراج المنير: "ولما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة أعاد الضمير عليه مرادا به النساء استخداما فقال تعالى: (وإذا سألتموهن) أي: الأزواج (متاعا) أي: شيئا من آلات البيت (فاسألوهن) أي: ذلك المتاع كائنين وكائنات (من وراء حجاب) أي: ستر يستركم عنهن ويسترهن عنكم، وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها (ذلكم) أي: الأمر العالي الرتبة (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي: من وسواس الشيطان والريب لأن العين وزيرة القلب فإذا لم تر العين لم يشته القلب، فأما إذا رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر وعدم الفتنة حينئذ أظهر" (الخطيب الشربيني، ١٢٨٥هـ: ٣/ ٢٦٦).

ثانيًا: في هذه الآية والتي تليها بين الله كيفية التعامل ع النساء الأجانب في الحديث والمشي إذا أراد أحدهما شيئا من الآخر على لسان موسى (υ)، قال تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ (القصص: ٢٣).

قال الإمام النيسابوري في تفسيره التفسير البسيط: (وقال ابن إسحاق: (قالتا) نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر على أن يغني ذلك من نفسه، وأن يسقي ماشيته، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا سقينا ثم انصرفنا. وهذا معنى قوله: (وأبونا شيخ كبير) (قال مقاتل: لا يستطيع أن يسقي الغنم من الكبر. وقال أبو إسحاق: الفائدة في قولهما: (وأبونا شيخ كبير)) أي: لا يمكنه أن يرد ويسقي، فلذلك احتجنا ونحن نساء أن نستقي) (النيسابوري، ١٤٣٠هـ: ١٧/ ٣٧١).

ثالثًا: كما ذكرت آنفا، أن الله قد بين اسلوب وآداب الحديث والمشي ع النساء الأجانب، قال تعالى: فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ (القصص: ٢٥). قال مجاهد في تفسيره: ((فجاءته إحداهما تمشي على استحياء)، يعني: واضعة ثوبها على وجهها ليست بخراجة ولا ولاجة، فقالت له: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فقال لها موسى: امشي خلفي، وصفي لي الطريق، فإني

أخاف أن تصيب الريح ثيابك، فتصف لي جسدك، فلما انتهت إلى أبيها، قالت له: (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟، فقالت: أما قوته فإنه رفع الحجر وحده، ولا يطيق رفعه إلا عشرة، وأما أمانته، فقوله: امشي خلفي، وصفي لي الطريق، لا تصف لي الريح جسدك) (مجاهد، ١٩٨٩: ١/ ٥٢٦).

رابعًا: هذه الآية بينت كيفية التعامل مع المواقف التي يقع فيها الإنسان ورطة ومراودة من قبل الطرف الآخر، قال تعالى:

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ (يوسف: ٢٣).

قال مقاتل (رحمه الله) في تفسيره: "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب (على نفسها وعلى يوسف في أمر الجماع) وقالت هيت لك (يعني هلم لك نفسي، تريد المرأة الجماع، فغلبته بالكلام) قال معاذ الله (يعني أعوذ بالله) إنه ربي أحسن مثواي (يقول: إنه سيدي، يعني زوجها، أكرم مثواي، يعني منزلتي) إنه لا يفلح (يعنى لا يفوز) الظالمون (إن ظلمته في أهله)" (مقاتل بن سليمان، ٢٠٠٣: ٢/ ١٤٥).

خامسًا: بينت هذه الآية أحكام الزينة للمرأة حين الخروج من بيتها وأنها لا تتزين لأحد إلا المذكورين في الآية، وفيه أمر صريح بغض البصر وعدم الاختلاط بالناس الأجانب، قال تعالى: وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (النور: ٣١).

وقال السمعاني في تفسير قوله تعالى: وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (النور: ٣١): وروي أن ابن أم مكتوم أقبل إلى النبي وعنده أم سلمة وميمونة فقال لهما رسول الله: " احتجبا. فقالتا: إنه أعمى، فقال: أعمياوان أنتما ".

وقوله: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة: كل ما تتزين به المرأة من الحلي والثياب.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ اختلف القول في هذا: قال ابن مسعود: هي الثياب وهذا اختيار أبي عبيد. والقول الثاني: ما روي عن ابن عباس أنه قال: الكحل. وحكى الكلبي عنه أنه قال: الكحل والخاتم والخضاب، وعنه أنه قال: الوجه والكفان (السمعاني، ١٩٩٧: ٣/ ٥٢٠).

سادسًا: بين الله تعالى في هذه الآية أنه يعلم خائنة الأعين في النظر الى غير المحارم من الجنسين، وما تخفي الصدور من الوساوس والشهوات، فقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ (غافر: ١٩) قال ابن عباس: " ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ (غافر: ١٩) قال: الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها فإن رأى منهم غفلة نظر إليها فإن خاف أن يفطنوا به غض بصره وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنه نظر إلى عورتها" (ابن ابي شيبة، ١٤٠٩هـ: ٤/ ٣٢٧، برقم: (١٧٥١٣)، لم اجد له حكما عند المحدثين)

سابعًا: في هذه الآية بين الله لنساء النبي (ρ) أن الإقامة وعدم التبرج واجبة في حق المرأة ولا يحل لها الخروج والاختلاط بالناس وعليها بعبادة ربها وطاعة نبيها (ρ) وهذا المر اولى بنساء المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ (الاحزاب: ٣٣).

واختلفت القراء في قراءة قوله (وقرن في بيوتكن) فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين: (وقرن) بفتح القاف، بمعنى: واقررن في بيوتكن، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة (وقرن) بكسر القاف، بمعنى: كن أهل وقار وسكينة (في بيوتكن). وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا، فلا شك أن القراءة بكسر القاف، لأنه يقال: وقر فلان في منزله؛ فهو يقر وقورا، وقوله: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قيل: إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر. عن قتادة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى): أي إذا خرجتن من بيوتكن، قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك: الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك (الطبري، ٢٠٠١: ٢٠/ ٢٥٧).

ومن السنة:

أولاً: عن أسامة بن زيد، (ψ)، عن النبي (ρ) قال: ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)) (البخاري، ١٩٨٧: ٧/ ١١، برقم (٥٠٩٦)).

ثانيًا: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ρ)، قال: **((إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))** وفي حديث ابن بشار: ((لينظر كيف تعملون)) (مسلم، ٤/ ٢٠٩٨، برقم (٧٢٤٢)).

ثالثًا: عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ρ) لعلي (τ): **((يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة))** (الحاكم، ١٩٩٠، ، ٢/ ٢١٢، برقم (٢٧٨٨). هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه).

رابعًا: عن عقبة بن عامر: أن رسول الله (ρ) قال: **((إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت))** (البخاري، ١٩٨٧: ٧/ ٤٨، برقم (٥٢٣٢)).

خامسًا: عن نافع، قال: **((خرج عبد الله بن عمر (ψ) وأنا معه على جنازة فرأى معها نساء، فوقف ثم قال: ردهن , فإنهن فتنة الحي والميت ثم مضى، فمشى خلفها))** (الطحاوي، ١/ ٤٨٣، برقم (٢٧٦٣)).

سادسًا: عن عائشة: **((أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة –بعد أن نزل الحجاب فأبيت أن آذن له فلما جاء رسول الله (ρ) أخبرته بالذي صنعت فأمرني أن آذن له))** (البخاري، ١٩٨٧: / ١٣، برقم (٥١٠٣)).

المطلب الثالث: حكم الاختلاط في الشريعة:

"اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، ومزاحمة بعضهم لبعض، وكشف النساء على الرجال، كل ذلك من الأمور المحرمة في الشريعة (إلا ما أحله الله)؛ لأن ذلك من أسباب الفتنة وثوران الشهوات، ومن الدواعي للوقوع في الفواحش والآثام، قال تعالى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴿٥٣﴾ (الاحزاب: ٥٣).

وقد راعى النبي (ρ) منع اختلاط الرجال بالنساء حتى في أحب بقاع الأرض إلى الله وهي المساجد وذلك بفصل صفوف النساء عن الرجال، والمكث بعد السلام حتى ينصرف النساء، وتخصيص باب خاص في المسجد للنساء، عن أم سلمة (τ) قالت: **((كان رسول الله (ρ) إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيرا قبل أن يقوم))** (البخاري، ١٩٨٧: ١/ ١٦٧، برقم: (٨٣٧)).

قال ابن شـهاب: "فأرى –والله أعلم– أن مكثه لكي ينفذ النسـاء قبل أن يدركهن من انصـرف من القوم". وعن أبي هريرة (τ) قال: قال النبي (ρ): **((خير صـــفوف الرجال أولها وشـــرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها))** (مسلم، ١/ ٣٢٦، برقم: (٤٤٠)).

وإذا كانت هذه الإجراءات وقد اتخذت في المسجد وهو مكان عبادة طاهر والذي يكون فيه النساء والرجال أبعد ما يكونون عن ثوران الشـــهوات، فاتخاذها في غيره ولا شـــك من باب أولى، ومعلوم ما في اختلاط الرجال بالنساء في وسائل المواصلات أو العمل أو الدراسة من مفاسد عظيمة لا تخفى (الطيار، ٢٠١١: ١١/ ١٠٣).

وقد أمر الله الرجال بغض البصر، وأمر النساء بذلك؛ قال تعالى: قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ٣١ (النور: ٣٠ – ٣١) فلو كان الاختلاط سائغا في الشرع لكان في هذه الأوامر الربانية تكليف بما لا يطاق؛ إذ كيف تختلط المرأة بالرجل، وتجلس بجواره في العمل أو الدراسة، ولا ينظر كل واحد منهما للآخر وهما يتبادلان الأعمال والأوراق والدروس؟!

قال الدكتور عبد الله ناصـــح علوان: "كيف نتصـــور غض البصـــر لكل من الرجل والمرأة وهما مجتمعان في مكان واحد؛ فالآية إذن في مدلولها تنهى عن الاختلاط وتحرمه" (صقر، ٢٠١١: ١/ ٩٤).

وعن أبي سـعيد الخدري (τ) عن النبي (ρ) قال: **((إن الدنيا حلوة خضـرة، وإن الله مسـتخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النسـاء؛ فإن أول فتنة بني إسـرائيل كانت في النسـاء))** (مسـلم، ٨/ ٨٩، برقم: (٧١٢٤)) حيث أمر النبي (ρ) باتقاء النســاء، والأمر يفيد وجوب المأمور به، فيجب على الرجال اتقاء النساء، ولا يتحقق هذا إلا بترك الاختلاط بهن، ومن وجه آخر فإن الأمر بالشيء نهي عن أضداده، فيكون نهيا عن مخالطة النساء؛ لأن المخالطة مضادة للاتقاء، والنهي يقتضي التحريم (القحطاني، ١/ ٥٦٩) وإن اختلاط الرجال بالنســـاء محرم كما هو مبين، لما فيه من تغيير في الطباع الذي جبل عليه الانسـان، فالرجل مجبول على العمل والخشـونة والغيرة على عرضـه، والمرأة مجبولة على السكون في المنزل والحياء وعدم التزين الا لزوجها، وإن الاختلاط يفضـي الى النظرة الحرام ثم الشـهوة ثم الوقوع في الزنا، أعاذنا الله وإياكم منه.

وعن أبي موسى الأشعري (τ) قال: قال رسول الله (ρ): **((أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا من ريحها، فهي زانية))** (النســائي، ٢٠٠١: ٨/ ٣٤٩، برقم: (٩٣٦١)) وســبب المنع من ذلك

واضـح، وهو ما فيه من تحريك داعية الشـهوة، وقد ألحق به العلماء ما في معناه، كحسـن الملبس، والحلى الذي يظهر، والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال.

وقد ذكر الهيثمي في "الزواجر": أن خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة من الكبائر، ولو أذن لها زوجها (الهيثمي، ١٩٨٧: ٢/ ٧١).

المطلب الرابع: الفرق بينه وبين الخلوة:

الاختلاط في اللغة هو الممازجة، واختلط الرجال والنســاء أي: تداخل بعضــهم في بعض. يقال خلطت الشيء بالشيء فاختلط.

جاء في معجم (لســان العرب) في مادة (خلط): "خلط الشــيء بالشــيء يخلطه خلطا، وخلطه فاختلط: مزجه واختلطا، وخالط الشيء مخالطة وخلاطا: مازجه" (ابن منظور، ١٤١٤هـ: ٧/ ٢٩١).

وتعريفه بالشرع: هو امتزاج الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم ــ أي التي يباح له زواجها ــ اجتماعا يؤدي إلى ريبة.

قال الشــيخ عبد الله بن جار الله (رحمه الله): "الاختلاط هو: الاجتماع بين الرجل والمرأة التي ليسـت بمحرم، أو اجتماع الرجال بالنسـاء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصـال فيما بينهم، بالنظر أو الإشــارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال تعتبر اختلاطا" (صقر، ٢٠١١: ١/ ٦٣).

تعريف الخلوة المحرمة: هي أن ينفرد رجل بامرأة أجنبية عنه، في غيبة عن أعين الناس، وهي من أفعال الجاهلية، وكبائر الذنوب (صقر، ٢٠١١: ١/ ٦٢).

قال الشــيخ عبد الله بن جار الله (رحمه الله): " الاختلاط هو: الاجتماع بين الرجل والمرأة التي ليسـت بمحرم، أو اجتماع الرجال بالنسـاء غير المحارم، في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصـال فيما بينهم، بالنظر أو الإشــارة أو الكلام، فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال تعتبر اختلاطا" (صقر، ٢٠١١: ١/ ٦٣).

الخلوة: هي وجود المرأة مع الرجل في مكان لا يمكن أن يطلع عليهما فيه أحد، كغرفة أغلقت أبوابها ونوافذها وأرخيت ستورها (قلعجي، ١٩٨٨: ١/ ٢٠٠) وخلوة المكان إذا لم يكن فيه أحد، ولا شيء فيه، وهو خال، ومنه خلوة الرجل بنفسه أي إذا انفرد (عبد المنعم، ٢/ ٥١).

وعلى هذا فإن الاختلاط غير الخلوة، لأن الاختلاط من المخالطة وهو الممازجة وأما الخلوة فهو الانفراد بالمرأة الاجنبية والغير الشرعية.

المبحث الثاني: آثار الاختلاط في المجتمع الإسلامي:

المطلب الأول: أنواع الاختلاط مع الحكم:

إن اختلاط الرجال بالنساء له ثلاث حالات: **الأولى:** اختلاط النساء بمحارمهن من الرجال، وهذا لا إشكال في جوازه. **والثانية:** اختلاط النساء بالأجانب لغرض الفساد، وهذا لا إشكال في تحريمه. **والثالثة:** اختلاط النساء بالأجانب في: دور العلم، والحوانيت، والمكاتب، والمستشفيات، والحفلات، ونحو ذلك، فهذا في الحقيقة قد يظن السائل في بادئ الأمر أنه لا يؤدي إلى افتتان كل واحد من النوعين بالآخر؛ **أما المجمل:** فهو أن الله تعالى جبل الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف ولين، فإذا حصل الاختلاط نشأ على ذلك آثار تؤدي إلى حصول الغرض السيئ؛ لأن النفوس أمارة بالسوء، والهوى يعمي ويصم، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر. **وأما المفصل:** فالشريعة مبنية على المقاصد ووسائلها، ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه، فالنساء مواضع قضاء وطر الرجال، وقد سد الشارع الأبواب المفضية إلى تعلق كل فرد من أفراد النوعين بالآخر، وينجلي ذلك بما نسوقه لك من الأدلة من الكتاب والسنة. **أما الأدلة من الكتاب فستة:** ...». ثم ذكرها (رحمه الله)، ثم قال: «وأما الأدلة من السنة، فإننا نكتفي بعشرة أدلة"، ثم ساقها ــ (رحمه الله) (القحطاني، ١/ ٥٣٣).

المطلب الثاني: الأسباب المؤدية الى الاختلاط:

١– ضعف الإيمان في النفوس فالإيمان الصادق إذا تمكن في القلب ظهرت آثاره على الجوارح فيتقيد المتصف به بأوامر الله ونواهيه، وإذا ضعف الإيمان في النفوس استحسنت القبيح واستقبحت الحسن وصار المعروف عندها منكرا والمنكر معروفا ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

٢– تقاعس المسلمين عن الدعوة إلى الله وكسلهم عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتثاقلهم عن القيام بفريضة الجهاد في سبيل الله حتى تركت الواجبات وارتكبت المنهيات و (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (الروم: ٤١).

٣– قلة العلم الشرعي وظهور الجهل وقلة العلماء العاملين بعلمهم الذين يحملون القدوة الحسنة لمجتمعاتهم وكثرة الجهال الذين يحملون القدوة السيئة لهم.

٤- سوء التربية والتوجيه والتعليم أولا من جهة الآباء لجهلهم وغفلتهم أو استهتارهم، وثانيا من جهة المدرسة التي لا تضم الموجهين الأكفاء دينا وعلما وخلقا وسلوكا من الرجال والنساء.

٥- وسائل الدعاية والنشر من الصحف والمجلات والإذاعات المشجعة للتبرج والسفور والاختلاط.

٦- نظرة أكثر الناس إلى أوربا وأمريكا وأنها في نظرهم المثل الأعلى في الحضارة والتقدم فيحاولون تقليدهم في كل شيء ويظنون أن الأمة إذا تبرجت واختلطت وانحلت صارت قوية مثل أوربا وأمريكا، وما علموا أن القوة لله جميعا إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ (يس: ٨٢) وفي قصص الأمم الماضية في نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين في القرآن لنا عظة وعبرة حيث أهلكهم الله في الدنيا وأعد لهم عذاب النار في الآخرة لما كفروا به وعصوا رسله ولنتأمل قول الله تعالى : وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه: ١٣١) وقوله تعالى: وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ (ابراهيم: ٤٢) وقوله تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ (آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧).

المطلب الثالث: أضرار الاختلاط ومفاسده:

فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال المؤدي إلى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة أمر خطير جدا له تبعاته الخطيرة وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة. رغم مصادمته للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه.

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم اختيارا أو اضطرارا بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه يجد التذمر على المستوى الفردي والجماعي والتحسر على انفلات.

قال الشيخ سيد سابق (رحمه الله): المرأة من بيتها وتفكك الأسر، ونجد ذلك واضحا على لسان كثير من الكتاب بل في جميع وسائل الإعلام، وما ذلك إلا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه (ابن باز، ١٤٢٣هـ: ١/ ٢١).

" لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة" (صقر، ٢٠١١: ١/ ٢٠).

المطلب الرابع: آثار الاختلاط الاجتماعي على كيان الأسرة:

قال الاستاذ سيد قطب في كتابه: (السلام العالمي والاسلام): إن من حق الرجل كما إن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما الى رفيقه وألا يتعرض للإغراء الذي قد تنحرف معه عواطفه عن شـــريكه، إن لم يقده ذلك الانحراف الى الانزلاق والخطيئة، مما يهدد الرباط المقدس المتضمن في الزواج، ويطيِّر عن جوه الثقة الكاملة والاطمئنان (سيد قطب، ٢٠٠٦: ١/ ٢٢٤).

أن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجا لها عن تركيبتها وطبيعتها. وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنويتها وتحطيم لشخصيتها ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث لأنهم يفقدون التربية والحنان والعطف. فالذي يقوم بهذا الدور وهو الأم قد فصلت منه وعزلت تماما عن مملكتها التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول (ابن باز، ١٤٢٣هـ: ١/ ٢٢).

ولعل من أهم مساوئ الاختلاط هدم كيان المرأة والتقليل من شأن الرجل، مما يكون له أبلغ الأثر في تكوين الأسـرة في مجتمعنا الإسـلامي المعاصـر، وعلى أخلاقيات الناس من الجنسـين (المرسـي، ١٩٩٨: ١/ ٢٣٠).

المطلب الخامس: آثار الاختلاط على المجتمع ومكوناته:

قال الأستاذ حسن البنا (رحمه الله): "يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرا محققا فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، وعليه فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك.

يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديما قيل: إن الطعام يقوى شـــهوة النهم. .. والمرأة التي تخالط الرجال تتفنن في إبداء ضـروب زينتها، ولا يرضـيها إلا أن تثير في نفوسـهم الإعجاب بها" (صـقر، ٢٠١١: ١/ ٢١).

ومما لا شـــك فيه أن آثار الاختلاط وخيمة على جميع أفراد المجتمع، فهو يدمر العباد، ويذر الديار بلاقع، حتى صـارت هذه الدول التي تدعي الرقي والحضـارة تعمل المدارس غير المختلطة لما رأت

من عواقب الاختلاط، ولما يكون في عدم الاختلاط من صـــفاء الذهن والاهتمام بالعلم، بعيدا عن التفكير بالنساء، والنظر إليهن.

فالاختلاط ســبب عظيم من أســباب الشــرور في المجتمع، من جراء هذه العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، حتى نشأ في هذه المجتمعات الحيوانية الأسر المفككة، والأولاد غير الشرعيين، عدا عن الأمراض الفتاكة التي سرى الكثير منها إلى بلاد الإسلام، كالإيدز وغيره (غانم، ١/ ٥٠).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصــلاة والســلام على رسـول الله (ρ) وخير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيطيب لي أن أوجز أهم النتائج التي توصــلت اليها من خلال هذه الرســالة المباركة إن شــاء الله تعالى وهي على النحو الآتي:

١. تبين أن الاختلاط في الشرع هو عبارة عن دمج الرجال بالنساء في مكان عام.
٢. وأن حكم الاختلاط هو مُحرّم إلّا لمَحرَم أو ضرورة.
٣. وأن الاختلاط غير الخلوة، فالخلوة عبارة عن اختلاء الرجل بالمرأة في مكان لا يراه إنسان.
٤. ومن الأســباب المؤدية الى الاختلاط ضــعف الإيمان في النفوس، وتقاعس المســلمين، وانتشــار الجهل وانحسار العلم.
٥. ومن آثار الاختلاط الاجتماعي والفردي على كيان الأسرة أن يشك الزوج بزوجته والزوجة بزوجها، وقلة تهذيب السلوك.

ولله الحمد أولًا وآخرًا

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١. صقر، شحاتة محمد، الاختلاط بين الرجال والنساء، أحكام وفتاوى – ثمار مرة وقصص مخزية – كشف ١٣٦ شبهة لدعاة الاختلاط، تقديم: مجموعة علماء، ط ١، دار اليسر، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٢. القحطاني، د. سعيد بن على بن وهف، إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب والتبرج، والسفور، والخلوة بالمرأة الأجنبية، وسفرها بدون محرم، والاختلاط في ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، تقديم: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٣. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت ١٤٢٠هـ)، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

٤. النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: ط ١، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

٥. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٦. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط ١، دار الوطن، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٧. مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط ١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٨. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٩. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ρ) وسننه وأيامه، ط ١، دار الشعب – القاهرة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

١١. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م.

١٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٣. الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي شمس الدين (ت ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

١٤. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

١٥. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (ت ٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار،

١٦. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٧. السيد سالم، أبو مالك كمال، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، تعليق فضيلة الشيخ/ ناصر الدين الألباني، وفضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م.

١٨. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٩. الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد، والمطلق، أ. د. عبد الله بن محمد، الفقه الميسر، والموسى، د. محمد بن إبراهيم، ط ١، دار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٢٠. أبو حبيب، الدكتور سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط ٢، دار الفكر، دمشق– سورية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٢. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٣. السباعي، مصطفى بن حسني (ت ١٣٨٤هـ)، المرأة بين الفقه والقانون، ط ٧، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٤. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٢٥. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ρ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٦. ابن ابي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٠٩هـ.

٢٧. عبد المنعم، د محمود عبد الرحمن معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة.

٢٨. قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ط ٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٩. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٠. المرسي، كمال الدين عبد الغني من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ط ١، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

أزمة النفط العالمية في صحيفة الأهرام القاهرية

The Global Oil Crisis in Al-Ahram Cairo Newspaper

م. م. هبة سليم عباس *

Hibah Saleem Abbas *

الملخّص:

مثلت أزمة الطاقة (النفط) نقطة تحول في موازين العلاقات الدولية بعد أن استخدم العرب سلاح النفط العربي في صراعهم مع إسرائيل بكفاءة لم تكن متوقعة أدّت إلى إحداث أزمة طاحنة في أسواق النفط العالمية تأثرت بها جميع دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، كما أدّت إلى انقسام حاد في صفوف دول السوق الأوروبية المشتركة.

وقد كان قرار الحظر عنصرًا أساسيًا في رسم السياسة الخارجية الأمريكية، لاسيما وأنّه بدأ يحدث أثره في شقين: أحدهما يقضي بخفض الإنتاج وهذا من شأنه أن يؤثر على جميع الدول المستهلكة للنفط كأوروبا الغربية واليابان، والآخر منع النفط عن بعض الدول كأمريكا، وعليه قررت الأخيرة اتباع سياسة مستقبلية اعتمدت الهيمنة من خلال التحكم باقتصاد الدول المنتجة للنفط تحاشيًا لأي أزمة مستقبلية، كما أنها بدأت تبحث عن وسائل بديلة للنفط.

الكلمات المفتاحية: النفط، حرب أكتوبر، حظر النفط، أزمة الطاقة، الأهرام.

Abstract:

The energy (oil) crisis represented a turning point in the balance of international relations after the Arabs used the Arab oil weapon in their conflict with Israel with unexpected efficiency, which led to a severe crisis in the global oil markets that affected all the countries of Western Europe, the United States of America and Japan, and also led to a division. Sharp among the European Common Market countries.

The embargo decision was an essential element in formulating American foreign policy, especially since it began to have its impact in two parts, one of which required reducing production, and this would affect all oil-consuming countries such as Western Europe and Japan, and the other was to prevent oil from some countries such as America, and therefore the latter decided to follow a future policy that relied on hegemony from While controlling the

* كلية الآداب/ جامعة الكوفة – العراق.

Email: Comhabhs.alsalihi@uokufa.edu.iq

* College of Arts/ University of Kufa – Iraq.

economy of oil-producing countries to avoid any future crisis, they also began looking for alternative means to oil.

Keywords: Oil, October War, Oil Embargo, Energy Crisis, Al-Ahram.

المقدمة:

تكمن أهمية النفط كونه المحور الأساس الذي تقوم عليه الحضارة المعاصرة، سيما لدى العديد من الدول المتقدمة والتي تمتلك شركات نفطية كبرى، ونتيجةً للأهمية العظمى التي يشكلها النفط فقد استخدم كسلاح للضغط في الصراع العربي الصهيوني لدى الدول العربية خلال حرب ١٩٧٣ مما أدى إلى ارتفاع أسعاره على الدول المشاركة والمؤيدة للكيان الصهيوني ووقف انتاجه بشكل جزئي كي تمتنع تلك الدول عن مساعدة العدو عسكريًّا واقتصاديًّا، وهذا يعد نقطة تحول هامة في طبيعة العلاقات العربية–العالمية وفي المحافل الدولية. وهنا تكمن المشكلة على الصعيد الدولي حيث لجأت الدول الكبرى المستهلكة للنفط إلى وضع استراتيجية لتعويض الخسائر باقتصاديات الدول المنتجة لاسيما الولايات المتحدة الأميركية التي اتبعت منذ عام ١٩٧٣ إلى اليوم استراتيجية قائمة على الهيمنة والحصار الاقتصادي وعدم الاستقرار السياسي للدول المنتجة للنفط لتبقى مسيطرة على إنتاجها تفاديًا لأي أزمة مستقبلية.

جاء الهدف من اختيار هذا الموضوع عنوانًا للدراسة من أجل تسليط الضوء على دور الأمة العربية في حرب تشرين عام ١٩٧٣ وكيفية استخدامها للنفط كسلاح في صراعها مع الكيان الصهيوني والتعريف بسياسة الحظر النفطي التي اتبعتها هذه الدول العربية ضد اسرائيل والدول المؤيدة لها، ومن ثمة بيان تأثير هذا الاستخدام وهذه السياسة على الدول العالمية أمثال الولايات المتحدة الامريكية وهولندا واليابان وغيرها من الدول الأخرى.

قسم بحثنا المعنون ب"أزمة النفط العالمية عام ١٩٧٣ في صحيفة الأهرام القاهرية" إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة تضمنت أبرز الاستنتاجات التي توصلت اليها الباحثة في ضوء ما ورد في متن البحث من معلومات، اذ جاء المبحث الاول للتعريف بتداعيات السياسية لحرب أكتوبر، بينما تطرق المبحث الثاني إلى الموقف الدولي من حظر النفط.

اعتمدت الباحثة وبشكل أساس على أعداد صحيفة الأهرام القاهرية لاستسقاء المعلومات التاريخية حول سياسة الحظر النفطي من خلال ما كتبته من مقالات عدةَ وبأقلام مختلف كتابها في هذا المضمار حيث تمثل صحيفة الأهرام سياسة الدولة المصرية بشكل عام.

استعانت الباحثة ببعض المصادر الأخرى في تدوين المعلومات الخاصة بالتعريف ببعض الشخصيات والاحداث التي لها صلة بعنوان البحث مثل كتاب (الصراع الدولي على النفط العربي) للمؤلف حافظ برجاس وهو يدرس طبيعة السياسة الدولية أزاء ازمة الطاقة واهمية النفط العربي للعالم العربي والإجراءات التي تتخذها الدول الصناعية للحد من أزمة النفط في حالة نشوب الصراعات وخاصة منطقة الشرق الأوسط.

المبحث الأول : التداعيات السياسية لحرب أكتوبر:

إنّ لكل زمن سلاح وإنّ السلاح الذي يصعب استخدامه في ظرف من الظروف قد يكون السلاح الوحيد في أزمة معينة، وهذا ما حدث مع سلاح النفط الذي أثبت بأنه متصل التأثير ليس من السهل أجهاضه، سلاح تتعاظم فعاليته وآثاره على صعيد الصراع الدولي وبخاصة الصراع العربي الصهيوني (جريدة الأهرام، سلاح البترول بين السياسة والاقتصاد، العدد ٣١٧٥٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لا سيما بعد أن أصبحت الاعتبارات السياسية هي التي تتحكم في النفط فبقدر ما كان النفط مادة اقتصادية تجارية اصبح النفط مادة سياسية واستراتيجية وجزء لا يتجزأ من العلاقات الدولية (حافظ برجاس، ٢٠٠٠، ص:٩٢)، ففي السادس من أكتوبر ١٩٧٣ نجحت القوات المصرية من عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف ليعلن بدء حرب اكتوبر بين القوات المصرية والسورية من جهة وبين الكيان الصهيوني من جهة أخرى وبسبب الانتصارات العسكرية التي حققها الجانب العربي بدأت الولايات تشحن لهذا الكيان ذخائر المدفعية الثقيلة والمدفعية المضادة للطائرات فضلًا عن تزويدها بطائرات من طراز فانتوم وسكاي هوك بهدف تغير الميزان العسكري في الشرق الأوسط وإعادة بناء القوة العسكرية للكيان الصهيوني بقدر أكبر مما كانت عليه قبل الحرب (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٩، ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٣)، أمام هذا الدعم المالي والعسكري للكيان الصهيوني عرضت الولايات المتحدة مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في الشرق الأوسط للخطر فقد أدرك العرب أن القاعدة الاساسية من قواعد ممارسة القوة في السياسة الدولية تقول "بأننا إذا أردنا أن نمارس ضغطًا له قيمة فعلية وتنتج عنه أثار عملية فلا بد من توفر ثلاث شروط"

١- أن يكون سلاح الضغط موجود (وهو البترول).

٢- أن يكون قابلًا للاستعمال (أزمة الطاقة).

٣- أن يكون الطرف الآخر الذي يتعرض للضغط في شك من أن هذا الضغط سوف يمارس يقيناً بل أن ممارسته قد بدأت فعلًا (جريدة الأهرام، بصراحه يكتبها محمد حسنين هيكل، العدد ٣١٧١٨، ١٣ تشرين الأول ١٩٧٣).

عندما قررت الدول العربية المنتجة للنفط خفض انتاجها فورا وبمعدل ٥٪ تزداد كل شهر ٥٪ على ان يطبق هذا القرار على الولايات المتحدة الامريكية في المقام الاول وعلى الدول الصناعية المساندة للكيان الصهيوني مقابل ان تمنح الدول المؤيدة للعرب نصيبها العالي من النفط وقد اتخذت تلك القرارات في الجلسة الثانية التي عقدوها في الكويت (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧١٨، ١٨ تشرين الأول، ١٩٧٣).

ان أهمية هذه القرارات ليس تخفيض النسبة إلى ٥٪ كحد أدنى وانما في تخفيض معدل الزيادة التي كان سيزدادها انتاج البترول العربي وهذا المعدل كان يصل إلى ٥٪ شهريا وهذا يعني حرمان الدول المستهلكة ليس من الزيادة المتوقعة فحسب وانما من نسبة الخفض التي ستتكرر شهريًا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٢٧، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣).

كان تعامل المؤتمر مع النفط كسلاح سياسي في المعركة حريصا على النظر اليه من ثلاث زوايا تتمثل باحتمالات الحرب الطويلة الأمد بين مصر وسوريا ضد العدو الإسرائيلي وبالتالي ضرورة ان يكون النفط سلاحًا في هذا الصراع فضلًا عن الدعم المالي للمعركة وبالتالي استمرار تدفق البترول فضلًا عن مصالح الدول الصديقة بأن يكون لها وضع خاص ليكونوا عونًا لهم فيما لو أساء العرب تقدير استخدام سلاح النفط (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٢٧، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لم يعد هناك احتمال تراجع عن فكرة استخدام (النفط) كسلاح ولم يعد هناك تراجع عن استخدام هذا السلاح في المكان المناسب لاحتياجات المعركة ولم يعد هناك تراجع عن موقف (النفط) من الدول المساندة للكيان الصهيوني واعتبر وزراء النفط أنفسهم في حالة انعقاد دائم فقد كان هدفهم رفع سعر النفط العربي إلى درجة تضمن معها ان عائداتها البترولية رغم خفض الانتاج سوف تبقى على ما كانت عليه عندما كان الانتاج كاملا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٠، ٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لم يكتفِ وزراء النفط بخفض الإنتاج وحظر إرساله إلى الدول المؤيدة إلى الكيان الصهيوني فقط وإنما تقييد صادرات النفط العربية بمنع هذه الدول من إعادة شحن البترول إلى الدول التي فرضت عليها حظر مثل الولايات المتحدة الامريكية (جريدة الأهرام، ١٩٧٣، ٥ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤١).

لقد كان انعقاد المؤتمر حسب رأي المراقبون الغربيون في وقت كانت عواصم العالم الغربي بما فيها الولايات المتحدة الامريكية تعاني من أزمة طاقة حادة (جريدة الأهرام، العدد٣١٧٤١، ٥ تشرين الثاني).

اذ ان الحقول النفطية تنتج كل سنة اقل من السنة التي سبقتها بما يعادل ٢،١ وفنزويلا وكندا ليس لديها الاحتياط الكافي لمواجهة زيادة الاستهلاك في أمريكا بلغ سنة ١٩٧٢ أكثر من ٥٪ والمنطقة الوحيدة في العالم القادرة على أمدادهم بما يحتاجون تأتي من الاراضي العربية وكانوا الامريكيون مطمأنين لحصولهم على كل ما يحتاجون من المملكة السعودية وايران فقد عبر هنري كيسنجر "ان علاقتنا مع اهم مصادر النفط في الشرق الاوسط حسنة جدا ونستبعد حدوث تطورات في المستقبل تجعلهم يقطعون امداداتنا النفطية". كان هذا الكلام في شهر سبتمبر ولكن السعودية قطعت إمداداتها في الاسبوع الثالث من شهر تشرين الاول تبعتها معظم الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط (جريدة الأهرام، لكي يكون البترول سلاحًا ماضياً، العدد ٣١٧٤١، ٥ تشرين الثاني ١٩٧٣).

ففي السابع عشر من تشرين الاول أوقفت المملكة العربية السعودية تراخيصها للشركة العربية الامريكية للنفط في السابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٧٣ لتنفيذ برنامج التوسع الذي وضعته شركة ارامكو العربية حيث زاد الانتاج بمقدار ٦,٥٥ مليون برميل يوميًا في شهر يناير إلى متوسط انتاج يومي قدره ٨,٢ مليون برميل يوميًا خلال شهر الشهر الجاري ولكن بعد قرار خفض الانتاج الذي التزمت به الدول العربية المصدرة للنفط ومن ثم قرار الحظر وما ترتب علية من ايقاف إرسال النفط إلى الولايات المتحدة خفضت السعودية انتاجها إلى ٣,٦ مليون برميل أي ما يعادل انتاج فنزويلا كله (جريدة الأهرام، تخفيض السعودية من البترول يساوي كل إنتاج فنزويلا، العدد ٣١٧٤٤، ٨ تشرين الثاني ١٩٧٣).

أمام هذا الأمر أعلن جون لاف مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون لشؤون الطاقة ان "عدم ارسال البترول العربي إلى أمريكا يهدد الاقتصاد الأمريكي بحدوث انكماش اقتصادي خطير في البلاد ويخفض معدل النمو فيها بنسبة مئوية تصل إلى ٩٠٪ " فضلًا عن صناعة الصلب في أمريكا مهددة هي الاخرى بالانخفاض اذا استمر وصول الامدادات اليها بنسبة ١٥٪ إذا ما استمرت الدول العربية في استخدام النفط

كسلاح في المعركة قد أيد بيرينجار وزير النقل الأمريكي هذا الكلام بأن انقطاع النفط العربي سيؤدي إلى ازمة خطيرة في الامن القومي الامريكي والتأثير على القوات المسلحة الأمريكية لأن نسبة ما تستورد أمريكا من تبلغ ٢٠٪ النفط العربي من مجموع الامدادات النفطية لأمريكا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٧، ١١ تشرين الثاني ١٩٧٣).

أدى هذا الامر إلى حدوث انقسامات داخل حكومة نيكسون وإلى مشاعر من الشك بين الشعب الأمريكي (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٤، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٣، ص: ٣) لاسيما بعد ان طلب نيكسون من الشعب الأمريكي " تقبل التضحيات وشد الأحزمة على البطون وتغيير أسلوب حياتهم" جاء ذلك بعد تصريحه بأن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه بسبب قطع الدول العربية لإمداداتها النفطية أسوأ أزمة طاقة منذ الحرب العالمية الثانية خصوصًا أن الأمريكيون قد أدركوا ان حظر النفط العربي عن أمريكا سوف يستمر حتى انسحاب القوات الصهيونية من كل الأراضي العربية المحتلة والغاية منه هي توليد ضغط قوي من المستهلكين في دول غرب أوروبا واليابان وعلى الولايات المتحدة بصورة غير مباشرة للضغط على الكيان الصهيوني فاذا لم تتحقق الطالب العربية فسوف يستمر التصعيد بإجراءات خفض الانتاج (جريدة الأهرام، العدد ٣١٤٤٨، ٨ تشرين الأول ١٩٧٣).

وهي مطالب معتدلة وفق رأي روبرت أندرسن أحد كبار خبراء النفط الأمريكي ورئيس شركة النفط الأمريكية وان تحقيقها خطوة تمكن الولايات المتحدة الامريكية من أن يكون لها تأثير طيب في منطقة الشرق الأوسط مرة أخرى (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٢، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

ولمواجهة أزمة الطاقة الناتجة عن العجز في النفط العربي والمتوقع ان يصل ال ١٨٪ والذي وصف بأنه أخطر مما كان متوقعا وافقت أدارة الطاقة في وزارة الخارجية على استراتيجية تقوم على مرحلتين الأولى يقضي بخفض الإنتاج البنزين بنسبة ٤١٪ من اجمالي المنتجات البترولية بدلا من النسبة الحالية ٤٧٪ وذلك بهدف زيادة انتاج أنواع الوقود البترولية وخاصة التي تستخدم في الصناعة وسيترتب على ذلك خفض نسبة البنزين المخصصة لأصحاب السيارات الخاصة ٥٪ لتوفير نسبة أكبر من البنزين لسيارات الطوارئ والسيارات المتصلة بالأعمال العامة (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٢، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣). (ريتشارد نيكسون (١٩١٣–١٩٩٤): رئيس الولايات المتحدة الامريكية السابع والثلاثين، شهد عهده تقارب مع حكومة الاتحاد السوفيتي في ظل سياسة الوفاق الدولي وركز في سياسته على مساندة التطور الاقتصادي في الدول

الآسيوية، أسهم مع وزير خارجيته هنري كيسنجر في حل أزمة الشرق الأوسط وانهاء حرب ١٩٧٣، تنحى عن الحكم بسبب قضية ووترجيت) (طاهر، ٢٠١٨، ص ٧٤).

أما المرحلة الثانية تقضي بتوزيع وقود التدفئة بالبطاقات بحيث تخفض بنسبة ١٥٪ للمنازل و٢٥٪ للأعمال التجارية و١٠٪ للمصانع والسماح باستخدام وقود الفحم رغم اضراره الخطيرة بالنسبة لتلوث البيئة وخفض استخدام الكهرباء بنسبة ٢٠٪ بحيث تعمل المحال التجارية ساعات اقل ليلا وبالرغم من هذه الاستراتيجية فقد أعترف إدارة الوقود في وزارة الداخلي بأن العجز سيصل إلى ٣١١ الف برميل يوميا وانه اذا لم تنفذ هذه الاستراتيجية فان العجز سيصل إلى ٣ مليون برميل يوميًا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٢، ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

وقد كان لإجراءات الحد تلك اثر كبير في هبوط مركز الدولار الذي تأثر بسبب حالة اليأس التي سادت الاوساط الغربية (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٣، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٣).

وعليه يمكن القول ان سلاح النفط هز العالم اقتصاديا وسياسيا واحدث تغيرا في طبيعة العلاقات الدولية لكن الدبلوماسية الامريكية بقيادة هنري كيسنجر استطاعت ان تنتزع قرار برفع الحظر النفطي بعد ستة اشهر من تنفيذه لقاء التوصل إلى اتفاق فصل القوات في سيناء وقد تم ذلك في ١٨ اذار١٩٧٤ (حافض برجاس، ٢٠٠٠: ص٩٥).

المبحث الثاني: الموقف الدولي من حظر النفط:

ندرك ان دخول النفط العربي المعركة كسلاح سياسي ليس ضغطا سياسيا واقتصاديا فحسب بل هو يقضي بتعميق فجوة الخلاف بين الولايات المتحدة الامريكية من جهة وبين اليابان واوروبا الغربية من جهة أخرى نتلمس ذلك من رغبة اليابان من التخلص من القيود التي فرضت على النفط والمتمثلة بحرمان الغرب من أداة هامة في منافستها الصناعية والاقتصادية في العالم الاشتراكي (جريدة الأهرام، سلاح البترول بين السياسة والاقتصاد، العدد ٣١٧٥٠، ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

تعد اليابان من اكثر الأمثلة النموذجية في الكيفية التي دارت بها هذه المعركة والمحاولات المضادة في مواجهتها الان ومستقبلا، وما ينبغي ان يبذل من الجانب العربي للاحتفاظ بالانتصار فيها

فاليابان نموذج للدولة الصناعية الذي تسهم في تقدمها نصيب كبير جدا من بترول الشرق الأوسط (جريدة الأهرام، الاحتفاظ بالانتصار في معركة البترول، العدد ٣١٧٦٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣) .

حيث شكل النفط العربي نسبة ٧٧٪ من احتياجات الطاقة في اليابان وكله مستورد تقريبًا ونصفه من العالم العربي ولهذا كان استخدام النفط كسلاح سياسي أوقع صدمة على اليابانيين وقد حذر الساسة ورجال الاعمال والاقتصاديون من ان اليابان تواجه اخطر ازمة منذ الحرب العالمية الثانية وانها ستواجه ركودا شديدا في المجال الاقتصادي والتجاري خلال العام القادم، عندما يظهر اثار خفض الامدادات النفطية (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٠، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٣).

أمام هذه التطورات عقد كاكوبتانكا رئيس وزراء اليابان اجتماعا مع هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في الخامس عشر من تشرين الأول ١٩٧٣ أوضح فيه الآثار الخطيرة التي حلت بالاقتصاد الياباني من جراء تخفيض الدول العربية لصادراتها النفطية واليابان مضطرة لكي تحصل على النفط إلى التخلي عن حيادها التقليدي في الشرق الأوسط وتبنى سياسة مؤيدة للعرب وتستعد إلى الإعلان عن سياسة جديدة تؤيد الموقف العربي تجاه الكيان الصهيوني طالبا من هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية تفهم الوضع لكن الأخير رد عليه قائلا " ان مشاكل اليابان الاقتصادية لا تهمني "(جريدة الأهرام،العدد ٣١٧٥٦، ٢٠ تشرين الثاني، ١٩٧٣)

جاء الموقف الياباني هذ بناءً على تصريحات الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي ان على اليابان ان تقطع علاقتها مع الكيان الصهيوني اذا ارادت ان تستثنى من قرار خفض امدادات النفط العربي "(جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٦، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣).

فضلًا عن ضغط رجال الاعمال والصناعة الذين طالبوا بضرورة انتهاج سياسية مؤيدة للعرب اذا استمر استخدام سلاح النفط الذي قد يتعرض ثلث الاقتصاد في العالم إلى التضرر والاصابة لاسيما في ما يخص الصناعات البتروكيميائية وصناعة الصلب في اليابان فضلا عن الاحتياجات اليومية الاستهلاكية لمشتقات النفط (جريدة الأهرام، ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣، العدد ٣١٧٥٧).

نشرت الصحف الصهيونية بان اليابان ستتعرض إلى مقاطعة يهودية اذا استسلمت للعرب وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني وان هذه المقاطعة ستكون فعالة بسبب نفوذ دوائر الأعمال

اليهودية ذات الفروع الكثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وباقي دول العالم (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٧، ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣).

ان تهديد الكيان الصهيوني لليابان بتنظيم مقاطعة يهودية عالمية ضد بضائعها يمكن ان يواجه بموقف عربي من شأنه ان يبطل هذه المقاطعة والسوق العربي قادر على احتوائها بشكل يفوق المقدرة اليهودية ليس هذا فحسب فامن الأمة العربية من خلال ممارسة استخدام سلاح النفط فقد تخطت طرفا في صراعات كبيرة فهي قد قربت اليابان إلى موقف الاتحاد السوفيتي المؤيد الرئيسي للعرب بالقدر الذي أبعدتها به عن الولايات المتحدة الأمريكية وبذلك استخدم العرب الإمكانيات النقدية والتسويقية والتجارية كأسلحة إيجابية في صراعها ضد الكيان الصهيوني (جريدة الأهرام، الاحتفاظ بالانتصار في معركة البترول، العدد ٣١٧٦٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

لهذا أصدرت اليابان خطابا أوضحت فيه بأنها ستحجم عن أي اجراء من شأنه ان يستفز الدول النفطية كما طالبت بضرورة انسحاب الكيان من الأراضي العربية المحتلة ولا مانع لديها من أن تعيد سياستها تجاه الكيان الصهيوني حسب التطورات (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٢، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣).

كانت قرارات الحظر موجه بالدرجة الأساس ضد الولايات المتحدة الأمريكية إذ أن أغلب الدول الأوروبية لديها مخزون من النفط يكفي لاستهلاكه لمدة شهرين على الأقل لكن الدول العربية حددت هولندا لأنها كانت بمثابة نقطة عبور شحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل فضلًا عن إيطاليا وبلجيكا التي كانتا من نقاط الشحن الرئيسية اذ ان ما يقارب حوالي ٥٠٠ الف برميل تحصل عليها الولايات المتحدة عن طريق الدول الأوربية وعلية فقد قررت إيطاليا وقف تصدير الكيروسين والجازولين(جريدة الأهرام، ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣، العدد ٣١٧٢٧).

طرحت هولندا مشروعًا يقضي بأعاده توزيع النفط على دول الأعضاء من خلال الاجتماع دول السوق المشتركة الا ان المشروع قد تمت معارضته من قبل فرنسا وبريطانيا لان ذلك من شأنه أن يؤثر على طبيعة العلاقة بين فرنسا وبريطانيا من جهة وبين الدول العربية من جهة أخرى إذ أنهم أدركوا أن العلاقة مع العرب كفيلة بتأمين النفط العربي لهم لاسيما بعد زيارة محمد حسن الزيات مستشار الرئيس أنور السادات إلى فرنسا وتصريحه "بأن لا تقلق بشأن امدادات النفط العربي اليها وذلك لأن العرب يقدّرون موقفها الصديق (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٢، ٦تشرين الثاني ١٩٧٣).

اعتبرت بريطانيا اجتماعات العرب وقرارهم في حظر النفط تصعيدًا خطيرًا لسلاح البترول في المعركة. كما اعتبر بمثابة تخدير للدول الغربية وسم بطيء ينساب بين طيات حرب طويلة الأمد وان العرب بتصرفهم هذا يريدون من الحكومات الغربية ان تحدد موقفها بوضوح من النزاع العربي وعليه أعلنت بريطانيا ضرورة الاقتصاد إلى اقصى حد ممكن في التدفئة فعلى أصحاب سيارات ان يحدوا من تحركاتهم ويلجأ إلى المواصلات العامة ويعتبر هذا أول رد فعل في بريطانيا إزاء نقص النفط (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٦٥، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧٣). فضلًا عن ذلك فقد أعلنت دول السوق الأوربية المشتركة (فرنسا، المانيا، بلجيكا، لوكسمبورغ، هولندا، ايطاليا، المملكة المتحدة، الدانمارك، اليونان، اسبانيا، البرتغال، ايرلندا، السويد، فلندا، النمسا) في السادس من تشرين الثاني إلى ضرورة انسحاب الكيان من الأراضي التي احتلتها منذ عام ١٩٦٧ على اعتبار ان ذلك من شروط الحيوية المسبقة للتوصل إلى تسوية كما دعوا إلى ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن بانسحاب القوات المتحاربة إلى موقع ٢٢ أكتوبر(تشرين الأول) وإنشاء قوة طوارئ دولية للإشراف على اطلاق النار (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٣، ٧ تشرين الثاني ١٩٧٣).

نستنتج من ذلك ان الدول المستهلكة للنفط تخشى ان تظهر بمظهر " الاتحاد" ضد العرب بدليل انهم رفضوا احياء نشاط الهيئة الاستثمارية للصناعة الدولية التي تظم هذه الهيئة ١٥ شركة عالمية تبقى في حالة ركود ولا تنشط الا في الازمات عندما تعهد اليها الحكومات بتوحيد المعلومات والموارد (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٣٣، ٢٨ تشرين الأول ١٩٧٣).

أعلنت الدول العربية في الثامن عشر من تشرين الثاني بأن قرار الحظر لا يطبق على دول السوق الاوربية وان هذا القرار صدر تقديرا لموقف دول السوق الاوربية اثناء حرب الشرق الأوسط وقد استثنيت هولندا من ذلك القرار (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٥، ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٣) بسبب موقفها المؤيد للكيان إذ كان سببًا في قيام سبع دول عربية قطع صادراتها النفطية إلى هولندا فقد اعلن جوب دين بول رئيس وزراء هولندا ان الموقف خطير جدا وان بلاده تجري حاليا مشاورات دبلوماسية تحاول من خلالها اقناع الدول العربية بأعاده النظر في قرارها وحل ما يعرف بسوء التفاهم وتعتبر السعودية المصدر الرئيسي لنفط الذي تستورده وقد بلغ ما استوردته هولندا من نفطها الخام العام الماضي ١٨ مليون طن وبقرار السعودية عانت هولندا عجزاً قدره بلغ ٤٠,٧ مليون طن من جملة واردات هولندا التي بلغ ٦٨ مليون سنويا (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٣٣، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣).

هذا وأعلنت الدول العربية في السابع من تشرين الثاني ١٩٧٣ بمقاطعة البرتغال اقتصاديًا لموقفها العدائي ضد العرب لسماحها باستغلال أراضيها في نقل المعدات الامريكية للكيان الصهيوني اثناء الحرب (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٤٤، ٨ تشرين الثاني ١٩٧٣).

إزاء هذة التطورات العالمية وسياسة العدوان التوسعية التي اتبعها الكيان الصهيوني والتأييد الأمريكي لها والدعم اللامتناهي للكيان الصهيوني من قبل القوات الامريكية، أعلنت منظمة الوحدة الإفريقية (التي تأسست في أديس ابابا في أثيوبيا سنة ١٩٦٣ على يد الغاني كوامينكروما بهدف تشجيع التكامل الاقتصادي والسياسي بين دول الاعضاء (وسام أحمد طه، العدد ٣٩، ج١، ص٣٠٣)) والتي تتألف من (٤٢) دولة قرار بفرض حظر شامل على الكيان الصهيوني حتى تتمثل لقرارات الأمم المتحدة التي تلزم الكيان الصهيوني بالانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة دون أي شروط مسبقة ومعاملة إسرائيل عل درجة واحدة مع نظم الحكم الاستعمارية والعنصرية في القارة الافريقية فضلًا عن تشديد العزلة عليه في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتجارية حتى يتم التوصل إلى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٥٨، ٢٢ تشرين الثاني١٩٧٣).

وبهذا تكون حرب أكتوبر (تشرين الأول) قد أبرزت وحدة الصف العربي وقدرة العرب على الاضرار بمصالح حلفاء العدو الصهيوني وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية التي تخلى عنها حتى حلفاؤها الذين اكدوا بأن انتمائهم للحلف الأطلسي لا يعني بالضرورة معادات الدول العربية (جريدة الأهرام، العدد ٣١٧٣٤، ٢٩ تشرين الأول ١٩٧٣).

الخاتمة:

لقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في الآتي:

١–لقد برزت الحرب كأداة لتحريك حالة اللاحرب واللاسلام السائدة في ذلك الوقت وانها الطريق للوصول إلى سلام.

٢–غيرت الحرب نظرية الأمن للكيان الصهيوني فأن صمامات هذه النظرية قد أصابها الشروخ فالجيش الذي لا يهزم قد تلقى هزيمتين صارختين تمثلت الأولى بعبور قناة السويس في السادس من أكتوبر والثانية اقتحام أقوى خط دفاعي وهو خط بارليف وهذا له انعكاس نفسي على المجتمع الصهيوني.

٣– أن قرارات العرب باستخدام النفط سلاح في المعركة لم يكن وليد انفعال جبهة القتال وانما هي قرارات نابعة من الرغبة في تغيير واقع الواجهة بين الدول العربية والدول الداعمة والكيان الصهيوني والمتمثلة بأمريكا وأوروبا الغربية.

٤– كانت حرب أكتوبر كفيلة بخلق سلسلة من أسباب التوتر والضيق في العلاقات بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية التي انتهجت خطًا منفصلًا عن خط الولايات المتحدة الأمريكية والمتمثل بعدم مساندتها على صعيد السياسة الخارجية في منطقة الشرق الأوسط.

٥–عمقت الشرخ داخل جامعة الدول العربية بين مؤيد وناقد لهذه الحرب، والسياسة المصرية بشكل عام انتهت إلى توقيع اتفاقية سلام مع ذلك الكيان الصهيوني والتي يترتب عليها عزلة عربية.

٦_ دفع الولايات المتحدة إلى اتباع استراتيجية ضد الدول العربية المنتجة للنفط قائمة على وضع اقتصادها رهن السياسة الأميركية والعمل على تفكيكها سياسيًا، وما يحدث الآن في الوطن العربي جزء من تلك الاستراتيجية.

٧_ أن السياسة الخارجية الأمريكية مبنية على تأمين الطاقة وأمن الكيان الصهيوني.

قائمة المصادر والمراجع:

١. حافظ برجاس، الصراع الدولي على النفط العربي، (لبنان: بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).
٢. حيدر كاظم طاهر، حرب السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ في الصحافة البغدادية–دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١٨).
٣. وسام أحمد طه، التطور التاريخي لفكرة الوحدة الإفريقية حتى قيام المنظمة ١٩٦٣، مجلة بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، العدد٣٩، ج١.
٤. بلا مؤلف، ١٩٧٣، أمريكا تزيد ميزانيتها الدفاعية لتغطية تسليح إسرائيل وضعف الاستعدادات الامريكية في الحرب، جريدة الأهرام، ١٣ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٩.
٥. بلا مؤلف، ١٩٧٣، أمريكا مهددة بانكماش اقتصادي خطير، جريدة الأهرام، ١١ تشرين الثاني العدد ٣١٧٤٧.
٦. بلا مؤلف، ١٩٧٣، خفض انتاج البترول فورا بنسبة ٥٪ تتزايد شهريا حتى يتم الانسحاب جريدة الأهرام، ١٨ تشرين الأول، العدد ٣١٧١٨.
٧. بلا مؤلف، ١٩٧٣، اجتماع عاجل لوزراء البترول العرب لإعلان إجراءات جديدة موحدة، جريدة الأهرام، ٤ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٠.

٨. بلا مؤلف، ١٩٧٣، انقسامات في حكومة نيكسون حول أسلوب معالجة أزمة البترول، جريدة الأهرام، ٢٧ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٤).

٩. بلا مؤلف، ١٩٧٣، رجال الاعمال اليابانيون يطالبون حكومتهم بتأييد العرب والتخلي عن موقفها الحيادي، ٢١ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٧.

١٠. ٧–بلا مؤلف، ١٩٧٣، هبوط في أسعار الدولار وتوقع كساد اقتصادي في الغرب، جريدة الأهرام ٢٧ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٣.

١١. بلا مؤلف، ١٩٧٣، هولندا تعلن أن موقفها خطير وأوروبا كلها تخشى نتائج نقص البترول، جريدة الأهرام، ٢٨ تشرين الأول، العدد ٣١٧٣٣.

١٢. بلا مؤلف، ١٩٧٣، مطالبة اليابان بقطع علاقاتها مع إسرائيل، جريدة الأهرام، ٢٠ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٦.

١٣. بلا مؤلف، ١٩٧٣، مقاطعة اقتصادية عربية للبرتغال، ٨ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٤.

١٤. بلا مؤلف،١٩٧٣، تصدع في التخالف الأمريكي الياباني بعد بيان طوكيو عن أزمة الشرق الأوسط، جريدة الأهرام، ٢٤ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٠.

١٥. بلا مؤلف، ١٩٧٣، قيود جديدة على تصدير البترول لأحكام الحصار البترولي على هولندا وأمريكا، جريدة الأهرام، ٥ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤١.

١٦. بلا مؤلف، ١٩٧٣، كبار الخبراء يحذرون من آثار خفض البترول العربي، ١٦ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٢.

١٧. بلا مؤلف، ١٩٧٣، كبار الخبراء يحذرون من آثار خفض البترول العربي، جريدة الأهرام، ١٦ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٢.

١٨. جون دي أونيس، ١٩٧٣، تخفيض السعودية من البترول يساوي كل انتاج فنزويلا، جريدة الأهرام، ٨ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤٤.

١٩. سمير كرم، ١٩٧٣، الاحتفاظ بالانتصار في معركة البترول، جريدة الأهرام، ٢٦تشرين الثاني، العدد ٣١٧٦٢.

٢٠. صلاح نصر، ١٩٧٣، نظرة إيجابية لقرارات خفض انتاج البترول العربي وحظر تصديره إلى أمريكا، جريدة الأهرام، ٢٢ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٢٧.

٢١. عبد الله الطريقي، ١٩٧٣، لكي يكون البترول سلاحًا ماضيًا، جريدة الأهرام، ٥ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٤١.

٢٢. محمد حسنين هيكل، ١٩٧٣، جريدة الأهرام، ١٣ تشرين الأول، العدد ٣١٧١٨.

٢٣. محمد سيد أحمد، ١٩٧٣، سلاح البترول بين السياسة والاقتصاد، جريدة الأهرام، ١٤ تشرين الثاني، العدد ٣١٧٥٠.

الصّراع الطبقي
الأقلية البرجوازيّة والأكثريّة الأرستقراطيّة
قراءة ثقافيّة: رواية ليلة مجنونة لمحمد بن جرش أنموذجًا

Class Struggle
The Bourgeois Minority and The Aristocratic Majority
Cultural Reading: The Novel A Crazy Night by Muhammad bin Jarsh is an example

م. جعفر أحمد عبدالله محمد*

Jaafar Ahmed Abdullah Muhammad*

الملخّص:

إنّ الصراع الطبقي ما بين البرجوازية الكادحة، والأرستقراطيّة التي تعيش في رفاهية متنعمة كان الثّيمة التي هيمنت على رواية ليلة مجنونة. فالصّراع يكشف عن الحالة الإيجابية والسّلبية للشّخصيات. فضلًا عن التّفاوت الطّبقي بين المجتمع. وهنا ينمو الصّراع عبر استراتيجية انتظمت بوساطة عنصر السّرد وتقانة الوصف حين اشتبكا في أحداث الرّواية وكوّنا بؤرة واحدة. انقسم البحث إلى مهاد نظريّ ومبحثين، تناول المهاد النّظري الكشف عن بعض المصطلحات: الصّراع، الطبقة، النقد الثّقافي، الأقلية، البرجوازية، الأرستقراطية. وتناول المبحث الأول الأقلية البرجوازية وحدود الشّخصية الضّعيفة. بينما تحدث المبحث الثّاني عن الأكثرية الأرستقراطية وسطوة الشّخصية القوية. ثُمّ ختم البحث بأبرز النتائج التي توصلنا اليها.

الكلمات المفتاحيّة: الصّراع، الطّبقة، الأقلية، الأغلبية، البرجوازية، الأرستقراطية، الثقافية.

Abstract:

The class struggle between the toiling bourgeoisie and the aristocracy that lives in blissful luxury was the theme that dominated the novel A Crazy Night. Conflict reveals the positive and negative state of the characters. As well as the class disparity between society.

* الكلية التّربوية المفتوحة، مركز نينوى/ مديرية التّربية نينوى – العراق.

Email: Tr1he5ua1@gmail.com

* Open Educational College, Ninevah Center/ The Nineveh Education Directorate - Iraq.

Here, the conflict grows through a strategy organized by the narrative element and the technique of description when they clash in the events of the novel and form a single focus.

The research was divided into a theoretical section and two sections. The theoretical section dealt with revealing some terms: conflict - class - cultural criticism - minority - bourgeoisie - aristocracy. The first section dealt with the bourgeois minority and the limits of the weak personality. While the second section dealt with the aristocratic majority and the influence of the strong personality. Then the research concluded with the most important results we reached.

Keywords: Conflict, Class, Minority, Majority, Bourgeoisie, Aristocracy, Cultural.

مهاد نظري:

أولاً: الصّراع:

يعد الصّراع الشّحنة الرئيسة التي يستكشف فيها الكاتب بواطن الشخصية المعاصرة. إذ يشتغل الصّراع على وفق استراتيجية تجمع العناصر الدّرامية التي تبدأ مِن نقطة معينة ثُمّ تمر بمراحل معقدة إلى أنْ تصل إلى الحل في خاتمة الصّراع بصرف النّظر عن الحالة الطّبيعيّة أو اللاطبيعيّة، الإيجابية أو السّلبية لحسم التّحديات التي تمر بها الشّخصيات في العمل الأدبي. ولعل مفهوم الصّراع الدّرامي يدل على المفاضلة بين قوتين متعارضتين ينمو بمقتضى تصادمهما بالحدث الدّرامي، فعندما يصدم البطل بعقبة يحاول التّغلب عليها، وقد يكون طرف الصّراع مع البطل في تحديات طبيعية أو تحديات بشرية أو تحديات اجتماعية أو تحديات داخلية أو تحديات غيبية كالقدر والآلهة (حمادة، ١٩٧١: ١٩٠). فالصّراع بين ضديدين مختلفين ونزعات تتعارض معه، وهو إمّا أنْ يكون خارجياً بمعنى نزاع بين شخصيتين أو عالمين أو طبقتين بحسب توظيف الكاتب، وربّما يكون داخلياً بين الذّات والأنا، وثَمّة صراع حول الأجيال الأدبية يبين نوعاً من القواعد والرؤى الفنية، فضلاً عن صراع آخر على مستوى الأصالة والحداثة وجدلية المحافظة والتّجاوز وغيرها من أشكال الصراعات الأخرى (علوش، ١٩٨٥: ١٣٤). أمّا عن أقسام الصراع أو أشكاله فالبعض يحدده بالسّاكن ذي السّرعة البطيئة والصّراع الواثب الذي ينمو على شكل طفرات مباغتة والصّراع الصّاعد الذي يكون موافقاً لافتراضات تطوره وأخيراً الصّراع المتوثب الذي يشعرنا بقرب نشوبه (عبدالوهاب، ٢٠٠١: ٩٣)، إذن الصراع " ادراك جوهر التعارض، وتحصيل فهم معمق لطبيعة الإنسانية في إطارها الاجتماعي" (عيشور، ٢٠١٩).

ثانياً: مصطلح الطبقة:

ينتمي مصطلح الطبقة إلى الماركسية وإلى علم الاجتماع فالطبقة جماعة لها وعي وقيم وعادات وتقاليد معينة وأعراف خاصة بهم وهوية خاصة بها وصولاً إلى الظروف التي تمرّ بها كلّ طبقة من النّاحية المادية والاجتماعية والثّقافية. والطبقة تقوم ببناء قدرتها الفكرية والثّقافية عبر مبدعيها وتميّزهم. إنّ مصطلح الطبقة في النّقد الثّقافي يشير ((إلى المقولات المعتمدة على المصادر الاقتصادية للمجموعات المختلفة من النّاس في مجتمع بعينه، وإلى التّنظيمات الثّقافية والاجتماعية التي تنبثق من هذا التقسيم. أيْ إنّ لتقسيمات الطبقة الاقتصادية نتائج ثقافية، فأعضاء طبقات بعينها تميل إلى أنْ يكون لها مستويات تعليمية ومناصب، وأساليب حياة، وقيم، وحساسية جمالية متشابهة...إلخ ويختلفون من هذه الجوانب عن أعضاء من شرائح اجتماعية اقتصادية أخرى)) (أيزابرجر، ١٩٣٣: ٨٨).

فأيّ طبقة تعتمد اعتماداً مباشراً على المصادر التي تؤمن لها حياة تناسبها فضلا عن النظام الثقافي الذي تسير عليه الطبقة عبر مستويات مختلفة منها مادية تتحكم في مواردها، ومنها مناصب تحدد وجودها ضمن الطبقات الأخرى والقيم التي توارثتها عبر موروثها الأسري أو المجتمعي ممّا أفردها وميّزها عن بقية الطبقات الأخرى، وفي كلّ طبقة هناك أناس يكون شدة الصراع الطبقي وتأثيراته عليهم نفسياً ومعنوياً لذا نجدهم يبحثون عن الخلاص من هذه القوانين التّسلطيّة التي تحدّهم وتفرض عليهم قسراً بعض الأشياء التي لا يحبذونها أو يقبلوها حتى لا يصلوا إلى مرحلة اليأس التّام جراء تلك الضغوطات التي تحيط بطبقتهم سواء أكانت الطبقة معدمة فقيرة برجوازية أم ثرية ثراء فاحشاً أرستقراطية.

ثالثاً: النّقد الثّقافيّ:

بات مصطلح النقد الثقافي بالتّعبير النحوي مركب إسنادي وصفي، شطره الأول في دلالته أصبح من البديهيات عن النقد، وشطره الآخر لاحقة مائزة له عن غيره، تعنيه من دون غيره من أنواع النقود السابقة له. فلاحقة (الثّقافيّ) التي سمي بها النقد مشتقة من كلمة الثقافة والنسبة إليها. لذا فإن مفهوم هذا النوع من النقد في وهلته الأولى ومن حيث المصطلح– يرتبط كثيرا بالحمولات الدلالية لكلمة ثقافة (التميمي والشجيري, ٢٠١٤: ١٦٠). فالنّقد الثقافي يعرّف كـ ((نشاط وليس مجالًا معرفيًّا خاصًّا بذاته،...، مهمة متداخلة، مترابطة متجاوزة، متعددة كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط

والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضا ان يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية.. الخ) ودراسات الاتصال، وبحث في وسائل الإعلام، والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميّز المجتمع والثقافة المعاصرة (وحتى غير المعاصرة))) (أيزابرجر، ١٩٣٣: ٣٠). اذن النقد الثقافي حصيلة اجتماع نظريات عدّة ودراسات متعددة تنصهر في بوتقة واحدة، وهذا ما يميّزه عن بقية النقود الأخرى، ((وإذا ما كانت كلمة (ثقافة) نصًا تاريخيًا وفلسفيًا فهي أيضًا محل صراع سياسي))(انغلتون، ٢٠٠٦: ٤٨). تتجاذبها قوى مختلفة تغدو الغلبة فيها للأقوى. أما الجانب الآخر للصراع السياسي فيتمثل في ثقافة النص الأدبي وهذا ما يمنحه سيرورة تعطي الميزة للنص الأفضل.

وثمة مبدأن يعتقد فيهما نقاد الثقافة، الأول: من الممكن أن تتغيّر الثقافة الى المفهوم الطبقي، والثاني: وأصبحت الثقافة مطلوبة بسبب تداخلها مع مجالات التاريخ والفن. ولذلك سوف تتداخل تلك المجالات مع المعطيات الثقافية للوصول نحو توجّه متخصص للمجالات المعرفية، ولعل ارتباط علم الاجتماع مع التاريخ والتاريخانية الجديدة والفلسفة ومقولاتها أسهم في تأثيث الدراسات الثقافية وتطورها وتقدمها بشكل ملحوظ. فضلا عن الجانب السياسي للحكومات وبالتحديد الديمقراطي. اذ يرى تيري انغلتون أن النظريات الأدبية قائمة على خطاب غير محدد يضم كتابات أدبية وأخرى غير أدبية كما يضع قاعدة لنقل الاهتمام من الأدب إلى الاهتمام بالدراسات الثقافية. ويجد ضرورة الاهتمام بأنظمة الخطاب والممارسات الدالة من كل الأنواع مثل الفيلم والتلفاز والقص ولغة العلم وكل ما من شانه أن يحدث آثارا ويصوغ أشكالًا من الوعي واللاوعي (الرباعي، ٢٠٠٧: ١٨–٢٣) هذه الآثار ستشكل قيمة معرفية من شأنها أن تعطي فاعلية للفرد الثقافي والمجتمع الثقافي على حد سواء.

وتكمن أهمية الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب عبر ردم الهوة بين الفن والمجتمع تلك الهوة التي صنعتها المناهج الشكلية بفعل انشغالها بالفن وإقصائها للمجتمع. ولعل أهمية الدراسات الثقافية تكمن في انشغالها بالإثنين معًا دون أن تخصص نفسها لهذا أو لذاك، وكان هذا هو التجديد النظري الحاسم، الذي تمثل في رفض إعطاء الأولوية لا للفن ولا للمجتمع والتجديد أيضا يكمن في رؤية أن ثمة علاقات أساسية بين هذين المجالين اللذين يبدوان منفصلين (لتش، ٢٠٠٠: ٤٠٠؛ التميمي والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٨) عن بعضهما ومتقاربين في الآن نفسه. ويبدو التطور الهائل الذي شهدته الثقافة عبر الثورة التكنولوجية بعد النصف الثاني من القرن العشرين أدى الى بروز النقد الثقافي والاهتمام به بوصفه حصيلة تواشج الثقافة مع علم الاجتماع والتكنولوجية المتطورة والوسائل الحديثة ومد الجسور المعرفية عبر وسائل التواصل التي حققت نقلة نوعية في الأدب صاحب ذلك ولادة اشياء لم تكن معهودة قبل ذلك.

وقد اتجهت الدراسات الثقافية آنذاك إلى إبراز أهمية الثقافة التكنولوجية والوسائل الحديثة التي تقدمها فبدلا من قراءة النصوص المطبوعة أصبح هناك الصور السمعية والبصرية وأشرطة الحاسوب؛ ففي السبعينيات والثمانينيات احتلت (الحقيقة التكنولوجية) كما يسميها بودريار موقعا بارزًا في مجتمع ما بعد الحداثة عبر نقد الخطاب الإعلامي؛ لأن من خصائص هذه المرحلة اختفاء الذات والمعنى والحقيقة وهذا التغير هو نتيجة الحقيقة التكنولوجية التي غيرت بدورها الخطاب الإعلامي فحلت الوسيلة محل الرسالة (بعلي، ٢٠٠٧: ٢٨-٢٩؛ التميمي والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٩). وحلت الصورة السمعية بديلا عن قراءة النصوص، وأصبحت القراءة الموجزة المكثفة بديلا عن القراءة الطويلة التي لا طائل منها، لذا إعتمد التلخيص والتقنين بسبب الثقافة التكنولوجية، والغاء دور الذات وعدم التدقيق في الحقائق بصرف النظر عن انطولوجيتها. اذ لم تعد مؤثرة أو أن هناك داع للبحث عنها، وهذا يعني أن دائرة الاهتمام في الدراسات الثقافية ما عادت تحيط بالنص فقط وإنما تحيط بما يحيط بالنص كذلك فهي تعنى بكيف ينتج النص؟ وبأية طريقة يقدم النص؟ وكيف يؤثر النص، ومدى تأثيره؟ كما أن (النص) في مفهوم الدراسات الثقافية توسّع ليشمل النص الأدبي وغيره من نصوص الثقافة كنصوص الفنون (من موسيقى ورسم ونحت وتمثيل) والنص الدرامي والنص الإعلامي. ولعل هذا التوسع المفهومي الذي رأته الدراسات الثقافية حسنة لها (التميمي والشجيري، ٢٠١٤: ١٦٨) فهو ميزها عن بقية الدراسات الأخرى.

رابعاً: الأقلية/الأقليات:

قبل البدء بتعريف عام وشامل للأقلية لا بد من تحديد مراحل تسلسلية متعاقبة منها: الهوية المحددة بهم، والتمايز الاجتماعي (التميز بين الأكثرية)، والولاء وتراتبية الانتماء للأقلية. ((إذًا فالقدرة على التصنيف تؤدي إلى عرقنة Ethnisation المجموعات التابعة (الأدنى بينهم) فهم يصنّفون انطلاقاً من خصائص ثقافية خارجية تعد ملازمة لهم وشبه ثابتة؛ وهذا ما يشكل ذريعة لتهميشهم أي لجعلهم أقليّة: إن شدة اختلافهم تمنعهم من المشاركة في قيادة المجتمع. بل هو تأكيد هوية شرعية هي هوية المجموعة المهيمنة وقد يتطور الأمر ليتحول إلى سياسة فصل عرقي للجماعات الأقليّاتيّة المحكوم عليها، نوعاً ما، بأن تراوح في مكانها وهو المكان الذي وضعت فيه وفقاً لتصنيفها))(كوش، ٢٠٢٣: ١٠٢). لذلك إن مطلب الأقلية/ الأقليات هو مبدأ التسامح بالدرجة الأساس، والعيش بسلام وأمان واطمئنان. فعبارة الأقليات تذكرنا بتجزئة المجموعة الواحدة الى مجموعتين داخليتين اثنتين أي أن تكون على الأقل احداهما أكثر عدداً من الأخرى، ويمكن

للأكثرية أن تضيف هذه الأقلية بعض الخصائص؛ فالأكثر عدداً سيشكلون الأقوى من وجهة نظر سياسية حصراً في الأنظمة الديمقراطية. كما يمكن أن يحصل العكس بمعنى أن يُعد الأقل عدداً هم الأفضل (بوريلو، ١٩٨٦: ٥٠) وهكذا دواليك.

و((وفقاً للحالة العلائقية، لاسيما علاقة القوة بين مجموعات التماس–التي يمكن أن تكون علاقة قوى رمزية– يمكن أن تتمتع الهوية الذاتية الفردية)) بشرعية أكبر من الهوية الجماعية. وهذه الهوية الجماعية أو المتعددة تكون في حالة هيمنة مميزة، تترجم عبر الآثار التي تعاني منها مجموعات الأقليات، وغالباً ما تؤدي في هذه الحالة إلى ما سميناه بـ"الهوية السلبية" ونظراً لأن الأغلبية تعرّف الأقلية على أنها مختلفة بالنسبة للمرجعية التي تشكلها هذه الأغلبية فإن الأقلية لا ترى في نفسها إلا اختلافاً سلبياً... مرتبطة بقبول صورة الذات التي كونها الآخرون عنهم واستبطانها عندها تبرز الهوية السلبية كهوية تدعو للخجل وتكون مكبوتة إلى حد ما وهو أمر غالباً ما يتبدى على شكل محاولة لإلغاء العلامات الخارجية للاختلاف السلبي)) (كوش، ٢٠٢٣: ١٠٠). بذلك سوف تتشكل من الأقليات شخصيات ايجابية/ سلبية بحسب طبيعة السياسة العنصرية والولاء المبالغ به وصولاً الى مصطلح الأقلية.

إذن لا بُد لقارئ النقد الثقافي أن يتمتع بالخبرة وهو يضع مجساته وآلياته النقدية ليتفحص النص الأدبي وقراءة السياق الثقافي ومن ثم تفكيكه وإعادة انتاجه بما يخدم النص أولاً والاشتغال النقدي ثانياً؛ فالقراءة والحالة هاته تبتعد عن قيود البنيوية والسيميائية وتتحرر منهما فهي قراءة انعكاسية للنص بمعنى ((إعادة انتاج للواقع المادي ومن ثم تقرأه في ضوء هذا الواقع. إنها طريقة في تلقّي التمثيل في النصوص السردية تنأى عن التعميم والقول بوجود النسق أو النّظام الكلي)) (الخضراوي، ٢٠١٤: ١١٨).

تُعد الطبقة الأرستقراطية الطبقة الحاكمة، والأرستقراطيون هم النخبة ذو السلطة والنفوذ والقوة. كبراء المجتمع. أما الطبقة البرجوازية فهي الطبقة الكادحة الفقيرة التي تعاني من ظروف صعبة، ويرى ماركس أن الطبقة البرجوازية هي الطبقة الصناعية العاملة الطبقة المحرومة.

في رواية (ليلة مجنونة) ثَمّة شخصيات ايجابية وشخصيات سلبية تناوبت بصورة متعاقبة شكلت أقلية وأكثرية، وعلى هذا الأساس انقسم البحث على مبحثين اثنين:

الأول: الأقلية البرجوازية / الشّخصية الضعيفة / داخل المستشفى.

الثّاني: الأكثرية الأرستقراطية/ الشّخصية القوية/ خارج المستشفى.

المبحث الأول:

– السّؤال وقيمته الطبقية وصولًا إلى التّمييز:

جاء في المعجم الوسيط: ((وسَئَلَ يسئلُ سؤالًا وتسائلًا ومسألة، استخبره عنه، والسّائل الكثير السّؤال)) (آبادي، ٢٠٠٥: ٥٨٦) فالسّؤال الاستخبار من أجل الحصول على إجابة حول مسألة ما والسّؤال (((قضية) QUESTION ما هو موضع نقاش؛ موضوع يجري تناوله بنحو خاص فعل لساني قوامه الإعلام إما بوظيفة العبارة، وإما بمنطوق مع توسيع قليل للمعنى)) (لالاند، ٢٠٠٨: ١٠٩٤)، والاعلام يأتي بوظيفة العبارة بوساطة حوار بين طرفين أو أكثر. لذلك حين ((نتناول مسألة تظهر استحالتها للعيان، هل الأرض هي البحر...أم هي السماء... هي ...هو؟ لكن هذه النقيصة يصعب توضيحها أيضا في بعض الأحيان، عندما يُسأل عمّا إذا كان النوع الفلاني من الأشياء حسنًا أو قبيحًا، بينما هناك في العدد أشياء حسنة وأشياء قبيحة)) (لالاند، ٢٠٠٨: ١٠٩٤) إذن السؤال يحتاج الى جواب أو ربّما في بعض الأحيان لا يحتاج إذ ربما يكون متوجهًا إلى القارئ.

((سألني أبي ذات مرّة:

– لماذا يا ولدي تخصصت في الطب النّفسي؟ لماذا لم تكن جراحاً مثلا؟ إنّ الجراحين كلهم أثرياء ويتقاضون اجوراً مذهلة)) (جرش، ٢٠٢٢: ٨).

ثَمّة ثقافة مجتمعية توازي التّساؤل الفكري عن الصراع الطّبقي، فالسؤال يحمل إشارات عدة منها العتب، واللوم، والتّأنيب عبر تكرار اللفظة الاستفهامية فضلًا عن التّوكيد على الطّبقة الأرستقراطية للوصول إلى ذلك التخصص الذي سيوصل إلى الطبقة العليا الأرستقراطية، فالمهنة هنا تتعلق بالماديات اقتصاديًّا أكثر من الإنسانية بحسب الشخصية. كما جاء السؤال عبر تقانة الحوار ليكشف عن المعرفة وعن القيمة والموضوع والسّلوك الاجتماعي. لقد جاء السؤال ليدل على التّفاوت الطبقي بين عالمين متضادين.

فالشّخصية الضّعيفة منصور يحاول أنْ يجد جواباً لسؤال والده عبر تقانة الحوار.

((ما شدّ انتباهي هو التّحصين الشّديد في المستشفى، فهو أشبه ما يكون بمستشفى للمجانين أقرب منه للعلاج النّفسي والنّقاهة. هل يمكن أنْ يكون هناك بمثل تلك الفخامة لهؤلاء الأثرياء؟)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢١).

تتعجب الشّخصية من انشاء مكان فخم لمرضى فقد كان على قدر كبير من المساحة والعناية؛ لأنّهم الطّبقة الصّفوة فهم لا يرضون إلاّ بالأفضل، إنّ الشّخصية الضّعيفة منصور من الأقلية البرجوازية تحاول استيعاب فكرة المكان وفكرة الطبقة عبر المنولوج الذي تناوب ما بين تقانة الوصف الخارجي للمكان وبين القيمة التّساؤلية عن حال الطبقة الصفوة. فالتّساؤل يُطرح عبر استفهام جاء بوساطة منولوج داخلي وكأنه صراع يعتمل داخل الشخصية.

((وقد بتّ أتساءل كثيرًا: لماذا يحصل هؤلاء الأثرياء على كلّ تلك الامتيازات والاعفاءات؟!)) (جرش، ٢٠٢٢: ٣٨).

يحمل التّساؤل في طياته فكرة الأنا العليا وفكرة التفضيل عن الباقين وهذا ما شحن ذاكرة الشخصية البرجوازية وهي تتساءل في فضول عن الامتيازات التي تحصل عليها الطّبقة الأرستقراطية وتحرم منها الطبقة البرجوازية، وعلى الرّغم من اقتناع الشخصية بواقعها وحالها إلاّ أنها تساءلت كثيراً عن حصول الأثرياء على كل شيء في الحياة من دون تعب أو مشقة بينما الفقراء لم ولن يحصلوا على جزء يسير من تلك الامتيازات؛ فالمجتمع يستمد واقعه من البيئة التي تعيش فيها تلك الطبقات على الرغم من اختلافها وصراعها الظاهر أو الباطن. فالتّساءل له قيمة ثقافية شكلت صراعاً لدى الشخصية.

((– أتراهم سيصدقوننا؟ سعيد الساري وزمرته ليسوا بحاجة لتجارة المخدرات إنّ لديهم الكثير من الأموال؟.)) (جرش، ٢٠٢٢: ١٥٢).

في تقانة الحوار المباشر بين الشّخصيتين يستفهم الدكتور منصور عن الثري سعيد السّاري صاحب المستشفى ويندهش ايضا في حيرة عن مزاولة تجارة المخدرات في المستشفى والمفارقة ان سعيد الساري لا يحتاج لإنماء ثروته من المخدرات بسبب ثراءه الفاحش. فالصّراع الدائر كشف عن جدلية وضع الشّخصية الأرستقراطية عموماً. إذن هناك صراع طلبقي بين شخصية منصور البرجوازي وسعيد الأرستقراطي.

((لم يكنْ عادل مجرد زميل قديم لنا كان أحد ابناء الأغنياء المستهترين الذين لا يخشون المستقبل، فحتى أنّ نجح أو رسب فسوف يفتح مشروعه الخاص الذي سيولد عملاقا بفضل رأس المال الضخم الذي تملكه عائلته، وقد كان ذلك فور تخرجه انشأ عادل شركة هندسية وسرعان ما كان لها اسمها في السّوق)) (جرش، ٢٠٢٢: ٥٦).

يكشف المشهد عن شخصية عادل التي انفردت باستهتارها فهو ثري لكنه غير كل الأثرياء أو غير طبقته المخملية. فالصراع الذي نشأ في ذات الشخصية تنبأ بمشروع عادل الفخم ويرجع ذلك إلى رأس المال

الضخم الذي توارثه عادل من عائلته المخملية، وثمة حقيقة اخرى ادرجها السارد أن المال سيجعل الشركة تنمو وتشتهر بفترة زمنية خارج كلّ التوقعات. وفي ذلك استباق زمني لِمَا سيحصل للشّخصية الأرستقراطية. فالصّراع قائم بين جاء عبر السرد بين شخصية عادل الثري المستهتر وبين منصور الذي كانت زوجته تعمل لديه ممّا شكّل ثيمة تكررت في أغلب المشاهد السردية.

-الإغراء الرأسمالي وتميز الطبقة الأرستقراطية:

ممّا لا شك فيه أنّ الطبقة الأرستقراطية تتميز بالرّفاهية وكثرة المال لذا يكون الإغراء الرأسمالي نتيجة حتمية لظهورها أمام المجتمع ظهوراً يليق بها فضلا عن التنافس الشّديد مع بقية الأرستقراطيين من داخل الطّبقة ذاتها خصوصاً اذا كانت مسيطرة ومهيمنة على الطّبقة البرجوازية.

فالإغراء الرأسمالي سيجذب الآخر ويغريه ثم يقوم بالتّحكم به:

((مؤسسة كبرى شهيرة في مجال المنتجعات الصحية، تملك مصحة نفسية في جزيرة منعزلة، مع بعض الصور الخلابة للمكان، مكان اشبه بالمنتجع السّياحي الفاخر، اتصلت برقم الهاتف الذي معي، رد علي أحدهم بصوت بارد مؤكداً صحة العنوان... بعد المقابلة بيومين تلقيت اتصالًا منهم يخبرني أنّ الاختيار قد وقع عليّ وابلغوني بالراتب الذي كان خياليا ربّما خمسة اضعاف راتبي في المستشفى الحكومي)) (جرش، ٢٠٢٢: ١٨).

((فنزلاء الطّابق الثّاني قد صنفوا أنفسهم بأنّهم الصفوة، وهم الذين عليهم الحصول على الامتيازات الخاصة باعتبارهم الأغنى والأكثر ثراء، المال من يضع الفرضيات، المال هنا عنصر التميز تماما كما هو هناك في المكان الذي جئت منه في العالم الآخر)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢٩).

إنّ عنصر الإغراء الرأسمالي كشف عن الصّراع الدّاخلي لدى الشّخصية وحديثه عن تلك المصحة النفسية الفاخرة الذي نُعتتْ بالمنتجع السّياحي وهنا تحولت دلالة المكان من الإنساني إلى الرأسمالي منتجع سياحي؛ لأنّ المال هو سيد الأشياء هو المتحكم الذي يصنع الصّراع والتميّز بين الطبقة الأرستقراطية بوصفها الأقوى وبين الطبقة البرجوازية الأدنى. حتى من النّاحية الوظيفية الرّاتب في المصحة النفسية كان أضعاف الرّاتب في المستشفيات الحكومية فالمال أقوى حتى من السلطة ممّا دفع شخصية منصور البرجوازية إلى العمل في المصحة.

- **الوصف الممهد للحدث:**

يمهد الوصف للحدث وعبر" الوضعية وما تفرضه من تناقض بين الشخصيات الذي يعبر في نموه وتدفقه، ليس عن اندفاع الحدث فحسب، بل يمثل درجات وعي الشخصيات الذي يتبلور من خلال تضاعيف الحدث وهو يخترق الأزمات بعد توليدها " (الدليمي، ١٩٩٨: ٨٠).

ويعمد المؤلف الى تكثيف الوصف وربما تقنينه نتيجة لتوالي الحدث أو الاستطراد في الوصف المكاني أو وصف الشخوص بل وحتى وصف الأشياء ليبين للقارئ تسلسل منظومة الوصف للوصول الى الحدث.

((الجزيرة التي يقوم عليها المستشفى لا وسيلة للوصول إليها سوى هذه المروحية، كانت الجزيرة من أعلى ترتدي وشاحين من اللونين الأخضر في وسطها، والأبيض المشبوب المائل إلى الاصفرار على طول شواطئها الرملية، كانت الجزيرة أكبر مما تصورت أشبه بغابة استوائية في وسط المحيط. يقع مبنى المستشفى في النّاحية الشّمالية منها، مبنى مكون من ثلاثة طوابق على شكل حدوة حصان، يغلب عليه الطّراز المعماري الرّوماني القديم، وقد طُلي كامل المبنى باللون الأبيض لتناغم فريد مع اللون الأزرق الذي طليت فيه الأبواب والنوافذ والشرفات، يحتل المبنى مساحة مقدرة صورت بسياج حديدي عال، عندما امعنت النّظر في المستشفى قبل هبوطنا وجدت مساحة كبيرة عليها ملاعب للجولف مسورة جيداً بأسلاك شائكة)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢٠).

ثَمّة تناوب منتظم ما بين تقانة الوصف والسّرد . فالأسبقية للوصف (وصف الجزيرة) فالواصف طابق الجزيرة كمكان مفتوح مع المرأة كجسد ثم يأتي السرد بعد تقانة الوصف(كانت الجزيرة أكبر...) و (يقع مبنى المستشفى...) إنّ هذا التمهيد إعلان لهيمنة تقانة الوصف وتسيّدها للمشهد السردي ليأتي الحدث أخراً عبر خطاطة سردية متسلسلة: (عندما أمعنت... شائكة) فالوصف مهّد للحدث عبر خطاطات:

- السّرد الوصفي
- السّرد الموضوعي
- الحدث.

المبحث الثّاني:

- الوصف الممهد للسرد:

إهتم الكّتاب بالوصف لأنّه يقوم بتقريب الصّور أو الشّخصيات أو الأشياء أو الأماكن عبر " استقراء الظّواهر المميزة لمكان طبيعي حقيقي أو مصنوع من الخيال، وتتبع الجزئيات، كما يقوم على استخدام الحواس ولاسيّما النظر والسمع لملاحظة الأشكال والألوان والحركات والأصوات" (فتوح، ١٩٩١: ٦٩) إذ يحدد الجزئيات الكبيرة والصغيرة لذا عُدّ " نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أيْ مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية" (الناقوري، ١٩٨٦: ٢١٧)، إن إسهام الوصف يتمظهر عبر تعيين الحدث واظهار ملامح الشخصية فضلا عن نقل صورة للأشياء.

وقد حظي الوصف بمكانة واسعة في النّقد الحديث. إذ مثّل " الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي أو شيئي أو مظهري فيزيونومي.. سواء أكان ينصب على الداخل أو الخارج، ويمكن أن يحضر الوصف في شكل دليل مفرد أو شكل دليل مركب، أو جملة أو متتالية من الجمل " (محفوظ، ١٩٨٩: ٦) وثمة فاعلية بصرية تستقطبها العين أثناء الوصف فالواصف يستخلص فكرة من الشيء الذي سوف يصفه ثم يقوم بتحويل الفكرة الى صورة تتمثل في الذهن بحسب هوية الواصف. إنّ الوصف في الرواية يتوقف على عنصر التخييل وعنصر التجسيد لأنّه يحدد الأبعاد الدّلالية للشيء الموصوف سواء أكان شخصاً أم مكاناً فهو " لا يأتي بلا مسوغ؛ بل إنّ كلّ مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشّخصية، وله أثر مباشر وغير مباشر في تطوير الحدث" (قاسم، ٢٠٠٤: ٨٣) فضلاً عن أهميته في معمارية المكان وتحديد أطره وأبعاده إذ يشتغل الوصف على إظهار الشخوص فضلا عن تشكيل المكان.

((ففي مجتمعنا ينظرون إلى الطّبيب النّفسي على أنّه (طبيب المجانين)، لا أمل في وصوله الى الثراء، ويستحي النّاس من الذّهاب إليه، ناهيك عن الشّك في قدراته العقلية)) (جرش، ٢٠٢٢: ٦-٧).

استطاع الكاتب أنْ ينوع في كتابته لجنس الرواية فمرّة يأتي السّرد أوّلا ثمّ يليه الوصف ومرّة يأتي الوصف ثمّ يعقبه السرد، وأحيانا ثمَّة خطاطات يتحكم بها الكاتب في إبراز نصه الابداعي. كما حوّل الرّوائي الفكرة إلى صورة واقعية ملموسة وحاضرة.

فالتّخييل يمتص من الواقع نظرة النّاس نحو الطّبيب النّفسي وهي مشكلة طرحها الرّوائي بقصدية معلنة، لأنّ المجتمعات الأجنبية تختلف نظرتها عن المجتمعات العربية فيما يخص مهنة الطّبيب النّفسي.

وبذلك كان الوصف الممهد للسّرد مظهراً مهما في البناء العام للشّخصية. فالصراع يتمظهر عبر (الكلمة) لفظة الطّبيب النّفسي التي تحولتْ الى سخرية (طبيب المجانين) في المجتمعات العربية بينما في المجتمعات الغربية لها مدلولها الحقيقي من دون سخرية أو انتقاص.

-أنسنة الأشياء:

حين يؤنسن الرّوائي بعض الجمادات فهو يريد أنْ يبث الحياة فيها. فثمّة قصدية في ذلك ولعلّ مبعث ذلك إضفاء الحياة على بعض الأشياء أو الموجودات التي تتفاعل مع الشخوص وبذلك يصبح لها دور مهم في النّص الرّوائي بعد أنْ كانت جامدة لا حياة فيها، " والأنسنة ظاهرة عامة في الفن، والفنان حين يؤنسن الأمكنة... والأشياء وظواهر الطبيعة ويخضعها لعملية تفاعل حميمة مع الإنسان، تحقق الدور الإنساني الذي أسنده إليها حين طمح إلى تشكيلها تشكيلًا إنسانيًا ذا ملامح محددة، وتعابير بينة، في عمله الإبداعي يمحنها – وهو في ذروة حالته الانفعالية – خاصيته الإنسانية متخذًا أحد الأوضاع الآتية: فهو إما أنْ يدور بمشاعره حولها، ومعها، أو يمزج احساساته بها، أو ينصهر فيها، وعن الحالة الأولى نقول: إنّه متعاطف معها، وعن الثّانية متحد بها، وعن الثّالثة منعدم فيها". (منيف وأحمد، ٢٠٠٢: ٩).

((كان النّاي صاحبي المخلص منذ طفولتي، رأيت أحد المشردين يعزف عليه، أحسست أنّه لا يعزف فقط بقدر ما هو يفرغ احزانه و أوجاعه ويودعها بأنفاسه الحارة على فتحات تلك الآلة الرقيقة، وتحتمل هي كلّ تلك المعاناة، أحببت النّاي وكان عمري وقتها سبع سنوات، كان صديقي الوحيد، واتقنت العزف به في التّاسعة، ولكنّني لم أفكر في احتراف العزف عليه، ولم أشارك في أنشطة المدرسة الموسيقية)) (جرش، ٢٠٢٢: ٢٠).

تتخذ الشخصية من النّاي صاحبا مخلصاً، فالسرد كشف عن أنسنة الجماد (الناي) لأنّه الصاحب المخلص النآي، ثمّ يبدأ السّرد بصيغة المتكلم لتسترجع الشخصية بداياتها مع النّاي. إذ تمزج عواطفها مع النّاي وكأنّها تتحد معه. فالنّاي كان بديلا عن البشر على الرّغم من وجودهم حوله إلّا أنّ الصّراع تجلى في داخل الشخصية، وقد امتلك النّاي خصيصة زادت من تعلق الشّخصية به لأنّها تفرغ كلّ شحنات الغضب، وكلّ شحنات السّعادة أثناء العزف.

-الحوار بوحًا جدليًا للكشف عن المسكوت عنه:

يعد الحوار وسيلة " تمثيل للتبادل الشفاهي، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشّخصيات بحرفيته، سواء كان موضوعا بين قوسين أو غير موضوع" (زيتوني، ١٩٩٨: ٧٩)، ويتكون من طرفين أو أكثر. إذ

" يعبر في نموه وتدفقه، ليس عن اندفاع الحدث فحسب، بل يمثل درجات وعي الشخصيات الذي يتبلور من خلال تضاعيف الحدث وهو يخترق الأزمات بعد توليدها، وهذا التّعجيل في سريان الحدث وتغلغله يعني دفعًا جديدًا للشّخصيات وأفكارها وبابًا مشرعًا لصراعاتها الدّائرة في سياقات الحدث" (الدليمي، ١٩٩٨: ٨٠)، ولا بُدّ "من وجود متكلم ومخاطب، ولابّد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته" (صليبا، ١٩٨٢: ٥٠١)، أو ربّما يأتي الحوار فردياً ظاهراً او خفياً، "وبعد أن تتضح معالم الحدث في بلورة وجهة الحدث، يعمد المؤلف إلى زيادة تكثيف الحوار وايجازه، وضغطه وهذه نتيجة تحتمها صرامة الحدث واندفاعه وتركيزه باتجاه النّهاية، فالتفصيلات التي تكون ضرورية في بدء الحلقات الأولى من الحدث تفقد أهميتها بعد بلوغ الحدث شوطًا متقدمًا في تضاعيفه عبر سلسلة الأزمات" (الدليمي، ١٩٩٨: ٨١) التي تأتي في الرواية.

((– ألَا ترى أنّ حبنا يفتر ويتناقص يومًا بعد يوم. هكذا قالت لي جواهر بحدة ونحن نجلس في إحدى المقاهي في وسط المدينة. نظرت إليها في دهشة متفاجئًا من عبارتها.

- **أرى أنّه يصمد أمام عواصف الفقر والظروف الصعبة.**
- **إنّه ينهار يا حبيبي، ينهار وأنت لا تدري. واصلت جواهر كلامها بالاندفاع نفسه:**
- **كلّ ما يحدث حولنا لا يؤثر فيك وتتركني وحدي في ساحة المعركة أصد سهام أبي وأُمي النارية.**
- **إنّني أكافح من أجل تأمين الحياة الكريمة.**
- **أنت تحلم، إنّ لم تكن لديك عيادتك الخاصة فلن يقبل أحد أنْ تشاركه عيادته لم لا تبحث عن مصحة نفسية خاصة تعمل بها؟**

هناك الكثير من المصحات النفسية لعلاج الإدمان والاكتئاب؟

- **لقد بحثت بالفعل، ولكن لم أجد فرصتي في احداها.**
- **إذا فمعضلتك لا حل لها، وهب أنّك تمكنت من الزواج، هل سيكفي راتبك الهزيل لتعيش عليه أسرتك؟**

كان استخدامها لصيغة ضمير المخاطب تزعجني، وتنبئ بأنّها تمهد لقرار ما، فقررت أنْ اختصر عليها الطريق)) (جرش، ٢٠٢٢: ١٢).

إنّ انتظام الحديث بين الشخصيتين (منصور – جواهر) كشف عن الواقع البروليتاري اللذين يرضخان تحت سياطه، فمنصور قد مضى عليه زمن طويل منذ أنْ خطب جواهر، وجواهر استرسلت في الحديث

معه عن الحاح والديها بتعجيل الزواج، على الرغم من أنّ منصور كان من عائلة كادحة إلاّ أنّه فهم ما أرادته جواهر؛ فالحوار أظهر أحداثاً لا يعلمها القارئ، ونقد واقع الشخصية البرجوازية، وأبان عن شخصيات (الأم– الأب) وعرض المشكلة بين الشخصيتين عبر ضمير المخاطب الذي كانت تتحدث فيه مع منصور.

لقد ازداد الصراع في ذات الشّخصية البرجوزاية حين تأكد منصور من مشاعر جواهر فضلًا عن انتقاصها من شخصيته بسبب عدم تأمين وظيفة وتأخر زواجهما.

- **الشّرف طريقة إغوائية :**

الشّرف هو الحسب، وهو المتأصل في سلالة عائلة معينة أو شخص ما، فهو أصل الإنسان وأصوله المتوارثة مجده وسموه وارتفاعه بين أسرته أو مجتمعه، بينما الإغواء هو الجذب أو الاجتذاب بشهوة أو رغبة سواء أكانت عفوية تلقائية أو إرادية مقصودة وهي إمّا بالقول أو الفعل.

١. **((لم تكن سامية ترى عيبًا في التقرب لأحدهم من أجل أنْ أنال وظيفة أحفظ بها ماء وجهي من جذوة الفقر))** (جرش، ٢٠٢٢: ٥٥)

تعد شخصية سامية شخصية منفتحة وجريئة، فالمقطع يختصر الكثير ليظهر أنّ الشّرف وسيلة إغوائية للوصول إلى وظيفة تنتشلها من الفقر وتغير حياتها. فالجسد من منظور الشخصية الأنثوية لا يتقيد بحدود بل يكسر جميع الأخلاقيات حين يتقرب من أيّ أحد ليعود بالمنفعة المادية عليها.

والشّرف هو رأسمال الشّخصية كما حدد ذلك بيير بورديو، فالشّخصية لم تحافظ على رأس المال الذي تمتلكه بل باعته بأبخس الأثمان ولم ترى في ذلك عيباً، وكان بإمكانها أنْ تكتفي بعمل لا يجعلها تفقده بهذه السهولة لكنْ الرغبة ومحاولة الوصول إلى مستوى عال جعلها في الحضيض ومن ثَمّ أفقدها عقلها لتدخل المصحة.

إنّ الشخصية الأنثوية وجدت في جسدها الوسيلة لتغير واقعها البرجوازي إلى واقع ربّما يقترب من الأرستقراطي. فالصّراع الطّبقي كان ذاتياً محضاً.

الخاتمة:

١. كشفتْ الدراسات الثقافية عن ابراز الثقافة، فالنقد الثقافي نشاط مشتق من الثقافة ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحمولات الدلالية لكلمة الثقافة.

٢. يعد الصراع بين الطبقة الأرستقراطية والطبقة البرجوازية نقطة صدام في غالبية المشاهد السردية في رواية ليلة مجنونة.

٣. شكلتْ الطبقة الأرستقراطية هوية جماعية استطاعتْ ان تهيمن على الطبقة البرجوازية.

٤. يحمل التساؤل فكرة الأنا العليا للطبقة الأرستقراطية عبر الاختلاجات التي كانتْ تؤثر في الطبقة البرجوازية .

٥. كشف عنصر الإغراء الرأسمالي عن الصراعات الداخلية والخارجية لدى الطبقة الأرستقراطية.

٦. ثمة نقد لواقع الطبقة البرجوازية عبر تقانة الحوار المباشر بوحًا جدليًا للكشف عن المسكوت عنه.

قائمة المصادر والمراجع:

١. آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز. القاموس المحيط، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٣. بيروت – لبنان، ٢٠٠٨.

٢. انغلتون، تيري. نظرية الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط١. ٢٠١٩.

٣. أيزابرجر، أرثر. النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء ابراهيم و رمضان بسطاويسي، المشروع القومي للترجمة ٦٠٣، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١. ٢٠٠٣.

٤. بعلي، حفناوي. مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٧.

٥. بوريلو، بودون وف. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: د. سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١. ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ.

٦. التميمي, عبدالله حبيب و الشجيري، سحر كاظم حمزة. سيرورة النقد الثقافي عن الغرب، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٢) العدد (١)، ٢٠١٤.

٧. جرش, محمد بن حمدان. ليلة مجنونة, منشورات دار سويد للنشر والطباعة والتوزيع, الترجمة: الإمارات العربية المتحدة, الشارقة، ط١، ٢٠٢٢.

٨. حمادة، إبراهيم. معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار الشعب، القصر الميني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١. ١٩٩٤.

٩. الخضراوي، أدريس. السرد موضوعا للدراسات الثقافية، تبين للدراسات الفكرية والثقافية في اللغة والتاريخ والهوية، مجلة فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، العدد (٧) المجلد الثاني، شتاء ٢٠١٤.

١٠. الدليمي، منصور نعمان نجم. إشكالية الحوار بين النص والعرض في المسرح. دار الكندي للنشر والتوزيع، ط١. اربد– عمان, ١٩٩٨.

١١. الرباعي، عبدالقادر. تحولات النقد الثقافي، دار جرير للنشر والتوزيع، الرياض، ط١. ٢٠٠٧.

١٢. زيتوني، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ط١. ٢٠٠٢.

١٣.صليبا، جميل. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتب اللبناني، ج١. بيروت – لبنان، ١٩٨٢.

١٤.عبد الوهاب، شكري. النص المسرحي، مؤسسة حورس الدولية، ط٢. الإسكندرية، ٢٠٠١.

١٥.علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط١. بيروت، ١٩٨٥،

١٦.غيور، نادية سعيد. الصراع الاجتماعي الاتجاهات التنظيرية التقليدية والسوسيولوجية، https://www.academia.edu/40955318.

١٧.فتوح، عيسى. دراسات في الأدب والنقد: منشورات اتحاد والكتاب العرب، دمشق، ط١. ١٩٩١.

١٨.قاسم، سيزا. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. دار التنوير للطباعة والنشر، ط١. بيروت – لبنان، ١٩٨٥.

١٩.كوش، دوني. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، المؤلف: ترجمة: قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا– دمشق، ط٢. ٢٠٢٣.

٢٠.لالاند، اندريه. موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط٢. بيروت–باريس، ٢٠٠١.

٢١.لتش، فنسنت. النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات الى الثمانينيات، ترجمة: محمد يحيى، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، المشروع القومي للترجمة ١٨١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١. ٢٠٠٠..

٢٢.محفوظ، عبد اللطيف. وظيفة الوصف في الرواية، دار اليسر للنشر، المغرب، ١٩٨٩م.

٢٣.منيف، عبد الرحمن وأحمد، مرشد. أنسنة المكان في روايات, دار التكوين، دمشق – حلبوني، ٢٠٠٩.

٢٤.الناقوري، إدريس. ضحك كالبكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١. بغداد، ١٩٨٦م.

Wild's The Happy Prince and its Utopian Values

القيم الطوباوية في الأمير السعيد لوايلد

م. م. رحاب عارف عبدالصاحب*

Rihab Arif AbdulSahib *

Abstract

This study aimed to study the themes of equality, freedom, security, and enlightened thought in Wild's *The Happy Prince*. This essay examined Wild's goal of constructing utopian realms by going through suffering. According to this research, the primary characters in *the Happy Prince* story, The Happy Prince, The Swallow, The Reed, The Little Match Girl, and God intended for their deeds to lay the groundwork for a world filled with virtue. This essay also demonstrated how the utopian themes included in *the Happy Prince* tale are a type of socialist theory that aims to draw attention to specific beliefs and behaviors by picturing them in a perfect community or state. the purpose of this study was to investigate utopia as a genre of fiction and the imagination, which offers many intriguing possibilities for explanation. In the utopian society that *The Happy Prince* and the Swallow constructed, kindness and love prevail over avarice and apathy. Through their deeds, Wilde painted a picture of a society in which people put others' needs first and work to improve the world.

Keywords: Wild's *The Happy Prince*, Main Characters, Utopianism, Socialism.

الملخّص:

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة موضوعات المساواة والحرية والأمن والفكر المستنير في رواية وايلد (الأمير السعيد). تناول هذا المقال هدف وايلد المتمثل في بناء عوالم طوباوية من خلال المرور بالمعاناة. وفقًا لهذا البحث، فإن الشخصيات الأساسية في قصة الأمير السعيد: الأمير السعيد والسنونو والقصبة وفتاة الثقاب الصغيرة، وإرادة الله ان جعل أفعالهم موضع أساس لعالم مليء بالفضيلة. أظهر هذا المقال أيضًا كيف أن الموضوعات الطوباوية المضمنة في حكاية الأمير السعيد هي نوع من النظرية الاشتراكية التي تهدف إلى لفت الانتباه إلى معتقدات وسلوكيات محددة من خلال تصويرها في مجتمع أو دولة مثالية. كان الغرض من هذه الدراسة هو دراسة اليوتوبيا كنوع من الأدب القصصي والخيال، والذي يقدم العديد من الاحتمالات المثيرة للاهتمام للتفسير. في المجتمع المثالي الذي بناه الأمير السعيد والسنونو، يسود اللطف والحب على الجشع

* كلية الآداب/ جامعة ذي قار – العراق.

Email: rihabarif@utq.edu.iq

* College of Arts/ University of Thi-Qar – Iraq.

واللامبالاة. ومن خلال أفعالهم، رسم وايلد صورة لمجتمع يضع فيه الناس احتياجات الآخرين في المقام الأول ويعملون على تحسين العالم.

الكلمات المفتاحية: وايلد الأمير السعيد، الشخصيات الرئيسية، اليوتوبيا، الاشتراكية.

1.1. Background of the Study

This study provides an overview of the utopian values found in Oscar Wilde's tale *The Happy Prince*. First off, since the data to be gathered is based on words rather than numbers, I employ qualitative methodologies. It's possible to view the research as being better suited for use in analyzing events or scenarios associated with the study topic. The Greeks are the ones who first gave us the definition of the word utopia. Thomas More's work of the same name from 1516 is credited with giving the word its current meaning in our contemporary society. In fact, the majority of the contemporary utopian tradition in western Europe originates from this book; at the very least, it introduces the most common theme in that tradition (Fledisti, 2021, p. 42).

The word "utopianism" encompasses a wide range of approaches to envisioning, characterizing, or attempting to create a better society. Utopian thought originated with Thomas More, who coined the term utopia. The term utopia, which originally meant "good place," has evolved to refer to a depiction of a made-up place, typically a civilization, that is superior than the author's own society and acts as a critique of it. In his work Utopia, More painted a picture of a society that was noticeably superior to England at the time (1516). In certain instances, it is meant to be a path toward social reform; in others, it is even meant to be an objective to be attained. Oscar Wilde was a poet, critic, playwright, and novelist of Anglo-Irish descent. He is considered one of the best Victorian-era playwrights. Throughout his life, he penned a novel, nine plays, and a large number of poetry, short tales, and articles. Additionally, Wilde backed the Aesthetic movement, which prioritized aesthetic goals over moral or societal concerns. This idea is best expressed by the phrase "art for art's sake" (Sturgis, 2018, p. 56).

Oscar Wilde (1854–1901) was a brilliant writer, humorist, and dramatist. He was born in the middle of Queen Victoria's Victorian era in England, which lasted from 1837 to 1901. The remarkable changes the country experienced throughout this period of English history had an impact on how the people of the time lived and thought (Sturgis, 2018, p. 81).

1.2. Review of Related Literature

Sevcu (2019) examines some of the reviews of the literature on Oscar Wilde's *The Happy Prince* in her thesis, "Wilde's Social Criticism of the Victorian Society in *The Happy Prince* and Other Tales." In light of this theory, both adults and children still find great enjoyment in Wild's story. The book has been examined from a number of angles. This thesis examines the societal criticism of Wilde found in specific stories. The Victorian era is criticized in Wilde's fairy tales for its materialism, which stifled other points of view, as well as for its hypocrisy and selfishness, which were associated with the middle and upper classes. The enormous disparity between the rich and the poor has led to economic inequality and human suffering, which has been reinforced by materialism, hypocrisy, and greed.

Wu (2020) uses *The Happy Prince* as an example in her paper, "The Writing Art of Wilde's Fairy Tales: The Reshaping of Love and Kindness Under the Cloak of Estheticism." Underneath Oscar Wilde's wild exterior is a pure love for the best and an unquenchable heart. Oscar Wilde was a controversial and tragic aesthetician who had been tragically ruined for nearly a century. He wore his carefully woven "art for the sake of art" aesthetic coat and cultivated a fantasy fairy tale garden. Using "*The Happy Prince*" as an example, the author attempted to examine three facets of Wilde's craft in writing fairy tales: 1. The goodness of the bones is superseded by the beauty of appearance, 2. The world's evil is shaped by its natural beauty, 3. The love of life is reflected in the beauty of death. Morality and love are sometimes seen as worthless, yet via fairy tales, they have been given a tragic but beautiful second chance at life.

Mutmainnah, Putra, and Gultom (2020) in their article Proceedings of the First International Seminar on Language, Literature, Culture, acknowledge Oscar Wilde's education and his tragedies and supernatural short stories, including the remarkable The Black Cat, which is still talked about today. After that, in 1888, Wilde was able to gain recognition for his writings when his collection *The Happy Prince* and Other Tales was published. *The Happy Prince*, The Nightingale and the Rose, The Selfish Giant, and The Devoted Friends are among the stories included in the anthology. Given that there are seven pieces in one collection, it's probable that Wilde made a mistake in one of the pieces.

Mutmainnah, Putra, and Gultom (2020) in the Proceedings of the First International Seminar on Language, Literature, Culture, and Oscar Wilde is

Education, present a study that seeks to identify a literary device in Wilde's collection *The Happy Prince* and Other Tales as well as to examine the creation and impact of the device throughout the collection. One of Freud's great theories, the psychopathology of everyday life, is used by the study to analyze the slip's occurrence. According to this analysis, Wilde actually made two mistakes: realizing his writing and repeating meanings. The epiphany can be found in his debut story, *The Happy Prince*, where he intended to convey a deep sense of benevolence and love but had to cut the narrative short.

Fledisti (2021) the goal of this study is to examine the utopianism that exists in Oscar Wilde's short novel *The Happy Prince*. Addresses utopianism in Wilde's story. Because the data to be collected is based on words rather than numerical computations, the researcher uses qualitative approaches. Sugiono (2005) states that qualitative research is more suited for this kind of study since it allows participants to understand social processes. To put it plainly, it can also be seen as research that is more suited for analyzing the circumstances or settings surrounding the research subject. In the short novel *The Happy Prince*, the author attempts to characterize societal values. This study employed a descriptive analysis, which is an analysis that seeks to characterize the phenomena that are now in place.

Fledisti (2017) *The Happy Prince*, who creates social conditions where the social utopianism the prince seeks and wants to form is willing to give all the gems and gold in his body to realize the welfare of the people in his city, is a character that discusses in her article, "Utopianism in Wilde's *The Happy Prince*." In addition to defining utopianism, Oscar Wilde offers insight into how it might be achieved. The well-being of the entire populace within a single city, nurtured and accomplished by a prince, who also crafts the perfect setting, structures, and architectural details. Based on a sociological analysis of the available data, it may be inferred that Oscar Wilde's short stories, particularly *The Happy Prince*, depict utopianism.

1.3. Research Problem

In Wild's *The Happy Prince*, freedom, security, equality, and enlightened thought will all be examined. These misfits rise from the ashes to a higher plane of existence, where they finally find salvation. According to Brigid (2003), "A map of the world that does not include Utopia is not worth even glancing at, as it

leaves out the country at which Humanity is always landing," this paper will examine Wild's goal of constructing utopian realms through suffering and misery.

1.4. Anticipated Findings

The purpose of this research is to determine whether the actions of the main characters in *the Happy Prince* story, such as *The Happy Prince*, The Swallow, The Reed, The Little Match-Girl, and God, were intended to lay the groundwork for a world filled with virtue. This essay will also demonstrate how the utopian elements included in *the Happy Prince* tale are a type of socialist theory that aims to draw attention to specific beliefs and behaviors by picturing them in a perfect community or state. The present study will demonstrate that the primary objective of Plato's Republic is to demonstrate a fundamental aspect of the idea—that is, justice or freedom—by characterizing it as Great in an ideal community. As a result, utopia is a concept that reflects the imaginary world. To put it another way, this study will look at utopia as a genre of fiction and the imagination that gives it so much appeal for explanation.

2.1. What is Utopianism

The methodical application of utopias, or ways of thought that portray an idealized but unachievable condition of affairs, is known as utopianism. The idea may, like all other isms, be interpreted negatively, but this isn't always the case. The word utopia was first used by Thomas More in his book of the same name (1516) to refer to the ideal society he imagined and detailed in the book's second section. More deliberately, it played with the ambiguity of the phrase because utopia is a contraction of both outopos, which is the “no-place,” and eutopos, which is the “good-place” in ancient Greek. As we'll see, this would have long-term effects. Over time, the phrase evolved to refer to any good concept or proposition that is impractical or even unattainable. Utopias shatter the boundaries

of the established social order, as Karl Mannheim famously stated. A state of mind is utopian when it is incompatible with the world within which it exists. The idea of utopianism is discussed in this post by reassembling its forms, purposes, and, at the end, its possibilities in the modern world (Baeten, 2002, p. 36).

In general, utopianism can be divided into two categories. The first is the literary subgenre that used More's Utopia as its model. Examples of this genre are seen in Tommaso Campanella's City of the Sun (1602), Francis Bacon's New Atlantis (1627), and William Morris's News from Nowhere (1891). The description of the good location is usually given by a traveler who finds the land of utopia, which is usually an island or at least a region that is isolated from the other regions. Some of the works in this genre are negative utopias; one such example is George Orwell's 1949 novel 1984, which recounts the horrifying dream of a society under big brother's dictatorship, complete with discipline. Additionally, these pieces are occasionally referred to as "dystopias" (from the Greek dys, which meaning aberrant, flawed, or awful) (Crane, 2015, p. 70).

The second type of utopianism consists of works that have important utopian aspects but do not fall under the literary utopian genre. Important utopian periods can be found in political treatises like Immanuel Kant's Perpetual Peace (1795) and Jean-Jacques Rousseau's The Social Contract (1762), which portray society as both good and no places. The degree to which they are feasible is still up for debate: Kant's Perpetual Peace outlined the provisions of a hypothetical international treaty that would end the state of anarchy and war on a global scale, while Rousseau depicted a direct democracy in which all people are treated equally and freely. In summary, a work reflects the hope that some or all societal ills may be eradicated and a better society can be established. This is when it is considered utopian (Bina and Andy, 2020, p. 25).

While it is generally simple to identify whether a work belongs to a literary genre, there is much debate over how utopian a work should be when it has utopian

moments. Furthermore complicating matters is the fact that utopianism sometimes carries a negative connotation. The Communist Manifesto by Karl Marx and Friedrich Engels (1848) is a notable example. One may argue that no other writer has had as much influence in disseminating the idea that societal ills can be eliminated and a better society can be created. However, Marx and Engels' vision of a communist society is based on a scientific examination of the proletariat's historical circumstances rather than being pure fantasy. They harshly condemned former socialists like Robert Owen, Charles Fourier, and Comte de Saint-Simon for their utopianism—which is being used disparagingly—in their manifesto. Utopian socialists were forced to fail in identifying the economic prerequisites for such a transformation because they theorized about the emancipation of the proletariat during a time when the conditions were not yet favorable enough for emancipation. As a result, their social criticism remained a purely fantastic vision of an unattainable future society. To such utopian socialism, where historical activity is replaced by individual creativity (More, 2010, p. 70).

They were opposed by Marx and Engels' scientific communism. Some writers have attacked utopianism, claiming that by portraying idealized society as nonexistent, it can encourage attempts to legitimize authoritarian and totalitarian regimes (Marcuse, 1970, p. 61). For example, utopias like Plato's idealized republic support ideas of a "closed" society that Karl Popper claims should be rejected since they foreshadow the ideas of contemporary philosophers like Hegel and Marx. However, utopias can be defended against their detractors in a variety of ways. First, it might be argued that utopias are nowhere by definition. In fact, the majority of utopian theorists never considered attempting to put their idealized social plans into action. Even those who made a genuine attempt to turn their no-places into something tangible typically preferred educational initiatives and small-scale experiments. There are still few who supported the idea of a bloody revolution (Trahair, 1999, p. 83).

Second, only large utopias are at best immune to the charge of dictatorship. Separating utopias into major and minor categories is another useful way to organize the various shapes that utopianism can take. According to Jay Winter, prominent utopians are people like Hitler and Stalin who used unrestricted violence to carry out their bold plans to eradicate all social problems from the earth. They are big utopians because of their totalitarian views and their determination to eradicate those evil forces from the world that stand in the way of a bright future, even if it means killing them. Smaller-scale liberation fantasies that likewise paint a picture of a future drastically different from our own but in which social tensions and ills persist are what give rise to minor utopianism. The writers of the 1948 Universal Declaration of Human Rights and the proponents of ecological movements are two examples of such small utopians (Williams,2006, p. 117).

Writings or beliefs that imagine life in an ideal society—one where everyone is comfortable and happy—that does not exist are known as utopian or utopian literature. The phrase used in the novel "Utopia" by Sir Thomas More has its origins in this Greek meaning. With the exception of the term topos, which means place in its root, and the initial syllable U, which indicates "no," or no place, this foreign word has no Greek origin. Plato's Republic, which lays forth his philosophy of politics and government, may have served as the inspiration for this genre of fiction. As a result, political characters who yearn for a moral society where everyone is happy predominate in utopian literature. Al-Farabi's Al-Fārabi is an example of this genre in Arabic. Al-tawba, which includes the term Al-tawbawiyyah, is one of the uncommon plural forms of the word tayyib, which signifies bliss, happiness, luck, and kindness (Alan, 2000, p 81).

Certain myths or memories of the far-off past describe how humans lived in a basic and uncomplicated state while yet experiencing perfect bliss and fulfillment. These stories can be found in a wide variety of civilizations, societies,

and faiths. According to a number of stories, there was an innate harmony between humans and nature back then, with few needs and few desires. People could simply satisfy their needs and wants by using the plenty that nature supplied. Thus, there were absolutely no justifications for injustice or war. Hard, arduous labor was not necessary. People were straightforward, devout, and intimately connected to the gods. One theory in anthropology holds that the earliest prosperous culture was one based on human collecting and gathering. These mythological or religious stories can be found in many civilizations, and they reappear with special force during trying and pivotal periods for humans. Nevertheless, myth is projected in utopian literature not into the far past but into the future or other far-off and fantastical locations, where it is imagined to exist at some point in the future, in space, or after death (Xiaofei, 2010, p. 49).

During and after the Second Great Awakening (1840–1870-), a number of radical religious organizations established utopian societies in the United States and Europe where religion could control every aspect of people's lives. The United Society of Believers in the Second Appearance of Christ, or Shakers, was one of these moral communities. This society came to America in 1774, having left its home in England in the eighteenth century. Many religious virtue organizations, such as the Harmony Society, the Society of Women in the Wilderness (established 1732), and the Society of Women in the Wilderness, led by Johannes Clepius (1667–1708), arrived in the United States from Europe during the 18th and 19th centuries. Founded in 1785 in Ettingen, Germany, the Harmony Society was a Christian theosophical and Pietist organization. The Harmony Society was forced to flee Württemberg due to religious persecution by the Lutheran Church and the government, and on October 7, 1803, it arrived in Pennsylvania. About 400 people officially established the Harmony Association on February 15, 1805, combining all of their shared property (Richard, 2000, p. 70).

Between 1848 to 1881, the utopian religious organization known as the Oneida Congregation was led by John Humphrey Noyes and was located in Oneida, New York. This utopian experiment was one of the longest-running local congregations in American history, despite the fact that it is now best recognized for producing "Oneida silverware." The Amana Colonies were aboriginal colonies in Iowa that were established between 1855 and 1932 by radical German religious organizations. This group founded the refrigerator and home appliance firm Amana. Rikers Holly City, Fountain Grove (founded in 1875), and other utopian settlements in California between 1855 and 1955, like Haine and Sointula in British Columbia, Canada, are more examples. It is also possible to view the Amish and Hutterite communities as attempts by religion to get close to religious utopianism. Around the world, a wide range of societies have also started to adopt some form of religious belief (Jonathan, 2012, p. 55).

Richard Soses, an anthropologist, studied two hundred religious and secular (sometimes utopian socialist) groups in the United States during the 1800s. Twenty years after their founding, 39% of religious communities were still going strong, compared to 6% of secular groups. While demands for expensive sacrifices in secular communities were unrelated to longevity and most secular societies collapsed within eight years of creation, the number of costly sacrifices a religious group required of its members had a linear effect on the group's survival. Suess references Roy Rappaport, an anthropologist, who states that rules and rituals work best when they are repeated. As the best proof that religion is an adaptive response to the issue of the "free rider"—a person who benefits from resources, products, or services without paying a salary for this benefit—social psychologist Jonathan Haidt cites studies by Soses in his 2012 book The Righteous Mind. by facilitating cooperation amongst people who are not related. Randolph M., an evolutionary medicine researcher. Neisse contends that social selection has made it possible for humans as a species to become exceptionally cooperative and capable of forming cultures, while theoretical biologist Ari-Jane

West-Eberhard contends that social selection benefits humans because they choose altruistic tendencies as social partners (Randolph, 2009, p. 109).

The Book of Revelation in the Bible describes a distant past in which sin, evil, and Satan were all vanquished. The primary distinction from the Old Testament prophecies is that, as the book of Isaiah states, "Behold, I create new heavens and a new earth, and the former will not be remembered or come to anyone's mind," such defeat also has existential significance (Revelation: "Then I saw 'a new heaven and a new earth,' for the first heaven and earth were no longer there, and there was no sea... He'll wipe every tear from their eyes. And there will be no more death, sorrow, crying, or suffering, because the old order of things has passed away." (Bloch, 2000, p. 55). If one were to read the text literally, it would portray a paradise that existed on Earth before sin. The features of this new earth, ruled by God and Jesus, are not yet known, although they seem to resemble the biblical Garden of Eden. According to certain theologians, heaven will be an ethical, immaterial abode for souls rather than a corporeal world (Richard, 2000, p. 81).

One could argue that the utopian visions mentioned by the ancients were replaced by the religious imagination of the current day. When Christianity first began to expand over Europe, people's thoughts shifted from earthly paradises to a paradise in the afterlife where devoted believers would receive rewards for enduring a hard, violent earthly existence. However, some of the boisterous processions, carnivals, and feasts of madmen that were celebrated in the Middle Ages depicted the world upside down as disguise and claiming madness were effective means of criticizing existing institutions and describing the happy forms of life that emerged from the imagination. These fairy tales emerged from religious tales and depicted the Pays de Cockaigne country of bliss as a model of God's paradise on earth. Saint Brendan narrated that such countries contained "cathedrals of glass." Without a doubt, one of the effects of this concept—which

presents the world of lunacy as an alternative to the real world—was Erasmus's book "Eloge de la folie" (Randolph, 2009, p. 115).

Had that century not been marked by drastic upheavals, Thomas More's vision of paradise would not have struck such a chord. The notions of Western European centrality were challenged by geographic findings, and the stability and flatness of the Earth were questioned by Copernicus and Galileo's views regarding the sphericity of the earth. Furthermore, a reevaluation of the fundamental characteristics of religious practices was necessitated by the theological conflicts that followed the religious reform. The fall of the feudal system and the development of the bourgeoisie also contributed to the creation of new forces that fundamentally altered the balance of power on the social, political, and economic fronts. During that turbulent time, writers and intellectuals created new guidelines for living. François Rabelais wrote about a fictional settlement called the Abbey of Thélème, which is ruled by a wise organization that promotes social connections within a natural framework based on harmony. This was written in response to King François I of France's pledges of religious tolerance. However, Rabelais soon voiced his doubts about the prospect of actual transformation. Given the hard reality, the rise in religious fanaticism, and the horrifying violent events that have been a regular occurrence since 1540 (Alan, 2000, p 93).

2.2. The Social Utopia

Philosophies and thoughts are products of the human mind. These results are applied in various ways to enhance our way of life, implying that the foundation established by human philosophy and ideas forms the basis of the perfect society. The first utopian suggestion, which links society's existence to philosophical inquiry, can be found in Plato's Republic. In this work of fiction and policy, Plato suggests that society be divided into three rigid tiers, designated as "gold," "silver," and "bronze," based on the socioeconomic standing of its members. Plato suggested educating the ruling class philosophically so that their knowledge may be applied to end hunger and poverty.

Although the concept was outlined, no specifics of how to get there in order to advance society were worked out. A different piece of antiquated literature, which is thought to have been written between the eleventh and sixth centuries, offers a number of "laws" necessary for the smooth operation of society. Strong ethical principles and practical structural rules are something that many authors have discovered to be important for a successful (utopian) society (Basu, 2005, p. 128).

Four tiers of classification—Brahmin, Kshatriya, Vaisya, and Shudra—have been identified as the fundamental framework based on people's professions, coupled with rules for politics and government. As discovered, an ideal location in harmony with nature dates back to the sixth century. People live in an environment of social justice, non-aggression, and natural resource consumption without field cultivation. has discovered a contradiction between the depiction of the political system under a wealthy monarch and primitive communism. Later, a city is defined by its title (Utopia) in Moore's work "Utopia" (1516). In this utopia, the government controls all aspect of society, from the placement of towns to the provision of food and clothing for its residents. Since its release, Moore's writings have been regarded as the guide for realizing the utopian state. Following Moore, Lewis Mumford attempted to investigate how society would be in a utopia, how people would live and work, and how different humanist ideas would effect people in his writings The Story of Utopias and The City and the Machines. These intriguing and well-defined books provide recommendations for achieving a utopian world. Mumford's ideas are still the greatest guides for achieving a utopian order, even though they are out of date given the growth of the modern world (Bhattacharya, 2000, p.76).

The Communist Manifesto (Marx and Engels, 1847) attempted to introduce communism while highlighting the socioeconomic component of an ideal society. It defined a complete condition of equality and a society that is entirely governed by the government. It unintentionally overlooked the fact that until the human mind has a motivating goal to strive for, the perfect state cannot be reached. The establishment of the equality state seems to be the idealism of communism's apparent failure. Even though each person has different skills and abilities, it seems unreasonable to distribute the rewards equally. In this approach, the most productive members of the community

would refrain from giving it their all, which would cause the society to slowly deteriorate (Ahmed, 2011, p.118).

2.3. Utopianism in Literature

By its very nature, utopia is an illusive concept. The concept of utopia can be divided into three primary categories: literary genre, utopian thought, or the theory of the concept's ideological parts; and practical communities built on utopian ideals (Sargent, "Three faces"). The first formal and deliberate attempt to depict a fictional society meant to be an enhanced version of the author's reality is More's Utopia, which is where the literary tradition of utopian philosophy originated. Nonetheless, there were a number of earlier roots of utopianism that we may name, including Plato's Republic and Greek and Roman tales about the Blessed Fields, Arcadia, and Elysium (Claeys, 2014, p. 31).

Finds a distinct origin for Jewish, Muslim, and Chinese utopian traditions, despite the fact that non-Western utopian traditions are usually and still largely neglected. Only the Chinese utopian literary tradition appears to be sufficiently coherent, beginning with Confucian intellectual influences and ending with "Big Rat" as a secular picture of the country of bliss. According to some sources, Tao Yuanming's Peach Blossom Spring is the most well-known piece of Chinese utopian literature, depicting a secret society with superior social structures. In Western literary history, the sixteenth century saw the consolidation of travel as a means of presenting better and nightmare communities, which became associated with the utopian tradition. Two of the most important books in the genre are Robinson Crusoe or Gulliver's Travels (Swift). The former established the subgenre of the Robinsonades, while the latter served as the inspiration for satirical anti-utopianism. The rise of modernity and the scientific method, along with the First and Second World Wars in the twentieth century, were the main factors contributing to the rise in popularity of dystopian and anti-utopian fiction within the utopian genre. In contrast to dystopia, which depicts a far worse society overall, anti-utopia critiques the utopian ideal by presenting a similarly idealistic society with awful outcomes (Claeys,2011, p. 22).

The most well-known works in this subgenre were published in the first half of the twentieth century, criticizing modernism and the dehumanization of society in Orwell's Nineteen Eighty-Four and totalitarian governments and dehumanization in Huxley's Brave New World. The genre was resurrected in the 1970s with the rise of new feminist utopias and postcolonial utopianism, and in the 1980s with dystopias motivated by shifting socioeconomic realities and a sense of desperation. These developments enabled the rise of activism based on the critique that influenced these novels. These events followed the golden age of capitalism and a period of relative peace following the recovery from World War II. Twenty-first-century young adult dystopian fiction has been the last of these long-standing tendencies. While there were some significant books published in the 1990s, like The Giver, and in the mid-2000s, like Scott Westerfeld's and Kazuo Ishiguro's critically acclaimed Never Let Me Go, the popularity of these books for young adults skyrocketed with the release of Suzanne Collins' The Hunger Games trilogy, which became a worldwide phenomenon and a franchise (Baccolini, 2003, p 1).

Science fiction and utopian fiction are frequently contrasted, with some academics contending that the former belongs in the category defined by the latter. Because science fiction seems to be the result of several literary influences, such as utopian fiction and "the scientific romances of the nineteenth century, the science fictional novels of imperial Britain, or the pulp stories and paperbacks of neo-imperial United States," its origins are unclear—not because there are no options. (Moylan, 2000, p.4). Regarding the exact period of inception, notes that the genre of science fiction has a maximum of 200 years of history behind it, and contends that the popularity of the genre is correlated with the acceptance of science. However, argues that, in contrast to fantasy literature, a rational explanation for the events described must be given and that the name used to designate this genre was created. According to Moylan (Moylan, 2000, p. 4), there is a body of science fiction literature that "does not bring readers and audiences into brave new worlds, whether worse or better than the present, but rather spin them around within the one and only 'paradise' that is allowed to exist" in light of recent claims for the triumph of finance capitalism. While the goal of both dystopian and utopian fiction is to create a critical identification and parallelism between the worlds portrayed in the book

and our own, science fiction is primarily concerned with providing an escape from reality. This is especially true with pulp science fiction, where the utopian impulse is restrained by the wonders portrayed potentially overshadowing any criticism (Moylan, 2000, p. 4).

Popular definitions of science fiction include works that examine human hopes and concerns (Fitting 138). Although an undesired or better society may be part of these hopes and anxieties, this genre is not primarily concerned with providing a full account of such cultures. Suvin's definition of science fiction, which uses “an alternative framework to the author’s” (Suvin, 1976, p. 8), has led to the widespread belief that utopian fiction is a subgenre of science fiction, notwithstanding the differences in viewpoints. This study is restricted to the examination of the terms that are closely associated with utopia and dystopia as previously stated, owing to the vast array of works that fall under the umbrella of science fiction and the ensuing body of research in that domain. Science fiction may bring up works unrelated to the utopian and dystopian impulses, even though certain dystopian works are obviously affected by it and are even called "science-fiction dystopias" (Suvin, 1976, p.8).

The works that make up utopian literature have been the subject of extensive investigation, yet this body of work has not been quantitatively examined. Since the 1970s, renowned and priceless attempts have been undertaken to compile primary texts that are categorized as utopian literature in addition to critical writings. One of the first comprehensive and extensive works, though Beauchamp criticized his classification criteria as being too loose. Beauchamp published a study that provides information on bibliographic sources that list works that are defined as utopian and essays on the elusive definition of the genre, among other things, but does not analyze the data's evolution or quantify it; rather, it is a traditional consulting source. This enormous undertaking has probably been attempted the most thoroughly to date with Sargent's continuous bibliography, which was originally published in 1979. Although secondary materials on utopian literature were included in the first edition, Tower Sargent chose to concentrate only on primary texts due to the task's complexity. His online version, which debuted in 2016, gathers data on plays, novels, films, and other media. It has been expanded to

feature not only British literature but also writings from writers from other nations with a similar heritage, such as India (Baccolini, 2003, p. 12).

3.1. Author's life

The son of a well-known physician, Oscar Wilde (1554–1900), was born in Dublin. He received his early schooling at Portora Royale School, where he was regarded as a bright, active classical scholar who had a keen eye for life and the human condition. In 1874, he was awarded the Berkeley Gold Medal for Greek. He also received a scholarship to attend Megdolen College in Oxford before traveling to England. He was an excellent speaker and made it his way of life. His early fictions and poetry display deep emotions (Alexander, 2000, p. 64).

Walter Dates' thoughts had an influence on Wilde as a novice. Writing on religious and spiritual experiences, Wilde referred to himself as the Votary of Beauty in New Helen. *The Happy Prince* was written in the style of a fairy tale. It depicts an idealized, non-imitative world, and Wilde himself has acknowledged that it is a fictitious work that he made up to entertain his little kid but turned into a brilliant work of satire. His fairytale short stories have made him famous. This short story depicts a pitiful image of the Victorian era, when the wealthy exploited all the advantages and the impoverished lived a land-to-month existence. It is not your typical tale of a prince seeking to relieve his people's suffering with the aid of a small swallow. It is a static document that details the Victorian era's realities; he exposed the hypocrisy of the ruling class, exploitation, and poverty. According to Wilde, these tales are like mirrors that reflect contemporary life in a way that is detached from reality. "*The Happy Prince*" tells the tale of a small swallow that gives up its life to save the prince, and it also highlights the prince's spiritual beauty. Love and sacrifice are the governing and rescuing powers in every situation (DAiches, 1960, p. 17).

In the Penguin Dictionary of Literary Terms, Cuddon (1975) states that fairy tales are considered a form of traditional literature and oral tradition. A fairy tale is a story when written down, and when written in prose, it tells the story of a heroine or hero who must overcome incredible odds and extraordinary adventures in order to live a happy,

eternal existence. A fascinating study of human psychology can be found in the essential components of fairy tales, which include enchanted locations, covert circumstances, and otherworldly machinery. The persona is fantastical and inventive (p.36). According to Onda (2013), Oscar Wilde inherited his parents' interest in education and literary prowess from an early age. Although his mother Jane was eager to have a daughter as her second child, she was very unhappy when Oscar was born. Oscar appears to have a girlish demeanor in most of the photos, complete with long, curly hair and a lace skirt with frills. Oscar claimed to have been forced twice in his life—once when his father sent him to Oxford University and once when he was imprisoned by civic society (p. 41).

According to Elleman's (1987) biography, Oxford University was both a highly esteemed establishment and a notorious spot for harboring secretive, false emotions. In fact, Wilde found interest in his homosexuality there. He claims that the Greek and Latin classics are to blame for vices and homosexuality. It's also crucial to note that, throughout Wilde's tenure at Oxford University, he held the position of Professor of Aesthetics and so became a member of that movement (p. 29). It is widely acknowledged that Wilde was one of the greatest playwrights of the mid-1900s, a period of time sometimes known as "The Age of T.S. Eliot." Under the pen of Wilde, Yeats, Synge, Shaw, and O'Neill, drama blossomed. Moreover, Daiches (1960, p. 39) asserts that despite his fame as a dramatist, Wilde was unable to produce a genuine sense of satirical tone. He was a member of the "fin de siècle," a well-known aesthetic movement, and he devotedly followed Ezra Pound. Like his other contemporaries, he had a tragic existence that ended with suicide and ruined their literary careers. Even though he did not directly represent these themes in his plays, he included them in his fairy tales and the symbolic tale "The Picture of Dorian Gray." He approached conversations with a refined sense of humor and exposed society by putting it front and center in a unique way.

Elleman (1987) adds that the juvenile literature series named *The Happy Prince* and other tales (1888) and A House of Pomegranates (1889) were originally published by Wilde (p. 27). He was obviously content at the time with his family, and readers may identify to that contentment via his work. However, Onda claims that Swallow and Prince's relationship made him aware of the homosexual element, and as an artist, that

element cannot be disregarded. This narrative contains a lot of lyrical terms because the author has been writing stories since his time in college. Instead than using cliches like "Once upon a time" or "There was a happy prince," Wilde utilized an adverbial phrase. In addition, he has employed couplets, such as "So I lived, so I died," which rhyme and have an aesthetically attractive sound. He used unusual, one-of-a-kind similes and metaphors to characterize the joyful prince, comparing him to a weather lock in terms of beauty. The narrative, which is an allegory, discusses the value of doing well. One approaches God by love and sacrifice. The statue of the deceased prince is covered in sapphires, rubies, and diamonds, but the prince does not appear to be enjoying life. The prince's smile makes others think he's pleased. But he no longer smiles and is crying uncontrollably. Swallow is a Mersin gel that provides all of its wealth to underprivileged people. The prince's heart breaks as the swallow dies of cold, yet their love and sacrifice make them eternal (2013, p.41).

3.2. Summary of the Story

"*The Happy Prince*" was written by Wilde as a children's tale for his boys. It is an allegorical or literary device that represents spiritual or actual concerns or issues with abstract or imaginary figures. The narrative centers on social issues that were prevalent in late Victorian times (1820–1914). During Queen Victoria's reign in Britain, which is now the United Kingdom, the late Victorian era saw a significant class divide in society. The higher class is depicted in "*The Happy Prince*" as looking down on the lower class. The citizens of the town are shown in "*The Happy Prince*" appreciating the statue of *the Happy Prince* perched on the palace wall, looking out over the town. The narrator talks on how beautiful the statue is. *The Happy Prince*'s sword hilt is adorned with a ruby, and his eyes are sapphires, all set on a background of gold leaf. The statue is only a way for the shallow and dishonest Town Councillors to curry favor with town officials by demonstrating their appreciation for good art. The statue is well-liked and praised for its view of the town. The statue, which displays the luxury of the upper class, gleams with gems in its eyes and a sword wrapped in gold (Mullik, 2012, p. 39).

Swallow, a noble and gregarious bird, soars above the city. He stays behind when fall arrives while his companions travel to Egypt. He doesn't want to leave Reed because he is in love with her. The reed where Swallow resides by the water's edge is called Reed. Despite the other swallows' advice that it is pointless, he finds himself falling in love with Reed's movement, demonstrating his little comprehension of love. Reed tells Swallow that he can't travel and spend time with his friends, so he quickly loses interest in her. In search of happiness with his pals, he makes his way toward the pyramids. He rests at the feet of *the Happy Prince* monument when he gets tired. Though pleased with his choice, he feels what he believes to be rains falling on his head, which soon worries him. He is shocked to find tears welling up in the statue's eyes and streaming down his golden cheeks when he glances up. Swallow needs to figure out why. Swallow is informed by *the Happy Prince* about his past life as a statue and the things he has observed while gazing out over the town. He tells Swallow that because he had never left the confines of his palace, he had never experienced heartbreak or grief during his lifetime and had never wanted for anything. He remembers dancing in the Great Hall and playing in the gardens. He explains to Swallow that he never experienced sadness, which is why he was called *the Happy Prince*. He claims that following his passing, the villagers erected his statue to keep watch over the community (DAiches,1960, p. 28).

Swallow listens as *the Happy Prince* describes in detail the suffering that he observes in the town's residents. He exhibits tremendous compassion after seeing how protected from the outside world his life was. Above all, he wants to help them. *The Happy Prince* talks about a circumstance that bothers him: a seamstress who is worn out and her sick son in bed. He offers Swallow the ruby from his sword, pleading with her to assist him. Swallow clarifies that he must proceed in the direction of Egypt, though. *The Happy Prince* keeps pleading until Swallow gives up. Their goal to distribute his wealth among the populace and instill optimism and prosperity in them has begun. Swallow says, "I hope my dress will be ready in time because I think seamstresses are lazy," as she flies over the Queen's maid-of-honor and her boyfriend who are sitting on a balcony. Swallow makes his way to the seamstress's house, where he places the ruby beside her bed and fans the boy's forehead before returning to *the Happy Prince*. When

he returns, he remarks that he is warm. According to *the Happy Prince*, it's because he did a good deed. Swallow ponders that until he nods off (Onda,2013, p. 56).

The following day, Swallow heads down to the river, where he is spotted by the Ornithology Professor, who is taken aback to see a Swallow in the dead of winter and writes a lengthy letter. Though Swallow is eager to travel to Egypt, he also wishes to bid *the Happy Prince* farewell. To assist him with his final good deed, *the Happy Prince* requests that he remain for one additional night. *The Happy Prince* instructs Swallow to remove one of the sapphires from his eyes after he declares he will stay. Reluctantly accepting it, Swallow leaves to offer it to a theater student. The next morning, Swallow rises and takes off towards the harbor to observe the boats and sailors before flying back to bid *the Happy Prince* farewell. But *the Happy Prince* begs him to remain one more time. Swallow informs him that winter is approaching and that he must travel to Egypt, where it will be warmer. He guarantees that he will return the next spring to replace the gems they had given away. He hears from *the Happy Prince* about a match girl in the square whose father will be upset with her for ruining his matches. This is how her family makes money, and she is quite impoverished. He requests that Swallow give her the second sapphire that is in his eye. Swallow consents to stay, but he is reluctant to give up the last sapphire because doing so might bring blindness. As *the Happy Prince* begs, Swallow grants the girl what she requests. Because he is blind, Swallow claims he will live with *the Happy Prince* forever (Sampson, 2004, p.82).

The swallow remains still on the third morning. He chooses to stay with *the Happy Prince* instead. Perched on his shoulder, he regales him with a plethora of stories about the sights he has witnessed during his travels. While *the Happy Prince* finds pleasure in the stories, he is curious about the goings-on in his hometown. Swallow flies swarm the city, collecting data about the locals. When he tells *the Happy Prince* what he has seen, *the Happy Prince* requests that he remove the gold from him leaf by leaf and distribute it to the town's residents. When *the Happy Prince* has no more gold covering him, the snow arrives and it becomes quite chilly. Even though Swallow is freezing, he won't go from *the Happy Prince*. He makes the decision to say goodbye for good after trying to stay warm but realizing he won't make it. Swallow explains that it is too late and that *the Happy Prince* will perish from the cold, despite *the Happy Prince*'s belief that he is

saying farewell since he is finally traveling to Egypt. Since he is to blame, *the Happy Prince* is depressed (Butt, 2008, p.109).

The Happy Prince's heart is broken when the swallow kisses him before dying. As the Mayor passes by the monument the following morning in the square, he is taken aback by how run-down it appears to be—it is devoid of any gold or gems. The statue is no longer beautiful, so the town council members decide to remove it and melt it. The overseer at the foundry notes that it is peculiar that the broken lead heart within the statue does not melt after the villagers remove it. He discards it alongside Swallow's lifeless corpse in the dust heap. God requests that an angel deliver the most valuable item in the city to him. The deceased Swallow and *the Happy Prince*'s wounded heart are returned by the angel. God says the angel made the proper decision. He places *the Happy Prince* in his city of gold so he can worship God forever, and he places the Swallow in his garden of Paradise so that it will live forever (Howard, 2002, p. 45).

There are three main themes in the tale of "*The Happy Prince*." Firstly, it demonstrates that outward beauty is meaningless and that true beauty comes from giving and loving. It also talks about how sacrifice and love are two things that can save you. Thirdly, it demonstrates the widening divide that exists between the ruling class and the general populace. When *the happy prince* is alive, he leads a carefree, joyful existence devoid of sorrows. However, after he passes on, he discovers through a tall Colum that there are other aspects of life than happiness, such as poverty, helplessness, and the corruption of the ruling class and elite. A bird swallow, a poor writer, asks the prince for assistance when it lands beneath his feet and lands on the match girl. Despite appearing content, he is crying uncontrollably since he has witnessed so many oppressed individuals. The swallow perishes in the end from frost once; the mayor finds the prince in an ugly situation as he walks through that path. They took it down and chose to label another statue after becoming confused when they saw the prince did not have all the priceless items on his body. The statue was thrown onto the dust mound by the workmen since it did not soften in the furnace, and a dead swallow was also present. An angle approaches God and takes two priceless items, which are now useless to those in this world but are crucial to having eternal life in paradise (Martin, 1979, p.74).

There is no such thing as a living Happy Prince. He is a statue of a prince that is positioned in the middle of the city atop a tall column. It's a statue of a deceased royal that contains the prince's soul. A little Swallow passed above the city one evening. He fell in love with Reed and had to cancel his winter vacation to Egypt. During a nighttime flight over the city, the swallow happened to spot *The Happy Prince* statue. He landed right between *the Happy Prince*'s feet. A massive drop of water hit him just as he was falling asleep. He looked up and saw *the Happy Prince*'s eyes welling up with tears. The Swallow was informed by *the Happy Prince* that he used to reside in a regal palace where sadness was forbidden. He was referred to as *the Happy Prince*. His statue was erected so high that it could witness the entire city's suffering when he passed away. The prince begged the swallow to use the ruby on top of his weapon to assist the impoverished mother. Then, using the priceless sapphire that was *the Happy Prince*'s eye, he assisted the young man in finishing his play for the theater. Subsequently, he bestowed upon the young match girl an additional sapphire from the prince's second eye. upon the swallow's decision to remain in the city with *the Happy Prince* upon his complete blindness. Little Swallow helped a lot of underprivileged and hungry individuals by assiduously following *the Happy Prince*'s instructions. The prince become completely drab and dreary as the small swallow peeled away the gold leaf by leaf. Winter arrived as time went by. The swallow bid *the Happy Prince* farewell and passed away at his feet. The Prince's lead heart cracked. The statue was no longer beautiful or functional, so the avaricious mayor gave the order for people to take it down and melt it. It did not melt the prince's heart. God gave his angel the task of locating the two most valuable items in the city. The swallow and the prince's heart were brought to heaven by the angel (Griswold, 1974, p.36).

3.3. Utopianism in Wild's *The Happy Prince*

A type of social theory known as utopianism presents particular behaviors and ideals in an idealized society or state in an effort to highlight them. The utopian writers did not believe that such states could exist in the idealized form that they portrayed, at least not in the conventional sense. Plato's republic primarily aims to illustrate a fundamental aspect of a notion—that is, justice or freedom—by characterizing it as

expansive in an ideal society. based on such idea. Utopia is a mental theater or a representation of More's imagined world. Put another way, utopia is writing that is inventive and, if we choose to interpret it, contains a lot of plot. Utopia is a narrative, a creative play derived from the writer's unrestricted imagination. Utopia is generally understood to be a place of ideal perfection, particularly in the areas of law, administration, and social situations. It is also described as the location of the ideal point of view. A civilization that is deemed ideal is referred to be a utopia in a wide and comprehensive sense. A good world is referred to be utopian (Evans, 1999, p. 143).

In Oscar Wilde's writings, particularly in the short story, *the happy prince* depicts a relationship that exists between the prince and society in addition to the one between the prince and the swallow. As can be seen from several passages of the novel that the author will analyze, Wilde's work illustrates the condition of utopianism which is divided two streams, namely social utopia and physical utopia. "Social Utopia" will use words to articulate a utopia that aims to address social issues in society without bringing up issues with the built environment or spatial planning (architecture). Social utopists acknowledge that modifications to social structure and norms will cause suffering for people. In his book "Utopia," published in 1516, Sir Thomas More (1478–1535) proposed a solution to end the miseries of society during the start of the "Gilda" period, when people thought society was competitive and classless (Elleman, 1987, p. 39).

In general, everyone aspires to have the perfect social life. This includes those who believe that living in harmony with others and in a decent social environment is worthwhile. However, in actuality, some people's social circumstances still cause them anxiety today. and in this little tale, there is a happy prince who is adored and revered by his people. However, after the prince passed away, his people erected a monument in his memory that they named *The Happy Prince* Statue. When the living statue of the joyful prince discovers that reality differs from his perception—that is, that his people lead tranquil, contented lives—he becomes depressed. This short story features a "statue" of a prince who, although initially pleased to see people in his territory, eventually became unhappy due to the disparate welfare of the populace. "if happiness is equated with pleasure. That remained the same until my passing. And I'm dead now." In order to make everyone feel good, *the Happy Prince* statue narrated a story with a

bird and donated gems, gold, and rubies from its own statue to the people. The statue's goal was for all of his subjects to live in wealth and peace (Howard, 2002, p. 40).

Utopian socialism is a term used to describe the origins of modern socialism. The term "Utopian Socialism" was coined by Karl Marx and later used by other socialist thinkers to describe the intellectual beginnings of socialists who imagined hypothetical futures based on society's egalitarian and communal teachings, without being concerned only with themselves, but also with a procedure by which such a society could be created or fought for. Utopian socialists never really use term to refer to themselves. Karl Marx was the one who first proposed this social ideal, and a number of other intellectuals eventually adopted this view. Karl Marx's ideas demonstrate how social utopia is essentially a vision of the future that educates people to live with prosperity in common rather than simply their individual interests (Cuddon, 1975, p. 67).

In terms of architecture, utopianism is the concept of exquisite cities and buildings. Because the creators of the utopian concept envisioned a brand-new, idealized form of social order in urban areas, their utopian city plan functions as a visual extension of a specific social philosophy. They search for a model city that will provide the ideal environment for achieving social objectives as a result. Every era has seen the emergence of utopian city visions, such as Tommaso Campanella's Civitas Solis, Sir Thomas More's Utopia, and Plato's Republic. Similar ideas first appeared in modern radicals' plans from the nineteenth and twentieth centuries, who aimed to better social life in their cities by transforming them. "Physical Utopia" is a physical approach that, while acknowledging the intricacies of social existence, focuses its utopian formulation on the physical processing of spatial planning. This is portrayed through architectural endeavors that project future life. The physical environment will change and develop, and smart, efficient, and beautiful spatial management will lead to happier, better-organized, healthier, and more prosperous lives for humans. "Walking City," an incredibly efficient metropolis where every department is committed to the well-being of its citizens, is one illustration of a physical paradise (Evans, 1999, p.88).

3.4. Conclusion

Oscar Wilde's "*The Happy Prince*" is a thought-provoking story that explores themes of sacrifice, compassion, and the sharp contrast between the fortunate and the suffering. The story's Utopian character is a representation of an idealistic dreamer who aspires to build a flawless society free from the tragedies and tribulations that befall the rest of the world. The Utopian vision and the reality that *The Happy Prince* and the Swallow characters face are contrasted in the story's ending. Although the Utopian's dreams of an ideal society are admirable, the narrative highlights the difficulties in realizing such a utopia. The Happiness Prince and the Swallow, who directly lessen other people's suffering via their sacrifices, stand in stark contrast to the utopian views of the Utopian. In the end, the conclusion emphasizes the limitations of pure idealism as well as the usefulness of unselfish deeds. The unselfish actions of *The Happy Prince* and the Swallow contrast with the utopian's pursuit of perfection, highlighting the transformational potential of empathy and compassion in directly easing the suffering of others. The story's ending presents a balanced viewpoint on the pursuit of utopian ideals and is a moving reminder of the importance of concrete acts of kindness and the enormous impact of unselfish sacrifice.

The Happy Prince is the figure that Oscar Wilde invented, according to the analysis's findings. It symbolizes the two streams of utopianism represented in the short story: social utopia and physical utopia. demonstrates this through the persona of *The Happy Prince*, who establishes social settings in which social utopianism is desired and developed until the prince is prepared to sacrifice his entire body in order to ensure the welfare of the citizens of his city. In this passage, Oscar Wilde explains utopianism and provides insight into how it might be achieved. The well-being of the entire populace within a single city, nurtured and accomplished by a prince, who also crafts the perfect setting, structures, and architectural details. Based on a sociological analysis of the available data, it may be inferred that Oscar Wilde's short stories, particularly *The Happy Prince*, depict utopianism.

References:

1- Alexander, M. (2000). "*History of English literature", Palgrave Foundation*, New York, USA.

2- Ahmed, W., (2011), *Neoliberal Utopia and Urban Realities in Delhi*, ACME: An International E-Journal for Critical Geographies, 10 (2).

3- Basu, R. L., (2005), *Human development part 2: Ancient kingship, modern politicians and the problem of corruption in India, Culture Mandala: The Bulletin of the Centre for East-West Cultural and Economic Studies*, Vol. 7, Issue- 1, Article 5, Retrieved from - http://epublications.bond.edu.au/cm/vol7/iss1/5

4- Bhattacharya, R., (2000), *Uttarakuru: The (E) Utopia of Ancient India, Annals of the Bhandarkar Oriental Research Institute*, Vol. 81, No. 1/4, Retrieved from– http://www.jstor.org/stable/41694613.

5- Butt, N. R. (2008). "*The selection of short stories and one act plays*", the caravan book house, Pakistan.

6- Baeten, Guy. (2002). *Western Utopianism/ Dystopianism and The Political Mediocrity of Critical Urban Research. Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*. (2002).

7- Bina Olivia, Andy Inch. (2020). *Dan Lavinia Pereira. Beyond Techno Utopia and It's Discontents*: On The Role Of Utopianism And Speculative Fiction In Shaping Alternatives To The Smart City.

8- Berkowitz, Alan J. (2000). *Patterns of Disengagement: the Practice and Portrayal of Reclusion in Early Medieval China*. Stanford: Stanford University Press.

9- Baccolini, Raffaela. (2003). *Introduction. Dark Horizons: Science Fiction and the Dystopian Imagination*, by Raffaela Baccolini and Tom Moylan, Routledge.

10- Claeys, Gregory. (2014). *The Cambridge Companion to Utopian Literature*. Cambridge UP.

11- Crane, Walter. (2015). *The happy prince*, *by Oscar Wilde, Illustrated*. 29 mare.More, Thomas. Libellus vere aureus, nec minus salutaris quam festivus, de optimo reipublicae statu, deque Nova Insula Vtopiae. 1516. CreateSpace.

12- Cuddon, J. (1975). "*The penguin dictionary of literary terms*", Penguin, UK.

13- Claeys, Gregory. (2011). *Searching for Utopia*: The History of an Idea. Thames and Hudson.

14- DAiches, D. (1960). "*A Critical History of English literature*", The Ronald press company, UK.

15- Evans, I. (1974). "*A short history of English literature*", Penguin, UK.

16- Ellamnan, R. (1987). "*Oscar Wilde*", Penguin book, London.

17- Fledisti, Marsela. (2021). *Utopianism in* Wilde's *The Happy Prince*. SoCul: International Journal of Research in Social Cultural Issues. Vol 1.

18- Griswold, Jerome. (1974). "*Sacrifice And Mercy In Wilde's 'The Happy Prince'." Children's Literature: The Great Excluded*. Ed. Butler, Francelia and Bennett A. Brockman. Connecticut: University Of Connecticut Bookstore.

19- Haidt, Jonathan. (2012). *The Righteous Mind: Why Good People Are Divided by Politics and Religion*. New York: Vintage Books.

20- Howard, Sue N. (2002). "*The Happy Prince* (Book)." Library Talk. 15.5.

21- Martin, Robert K. (1979). "*Oscar Wilde and the Fairy Tale: 'The Happy Prince' as Self-Dramatization*." Studies in Short Fiction vol 16.

22- Mutmainnah, G, Putra, M and Gultom, E. (2020). *The Happy Prince*. By Wilde, Oscar. School Library Journal. Vol. 45.

23- Mullik.B.R.(2012). "*A history of English literature*", New kiytab Mehal, Pakistan.

24- Moylan, Tom. (2000). *Scraps of the Untainted Sky: Science Fiction, Utopia, Dystopia*. Westview.

25- Nesse, Randolph M. (2009). "10. *Social Selection and the Origins of Culture*". London.

26- Williams, Raymond. Utopia And Science Fiction. Science Fiction Studies.

27- Onda, M. (2013). "A *study of the happy prince", frontier seminar*. http://onda.frontierseminar.com/eron7.html

28- Potu M, Fivy A. & Imelda L. (2022). *UTOPIANISM IN WILDE'S THE HAPPY PRINCE. SoCul*: International Journal of Research in Social Cultural Issues. Vol. 1, No. 4.

29- Richard, Sosis. (2000). "*Religion and Intragroup Cooperation: Preliminary Results of a Comparative Analysis of Utopian Communities"* (PDF).

30- Sampson, P. (2004). "*A resource book for students*", Routledge Taylor and Francis group, UK.

31- Suvin, Darko. (1976). *Metamorphoses of Science Fiction: On the Poetics and History of a Literary Genre*. Yale UP.

32- Sevcu, Lucie. (2019). *Wilde's Social Criticism of the Victorian Society in The Happy Prince and Other Tales.* Thesis. Masaryk University. Faculty of Education. Department of English Language and Literature.

33- Sturgis, Matthew (2018). *Oscar: A Life*. London: Head of Zeus Ltd.

34- Wu, Haoyi. (2020). *The Writing Art of Wilde's Fairy Tales: the Reshaping of Love and Kindness Under the Cloak of Aestheticism Taking "The Happy Prince" as an Example.* Advances in Social Science, Education and Humanities Research, volume 507.

35- Xiaofei, Tian. (2010). "*From the Eastern Jin through the Early Tang* (317–649)". The Cambridge History of Chinese Literature. Cambridge: Cambridge University Press.

Hematological and Serological changes in Renal Failure Patients at the AL-kadhemia Hospital in Baghdad

التغيرات الدموية والمصلية لدى مرضى الفشل الكلوي في مستشفى الكاظمية ببغداد

Iman Fadhil Abdul-Husin [1,2*], Assad Abbas Khalaf [2,3], Yosif Jwad Jassim [4], Mohammed Ali Abdulhasan[1], Safaa Talib Al-Asadi[2], Sarah Ali Hamza[2], Khansaa Abdul Hussein Ibadi[2], Abeer Jasim Sahib[5]

[1] College of Biotechnology, Al-Qasim Green University, Babylon, Iraq.
[2] College of Nursing, University of Karbala, Karbala, Iraq.
* Corresponding author email: Iman.f@biotech.uoqasim.edu.iq
[2] College of Nursing, University of Kerbala, Kerbala, Iraq.
Email: asaad.abbas@uokerbala.edu.iq
[3] College of Sciences, Department of Medical Physics, University of Warith Al-Anbiyaa, Karbala, Iraq.
Email: Asaad.ab@uowa.edu.iq
[4] Ministry of Agriculture, Agriculture Directorate, Karbala, Iraq.
Email: yosifa143@gmail.com
[1] College of Biotechnology, Al-Qasim Green University, Babylon, Iraq.
Email: mohammedali@biotech.uoqasim.edu.iq
[2] College of Nursing, University of Karbala, Karbala. Iraq.
Email: safaatalibalasadi97@gmail.com
[2] College of Nursing, University of Karbala, Karbala. Iraq.
Email: khansaa.a@uokerbala.edu.iq
[2] College of Nursing, University of Karbala, Karbala. Iraq.
Email: sarah.ali@uokerbala.edu.iq
[5] Al-Amal College for Specialized Medical Sciences, Karbala, Iraq
Email: abeerjasim20@gmail.com

Abstract:

Patients with renal insufficiency may experience two problems: hemodialysis and hemostasis disorders (bleeding diathesis or hypercoagulability). The goal of the study is to identify the most common clinical symptoms in patients and to assess specific blood and serum parameters for patients with renal failure by comparing blood and serum changes in the patients to the healthy group. Based on the outcomes of laboratory and diagnostic testing, this will enable prompt and appropriate therapy.

Information about the patients and their samples was acquired through a questionnaire. Out of the 260 clinical samples in the study, a trained physician only found sixty to be suggestive of

kidney failure. In contrast to male patients (No. 29), whose prevalence was 48.3%, female patients (No. 31) had a slightly higher death rate (51.7%) and a 23.1% infection frequency. The study discovered that there were substantial differences in platelet and white blood cell (WBC) levels between the sick and healthy groups ($P<0.05$ and $P<0.001$, respectively). The levels of creatinine, blood urea, albumin, and phosphate were considerably greater in individuals with renal failure compared to healthy controls ($P<0.001$).

The research discovered that patients with kidney failure had a significantly higher [K] than the healthy group ($P<0.05$). When compared to the healthy group, patients with kidney failure had considerably lower average levels of [Na] and [Cl] ($P<0.05$).

Keywords: Renal Failure, Hematology parameters, Serological Changes, Creatinine, Albumin, Blood Urea.

الملخّص:

قد يعاني مرضى الفشل الكلوي من مشكلتين: غسيل الكلى واضطرابات وقف النزيف (نزيف الدم أو فرط تخثر الدم). والهدف من الدراسة هو تحديد الأعراض السريرية الأكثر شيوعًا لدى المرضى وتقييم معايير الدم والمصل المحددة لمرضى الفشل الكلوي من خلال مقارنة التغيرات في الدم والمصل لدى المرضى بالمجموعة السليمة. وبناءً على نتائج الاختبارات المعملية والتشخيصية، سيُمكّن ذلك من العلاج السريع والمناسب.

تم الحصول على معلومات حول المرضى وعيناتهم من خلال استبيان. من بين ٢٦٠ عينة سريرية في الدراسة، وجد طبيب مدرب ستين عينة فقط تشير إلى الفشل الكلوي. وعلى النقيض من المرضى الذكور (رقم ٢٩)، الذين بلغ معدل انتشارهم ٤٨.٣٪، كان لدى المريضات (رقم ٣١) معدل وفيات أعلى قليلاً (٥١.٧٪) وتكرار إصابة ٢٣.١٪. وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق جوهرية في مستويات الصفائح الدموية وخلايا الدم البيضاء بين المجموعتين المريضة والصحية ($P<0.05$ و $P<0.001$ على التوالي). وكانت مستويات الكرياتينين واليوريا في الدم والألبومين والفوسفات أعلى بكثير لدى الأفراد المصابين بالفشل الكلوي مقارنة بالضوابط الصحية ($P<0.001$).

واكتشف البحث أن مرضى الفشل الكلوي لديهم [K] أعلى بكثير من المجموعة الصحية ($P<0.05$) . وعند مقارنتهم بالمجموعة الصحية، كان لدى مرضى الفشل الكلوي متوسط مستويات أقل بكثير من [Na] و[Cl] ($P<0.05$).

الكلمات المفتاحية: الفشل الكلوي، معايير الدم، التغيرات المصلية، الكرياتينين، الألبومين، اليوريا في الدم.

Introduction:

The inability of the kidneys to gather and absorb blood-derived metabolic nutrients, preserve the pH stability and electrolyte balance of extra cellular fluids, is known as renal failure (1). Kidney diseases are major causes of death and disability in many countries worldwide. (2, 3).

Toxic chemicals, endocrine system disorders like diabetes and cancer, infections, and autoimmune diseases are the main causes of renal failure. (4) in addition to One of the main causes of death for people with high blood pressure is kidney failure. (5) The rapid reduction in renal function that causes blood nitrogen waste levels to rise and fluid and electrolyte balance to drop is known as acute renal failure. (6). Acute or chronic conditions may be the cause of renal failure. (7). The most accurate public predictor of acute renal failure is azotemia. It is the blood's buildup of nitrogen waste. (8). Kidney disease is linked to variations in hematological and biochemical markers. (9). Renal erythropoietin secretion is the main cause of anemia, which is correlated with the severity of kidney failure (10,11,12,13). Most impacted are the erythrocyte indices (14, 15). That is because the juxtaglomerular apparatus produces the majority of erythropoietin, with the liver and other organs producing the remaining 10%. (16,13). Apart from decreased erythropoietin, deficiencies in vitamin B 12, iron, and follicular acid, resulting from malnourishment, hemorrhage, or reduced erythrocyte life, may also lead to improvements in the Red Blood Cell (RBC) index (14,17). Al-Kadhimiya Hospital in Baghdad's renal failure patients are the subject of this study, which attempts to assess hematological and serum indicators.

Material and methods:

Patients:

The sixty patients diagnosed with renal failure disease by a specialist physician who brought them to Al-Kadhimiya Teaching Hospital in the Baghdad Governorate, Iraq, were the subjects of this study. The research was conducted between December 2022 and April 2023. Using the study, it was possible to compare the hematological and serological alterations in the patients with the 200 clinical samples from the health group at that time.

Samples gathered: Every patient enrolled in the study had two out of every five milliliters of venous blood drawn, as per equation (18) to measure the total number of red blood cells, PCV, hemoglobin concentration, total white blood cell count, PLT count, and blood urea; the remaining blood, or three milliliters, for serology test according to (19). The Cobas Integra 400 Plus-Germany auto-analyzer was used to measure these tests. The majority of clinical centrifuges are capable of processing aspiration tubes containing collective blood. After that, the tubes are sent to the Diasys diagnostic systems, an automatic compact POCT analyzer with a true throughput of 200 tests per hour. This analyzer is designed for use in daily

practice and provides results with quality comparable to that of laboratory analyzers.

Ethical Approval: Awaiting approval from the scientific committee of the Kadhemia Hospital in Baghdad, while outlining the goals and procedures to all participants in order to obtain their verbal consent.

Analysis of Statistics:

By using SPSS version (24); analysis was complete,and via Kolmogorov-Smirnov & Shapiro--Wilk tests; the normality of data division was tested as well as to define the correlation between data variance spearman correlation was used. P ≤0.05 consider as significant value (20).

Results & Discussions:

Kidney failure patients divisions concerning sex.

As shown in figure (1), the percentage of disease was (29%) & (31%) in the male and female, respectively.

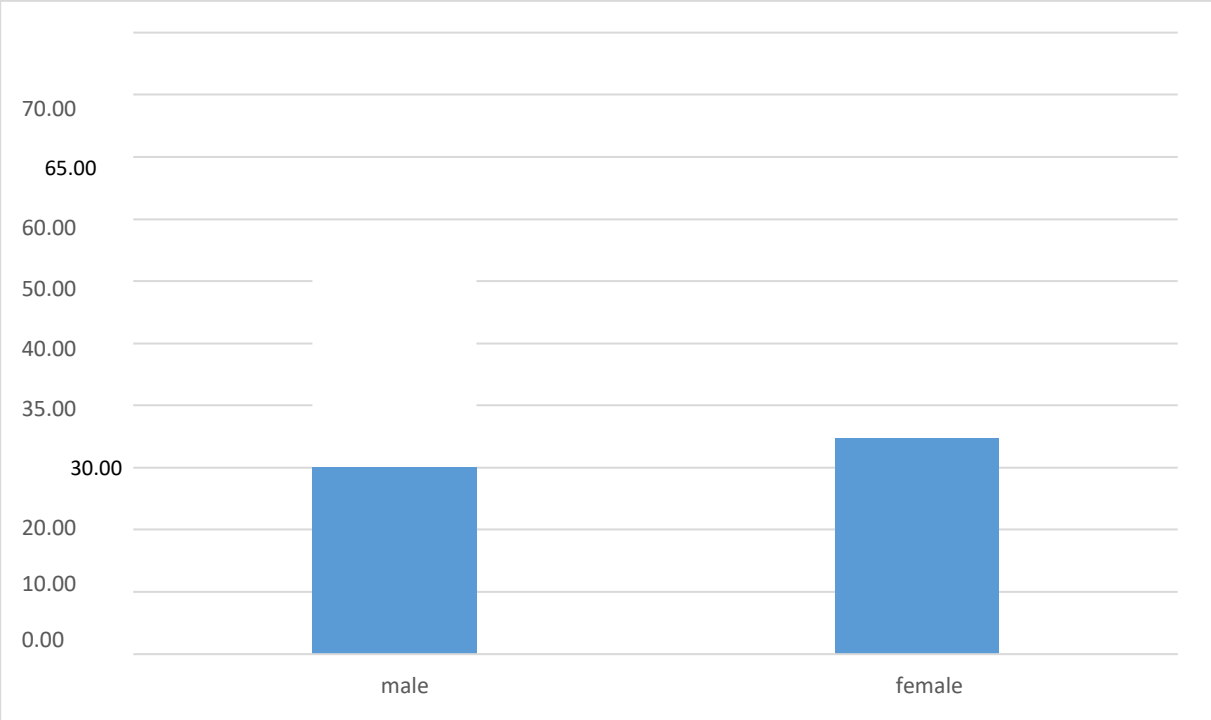


Fig (1): Kidney failure patients groups percentage according sex

Patients and health group measurements:

Hematological measurement

Its such important to measure hematological measurement in order to follow up & getting effective treatments; According analysis of statics (P≤0.05),

decrement was significant in patients in RBCs mean; Hb & Pcv levels compared to the healthy group.

Additionally, table 1 indicates that PLT was significantly higher (P≤0.05) in renal failure patients when compared to the healthy group. However, as compared to their corresponding healthy group, in these patients' (23 specimen); the WBC counts have increased significantly (P≤0.001).

Table 1. Hematological measurements in healthy and patient sets

Groups Parameter	Means ± S.D	
	Normal healthy(n=200)	**Renal failure patients (n=60)**
(RBC)(10^{12}/l)	1.45 ± 0.55	1.125 ± 0.55
(Hb)(g/dl)	4.03 ± 1.24	2.79 ± 0.61*
(PCV) (%)	12.60 ± 3.78	7.70 ± 0.61*
(PLT)(10^9/l)	66.84 ± 79.45	73.30 ± 9.66*
(WBC)(10^9/l)	1.98 ± 1.50	5.90 ± 1.90**

* P values < 0.05 indicate a significant difference between the renal failure and healthy groups. P values (**) (P<0.01)

Renal function test (RFT):

Renal function test reveal exceedingly significant increasement conserving creatinine levels & urea in blood of kidney failure patients as those within healthy set (P<0.001).

Table 2: RFT results in kidney failure & healthy sets.

Sets / **Parameter**	**Means± S.D**	
	Normal healthy (n=200)	Renal failure n=60
("S.Creatinine") μmol/L	23.83 ± 13.87	24.45 ± 22.31**
("S.Urea") mmol	1.40 ± 0.32	26.56 ± 6.27**

**' "P values "< 0.01: extremely significant difference in renal failure set

Serology (Electrolyte) factors:

The statistical analysis revealed that the mean of Na and Cl in patients with renal failure was significantly lower (P≤0.05) than in the healthy group. Additionally, a substantial rise (P≤0.05) in "K concentration " in patients compare to healthy set. Furthermore, a significant increase in albumin and phosphate levels (P≤0.001) is shown by the data in patients with renal failure.

Na, Cl and K albumin & phosphate levels in sick and healthy individuals are shown in Table [3].

Groups Factors	Means ± S.D	
	Healthy individuals "n=200"	Renal failure "n=60"
"K" mEq/L	0.95 ± 1.1	1.19 ± 1.40*
"Na" mEq/L	39.80 ± 1.1	28.67 ± 6.39*
"Cl" mEq/L	28.55 ± 2.11	21.44 ± 4.14*
"Albumin "g/dL	1.35 ± 0.97	4.60 ± 1.32**
"Phosphate"mg/dL	1.09 ± 1.3	1.81 ± 1.60**

(*) P-values ≤ 0.05: Significant variation between groups

(**) P-values ≤ 0.01 indicate a highly significant variation

Discussion:

Hematocrit and hemoglobin levels in individuals suffering from renal failure

The study's findings demonstrated a substantial (p≤0.05) drop in PCV and Hb levels as compared to the healthy group. Anemia is seen as a common complication in patients with renal failure; Tangri et al.'s 2016 study supports this finding (21).

Anemia in these people is also a result of iron shortage. A shortage in iron, which is necessary for the synthesis of hemoglobin, can result from a drop in ferritin, a protein that stores iron, as well as from dietary restrictions and a decline in iron absorption. Numerous investigations have supported this theory (22-23).

Count of Red blood cell in patients with Chronic Kidney disease

The RBC count data in this investigation showed a substantial decrement (p≤0.05) compared to the health set; the Dorgalaleh study corroborated our findings (23)

The primary cause of a decreased red blood cell count is a decrease in the kidney's erythropoietin synthesis, which results in erythropoiesis suppression

(24). Additionally, a short "RBCs" life span cause a decrease in RBC count. Uremia lead also small life spans in red blood cells by increasing the expression of phosphatidylserine on their external surface, which increases damage from macrophages and decreases the number of cells that survive (25).

Additional research revealed that hemolytic factors, which are toxic substances that the kidneys ordinarily metabolize or remove, such as guanidine and its derivatives, are the source of RBC reduction and have a detrimental influence on red blood cell survival (26).

White blood cell counts in patients suffering from renal failure

The total white blood cell count (WBC) in the group of patients with renal failure increased significantly ($P \leq 0.001$) compared to the normal group. These findings are consistent with those of another study (27) which reported that WBC counts were elevated in patients with renal failure and that dialysis further increased WBC counts. This may be explained by pro-inflammatory cytokines such as tumor necrosis factor-α (TNF-α) and interleukin-6, which are overexpressed in the blood and contribute to the chronic inflammation associated with uremic states.

"PLT" counts in renal failure individual

"PLTs" tend to rise in our investigation; while a study by (28) that evaluated the platelet counts before and after dialysis sessions. They discovered that following Hemodialysis sessions (HD), the platelet count increased dramatically and that the length of the Hemodialysis sessions (HD) did not affect the platelet count. The decline in hematological parameters during the Hemodialysis sessions (HD) session may result from the supine position and succeeding hemo-dilution produced by water re-distribution in the extra-to intravascular area, rather than solely from the HD process. (29)

Biochemical markers in individuals suffering from renal failure.

The patient group's concentration of urea and creatinine.

According to this study, the levels of urea and serum creatinine in individuals with renal failure were substantially higher ($p \leq 0.01$) than in the healthy group. The other research concurred with these findings (30).

According to Pandya *et al*. (2016), blood urea and serum creatinine are two vital substances that the kidneys remove from the body. It was also revealed that urea was the first organic solvent found in the blood of individuals with renal

failure. If the kidneys are unable to eliminate nitrogenous waste products from the blood, they will build up in chronic renal disease and cause elevated levels of urea and creatinine (31). Additionally, an increase in protein consumption, shock, gastrointestinal hemorrhage, etc., is the cause of the rise in blood urea and serum creatinine levels (32).

Blood urea is thought to be a sensitive biomarker of renal disease because it is high when renal functions decrease to between 25 and 50 percent (33). However, Moses and Johnkennedy (2013) found that kidney impairment causes a minor increase in creatinine levels, which in turn causes a decline in GFR because of kidney inflammation. Additionally, creatinine was utilized to assess renal impairment and the advancement of renal failure (34).

Electrolyte values in individuals with kidney failure.

Our study found statistically significant ($p \leq 0.01$) increases in potassium and phosphate in the sick group as compared to the healthy group. The kidneys' functions include controlling bodily fluids, electrolytes, and the acid-base balance. Chronic kidney disease is known to cause a number of abnormalities, such as metabolic acidosis, hyperphosphatemia, and hyperkalemia, which can result in major consequences like bone-mineral disorders, vascular calcification, and muscle atrophy (35). Hyperkalemia is a prevalent and potentially fatal electrolyte imbalance in renal failure (36). It becomes extremely common as renal failure Additionally, it has been discovered that patients have elevated intestinal and intracellular potassium translocation, leading to excessive extra-renal potassium excretion (37).

The results of this study show that there are statistically significant ($p \leq 0.05$) differences in [Na] and [Cl] declines between the sick and healthy groups. These findings corroborate another study (38), which found that individuals with renal failure had an increased risk of hyponatremia due to their impaired capacity to concentrate or dilute urine. Furthermore, multi-drug medicines and restricted dietary consumption are prevalent and can contribute to salt imbalances. The main cause of hyponatremia in dialysis patients is either excessive water intake or hypotonic fluid intake (39).

Conclusions:

Hemodialysis and hemostasis disorders are just two of the issues that patients with renal failure may face. In advanced stage of Chronic Kidney Disease; the problems in lipid metabolism lead to reduced AST (aspartate transaminase (AST))

and ALT (alanine transaminase; aka alanine aminotransferase (ALT)) levels. Therefore, it is recommended that individuals with CKD (Chronic Kidney Disease) obtain therapy for anemia and liver disorders in order to avoid associated complications. An early kidney transplant is required for them in order to avoid further complications.

References:

1- Obeagu, E. I., Obeagu, G. U., & Amilo, G. I. (2018). Haematological changes in patients of chronic kidney disease in Umuahia, Abia State, Nigeria. *Curr Trends Biomed Eng Biosci*, *11*, 34-7.

2- Draczevski, L., & Teixeira, M. L. (2011). Avaliação do perfil bioquímico e parâmetros hematológicos em pacientes submetidos à hemodiálise. *Saúde e Pesquisa*, *4*(1).

3- Verma, M., Khadapkar, R., Sahu, P. S., & Das, B. R. (2006). Comparing age-wise reference intervals for serum creatinine concentration in a "Reality check" of the recommended cut-off. *Indian Journal of Clinical Biochemistry*, *21*, 90-94.

4- Kamal, A. (2014). Estimation of blood urea (BUN) and serum creatinine level in patients of renal disorder. *Indian J Fundam Appl Life Sci*, *4*(4), 199-202.

5- Chielle, E. O., Rigon, K. A., Arcari, I. A., Stein, V., & Santos, G. A. D. (2015). Influence of hemodialysis on the plasma concentration of adenosine deaminase in patients with chronic kidney disease. *Jornal brasileiro de patologia e medicina laboratorial*, *51*, 153-157.

6- Aldulaimy, N. E. H., & Ali, A. J. H. (2018). Assessment the immune response in patients with renal failure. *International Journal of Pharmaceutical Research*, *10*(4).

7- Khan, M. N., & Elderdery, A. (2018). Alterations of hematological parameters, hemoglobin and hematocrit with liver enzymes, aspartate transaminase and alanine transaminase among patients with chronic kidney disease undergoing hemodialysis in Aljouf Region, Saudi Arabia. *Journal of Hematology*, *7*(1), 1.

8- Winterberg, P. D., & Ford, M. L. (2017). The effect of chronic kidney disease on T cell all immunity. *Current opinion in organ transplantation*, *22*(1), 22.

9- Obeagu EI, Obeagu GU (2016) Correlation of erythropoietin and haematocrit levels in the anaemias of chronic kidney diseases: A study in federal medical centre, Umuahia, Nigeria. International Journal of Medicine Research 1(2): 139-144.

10- Sette LH, Almeida Lopes EP. Liver enzymes serum levels in patients with chronic kidney disease on hemodialysis: a comprehensive review. Clinics (Sao Paulo) 2014;69(4):271–278. doi: 10.6061/clinics/2014(04)09.

11-Kuźmiuk-Glembin, I., Storoniak, H., Dębska-Ślizień, A., & Witkowski, J. M. (2020). The influence of a single hemodialysis procedure on human T lymphocytes.

12- Péterle, V. B., Souza, J. D. O., Busato, F. D. O., Eutrópio, F. J., da Costa, G. D. A., Olivieri, D. N., & Tadokoro, C. E. (2018). Clinical and hematological data to group different chronic kidney disease patients: A practical approach to establish different groups of patients. *Journal of clinical laboratory analysis*, *32*(5), e22377.

13- Pahl, M. V., & Vaziri, N. D. (2020). Immune function in chronic kidney disease. In Chronic renal disease (pp. 503-519). Academic Press.

14- OB, L., Elwerfally, H. H., Sheriff, D. S., & Younis, M. Y. G. Haematological Changes in Predialyzed and Hemodialyzed Chronic Kidney Disease patients in Libya.
15- Iyawe, I. O., & Adejumo, O. A. (2018). Hematological profile of predialysis chronic kidney disease patients in a tertiary hospital in Southern Nigeria. *Journal of Medicine in the Tropics*, *20*(1), 36-41.
16- Habib, A., Ahmad, R., & Rehman, S. (2017). Hematological changes in patients of chronic renal failure and the effect of hemodialysis on these parameters. *Int J Res Med Sci*, *5*(11), 4998-5003.
17- Gautam, R. (2018). Hematological Changes in Pre and Post Hemodialysis in Patients With Chronic Renal Failure (Doctoral dissertation, BLDE (Deemed to be University)).18-Amitava Dasgupta; Jorge L. Sepulveda (20 July 2019). Accurate Results in the Clinical Laboratory: A Guide to Error Detection and Correction. Elsevier Science. p. 131. ISBN 978-0-12-813777-2
18- Sepulveda, J. L. (2019). Challenges in routine clinical chemistry analysis: proteins and enzymes. In Accurate results in the clinical laboratory (pp. 141-163). Elsevier.
19- Guide to Child-Friendly Blood Collection-published October 2010, version 2 – SickKids the Hospital for SICK CHILDREN.
20- Al-Aaraji, A., Al-Qaysi, S. and Baay, A. (2019). "Role of periostin in Iraqi asthmatic patients," *Medical Journal of Babylon*, vol. 16, no. 3, p. 256.
21-Tangri N., Grams M.E., and Levey A.S. (2016). CKD Prognosis Consortium. Multinational assessment of accuracy of equations for predicting risk of kidney failure: a meta-analysis [published correction appears in *JAMA*;315(2):164-174.
22- Gafter-Gvili A, Schechter A, Rozen-Zvi B. Iron Deficiency Anemia in Chronic Kidney Disease. Acta Haematol. 2019;142(1):44-50. doi: 10.1159/000496492. Epub 2019 Apr 10. PMID: 30970355.
23- Wish J.B., *et al*. (2021). Iron Deficiency in CKD Without Concomitant Anemia. Kidney Int. Rep. 2021; 6: 2752–2762.
24- Hamza E, Metzinger L, Metzinger-Le Meuth V. (2020). Uremic Toxins Affect Erythropoiesis during the Course of Chronic Kidney Disease: A Review. Cells. 6;9(9):2039. doi: 10.3390/cells9092039.
25- McMurray J.J., Parfrey P.S., Adamson J.W., Aljama P., Berns J.S., Bohlius J., Drüeke T.B., Finkelstein F.O., Fishbane S., Ganz T., (2012). Kidney Disease: Improving Global Outcomes (KDIGO) Anemia Work Group. KDIGO Clinical Practice Guideline for Anemia in Chronic Kidney Disease. Kidney Int. Supp. 2012:64.
26- Jalal DI, Chonchol M, Targher G. Disorders of hemostasis associated with chronic kidney disease. Semin Thromb Hemost. 2010;36(1):34–40.
27- Gameiro J. and Lopes J.A. (2019). Complete blood count in acute kidney injury prediction:a narrative review. Ann Intensive Care.6;9(1):87. doi: 10.1186/s13613-019-0561-4.
28- Li Z., Yang F., Dunn S., Gross A.K. and Smyth S.S. (2011). Platelets as immune mediators: their role in host defense responses and sepsis. *Thromb Res.* 2011; 127: 184–188.
29- Duayer I.F., Araújo M.J.C.L.N., Nihei C.H., Barcelos M.A.F., Braga O., Britto Z.M.L., Elias R.M. (2022). Dialysis-related thrombocytopenia: a case report. J Bras Nefrol; 44(1): 116-120.

30- Chen S. and Chiaramonte,R. (2019). “Estimating creatinine clearance in the nonsteady state: The determination and role of the true average creatinine concentration,” *Kidney Med.*, vol. 1, no. 4, pp. 207–216.
31- Pandya D., Nagrajappa A.K., Ravi K.S. (2016). Assessment and Correlation of Urea and Creatinine Levels in Saliva and Serum of Patients with Chronic Kidney Disease, Diabetes and Hypertension- A Research Study. J Clin Diagn Res.10(10): 58-62.
32- Zia Ziabari S.M., Rimaz S., Shafaghi A., Shakiba M., Pourkazemi Z., Karimzadeh E., and Amoukhteh M. (2019). Blood Urea Nitrogen to Creatinine ratio in Differentiation of Upper and Lower Gastrointestinal Bleedings; a Diagnostic Accuracy Study. Arch Acad Emerg Med. 2; 7(1): e30.
33-Amin, N., Mahmood, R. T. and Asad M.J. (2014). “Evaluating urea and creatinine levels in chronic renal failure pre and post dialysis: a prospective study,” *J. Cardiovasc. Dis.*, 2,(2); 1–4.
34- . Moses O. and Johnkennedy N. (2013). The Alteration of Serum Glucose Urea and Creatinine Level of Malaria Patients in Obowo Local Government Area of Imo State Nigeria. International Journal of Advanced Medicin; 1: 1-6.
35-Sarafidis P. A, Blacklock R., Wood E., Rumjon A., Simmonds S., Fletcher-Rogers J. and Vinen K. (2012). Clinical Journal of the American Society of Nephrology
36- Chang A.R. (2016).: Antihypertensive medications and the prevalence of hyperkalemia in a large health system. Hypertension; 67:1181-1188.
37- Berl T. (2008). Impact of solute intake on urine flow and water excretion. J Am Soc Nephrol; 19:1076–1078.
38- Bauer, Daniel M.; Ernst, Dennis; Willeford, Susan; Gambino, Raymond. (2006). Investigating Elevated Potassium Values. MLO, Pp 24-26.
39- Zhang, R., Wang, S., Zhang, M., & Cui, L. (2017). Hyponatremia in patients with chronic kidney disease. Hemodialysis International, 21(1), 3-10.

سورة القمر – دراسة بلاغية

Surah Al-Qamar - A Rhetorical Study

م. م. رنا محمود عبوش عمر*

Rana Mahmood Aboosh Omar*

الملخّص:

للدرس البلاغي وظيفة مهمة في الكشف عن مواطن الجمال في كلام العرب، وقد هدف هذا البحث إلى الكشف عنها فتناول (سورة القمر) وما فيها من فنون بلاغية في المعاني والبيان والبديع. وقد قُسّم البحث على ثلاثة مباحث، الأول: تناول فنون البلاغة في علم المعاني التي وردت في السورة والمبحث الثاني تمّ تخصيصه لعلم البيان وتناول دراسة التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والعقلي، ثم تناول المبحث الثالث الفنون البديعية في السورة ... ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث هو تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وهو من أهم التفاسير البلاغية وأيسرها في الكشف عن الفنون البلاغية في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الخبر، الإنشاء، أسلوب الفصل والوصل، القصر، الاحتباك.

Abstract:

The rhetorical study has a vital role in revealing the aesthetics in the speech of Arabs. This research aimed to reveal it, so it addressed (Surat Al-Qamar) and the rhetorical arts it contains in terms of meanings, rhetoric, and aesthetics. The research was divided into three sections. The first section addressed the rhetorical arts in the science of meanings mentioned in the Surah. The second section was devoted the discussion point to the science of rhetoric and dealt with the study of simile, metaphor, and verbal and rational metaphor. Then, the third section addressed the rhetorical arts in the Surah... One of the sources and references in this research is the interpretation of Tahreer wa al-Tanweer by Al-Tahir bin Ashoor, which can be regarded as one of the most important, rhetorical, and easiest books of interpretations to detect the rhetorical arts in the Holy Qur'an.

Keywords: Predicate, Composition, Separation and Connection Method, Shortening, Textual Coherence.

* ثانوية زها حديد للمتفوقات/ نينوى – العراق.

Email: ranaaldbaag@gmail.com

* Zuha Hadeed Secondary School for the Outstanding / Nineveh - Iraq.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الغرِّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ....

إن الوظيفة التي يؤديها الدرس البلاغي في الكشف عن مواطن الجمال في كلام العرب جعلني اتجه نحو البلاغة لتكون غايتي في البحث؛ لأنَّ كلام الله سبحانه وتعالى (القرآن الكريم) أعلى مراتب الكلام العربي وقمة الجمال اللغوي وأعلى منازل الإعجاز رأيت من الشرف لي أنْ أجعل جزءاً من كلام الله سبحانه وتعالى عينة لبحثي، وقد أخترت سورة القمر للكشف عمَّا فيها من فنون بلاغية في المعاني والبيان والبديع .

وتماشياً مع التقسيم البلاغي المعروف عن علماء البلاغة العرب رأيت أن أقسم البحث على ثلاثة مباحث المبحث الأول تناولت فيه الفنون البلاغية في علم المعاني التي وردت في السورة : منها الخبر، الإنشاء وأساليبه، والوصل والفصل والقصر والإيجاز والإطناب، أما المبحث الثاني فقد خصصته لعلم البيان وتناولت فيه دراسة التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز المرسل والعقلي، ثمَّ تناول المبحث الثالث الفنون البديعية في السورة وقد تناولنا منها الطباق والمقابلة والجناس وغير ذلك.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها في البحث هو تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وهو أهم التفاسير البلاغية وأيسرها في الكشف عن الفنون البلاغية في القرآن الكريم.

ولله الحمد في الأول والآخر، فإن أصبنا فله الحمد والمنة وإن جانبنا الصواب فحسبنا أننا حاولنا.

التمهيد:

سبب النزول:

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه السورة أن أهل مكة سألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن آية فانشق القمر بمكة نزلت [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ] إلى قوله [سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ]. وقد ذكر الواحدي في أسباب النزول بمسنده إلى عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال انشق القمر على عهد محمد (صلى الله

عليه وسلم) فقالت قريش هذا سحر بن أبي كبشة سحركم فسأل السفار فقالوا نعم قد رأينا فانزل عز وجل [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ]. وكان نزولها في سنة خمسة قبل الهجرة [١].

وابتدأت السورة بذكر تلك المعجزة الكونية (انشقاق القمر) التي هي إحدى المعجزات العديدة لسيد البشر (صلى الله عليه وسلم) وذلك حين طلب المشركون منه معجزة جلية تدل على صدقه وخصصوا بالذكر أن يشق لهم القمر ليشهدوا له بالرسالة[٢].

اسم السورة:

اسمها بين السلف سورة (اقتربت الساعة) كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ بـ (ق)، و(اقتربت الساعة) في الفجر والأضحى، وبهذا الاسم عنونها البخاري في كتاب التفسير وتسمى سورة القمر وبذلك ترجمها الترمذي وتسمى سورة (اقتربت) حكاية لأول كلمة فيها[٣].

وجاء في تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور أنها من شعب الإيمان وان (اقتربت) تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه [٤].

عدد آياتها وهل هي مكية أم مدنية :

هي سورة عظيمة من السور المكية آياتها خمسة وخمسون نزلت بعد سورة (الطارق) [٥].

وهي مكية كلها عند الجمهور إلا قوله تعالى [أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ] إلى قوله [وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ] نزلت يوم بدر ولعل ذلك لان النبي (صلى الله عليه وسلم) تلا هذه الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦ يوم بدر[٦].

وهي مكية بنزولها إعلان بانشقاق القمر آية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٧].

وهي مكية إلا الآية خمسة وأربعون (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فهي مدنية، وعدد آياتها خمسة وخمسون آية كما ورد في تفسير الجلالين [٨].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور : ١٦٥/٢٧-١٦٦.
(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ٣٧/١٧.
(٣) التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٧.
(٤) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي: ٦٦٩/٧.
(٥) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: ٣٣٠.
(٦) التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٧.
(٧) الكشاف – الزمخشري: ١٠٦٤.
(٨) تفسير الجلالين – جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي: / ٢٧.

موضوعات السورة:

السورة عالجت أصول العقيدة الإسلامية وهي من بدايتها إلى نهايتها حملة عنيفة مفزعة على المكذبين بآيات القرآن وطابعها التهديد والوعيد والاعذار والإنذار مع صور شتى من مشاهد العذاب والدمار[١] .

ومحتويات السورة الموضوعية واردة في صور مكية شتى فهي مشهد من مشاهد القيامة في المطلع، ومشهد من هذه المشاهد في الختام. وبينهما عرض سريع لمصارع قوم نوح، عاد، ثمود، وقوم لوط وفرعون وملئه، وكلها موضوعات تسخر بها السور المكية في صور شتى. وفي أخرها يطل المشهد الأخير فإذا هو جو أخر ذو ظلال أخرى هي الأمن والطمأنينة والسكينة انه مشهد المتقين. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)] [٢].

المبحث الأول:

علـم المعانـــي:

عرف السكاكي علم المعاني: (بأنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيرها بالوقوف عليها عند الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقضى الحال ذكره)[٣].

وعرف أحمد مطلوب علم المعاني: بأنه من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجمل وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف أو تعريف وتنكير أو قصر أو فصل ووصل أو إيجاز أو إطناب. قال السيرافي معاني النحو من قسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن هذا النعت فانه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردوداً لخروجه عن القوم الجارية على نظريتهم [٤].

وكان لمسألة إعجاز القرآن أثر في بلورة فكرة النظم وقد ذهب قوم من المتكلمين أن وجه الإعجاز هو ما اشتمل عليه القرآن من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعة ومقاطعة وفواصله، ذهب جماعة منهم إلى أن وجه الإعجاز في موضوع الآخرين: النظم، في أعلى الدرجات البلاغية [٥].

(١) صفوة التفاسير : ٣٧/١٧.
(٢) في ظلال القرآن سيد قطب: ٣٤٢٤/٦ - ٣٤٢٥.
(٣) مفتاح العلوم، السكالي: ٧٧.
(٤) أساليب بلاغية، احمد مطلوب: ٦٩.
(٥) المصدر نفسه: ٦٩.

الخبـر:

(هو الكلام المحتمل للصدق والكذب ولكن متى نعد الخبر صادقاً أو غير صادق فقد ذهب الأكثرون من الجمهور إلى أن الخبر يكون صادقاً إذا طابق الوقع ويكون كاذباً إذا لم يكن كذلك.

أما مذهب النظام فقد خالف الجمهور وذهب إلى أن الصدق ما وافق الاعتقاد (اعتقاد المتكلم). والكذب ما خالف الاعتقاد فالمعمول في الصدق والكذب ليس على الواقع. كما ذهب الجمهور وإنما على اعتقاد المتكلم[١].

أضرب الخبر في سورة القمر : للخبر ثلاثة اضرب:

<u>الخبر الابتدائي</u> : هو الخبر الذي يكون خالي من المؤكدات لان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تتضمنه [٢].

وقد ورد الخبر الابتدائي في سورة القمر في قوله تعالى :

وقد ورد الخبر الابتدائي في سورة القمر في قوله تعالى :

١- [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)] وهو خبر مشهور كما جاء في الصحيح رواه جمع من الصحابة وقالوا: سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آية الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشقه ومضى [٣].

٢- وقوله تعالى في الآية [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)] وهذا قولهم كلما رأوا آية ولما كانت الآيات متوالية ومتواصلة قالوا انه سحر مستمر لا ينقطع معرضين عن طبيعة تدبر الآيات وحقيقتها[٤] .

٣- وقوله تعالى [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)] .(كذبوا) النبي (صلى الله عليه وسلم). (واتبعوا أهوائهم) في الباطل (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) بأهله في الجنة أو النار[٥] .

٤- وقوله تعالى [حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ(٥)]، أي هذا القرآن حكمته بالغة، بلغت النهاية في الهداية والبيان (فما تغن النذر) أي أيَّ شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على سمعه وقلبه[٦].

٥- وقوله تعالى [خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ]، جزء من الآية (٧) (خشعاً أبصارهم) أي ذليلة أبصارهم لا يستطيعون رفعها من شدة الهول، (يخرجون من الأجداث) أي يخرجون من القبور[٧].

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ١، فضل حسن عباس: ٦٢-٦٣.
(٢) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٠٧ .
(٣) التفسير الكبير الرازي: ٢٨٨/١٠.
(٤) في ظلال القرآن: ١٧٤/٦ .
(٥) تفسير الجلالين : ٢٧ .
(٦) صفوة التفاسير: ٣٩/١٧ .
(٧) المصدر نفسه: ٣٩/١٧-٤٠ .

٦- وفي قوله تعالى [مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ(٨)] (مهطعين إلى الداع) مسرحين مادي أعناقهم إليه، أو ناظرين إليه [يقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٧)] صعب[١].

٧- وقوله تعالى [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩)] (كذبت قبلهم قوم نوح) ذكر جملاً من وقائع الأمم الماضية تأنيساً للنبي (صلى الله عليه وسلم) وتعزيه له. (قبلهم) أي قبل قومك. (كذبوا عبدنا) يعني نوحاً (وقالوا مجنون) أي هو مجنون (وازدجر) أي زجر عن دعوة النبوة بالسب والوعيد بالقتل[٢].

٨- وقوله تعالى [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)] أي فأرسلنا المطر من السماء منصباً بقوة وغزارة [٣].

٩- وقوله تعالى [وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا] جزء من الآية (١٢) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة واصله فجرنا عيون الأرض [٤].

١٠- وقوله تعالى [وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)] (وحملناه) نوحاً (على) سفينة (ذات ألواح ودسر) وهو ما تشد به الألواح من المسامير [٥].

١١- وقوله تعالى [تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)]، أي تسير على وجه الماء بحفظنا وكلائتنا وتحت رعايتنا. (جزاء لمن كان كفر) أي أغرقنا قوم نوح انتصاراً لعبدنا نوح لأنه كان قد كذب وجحد [٦].

١٢- وقوله تعالى [فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩)] (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها أو فتعاطى السف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف [٧].

١٣- وقوله تعالى [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣)] اخبر عن قوم لوط أيضاً لما كذبوا لوطاً[٨].

١٤- وقوله تعالى [نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥)] (نعمة من عندنا) أي إنعاماً منا عليهم نجيناهم من العذاب (كذلك نجزي من شكر) أي مثل ذلك الجزاء الكريم، نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة[٩].

(١) تفسير البيضاوي: ٢٦٥/٥ .
(٢) تفسير القرطبي: ١١٦/١٧ .
(٣) صفوة التفاسير: ٤٠/١٧ .
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٦٥/٥ .
(٥) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٦) صفوة التفاسير: ٤١/١٧ .
(٧) تفسير البيضاوي: ٢٦٨/٥ .
(٨) تفسير القرطبي: ١٢٥/١٧ .
(٩) صفوة التفاسير: ٤٤/١٧ .

١٥- وقوله تعالى [كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)] (كذبوا بآياتنا كلها) أي كذبوا بالمعجزات التسع التي أعطيها موسى. (فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر) أي فانتقمنا منهم بإغراقهم في البحر، وأخذناهم بالعذاب اخذ اله غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء [١].

١٦- وقوله تعالى [بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)] (بل الساعة موعدهم) بالعذاب (والساعة) عذابها (أدهى) أعظم بلية (وأمر) اشد مرارة من عذاب الدنيا[٢].

١٧- وقوله تعالى [يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) جزء من الآية (٤٨) (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي يوم يجرون في النار على وجوههم عقاباً وإذلالاً لهم[٣].

١٨- وقوله تعالى [وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢)] إشارة إلى أن الأمر غير مقتصر على إهلاكهم بل الإهلاك هو العاجل والعذاب الأجل الذي هو معد لهم على ما فعلوه مكتوب عليهم والزبر هي كتب الكتبه الذين قال تعالى فيهم: [كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١)] (الانفطار٩-١١) و: (فعلوه) صفة شيء [٤].

١٩- وجاء في قوله تعالى [وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)] (وكل صغير وكبير) من الذنب أو العمل (مستطر) مكتوب في اللوح المحفوظ[٥].

٢٠- وجاء في قوله تعالى [فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)] (في مقعد صدق) أي في مكان مرضي ومقام حسن (عند مليك مقتدر) أي عند رب عظيم جليل، قادر في ملكه وسلطانه، لا يعجزه شيء وهو الله رب العالمين[٦].

<u>الخبر الطلبي</u>: هو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته وهو يؤكد بإحدى أدوات التأكيد[٧].

والأدوات التي يؤكد بها الخبر كثيرة منها إن ولام الابتداء وإما الشرطية والسين وقد، وضمير الفصل، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة، وأحرف التشبيه [٨] .

وقد ورد الخبر الطلبي في سورة القمر في الآيات الآتية :

١- جاء في قوله تعالى [فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] جزء من الآية (١٢)، (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله تعالى في الأزل من غير تفاوت، أو على حال

(١) صفوة التفاسير: ٤٢/١٧ .
(٢) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٣) صفوة التفاسير: ٤٥/١٧ .
(٤) التفسير الكبير: ٣٣٠/١٠ .
(٥) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٦) صفوة التفاسير: ٤٦/١٧ .
(٧) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٠٧ .
(٨) علم المعاني، عبدالعزيز عتيق: ٥٨ .

قدرت وسويت وهو أن قدر ما انزل على قدر ما اخرج، أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان [١] وقد أكد الخبر بأداة التوكيد (قد).

٢- وفي قوله تعالى [إِ نَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩)] أي أرسلنا عليهم ريحاً عاصفة باردة شديدة الهبوب والصوت (صرصر) الشديدة البرودة والشديدة الصوت (في يوم نحس مستمر) أي في يوم مشؤوم دائم الشؤم استمر عليهم بشؤمه فلم يبق منهم احد إلا هلّك فيه [٢] وقد أكد الخبر بأداة التوكيد (إنّ).

٣- وفي قوله تعالى [تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠)]. (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون اخذين أيديهم بأيدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع (منقعر) منقطع عن مغارسه [٣]. وقد أكد الخبر بحرف التشبيه.

٤- وفي قوله تعالى [سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنْ الْكَذَّابُ الأَشِرُ (٢٦)]، سيكشف لعم الغد عن الحقيقة ولن يكونوا بمنجاة من وقع هذه الحقيقة. فسيكشف لهم البلاء المدمر للكذاب الأشر[٤] . وأكد الخبر بالسين.

٥- وورد في قوله تعالى [إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ] جزء من الآية (٢٧) أي أنا مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فتنة) محنة (لهم) لتخبرهم[٥].فأُكِدَ الخبر بـ(إن).

وفي قوله تعالى [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا] جزء من الآية (٣٤). وجملة (إنا أرسلنا عليهم حاصباً) ناشئ عن الأخبار عن قوم لوط بأنهم كذبوا بالنذر[٦]. وأكد الخبر بـ إن.

٦- وجاء في قوله تعالى [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(٤٥)]. فهزموا ببدر ونصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليهم[٧]. وأُكد الخبر بـ(السين).

٧- وفي الآية [إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٤٧)] (إن المجرمين) أي المشركين من الأولين والآخرين (في ضلال وسعر) أي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة[٨].

٨- وفي قوله تعالى [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)] . أي أنا خلقنا كل شيء مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ من الأزل[٩].

(١) تفسير البيضاوي: ٥ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .
(٢) صفوة التفاسير: ٤١/١٧ .
(٣) الكشاف: ١٠٦٦/٢٧ .
(٤) في ظلال القرآن: ٣٤٣٢/٦ .
(٥) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٦) التحرير والتنوير: ٢٠٤/٢٧ .
(٧) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٨) روح البيان، البروسوي: ٢٨٣/٩ .
(٩) صفوة التفاسير: ٤٥/١٧ .

٩- وفي قوله تعالى [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤)] . لما وصف الكفار وصف المؤمنين أيضاً (ونهر) يعني انهار الماء والخمر والعسل واللبن وقيل (في نهر) في ضياء وسعة ومنه النهار لضيائه ومنه انهرت الجرح [١].

الخبر الإنكاري: هو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد[٢].

وهو يلقى للمخاطب المذكر لمضمون الخبر، ويكون الكلام حينئذ مصحوبا بمؤكدين أو أكثر حسب قوة الإنكار وضعفه[٣].

وفي سورة القمر ورد الخبر الإنكاري في الآيات الآتية:-

١- في قوله تعالى [وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)]، أي جائهم في القرآن من أنباء الأمم (ما فيه مزدجر) أي لهؤلاء أو أريد بأنباء الحجج الواردة في القرآن[٤]. فأكدت الجملة بالواو واللام وقد.

٢- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً] جزء من الآية (١٥)، أي تركنا تلك الحادثة (الطوفان) عبرة [٥].

٣- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ] جزء من الآية (١٧)، سهلناه للحفظ وهيئناه للتذكر [٦].

٤- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ] جزء من الآية (٢٢) سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد [٧].

٥- وجاء في قوله تعالى [إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)] أي إنا إذا اتبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق واضح، وجنون دائم والسعر أي جنون من قولهم ناقة مسعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونة [٨].

٦- وفي قوله تعالى [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)] (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) أي أهلكناهم بصيحة واحدة صاح بها جبريل (عليه السلام) فلم نبق منهم عين تطرف. (فكانوا كهشيم المحتضر) أي فصاروا هشيماً متفتتاً كيابس الشجر إذا بلى وتحطم داسته الأقدام والمحتضر هو الذي يجعل لغنمه حضيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسه فهو الهشيم [٩].

(١) تفسير القرطبي: ١٣١/١٧ .
(٢) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٠٨ .
(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٢٨ .
(٤) التحرير والتنوير: ١٧٤/٢٧ .
(٥) صفوة التفاسير: ٤١/١٧ .
(٦) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٧) الكشاف: ١٠٦٦/٢٧ .
(٨) صفوة التفاسير: ٤٢/١٧ .
(٩) المصدر نفسه: ٤٣/١٧ .

٧- وفي قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ] جزء من الآية (٣٢)، (ولقد يسرنا القرآن) أي سهلناه وهيئناه من يسر ناقته للسفر إذا رحلها. (للذكر) للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبرة أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ [١].

٨- و في قوله تعالى [وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦)] (ولقد انذرهم) يعني لوط خوفهم (بطشتنا) عقوبتنا وأخذنا إياهم بالعذاب (فتماروا بالنذر) أي شكوا فيما انذرهم به الرسول (عليه السلام) ولم يصدقوه [٢].

٩- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ] جزء من الآية (٣٧) أي طلبوا منه أن يسلم لهم اضيافه وهم الملائكة ليفجروا بهم بطريق اللواطة[٣].

١٠- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨)] عذاب في الدنيا أستقربهم في الآخرة [٤].

١١- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ] جزء من الآية (٤٠) قد فسرناه مراراً وبينا ما لأجله تكراراً [٥]. فقد ورد التوكيد بالواو واللام وقد.

١٢- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ(٤١)]، (ولقد جاء آل فرعون) قومه معه (النذر) الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا [٦].

١٣- وجاء في قوله تعالى [وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ] جزء من الآية (٥١)، هذه مصارع المكذبين معروضة في الحلقات التي تضمنتها السورة من قبل [٧]. وقد أكدت الآية بأكثر من مؤكد.

الإنشـــاء :

الإنشاء اصطلاحاً: هو كل كلام لا يحمل الصدق والكذب لذاته لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه [٨].

الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً [٩]، ولم يرد هذا الأسلوب في سورة القمر وما يهمنا هو الإنشاء الطلبي.

(١) تفسير البيضاوي: ٢٦٦/٥ .
(٢) تفسير القرطبي: ١٢٦/١٧ .
(٣) صفوة التفاسير: ٤٤/١٧ .
(٤) الدر المنثور في التفسير المأثور: ٦٨٠/٧ .
(٥) التفسير الكبير: ٣١٨/١٠ .
(٦) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٧) في ظلال القرآن: ٣٤٤٢/٦ .
(٨) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٢١ .
(٩) البلاغة فنونها وأفنانها ١ : فضل حسن عباس: ١٠٢ .

الإنشاء الطلبي: هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ويرد في خمسة أساليب هي: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء [١].

أسلوب الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام [٢].

وقد ورد الأمر في سورة القمر في الآيات الآتية:-

١- جاء في قوله تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ(٦)]، دعاء الداعي وهو مؤذن بأنهم محضرون إلى الحساب ودعائه إلى شيء عظيم لان ما فيه لفظ شيء من الإبهام يشعر بأنه مهول وما في تنكيره يجسم ذلك الهول ووصف شيء بأنه نكر أي موصوف بأنه تنكره النفوس وتكرهه[٣]. والأمر هنا أمر حقيقي من الله عز وجل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم).

٢- وجاء في قوله تعالى [أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] جزء من الآية (١٠)، فدعا نوح ربه وقال يا رب إني ضعيف عن مقاومة هؤلاء المجرمين فانتقم لي منهم وانتصر لدينك [٤].وقد خرج الأمر هنا إلى الدعاء إذ دعا نوح (عليه السلام) ربه أن ينتقم من قومه وينتصر لدينه.

٣- وجاء في قوله تعالى [فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ] جزء من الآية (٢٧)، أي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون وما يصنع بهم، (واصطبر) على إيذائهم فان الله ناصرك عليهم [٥]. والأمر هنا حقيقي أيضاً من الله عز وجل إلى نبيه صالح (عليه السلام).

٤- وفي قوله تعالى [وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ] جزء من الآية (٢٨)، (ونبئهم أن الماء قسمة) مقسوم (بينهم) وبين الناقة يوم لهم ويوم لها [٦]. والأمر هنا هو حقيقي أيضاً.

٥- وفي قوله تعالى [فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ] جزء من الآية (٣٧)، (فذوقوا) أي فقلنا لهم على السنة الملائكة (ذوقوا عذابي) (عذابي ونذر) والمراد به الطمس فانه من جملة ما أنذره من العذاب [٧]. للتهديد والوعيد.

٦- وفي قوله تعالى [فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩)]، والخطاب للجميع الذين أصابهم العذاب المستقر [٨]. والأمر خرج للتهديد والوعيد.

٧- وفي قوله تعالى [ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ] جزء من الآية (٤٨)، (ذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا ومسها ما يجدون من الآلام عند الوقوع فيها. و(سقر) اسم من أسماء جهنم [٩]. والأمر خرج هنا للتهديد والوعيد.

(١) علم المعاني، قصي سالم علوان: ٨٨ .
(٢) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ٨١ .
(٣) التحرير والتنوير: ١٧٧/١٧ .
(٤) صفوة التفاسير: ٤٠/١٧ .
(٥) المصدر نفسه: ٤٣/١٧ .
(٦) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٧) روح البيان: ٢٨٠/٩-٢٨١ .
(٨) التحرير والتنوير: ٢٠٧/٢٧ .
(٩) تفسير القرطبي: ١٢٩/١٧ .

أسلوب الاستفهام:

هو طلب الفهم وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به وأدواته إحدى عشر كلمة. حرفان هما الهمزة وهل وتسعة أسماء، متى، ايان، أين، أن، ما، كيف، كم، أي، من [١].

يخرج الاستفهام عن معانيه الأصلية إلى معاني أخرى مجازية وهي كثيرة[٢]. وما يهمنا في سورة القمر الأمر، التهديد والوعيد، الإنكار، التقرير.

١- **الأمر**: وقد ورد الأمر في قوله تعالى [وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١٥)] فرع على إبقاء السفينة آية استفهام عمن يتذكر بتلك الآية وهو استفهام مستعمل في معنى التخصيص على التذكر في هذه الآية[٣].

٢- **التهديد والوعيد**: كما جاء في قوله تعالى [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٦)]، استفهام تهديد ووعيد النذر تحتمل المصدر والجمع [٤]. وقد حمله أبن عاشور على معنى التعجب فقال (كيف) للاستفهام عن حالة العذاب وهو عذاب قوم نوح بالطوفان والاستفهام مستعمل في التعجب من شدة هذا العذاب الموصوف[٥].

٣- **الإنكار**: وقد ورد الإنكار في سورة القمر في الآيات الآتية:

(١) قوله تعالى [فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)]، الاستفهام هنا إنكاري أنكروا أن يرسل الله بشراً مثلهم أي لو شاء الله لأرسل ملائكته[٦].

(٢) وجاء في قوله تعالى [أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا] جزء من الآية (٢٥)، (أؤلقي الذكر عليه من بيننا) استفهام إنكاري أي هل خص بالوحي والرسالة وحده دوننا وفينا من هو أكثر منه مالاً وأحسن حالاً [٧].

(٣) وفي قوله تعالى [أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)]، (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولائكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا، أو اقل كفراً وعناداً يعني:

(١) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ١٢١ .
(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٨٢ .
(٣) التحرير والتنوير: ١٨٦/٢٧-١٨٧ .
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٦٦/٥ .
(٥) التحرير والتنوير: ١٨٧/٢٧ .
(٦) المصدر نفسه: ١٩٦/٢٧ .
(٧) صفوة التفاسير: ٤٢/١٧ .

إن كفاركم مثل أولائك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم يا أهل مكة (براءة) في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان أمناً من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة[١].

٤- **التقرير**: ورد في قوله [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٦)] وهناك من جمل الاستفهام على معنى التقرير فذكر السيوطي في تفسير قوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) أي إنذاري استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال والمعنى. حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه[٢].

ولم يرد أسلوب النهي وأسلوب النداء وأسلوب التمني في سورة القمر.

التقديم والتأخير:

(هو باب تتبارى فيه الأساليب وتظهر فيه المواهب والقدرات وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضعه والوضع الذي يقتضيه في المعنى[٣]، وقد ورد التقديم والتأخير في سورة القمر:

أ- في قوله تعالى [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)]، وهو على التقديم والتأخير وتقديره (انشق القمر) أي الأصل في ترتيب الأخبار أن يجري على ترتيبها في الوقوع وان كان العطف بالواو لا يقتضي ترتيباً في الوقوع. (وانشق القمر) عطف جملة على جملة[٤].

وفي تفسير القرطبي [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)] وهو على التقديم والتأخير وتقديره (انشق القمر واقتربت الساعة) أن الفعلين وان كانا متقاربين المعنى فلك أن تقدم وتؤخر[٥].

ب- تقديم المفعول على الفعل: ورد في قوله تعالى [حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)] فما منصوبه على انها مفعول مقدم (لتغن) أي فأي اغناء تغن النذر إذا خالفوا أو كذبوا أي لا تنفع[٦].

جـ- تقديم الحال على الفعل: ورد في قوله تعالى [خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧)]، (خشعاً أبصارهم) حال من فاعل يخرجون (يخرجون) والتقديم لان العامل فعل متصرف أي يخرجون (من الأجداث) [٧].

(١) الكشاف: ١٠٦٨/٢٧ .
(٢) تفسير الجلالين: ٢٧.
(٣) محاضرات في البلاغة العربية، إبراهيم الحمداني: ٨١ .
(٤) التحرير والتنوير: ١٧٠/٢٧ .
(٥) تفسير القرطبي: ١١٢/٢٧ .
(٦) روح البيان: ٢٦٩/٢٧ .
(٧) المصدر نفسه: ٢٧/ ٢٧٠ .

أسلوب الوصل والفصل:

١-**الوصل :** (هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حرف العطف في مواضعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها).

قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

(اعلم أن العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضهما على بعض أو ترك العطف فيها . والمجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي بتمام الصواب فيه إلا الإعراب الخلص والأقوام طبعوا على البلاغة وآتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام) [١].

وقد ورد الوصل في سورة القمر في قوله تعالى في الآيات الآتية:-

أ- قوله تعالى [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)] الواو أوصلت بين الجملتين الخبريتين (اقتربت الساعة وانشق القمر) [٢].

ب- وجاء في قوله تعالى [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)] عطف (واتبعوا أهوائهم) عطف العلة على المعلول لان تكذيبهم لا دافع لهم إليه إلا إتباع ما تهواه أنفسهم من بقاء حالهم على ما ألفوا وعهدوه واشتهر دوامه [٣].

ج-وفي قوله تعالى [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)] وهذا الاستئناف وقع معترض بين جملة (ولقد جاءهم من الأنباء) وجملة (كذبت قبلهم قوم نوح) [٤].

د- وقوله تعالى [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)]، جواب على قولهم نحن جميع منتصر فلذلك لم تعطف الجملة على التي قبلها وهذا بشارة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك وهو يعلم أن الله منجز وعده ولا يزيد ذلك الكافرين إلا غروراً فلا يعدوه جانب اهتمامهم واخذ العدة لمقاومته [٥].

هـ- وورد في قوله تعالى [بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)]، أي أدهى وأمر مما لحقهم يوم بدر (وأدهى) من الداهية وهي الأمر العظيم [٦].

٢-**الفصل:** (وهو ترك العطف)، والفصل يأتي في ثلاثة مواضع:

أ- أن يكون بين الجملتين (اتحاد تام) وذلك بان تكون الجملة الثانية توكيد للأولى أو بياناً لها، أو بدلاً منها.

ب-أن يكون بين الجملتين (تباين تام) وذلك بان تختلفا خبراً وإنشاءً أو بالا تكون بينهما مناسبة ما.

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ١، فضل حين عباس: ٣٠١ .
(٢) التحرير والتنوير: ١٧٦/٢٧ .
(٣) المصدر نفسه: ١٧٢/٢٧ .
(٤) المصدر نفسه: ١٧٦/٢٧ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٧ / ٢١٣ .
(٦) تفسير القرطبي: ١٢٨/١٧ .

ج- أن تكون الثانية جواب على سؤال يفهم من الأولى ويقال حينئذ أن بين الجملتين (شبه كمال الاتصال) [١].

وقد ورد الفصل في سورة القمر في الآيات الآتية:

أ- قوله تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)]، أي فاعرض يا محمد (صلى الله عليه وسلم) عن هؤلاء المجرمين وانتظرهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) أي يوم يدعوا اسرافيل إلى شيء منكر فضيع تنكره النفوس لشدته وهوله وهو يوم القيامة وما فيه من البلاء والأهوال[٢]، وهو فصل تباين تام للآية لان الجملة الأولى إنشائية (أسلوب أمر) والجملة الثانية خبرية فهناك كمال انقطاع بين الجملتين.

ب- قوله تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)]، أي فاعرض يا محمد (صلى الله عليه وسلم) عن هؤلاء المجرمين وانتظرهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) أي يوم يدعوا اسرافيل إلى شيء منكر فضيع تنكره النفوس لشدته وهوله وهو يوم القيامة وما فيه من البلاء والأهوال[٣]، وهو فصل تباين تام للآية لان الجملة الأولى إنشائية (أسلوب أمر) والجملة الثانية خبرية فهناك كمال انقطاع بين الجملتين.

ج- وفي قوله تعالى [فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)]، وهم قوم صالح أي أنتبع إنساناً مثلنا من آحاد الناس ليس من الأشراف ولا العظماء ونحن جماعة كثيرون [٤]. وهو فصل اتحاد جملتين لان الأولى إنشائية (استفهام) والثانية خبرية فيهما كمال انقطاع.

د- قوله تعالى [وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨)]، الماء مقسوم بينهم وبين الناقة يوم لهم ويوم لها، يحضره القوم يومهم والناقة يومها [٥]، بينهما كمال انقطاع لان الأولى إنشائية أمر (نبئهم) والثانية خبرية.

وقوله تعالى [يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)]، (يوم يسحبون في النار على وجوههم) في الآخرة ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) إصابة جهنم لكم[٦]، فصل تباين تام بينهما كمال انقطاع الأولى خبرية والثانية إنشائية أسلوب الأمر في (ذوقوا).

(١) علم المعاني عبد العزيز عتيق: ١٧٤-١٧٩ .
(٢) صفوة التفاسير: ٣٩/١٧ .
(٣) صفوة التفاسير: ٣٩/١٧ .
(٤) المصدر نفسه: ٤٢/١٧ .
(٥) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٦) المصدر نفسه: ٢٧ .

أسلوب القصر:

القصر: لغة: الحبس.

القصر: اصطلاحاً: (هو تخصيص شيء بشيء أو بأمر أخر بطريقة مخصوصة) [١].

وجاء القصر في سورة القمر في قوله تعالى [وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ(٥٠)]، (وما أمرنا) لشيء نريد وجوده (إلا) مرة (واحدة كلمح بالبصر) في السرعة وهي قول: كن فيوجد [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] [٢] يس (١٢).

جاء القصر بأسلوب النفي والاستثناء وهو قصر لصفة على الموصوف.

أسلوب الإيجاز والإطناب:

١- أسلوب الإيجاز: الإيجاز : لغة : (وجز) قل في بلاغته، وأوجز اختصره، وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مقتصر . وأوجز الكلام : قصرته، وأوجز القول والعطاء : قلله.

الإيجاز: اصطلاحاً : (هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل). وهكذا نرى تقارباً بين معنى الإيجاز في اللغة والاصطلاح. وأنواعه إيجاز قصر، وإيجاز حذف[٣].

أ- إيجاز القصر: لا يوجد إيجاز قصر في سورة القمر.

ب-إيجاز الحذف:

الحذف: (هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة اقل منها بحذف شيء من التراكيب مع عدم الإخلال بالمعنى فان لم يف اللفظ بالمعنى كان إخلال، ويكون بحذف مفرد أو صلة أو أكثر مع قرينة لفظية أو معنوية تدل على المحذوف) [٤]، ويقسم على:-

١) إيجاز حذف حرف.
٢) إيجاز حذف كلمة.
٣) إيجاز حذف جملة.

وقد ورد إيجاز الحذف بأنواعه السابقة في سورة القمر في الآيات الآتية:-

(١) علم المعاني، قصي سالم علوان: ١٤٠ .
(٢) تفسير الجلالين: ٢٧ .
(٣) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ٢٠١ .
(٤) محاضرات في البلاغة العربية: ١٠٧ .

أ- **إيجاز حذف حرف:** في الآية الآتية في قوله تعالى: [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ(٦)] (يوم يدع الداع) أصله يوم يدعو الداع بالواو أو بـ الياء لما حذف الواو من يدعوا في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط أيضاً إتباعاً للفظ وأسقطت الياء من الداع للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً [١].

ب- **إيجاز حذف كلمة:** جاء في سورة القمر في الآيات الآتية:-

١- قوله تعالى [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)]، حذف خبر كل كأنه قال كل أمر مستقر في أم الكتاب كائن[٢].

٢- قوله تعالى [وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)]، (ما فيه مزدجر) خبر مبتدأ محذوف أي وهو (حكمة)[٣].

٣- قوله تعالى [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)]، فالمفعول محذوف [٤]. حذف كلمة.

٤- قوله تعالى [حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)]، فمفعول (تغن) محذوف أي لم (تغن النذر) شيئاً أو استفهاماً [٥].

جـ- لم يرد إيجاز حذف الجملة في سورة القمر.

٢- أسلوب الإطناب:

الإطناب لغة: مصدر أطنب في كلامه إطنابا إذا بالغ فيه وطول ذبوله لإفادة المعاني واشتقاقه من قولهم (أطنب بالمكان) إذا طال مقامه فيه.

الإطناب اصطلاحاً: زيادة اللفظ على المعنى للفائدة.

ويأتي الإطناب على أشكال مختلفة [٦]. وما يهمنا منه في سورة القمر التكرار.

ورد الإطناب بالتكرار في سورة القمر في الآيات الآتية:-

أ- قوله تعالى [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦)]، كرر للتهويل وقيل الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني بما يحيق بهم في الآخرة [٧]. وقد كررت هذه الآية في سورة القمر ثلاث مرات في الآيات الآتية:-

١- قوله تعالى [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ] جزء من الآية (١٨).

٢- وفي قوله تعالى [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١)] .

٣- قوله تعالى [فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٠)].

(١) روح البيان: ٢٦٩/٩ .
(٢) تفسير القرطبي: ١١٣/١٧ .
(٣) المصدر نفسه: ١١٤/١٧ .
(٤) روح البيان: ٢٧١/٩ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٦٩/٩ .
(٦) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ٢٠١ .
(٧) تفسير البيضاوي: ٢٦٧/٥ .

ب–وفي قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧))، فان في التكرير تقرير للمعاني في الاستماع والقلوب وتثبيتاً لها في الصدور وكلما زاد تكرير الشيء وترديده كان اقر له في القلب وأمكن في الصدر وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان [١].

وقد تكررت ثلاث مرات في الآيات الآتية:–

١– قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢)].

٢– وفي قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)].

٣– قوله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠)].

ج–وفي قوله تعالى [فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ] جزء من الآية (٣٧) وهي حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديداً للعذاب[٢] . وقد تكررت مرة واحدة في الآية الآتية:–

[فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩)).

د– وجاء في قوله تعالى [بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)] إطناب بتكرار اللفظ (الساعة) وذلك لزيادة التخويف والتهويل[٣].

المبحث الثاني: علم البيـــان:

<u>البيان لغة:</u> الوضوح والكشف والظهور وجاء في المعجم أن البيان من (بأن الشيء وأبان، إذا اتضح وانكشف وفلان أبين من فلان، أي أوضح كلاماً منه) [٤].

<u>البيان عند الجاحظ:</u> هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي فكل دلالة على المعنى عنده بيان لأن الغاية هي الفهم والإفهام[٥].

وعرف السكاكي البيان بقوله (هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحرز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لإتمام المراد منه) [٦].

والبيان يقسم إلى أربعة فنون:–

١– التشبيه.

٢– الاستعارة.

٣– الكناية.

٤– المجاز بنوعيه:

---

(١) روح البيان: ٢٨١/٩ .
(٢) المصدر نفسه: ٢٨١/٩
(٣) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم: ٣٣١ .
(٤) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ٢٥١.
(٥) علم البيان، بدوي طبانة: ١٩ .
(٦) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ٢٥٥ .

أ- المرسل

ب-العقلي.

التشبيـه:

التشبيه والتمثيل في اللغة لفظان مترادفان المعنى واحد ولكنهما في اصطلاح البيانيين يخالف كل منهما الأخر[١]:

وقد ورد التشبيه في سورة القمر في الآيات الآتية:-

أ- في قوله تعالى [خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧)]، شبههم بالجراد المنتشر في الاكتضاض واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف زيادة على ما فيه التشبيه من الكثرة والتحرك[٢].
وقيل شبه الناس من خروجهم من جوف الأرض وانتشارهم على ظهرها بالجراد المنتشر في الكثرة والتدافع بعضهم في بعض الكل يتحرك ويموج من غير تحديد[٣].

ب- وجاء في قوله تعالى [تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)] شبه الناس المطروحين على الأرض بأصول النخيل المقطوعة التي تقطع من منابتها لموتها إذ تزول فروعها ويتساقط ورقها فلا يبقى إلا الجذوع الأصلية ولذلك سميت إعجازاً [٤] .

ج-وورد في قوله تعالى [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)] (كهشيم المحتظر) ولم يقل كهشيم الحظيرة لان المقصود بالتشبيه قال قبل أن يرصف ويصفف وقبل أن تتخذ منه الحظيرة[٥].

وهو تشبيه مرسل مجمل.

وجاء في كتاب التصوير البياني تشبيهه بالهشيم الشجر اليابس والمحتضر الذي يعمل الحظيرة [٦].

وجاء في التفسير الكبير كانوا كالحشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان [٧].

د- وفي قوله تعالى [وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)]، (كلمح بالبصر) وهو تشبيه في سرعة الحصول أي ما أمرنا إلا كلمة سريعة التأثر في المتعلقة هي به كسرعة لمح البصر[٨].

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ٣٤ .
(٢) التحرير والتنوير: ١٧٧/٢٧ .
(٣) التصوير البياني، محمد أبو موسى: ٤٣٠.
(٤) التحرير والتنوير: ١٩٤/٢٧.
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٣/٢٧ .
(٦) التصوير البياني، محمد أبو موسى: ٤٥.
(٧) التفسير الكبير: ٣١٢/١٠ .
(٨) التحرير والتنوير: ٢٢١/٢٧ .

وفي رأي صاحب التفسير الكبير (كلمح البصر) تشبيه الكون لا تشبيه الأمر كأنه قال أمرنا واحدة فإذا المأمور كائن كاللمح بالبصر لأنه كان راجعاً إلى أمر يكون ذلك صفة مدح يليق به [١].

الاستعارة:

الاستعارة: مأخوذة من الاستعارة الحقيقية وهي نقل الشيء من حيازة فرد إلى فرد أخر وقد نقل علماء البيان هذا الاسم من حقيقته إلى المجاز بالاستعارة وهي نقل اللفظ من معنى عرف به في اللغة إلى معنى أخر لم يعرف به [٢] .

وقد وردت الاستعارة في سورة القمر في الآيات الآتية:-

أ- جاء في قوله تعالى [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)]، وان حمل القرب على المجاز أي الدلالة على الإمكان، فالمعنى اتضح للناس ما كانوا يجدونه محالاً من فناء العالم فان لحصول المثل والنظائر إقناعاً بإمكان أمثالها التي هي أقوى منها[٣].

ب- وفي قوله تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)]، وهو مجاز كالأمر في قوله تعالى (كن فيكون) يعني أن الدعاء في البعث والإعادة [٤].

ج-وجاء في قوله تعالى [فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠)]، والمغلوب مجاز [٥].

د- وفي قوله تعالى [وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)]، وتعدية (فجرنا) إلى اسم الأرض تعدية مجازية إذ جعلت الأرض من كثرة عيون كأنها عين تتفجر، (على) من قوله (على أمر) يجوز أن تكون بمعنى (في) ويجوز أن تكون (على) للاستعلاء المجازي أي ملابسة للأمر (قد قدر) ومتمكنة منه[٦].

هـ- وفي قوله تعالى [فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩)]،(فتعاطى فعقر) التعاطي مجاز عن الاجتراء لان التعاطي هو تناول الشيء بتكلف وما يتكلف فيه لابد أن يكون أمراً هائلاً لا يباشره احد بالجرأة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء في (فعقر)[٧].

و- وورد في قوله تعالى [وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١)]، وآل فرعون: آل: القرابة ويطلق مجاز على من لهم شدة اتصال بالشخص[٨].

(١) التفسير الكبير: ٣٢٧/١٠ .
(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٥٨ .
(٣) التحرير والتنوير: ١٧١/٢٧ .
(٤) روح البيان: ٢٦٩/٩ .
(٥) التحرير والتنوير: ١٨٣/٢٧ .
(٦) المصدر نفسه: ١٨٣/٢٧ .
(٧) روح البيان: ٢٧٨/٩ .
(٨) التحرير والتنوير: ٢٠٨/٢٧ .

ز– وفي قوله تعالى [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤)]، (في) للظرفية المجازية التي هي بمعنى القلب القوي كتلبس المظروف بالظرف[١].

تقسم الاستعارة إلى قسمين:– استعارة تصريحية، استعارة مكنية [٢].

١– **الاستعارة التصريحية:** حذف منها احد طرفي التشبيه واتى الطرف المحذوف هو المشبه والمذكور هو المشبه به وكل استعارة من هذا القبيل حذف منها المشبه، وذكر المشبه به وتسمى تصريحية لأنه صرح فيها بلفظ المشبه به[٣].

وقد وردت الاستعارة التصريحية في سورة القمر في قوله تعالى:

[وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣))، الصغير استعارة للشيء الذي لا شأن له ولا يهتم به الناس ولا يؤاخذ عليه فاعله أو يؤاخذ عليه مؤاخذة عظيمة.

الكبير استعارة لضده ويدخل في ذلك ماله شأن في الصلاح[٤].

٢– **الاستعارة المكنية:** وهي التي حذف منها المشبه به وذكر المشبه[٥].

وقد جاءت الاستعارة المكنية في سورة القمر في قوله تعالى: [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)]، ففي قوله تعالى (يسرنا القرآن للذكر) استعارة مكنية ولفظ (يسرنا) تخيل ويؤول المعنى يسرنا القرآن للمتذكرين[٦].

وهناك تقسيمات أخرى للاستعارة ما يخصنا منها في سورة القمر:

١– **الاستعارة التمثيلية:** تشبيه صورة بصورة لما بينهما من صلة من حيث المعنى ثم تحذف الصورة الأولى – المشبه– ويبقى المشبه به [٧]. وقد وردت في سورة القمر في الآيات الآتية:–

أ– قوله تعالى [وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ] جزء من الآية (٣)، وهي تمثيلية مكنية لأن التركيب الذي يدل على حالة المشبه المشبه بها حذف ورمز إليه بذكر شيء من روادف معناه وهو وصف مستقر[٨].

(١) المصدر نفسه: ٢٢٥/٢٧ .
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها ٢ : فضل حسن عباس:١٧١-١٧٢ .
(٣) المصدر نفسه: ١٧٢ .
(٤) التحرير والتنوير: ٢٢٤/٢٧ .
(٥) البلاغة فنونها وأفنانها ٢: فضل حسن عباس: ١٧٢ .
(٦) التحرير والتنوير: ١٩٠/٢٧ .
(٧) البلاغة فنونها وأفنانها ٢: فضل حسن عباس: ١٩٤ .
(٨) التحرير والتنوير: ١٧٣/٢٧ .

ب- وفي قوله تعالى [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١)]، استعارة تمثيلية حيث شبه تدفق المطر من السحاب بانصباب انهاراً انفتحت بها أبواب السماء وانشق بها أريم الغبراء[١].

٢- **<u>الاستعارة بالحرف:</u>** لم ينظروا إلى الحرف نفسه، وإنما نظروا إلى متعلق معنى الحرف ومتعلق معنى الحرف من المشتقات، ولكي نتصور ذلك لابد أن نمر بمراحل ثلاث:-

أ- الحرف ب- معنى الحرف ج- متعلق هذا المعنى[٢].

وقد وردت الاستعارة بالحرف في سورة القمر في الآيات الآتية:-

أ- جاء في قوله تعالى [وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)]، وهي (على) للاستعلاء المجازي وهو التمكن[٣].

ب- وورد في قول الله تعالى [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)]، وأصل معاني لام الجر هو التعليل وتنشأ من استعمال اللام في التعليل المجازي معاني شاعت فساوت الحقيقة فجعلها النحويون معاني مستقلة الإيضاح والذكر مصدر ذكر الذي هو التذكر العقلي لا اللساني[٤].

ج- وفي قوله تعالى [فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)]، (في) للظرفية المجازية جعلوا تلبسهم بالضلال والجنون كتلبس المظروف بالظرف [٥].

الكنايــة:

<u>الكناية:</u> (وهي لفظ يراد به لازم معناه مع جواز إيراده المعنى نفسه)، وهذا يعني أنها تصور لنا المعنى بشكل غير مباشر لتحريك الأذهان والأخيلة، وتوقض المدارك والأحاسيس مجتمعة مع اللفظ المذكور للوصول إلى المعنى الكنائي المراد.

وفرقها عن المجاز أنها تخلو من القرينة التي تمنع إرادة الحقيقي فهي تلمح لمحاً من سياق الكلام ومقتضيات الأحوال[٦].

وقد وردت الكناية في سورة القمر في مواضع عديدة هي:-

(١) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: / ٣٣١ .
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها ٢ : فضل حسن عباس: / ١٩٢ .
(٣) التحرير والتنوير: ١٨٥/٢٧ .
(٤) المصدر نفسه: ١٩٠/٢٧ .
(٥) المصدر نفسه: ١٩٧/٢٧ .
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين عبد الله الشافعي: ٢-٤٥٦ .

أ- جاء في قوله تعالى [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)]، الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء إلى الغاية [١].

ب- وفي قوله تعالى [وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)]، وهي كناية عن السفينة التي تحوي الأخشاب والمسامير [٢].

جـ- وجاء في قوله تعالى [تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)]، والأعين جمع عين بإطلاقه المجازي وهو الاهتمام والعناية [٣].

د- وورد في قوله تعالى [كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)]، وهو أيضاً مكنى عن تهويل ذلك العذاب [٤].

هـ- وفي قوله تعالى [وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)]، والمقصود الكناية عن أسرع ما يمكن من السرعة أي (وما أمرنا) إلا كلمة واحدة وذلك في تكوين العناصر والبسائط وكذلك في تكوين المركبات لان أمر التكوين يتوجه إليها بعد أن تسبقه أوامر تكوينية بإيجاد أجزائها، فلكل مكون منها تكوين يخصه وهو كلمة واحدة لا ينافي [٥].

و- وجاء في قوله تعالى [وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢)]، فالكناية في الزبر وقعت هنا كناية على لازمها وهو المحاسبة به فيما بعد وعن لازم لازمها وهو العقاب بعد المحاسبة [٦].

ز- وفي قوله تعالى [وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)]، المستطر كناية عن علم الله به وذلك كناية عن الجزاء عليه مكان ذلك جامعاً للتبشير والإنذار [٧].

المجاز:

<u>المجاز لغة:</u> إن كلمة المجاز قد تقلبت في المعجمات على معاني لغوية متقاربة وقد حكي لنا الخليل بن أحمد الفراهيدي بعضها في تعرضه لمادة الجوز قائلاً: (ويقول جزت الطريق جوازاً ومجازاً وجوازاً – والمجاز المصدر والموضع) [٨].

وعرف السكاكي المجاز بقوله: (الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الموضع).

(١) روح البيان ٢٦٨/٩ .
(٢) صفوة التفاسير: ٤٦/١٧ .
(٣) التحرير والتنوير: ١٨٥/٢٧ .
(٤) التحرير والتنوير: ١٩١/٢٧ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٢٠/٢٧ .
(٦) المصدر نفسه: ٢٢٣/٢٧ .
(٧) المصدر نفسه ٢٢٤/٢٧ .
(٨) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب: ٣٢٢ .

وعرفه عبد القاهر الجرجاني: (كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح وهي مواضعه وقوعا لا يستند فيه إلى غيره) [١].

وكان الجاحظ أول باحث يعد المجاز مقابلاً للحقيقة بالمعنى المعروف الآن وليس بمعنى التفسير وقد كانت دراسة الجاحظ للمجاز صورة صادقة لبحوث المعتزلة[٢].

ويقسم المجاز إلى قسمين: ١- المجاز العقلي ٢- المجاز المرسل

١- **المجاز العقلي:** لا يكون في الكلمة نفسها، فالكلمة لم تخرج فيه عن وصفها اللغوي، وإنما يكون في الإسناد فهو إسناد الفصل أو ما في معناه إلى غير ما هو له [٣].

وقد ورد المجاز العقلي في سورة القمر في الآية الآتية:

[مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)]، ووصف اليوم بـ(عسر) وصف مجاز عقلي باعتبار كونه زماناً لامور عسرة شديدة من شدة الحساب [٤].

٢- **المجاز المرسل:** (هو ما استعمل فيه ما وضع له ملابسة غير التشبيه) [٥]، وقد ورد المجاز المرسل أكثر من المجاز العقلي في سورة القمر وجاء في الآيتين الآتيتين:-

أ- قوله تعالى [كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)]، فالاستفهام مستعمل في التشويق للخير الوارد بعده وهو مجاز مرسل، لان الاستفهام يستلزم طلب الجواب والجواب يتوقف على صفة العذاب وهي لما تذكر [٦] .

ب-وجاء في قوله تعالى[وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧)]، استعمل الذوق في الإحساس وهو مجاز مرسل بعلاقة التقييد في الإحساس[٧].

المبحث الثالث: علـم البديــع:

البديع:

جاء لفظ البديع بمعنى الجديد والمخترع، وورد البديع في القرآن الكريم بمعنى جمال المنشأ وحسن البدء على غير مثال .

(١) علم البيان، بدوي طبانة: ١٢٠ .
(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٣١ .
(٣) البلاغة فنونها وأفنانها ٢: فضل حسن عباس: / ١٣٩ .
(٤) التحرير والتنوير: ١٧٨/٢٧ .
(٥) علم البيان، بدوي طبانة: ١٥٨ .
(٦) التحرير والتنوير: ١٩١/٢٧ .
(٧) المصدر نفسه: ٢٠٦/٢٧ .

كما ورد في الحديث الشريف بمعنى : الطيب والجديد كقوله (صلى الله عليه وسلم) في وصف تهامة (إن تهامة كبديع العسل حلو أوله وحلو آخره) شبه به تهامة بطيب هوائها وانه لا يتغير كما إن العسل لا يتغير [١].

وجاء في لسان العرب (بدع الشيء يبدعه بدعاً وتبدعه انشاؤه وبدائه وبدع الركبة استنبطها وأحدثها وبدع بدعاً من الرسل) أي ما كنت أول من أرسل قد أرسل قبلي رسل كثيرة [٢] .

والبديع دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي . وهو يشتمل على محسنات لفظية ومحسنات معنوية [٣] .

وسنقتصر في دراستنا للفنون البديعية التي وردت في سورة القمر فقط وهي الطباق، المقابلة، الجناس، المبالغة، الاحتباك، توافق الفواصل.

الطباق:

<u>الطباق لغة</u> :- (مأخوذ من طابق البعير في مشيه إذا وضع خف رجله موضع خف يده) .

<u>والطباق في الاصطلاح</u> : (هو الجمع بين الشيء وضده أي معنيين متقابلين وسواء كان التقابل بالتضاد أو غيره كتقابل البيض والسود والعمى والبصر) [٤] .

ويقال للمطابقة أيضا التطبيق والطباق والتضاد والمطابقة في أصل الوضع اللغوي أن يضع البعير موضع يده فإذا فعل ذلك قيل طابق البعير [٥] .

وقد ورد الطباق في سورة القمر في الآيات الآتية :-

أ- في قوله تعالى [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١)] والآية [وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)] .

(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أي فأرسلنا المطر من السماء منصباً بقوة وغزارة (وفجرنا الأرض عيونا) أي جعلنا الأرض كلها عيوناً متفجرة بالماء (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أي فالتقى ماء السماء وماء الأرض على حال قد قدرها الله في الأزل وقضاها بإهلاك المكذبين[٦] وهنا طباق بين السماء والأرض .

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ٥ .
(٢) البلاغة العربية، احمد مطلوب: ٢٨٢ .
(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين: ٢٦٣ .
(٤) البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: / ٢٢ .
(٥) علم البديع، عبد العزيز عتيق: / ٦٦ .
(٦) صفوة التفاسير: ٤٠/١٧ .

ب- وفي قوله تعالى [وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)] . الطباق بين صغير وكبير[١].

المقابلة:

المقابلة : هي أن يؤتى بمعنيين متواضعين أو معاني متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[٢] .

وعرفها ابن رشيق القيرواني بقوله : (هي ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق أولا وأخره ما يليق به آخراً ويؤتي في الموافق ما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة[٣] .

وقد وردت المقابلة في سورة القمر في الآيتين الآتيتين:-

أ- [إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٤٧)] .

ب- [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤)].

المقابلة بين المجرمين والمتقين[٤] .

الجناس:

الجناس : من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثر بليغ تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الإذن سهلة ومستساغة، فتجد في النفس القبول، وتتأثر به أي تأثر وتقع من القلب أحسن موقع[٥].

والجناس هو (من فنون البديع اللفظية ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز وعده في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عندهم وعرفه ومثل للحسن منه والمعيب منه بأمثلة شتى وهو يعرفه بقوله :(التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها إن تشبهها في تأليف حروفها[٦] .

وقد ورد الجناس في سورة القمر في الآية الآتية :-

قوله تعالى [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)].

(١) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: / ٣٣١ .
(٢) البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: / ٢١ .
(٣) علم البديع، عبد العزيز عشيق: /٥٧.
(٤) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: / ٣٣١ .
(٥) البديع في ضوء اساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: / ١٥٥ .
(٦) علم البديع، عبد العزيز عشيق: /١٨٦.

جناس اشتقاق[١]. فحصل جناس اشتقاق بين (يدع) و(الداع).

المبالغة:

المبالغة : لقد سمي علماء البلاغة هذا النوع من الوصف: (الإفراط في الصفة) وسماها آخرون المبالغة : وعرفوها بأنها ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً .

وقد اختلف النقاد والبلاغيون ووقفوا من المبالغة على ثلاثة آراء :

١- رأي قوم إن أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه .

٢- وقوم يرون إن المبالغة من عيوب الكلام ولا يرون من محاسنه إلا ما خرج مخرج الصدق وجاء على منهج الحق ويزعمون إن المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن أن يخترع معنى مبتكر، أو يفرع معنى من معنى، أو يجيء كلامه بشيء من البديع أو ينتخب ألفاظ موصوفة بصفات الحسن ويجيد تركيبها فإذا عجز عن ذلك كله أتى بمبالغة لسد خلله وتتميم نقصه .

قوم توسطوا بين المذهبين فقبلوا المبالغة إذا كان طابعها الاعتدال وهذا المذهب اسند إلى قبول المعتدل من المبالغة على ما ورد منه في القرآن وهو معيار السلامة وميزان الاعتدال[٢].

وقد وردت المبالغة في سورة القمر في الآيات الآتية :-

أ- قوله تعالى [فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١)]. وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها [٣].

ب-وفي قوله تعالى [وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)] جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الأرض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله تعالى في الأزل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما انزل على قدر ما اخرج، أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان[٤].

وجاء في قوله تعالى [أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥)] أي كثير الكذب عظيم البطر لان فعال وفعل للمبالغة[٥].

(١) صفوة التفاسير: ٤٦/١٧ .
(٢) البديع في ضوء اساليب القرآن عبدالفتاح لاشين: / ٦٠-٦٢ .
(٣) تفسير البيضاوي: ٢٦٥/٥ .
(٤) الصدر نفسه: ٢٦٥/٥ .
(٥) صفوة التفاسير: ٤٦/١٧ .

الاحتباك:

الاحتباك : هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الأخر عليه كقوله:- علفتها تبناً وماءً بارداً

أي علفتها تبناً وسقيتها ماءً بارداً [١]

وقد ورد الاحتباك في سورة القمر في الآيتين الآتيتين :-

أ- قوله تعالى [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)] .

ب-وقوله تعالى [وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)].

ومقابلة ذلك بهذا فيه شبه احتباك كأنه قيل وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر وقد رأوا الآيات واعرضوا وقالوا (سحر مستمر) وكذبوا واتبعوا أهوائهم وسيكذبون ويتبعون أهوائهم[٢] .

توافق الفواصل في سورة القمر:

السجع وحده أن يقال : توافق الفواصل في الكلام المنشور على حرف واحد : وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير، حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن وسورة القمر، وغيرهما[٣] .

وقد وردت الفاصلة الطويلة في سورة القمر في قوله تعالى :

أ- [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)] ... إلى أخر سورة القمر [فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)] [٤] .

ب-قوله تعالى [ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ] جزء من الآية (٤٨) [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)) [وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)] وهو السجع المرصع غير المتكلف الذي يزيد جمال اللغة وموسيقاه[٥].

ج- وجاءت الفواصل غير المتكلفة مما زادت في جمال اللفظ وموسيقاه وذلك في السورة كلها[٦].

(١) التعريفات للشريف الجرجاني: / ١٨ .
(٢) التحرير والتنوير: ١٧٢/٢٧ .
(٣) البلاغة فنونها وافنانها ٢: فضل حسن عباس: /٣٠٤ .
(٤) البديع في ضوء اساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: ١٢٤.
(٥) صفوة التفاسير: ٤٦/١٧.
(٦) الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: ٣٣١.

الخاتمة:

بعد أن أنهيت كتابة بحثي تمكنت بعون الله تعالى من تلخيص أهم النتائج التي اتضحت لي من خلال دراستي.

افتتحت السورة بذكر المعجزة العظيمة وهي انشقاق القمر واقتراب الساعة في الآية الأولى. وقد قسمت إلى حلقات متتالية، وكل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، وفيها مشهد من مشاهد القيامة في المطلع ومشهد من هذه المشاهد في الختام وبينهما عرض سريع لمصارع قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وملئه .

وتوصلت إلى النتائج البلاغية الآتية :-

في علم المعاني، الخبر واضربه الابتدائي عشرون آية والطلبي عشر آيات والإنكاري ثلاث عشر آية ومجموع الآيات التي تناولها الخبر ثلاث وأربعون آية .

والإنشاء غير الطلبي والطلبي وأساليبه الأمر سبع آيات والاستفهام وصيغته المجازية الأمر والتحذير والوعيد والإنكار والتقرير ست آيات . ومجموع الآيات التي تناولها الإنشاء ثلاث عشرة آية .

والتقديم والتأخير ثلاث آيات، والوصل والفصل تسع آيات والقصر آية واحدة، والإيجاز والإطناب ست عشرة آية .

وفي علم البيان ثمان وعشرون آية وعلم البديع مجموع الآيات التي تناولها عشر آيات .

وان علم المعاني هو الأكثر من علم البيان وعلم البديع والآيات التي تناولها خمسة وثمانون آية، وان الخبر الابتدائي طغى على الأنواع الأخرى وأسلوب الخبر أكثر بكثير من أسلوب الإنشاء وان أسلوب الخبر هو أكثر أساليب علم المعاني وردت في السورة وورد في ثلاث وأربعون آية .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) سيد المرسلين.

ثبت المصادر والمراجع:

١- أساليب بلاغية – احمد مطلوب – بغداد – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (د.ط)، (د.ت).

٢- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم – محمد حسين سلامة – دار الأفاق الغربية . (د.ط)، (د.ت).

٣- الإيضاح في علوم البلاغة – جلال الدين أبو عبد الله الشافعي، مختصر تلخيص المفتاح – راجعه وصححه بهيج عزاوي – دار إحياء العلوم ١٩٨٨م (د.ط) .

٤- البديع في ضوء أساليب القرآن – الدكتور عبد الفتاح لاشين – كلية الدراسات الإسلامية العربية – فرع البنات بالقاهرة – جامعة الأزهر – ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م – ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي. (د.ط) .

٥- البلاغة العربية – احمد مطلوب – بغداد – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – ١٩٨٠م – (د.ط) .
٦- البلاغة فنونها وأفنانها ٢ البيان والبديع – المؤلف الدكتور فضل حسن عباس – كلية الشريعة – الجامعة الأردنية – دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٧- البلاغة فنونها وأفنانها ١ علم المعاني : الدكتور فضل حسن عباس – كلية الشريعة – الجامعة الأردنية – دار الفرقان – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٨- البلاغة والتطبيق – احمد مطلوب – بغداد – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – (د.ط)، (د.ت).
٩- البلاغة الواضحة – علي الجارم، الطبعة الحادية عشر – دار المعارف ١٩٥٣ م .
١٠- البيان في ضوء أساليب القرآن – الدكتور عبد الفتاح لاشين – كلية الدراسات الإسلامية العربية – فرع البنات – جامعة الأزهر– القاهرة – ١٤٢٤هـ –٢٠٠٤م –دار الفكر العربي. (د.ط) .
١١- التحرير والتنوير – تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجزء السابع والعشرون – الدار التونسية للنشر والطباعة – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، (د.ط)، (د.ت).
١٢- التصوير البياني : محمد محمد أبو موسى – أستاذ ورئيس قسم البلاغة في اللغة العربية – جامعة الأزهر – الطبعة السادسة – القاهرة – ٢٠٠٦ م تاريخ النشر ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
١٣- التعريفات للجرجاني – علي بن محمد بن علي ٧٤٠هـ – ٨١٦هـ – طبعة جديدة منقحة ومراجعة – حققته وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الابياري – دار الفكر العربي – بيروت ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، (د.ط) .
١٤- تفسير البيضاوي – المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للإمام القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفي ٧٩١هـ–الجزء الخامس– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان –١٤١٦هـ – ١٩٩٦م (د.ط).
١٥- تفسير الجلالين – العلامة جلال الدين محمد بن احمد المحلي والشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – وقد ذيل بكتاب أسباب النزول للسيوطي – دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع (د.ط) (د.ت).
١٦- تفسير القرطبي –لابن عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي – الجزء السابع عشر – (د.ط)، (د.ت).
١٧- التفسير الكبير – للإمام الفخر الرازي – المجلد العاشر – ٢٨ ٢٩ ٣٠ – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
١٨- الدر المنثور في التفسير المأثور – الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – (٩١١هـ) – الجزء السابع – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – (د.ط)، (د.ت).
١٩- روح البيان – للإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي المتوفي (١١٣٧هـ) الجزء التاسع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – (د.ط)، (د.ت).
٢٠- صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – القسم السابع عشر – تفسير جزء الذاريات، (د.ط)، (د.ت).
٢١- علم البديع – عبد العزيز عتيق – أستاذ في جامعة بيروت العربية – ١٩٧٤م – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – (د.ط).
٢٢- علم البيان : بدوي احمد طبانة – المطبعة الفنية الحديثة – (د.ط) ١٩٧٧م.
٢٣- علم المعاني – عبد العزيز عتيق أستاذ جامعة بيروت العربية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٧٤م – (د.ط).

٢٤- في ظلال القرآن – سيد قطب – المجلد السادس – الأجزاء ٢٦-٣٠ – طبعة جديدة مشروعة – تضمنت إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى – مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق لما كان في الطبعة الأصلية التي صورت عنها الطبعات غير المشروعة في أخطاء في الآيات القرآنية والتفسير – دار الشروق – (د.ط)، (د.ت).
٢٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧-٥٢٨هـ) ط١. دار المعرفة، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٦- محاضرات في البلاغة العربية – إبراهيم الحمداني – دار ابن الأثير للطباعة والنشر – الموصل ٢٠٠٥م (د.ط).
٢٧- المعاني في ضوء أساليب القرآن- تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين – كلية البنات الإسلامية – جامعة الأزهر – الطبعة الثالثة ١٩٧٨م – دار المعارف.
٢٨- مفتاح العلوم – أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، الطبعة الأولى – مطبعة مصطفى بمصر – (د.ت).

الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنولوجية

Frustrated Belonging Among Technological University Employees

م. م. حنين رشيد مجيد *

م. م. نهى نجم عبدالله خضر النعيمي *

Hanin Rashid Majeed
Nuha Najm Abdullah Khader Al-Naimi

الملخّص:

هدف هذا البحث إلى الكشف عن الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية. تكونت عينة البحث من (١٥٠) موظفًا من كوادر الجامعة التكنولوجية، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، كما تم اعداد مقياس الانتماء المحبط وذلك من خلال الاعتماد على تعريف جونير (Joiner, 2005)، تكوّن المقياس من (٢٥) فقرة بصورتها الأولية، وقد تم التأكّد من الخصائص السايكومترية للمقياس من خلال إيجاد القوة التمييزية لكل فقرة من فقراته وإيجاد علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياسين، كما استخرجت الباحثتان الثبات بطريقتي آلفا كرونباخ والتجزئة النصفية، وكانت قيمة الثبات بطريقة آلفا كرونباخ لمقياس الانتماء المحبط (٠.٨٠٣)، أمّا قيمته الثبات بطريقة التجزئة النصفية فقد بلغت (٠.٧٦٤)، إذ بلغ مقياس الانتماء المحبط بصورته النهائية (١٧) فقرة، وبعد معالجة البيانات إحصائيًا عن طريق الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، توصلت الباحثتان الى النتائج الآتية:

- إن عينة البحث تتسم بالانتماء المحبط بدرجة قليلة أو ضعيفة.
- أن الذكور لا يختلفون عن الإناث في الانتماء المحبط.
- أن غير المتزوجين هم أكثر انتماء محبط من المتزوجين.
- ليس هناك فرقًا ذو دلالة إحصائية على مقياس الانتماء المحبط تبعًا لمتغير العمر.

وقد خرجت الباحثتان بمجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: الانتماء، الإحباط، الجامعة التكنولوجية، الموظفين.

* الجامعة التكنولوجية/ شعبة الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي – العراق.

Email: uthhbnbn@gmail.com

* Technological University/ Department of Psychological Counseling and Educational Guidance - Iraq.

* مديرية تربية نينوى – العراق.

Email: nahaanajm491@gmail.com

* Directorate of Education Nineveh - Iraq.

Abstract:

This research aimed to reveal the frustrated belonging among the employees of the technological university. The research sample consisted of (150) employees from the University of Technology cadres, who were selected randomly. The frustrated belonging scale was prepared by relying on the definition of Joiner (2005). The scale consisted of (25) paragraphs in its initial form. The psychometric properties of the scale were confirmed by finding the discriminatory power of each paragraph and finding the relationship of the paragraph to the total score of the two scales. The researchers also extracted the reliability using the Cronbach's alpha and split-half methods. The reliability value using the Cronbach's alpha method for the frustrated belonging scale was (0.803), while its reliability value using the split-half method reached (0.764). The frustrated belonging scale in its final form reached (17) paragraphs. After processing the data statistically using the Statistical Package for Social Sciences (SPSS), the researchers reached the following results:

1. The research sample is characterized by frustrated belonging to a small or weak degree.
2. Males do not differ from females in frustrated belonging.
3. Unmarried people are more frustrated belonging than married people.
4. There is no statistically significant difference on the frustrated belonging scale according to the age variable.

The researchers came up with a set of recommendations and proposals.

Keywords: Belonging, Frustration, Technological University, Employees.

مشكلة البحث:

يعاني العديد من الأفراد في المجتمعات من مشكلات متعددة، ومن بينها شريحة الموظفين إذ تعمل هذه المشكلات على خفض انتاجياتهم في العمل، وتؤثر على أدائهم وكفائتهم أيضًا، كما أن هذه المشكلات تعيق التطور في العمل، وعدم قدرة الفرد على التكيف مع الضغوطات، كما وتعمل هذه المشكلات ايضاً على تقيل فرص النجاح والانجاز في شتى المجالات، فأن ضعف القدرة على التحكم في بيئة العمل قد تؤدي إلى ظهور مجموعة من المشكلات النفسية كالقلق، والاكتئاب، والضغط النفسي، التي تمثل الصدارة بين المظاهر النفسية والسلوكية التي يتعرض لها الموظفون في الوقت الحالي، فالضغوط النفسية في الحياة، وفي بيئة العمل ولا سيما لدى الموظفين لها اثارً وخيمةٌ وواضحة على هبوط وتردي الاداء الوظيفي لديهم.

كما يترتب على هذه المشكلات والضغوط العديد من الازمات التي تؤدي الى تدهور الحالة الصحية والنفسية للفرد، فأن هذه المشكلات تعد السبب في الاقصاء الاجتماعي.

فإن الانتماء الى مؤسسة عمل لا يرغب بها الفرد تكون نتائجها سلبية اولاً على صحة الفرد النفسية والجسمية، إضافة الى قلة الإنتاجية بها، فالحاجة للانتماء هي شكل من أشكال الإحباط الناتج عن انخفاض في مستويات الدعم الاجتماعي وغياب الرعاية والاهتمام، وهو ما أطلق عليه حديثاً بمفهوم الانتماء المحبط (joiner, 2005, p.4).

ومن هذا المنطلق فقد اشارت دراسة ريان (Ryan et al, 2017) إلى أنَّ الانتماء المحبط قد ارتبط إيجابياً بالتفكير بالانتحاري، في حين ارتبط سلبياً بكل من دعم الأسرة والأقران والمجتمع، وقد بينت الدراسة أن الدعم كان مرتبطاً بشكل مستقل مع الانتماء المحبط (Ryan, 2017, p.22).

وفي سياق الحديث يشير الينا جونير (Joiner, 2005) من خلال تعريفة للانتماء المحبط بأنه شعور بالغربة والانفصال عن الأصدقاء، والأقارب، وعن أي شبكة اجتماعية أخرى، وبذلك يعد الانتماء المحبط من اهم الأسباب المؤدية الى التفكير الانتحاري، فقد أوضحت دراسة جونير (Joiner, 2005) إلى أنَّ الانتماء المحبط يساهم في رغبة الفرد في الانتحار، وليس القدرة على الانتحار، فأنَّ الأشخاص الذين لديهم سوابق في التعرض للألم يكونون أكثر قدرة على تنفيذ الانتحار (Selby, 2010, p.290).

- ومما تقدم يمكن تبيان مشكلة البحث الحالي بالتساؤل الآتي: هل يتصف موظفو الجامعة التكنولوجية بالانتماء المحبط؟، وهل يختلف الانتماء المحبط لديهم حسب النوع الاجتماعي (ذكور، اناث)، وهل يختلف الانتماء المحبط حسب متغير الحالة الاجتماعية (متزوج، غير متزوج)، وهل يختلف الانتماء المحبط حسب متغير العمر (٢٣–٣٣ سنة، ٣٤–٤٣ سنة، ٤٤ سنة فأكثر)؟

أهمية البحث:

أصبح ينظر لتقدم المجتمعات البشرية وذلك من خلال بناء الافراد العاملين في هذه المجتمعات، بناءً تربوياً، وعلمياً، ومهنياً، وذلك لانهم يمثلون الموارد البشري المهم الذي يقود حركة التطور في هذه المجتمعات، كما ويعد الشخص المستقر نفسياً، وأن الموضوعات حياته الاساسية غير معرضة للخطر، فأنه يعد شخصاً متوازناً ومتوافقاً نفسياً على نحو جيد (طبيل واخرون، ٢٠٠٨، ص ٣٥٢).

مما لا يدع مجالاً للشك للحديث فإن الفرد والمجتمع يحتاج كل منهما الى العناية بالجوانب الإيجابية وذلك من اجل رفع كفاءة الافراد في اعمالهم، ولا سيما في الوقت الراهنة، وصولاً بهم الى نتائج إيجابية المرضية، للفرد والى جهة العمل، وعليه فقد أكدت دراسة الغمري (٢٠١٧) لكي تتمكن الادارة من توجيه

سلوك العاملين يجب ان تختار انسب الافراد أو العناصر للعمل، كما وتهيئ لهم ظروف العمل المناسبة، وتعمل على خلق جواً من العلاقات الإنسانية الودية بين العاملين، فالإدارة الناجحة التي تحاول الوصول الى اهدافها عن طريق العمل الإنساني، والتأثير على سلوك الافراد، والجماعات، والذين تعمل معهم فالعناصر البشري اصبحت من اهم العناصر التي تؤثر في تقدم المؤسسات والشركات والمنظمات(عبد الرحمن، ٢٠٢٠، ص ١٢٠).

فالانتماء حاجة ملحة لدى الفرد إذ تنمو معه منذ بداية نشأته، باعتباره عضو فعال في المؤسسة التي ينتمي اليها، كما ويبدأ شعور الفرد بالانتماء إلى المؤسسة عن طريق توفير متطلبات العمل، الذي يتيح للفرد الاحتكاك بالآخرين في المجتمع الذي يعيش فيه، فتتوسع لديه دائرة انتمائه، وتزداد لديه الحاجة الى الانتماء (قناوي،١٩٩١، ص189).

ومن هذا المنطلق فقد تناول علماء النفس مفهوم الانتماء كونه حاجة من الحاجات النفسية الأساسية، كما توصل العلماء الى أن الانتماء حاجة نفسية اجتماعية ترتبط بالعمليات الفسيولوجية الموجودة في المخ، والتي يتم استثارتها داخلياً وخارجياً، مما يؤدي الى نشاط من جانب الكائن ويستمر النشاط حتى يتغير الموقف، في حين يرى علماء اخرون الى أن الحاجة للانتماء تعد حاجة من الحاجات الظاهرة التي تعمل في إطار الجماعة، والتي لا تعمل بصورة منفردة.

وقد انحصرت النظرة الى الانتماء على أنَّه حاجة نفسية اجتماعية تتمثل في العلاقات الاجتماعية وتظهر من خلال الشعور بالاتصال الآمن مع الآخرين والنزعة الى التفاعل والتواصل والشعور بأهتمام الآخرين كما تتضمن الحاجة للعلاقات الإحساس بالانتماء لجماعة معينة مثل الأسرة أو الأقران وغيرهم (شلتز،١٩٨٣، ص٤٥). ويؤدي إشباع الحاجة للعلاقات مشاعر الاهتمام الحقيقي، والحب من قبل الآخرين ذوي الأهمية بالنسبة للفرد بدلاً من الشعور بالوحدة والاغتراب ويؤدي دعم الحاجة الى العلاقات الى تحسين أداء الفرد ومجابهة الضغوط والتقليل من المعاناة النفسية في حين ينطوي إحباط العلاقات على خبرة العلاقة الاقصائية Relational exclusion والشعور بالوحدة (Chen,Vansteenkiste et al., 2015, p.4).

إنَّ أول من استعمل مفهوم الانتماء المُحبط هو جوينر (Joiner, 2005) فقد عرف الانتماء المُحبط بأنَّه مستوى منخفض من الشعور بالدعم الاجتماعي الذي يتصوره الآخرون وبسوء التواصل والعلاقات المحدودة مع الآخرين أو العزلة، ويشمل الانتماء المحبط على عنصرين رئيسيين هما: العزلة وغياب الرعاية المتبادلة (Ma et al, 2016, p.3).

فقد أشار جوينر (Joiner, 2005) الى أن مفهوم الانتماء المحبط هو الحالة الديناميكية والمعرفية والعاطفية، وليست السمة المستقرة، والتي تتأثر بالعوامل الشخصية والداخلية وتشمل البيئات المختلفة للأفراد (Joiner, 2005, P.11).

وفي دراسة وضعها ريان (Ryan, 2012) الى أن هناك علاقة بين الرفض الأبوي بسبب الجنس "التوجهات الجنسية" ومحاولة الفرد للانتحار، وأن الشعور بإحباط والانتماء المحبط الذي يساهم في رفع معدلات الانتحار لدى الافراد (Ryan, 2012, p.7)، وفي جانب أخر أكدت دراسة أخرى وضعها (محمد وصدري، ٢٠١٨) والتي تناولت الانتماء المحبط والعبء المتصور والكفاءة الذاتية وقوة الانا لدى عينة من المجتمع الإيراني فقد أكدت النتائج التي توصلت اليها الدراسة الى إن هناك علاقة إيجابية بين الانتماء المحبط والعبء المتصور والتفكير الانتحاري فضلاً عن وجود علاقة سلبية بين الكفاءة الذاتية وقوة الأنا (Sadri et al, 2018, p.3).

تتجلى أهمية البحث الحالي على الصعيد النظري: من خلال انه يعد إضافة علمية للتراث النفسي في التعليم العالي والبحث العلمي وذلك عن طريق ما إضافته للمعرفة العلمية من نتائج، وما طرحه هذا البحث من وجهات نظرية ونتائج ودراسات علمية وتعد إضافة علمية في المكتبات العراقية، **اما من حيث** الجانب التطبيقي فقد تم اعداد مقياس الانتماء المحبط وجعلة صالحاً للتطبيق من أجل الاستفادة منه مستقبلاً في البحوث الأخرى كونه أدات جاهزة للإفادة منها على عينات اخرى.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي التعرف على:

١. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية.
٢. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية حسب متغير النوع الاجتماعي (ذكور، اناث).
٣. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية حسب متغير الحالة الاجتماعية (متزوج، غير متزوج).
٤. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية حسب متغير العمر (٢٣–٣٣ سنة، ٣٤–٤٣ سنة، ٤٤ سنة فأكثر).

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بالموظفين في الجامعة التكنولوجية، وقد تم اختيارها حسب متغير النوع الاجتماعي: (ذكور، اناث)، وحسب متغير الحالة الاجتماعية: (متزوج، غير متزوج)، وحسب متغير العمر: (٢٣–٣٣ سنة، ٣٤–٤٣ سنة، ٤٤ سنة فأكثر)، وللعام ٢٠٢٤.

تحديد المصطلحات:

– الانتماء المحبط (Thwarted belongingness)

وقد عرفه جوينر (Joiner, 2005): بأنها الشعور بالعزلة والغربة عن الأصدقاء والعائلة والشبكات الاجتماعية الأخرى ذات القيمة (Joiner, 2005, p.287).

بينما عرفه هيل وبيتيت (Hill & Pettit, 2014): بأنه مستوى منخفض من الدعم الاجتماعي الذي يتصوره الافراد الآخرون، والشعور بسوء الاتصالات والعلاقات المحددة مع الآخرين، أو العزلة (Hill & Pettit, 2014, p. 643).

- ✓ وقد تبنت الباحثتان تعريف جوينر (Joiner, 2005)، كونها اعتمدت على نظريته.
- ✓ اما التعريف الاجرائي للانتماء المحبط: ويتمثل بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على مقياس الانتماء المحبط الذي تم أعداده في البحث الحالي.

الإطار النظري:

تم استخدام مفهوم الانتماء المحبط لأول مرة من قبل توماس جوينر (Thomas Joyner, 2005)، الذي عرّف الانتماء المحبط بأنه مستوى منخفض من الدعم الاجتماعي الذي ينظر إليه الآخرون بسبب ضعف التواصل والعلاقات مع الآخرين بسبب القيود. تشمل معوقات الانتماء عاملين، العاملان الرئيسيان هما: العزلة ونقص الرعاية المتبادلة (Pettit & Hill, 2014).

يوصف الانتماء المحبط بأنه شعور بالغربة عن الأقران أو غيرها من الدوائر الاجتماعية المهمة. كما ويتكون الانتماء المحبط من عنصرين: الشعور بالوحدة، مثل "أشعر بالانفصال عن الآخرين"، ونقص الدعم المتبادل والحاجة إلى الرعاية، على سبيل المثال، "ليس لدي أحد ألجأ إليه ولا دعم." وآخرون، "تتأثر

هذه الحالة المعرفية العاطفية الديناميكية بعوامل داخلية وشخصية مثل التوجه الأسري، والعيش بمفردي، ونقص الدعم الاجتماعي، والميل لـ تفسير ردود أفعال الآخرين على أنها رفض (Van Orden et al., 2010).

وأشار ايليان (Ilian, 2007) إلى أن الإحباط له معنيان: الأول يعبر عن الإحباط الظرفي، والذي يتجلى في توقف الأفراد عن سلوكهم بسبب أحداث أو مواقف محبطة غير متوقعة. أما المعنى الثاني فيشير إلى فشل الفرد في تلبية احتياجاته الأساسية والثانوية وفشله في تحقيق رغباته وأهدافه، ويصاحب ذلك ظهور مشاعر سلبية خطيرة مثل الغضب والقلق والعداء، أي عندما يحدث وعي الفرد بالإحباط. عندما تكون هناك عوائق تمنعه من قضاء حاجته، أو عندما يريد شيئا ولا يستطيع الحصول عليه (العيساوي، ٢٠١١، ص ١٩٣).

وكما يشير فستنكر، مؤلف نظرية التنافر المعرفي، إذا كان هناك تنافر معرفي بين النتائج المتوقعة من جهة والنتائج الفعلية من جهة أخرى، فمن الممكن أن تنشأ مشاعر سلبية مثل الإحباط. فمن ناحية، يرى فيستدن أن المشاعر الإيجابية تنشأ عندما يكون هناك انسجام معرفي بين النتائج المتوقعة والنتائج الفعلية؛ العواطف. التنافر المعرفي الألفة هو الدافع الأساسي للسلوك الفردي. اختلف هانت (١٩٦٢) مع فيستدن، حيث أشار إلى أن التنافر المعرفي لا يؤدي دائمًا إلى مشاعر سلبية ولكنه يمكن أن يؤدي إلى مشاعر إيجابية (Hunt,1962, P.5).

كما ويعتقد سيجمون فرويد (Sigmund Freud) صاحب نظرية التحليل النفسي الى أن الإنسان يجسد محبوبته بطريقة متناقضة عاطفياً (يحبه ويكرهه). وفي أوقات الإحباط يظهر الجانب العدواني من التناقض العاطفي ويتجه نحو الذات. ولذلك فهو يصرف الانتباه عن الذات. فالشخص الذي يسبب الإحباط يولد طاقة عدوانية ويوجهها لمعاقبة النفس. ولذلك قد ينتحر الشخص، لكي يدمر صورة الشخص الذي يكرهه، أي صورة الشخص الذي كان يحبه سابقاً (العفيفي، ١٩٩٠، ص ٥٤).

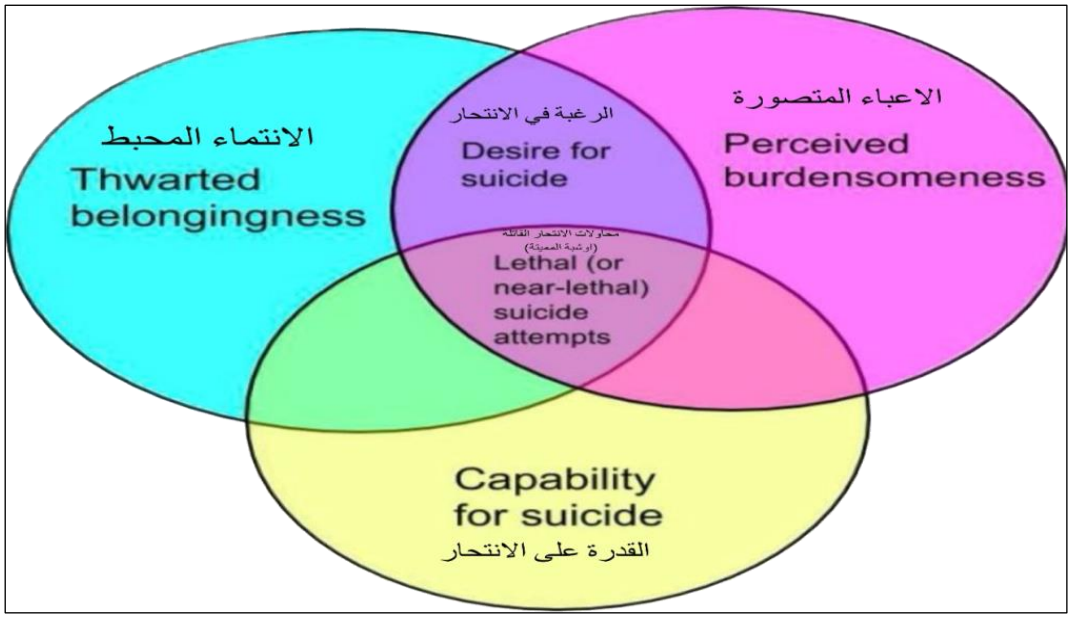
تقترح نظرية شخصية جوينر (Joyner) أيضاً فرضية مفادها أن الانتماء المحبط هو حالة معرفية صالحة وديناميكية، وليست حالة ثابتة، تتأثر بعوامل شخصية وداخلية، مثل تجارب الصراع الأسري، والعيش الشخصي بمفرده، وتدني الوضع الاجتماعي الدعم والرغبة، وما إلى ذلك، وتفسير سلوك الآخرين من حيث الرفض (Ma, 2016, P.7).

ويشير جونير (Joiner, 2005) الى أن الانتماء المحبط يكون شرط للانتحار، ويعد الاتصال بالآخرين حاجة ماسة، وأن تلبية حاجات الفرد تعزز لديه الشعور بالرفاهية العامة، وهي أمر ضرورية للبقاء على قيد الحياة، كما ويفترض جوينر (Joiner, 2005) أنَّه إذا تم تلبية هذه الحاجة لن يكمل الفرد الانتحار بغض النظر عن عوامل الخطر الأخرى، ووجدت العديد من الدراسات أنَّ العبء الملحوظ والانتماء المحبط يعملان في تآزر ليصبحا مؤشراً على الأفكار الانتحارية (Joiner et al,2009, P.93).

قد يساهم الشعور المحبط بالانتماء أيضاً في بُعد الدافع لمساعدة الآخرين. أظهرت الأبحاث السابقة أن الدافع لمساعدة الآخرين يزداد مع الروابط الاجتماعية. في غياب الشعور بالانتماء، يساعد الناس الآخرين لمجرد مصلحتهم الخاصة. ومع ذلك، عندما يشعر الأفراد بالانتماء إلى مجموعة ما، فإنهم يطورون شعورًا بالمسؤولية والالتزام تجاه المجموعة. مجموعة يمكنها تجاوز مصالحها الخاصة (شوندرادي، باتسون، ١٩٨٦). نظرية تقرير المصير (SDT)، المتعلقة بدوافع الإنسان والسعادة. يشير الوجود (Deci & Ryan, 2000) إلى أن البشر ينجذبون بشكل طبيعي نحو الروابط الإيجابية لتلبية الاحتياجات النفسية، وبالتالي تعزيز التطور النفسي الأمثل. والرفاهية في جميع جوانب الحياة، بما في ذلك العمل (Deci&Ryan,2000, P.٧).

وتعد النظرية النفسية الشخصية للسلوك الانتحاري التي اقترحها جوينر (Joiner) في عام ٢٠٠٥ وهي واحدة من الأطر النظرية الناشئة التي تتلقى حالياً دعماً تجريبياً قوياً حيث فسرت مفهومين معاً الأول هو الانتماء الحبط، والمفهوم الثاني الذي تحدثت عنه النظرية هو العبء. وتبين أن نظرية الانتحار بين الأشخاص تحاول تفسير سبب انخراط الأفراد في السلوك الانتحاري وتحديد الأفراد المعرضين للخطر. تم تطويره بواسطة (Thomas Joiner).

كما وتتكون النظرية النفسية الشخصية للسلوك من ثلاثة مكونات تؤدي مجتمعة إلى محاولات الانتحار. ووفقاً لهذه النظرية، فإن التعايش بين الشعور بالانتماء المحبط والثقل المتصور يمكن أن يؤدي إلى الرغبة في الانتحار. فوجود الرغبة في الانتحار أمر ضروري ولا يؤدي في حد ذاته إلى الموت. وبدلاً من ذلك أكد (Joiner) على قدرة الشخص المكتسبة على التغلب على الخوف الطبيعي من الموت (Joiner, 2005, p.7).



الشكل (١) يوضح التصور النظري الذي وضعة جوينر (Joiner, 2005).

ويعتقد جوينر (Joiner) أيضاً أن الانتماء _ والشعور بالقبول من قبل الآخرين _ هو حاجة أساسية بالغة الأهمية للصحة العقلية للفرد ورفاهيته (Baumeister & Leary, 1995, p. 8).

يتم تعريف الانتماء المحبط: على أنه حالة نفسية مؤلمة تحدث عندما لا يتم تلبية الحاجة الأساسية للاتصال، والموصوفة من قبل بوميستر وليري (Baumeister and Leary, 1995) بـ "الانتماء" ((Cacioppo and Patrick, 2008, pp. 1-6)).

ويتم تعريفه أيضاً على أنه شعور الفرد بالعزلة الاجتماعية أو الفشل في تكوين روابط اجتماعية وثيقة، في حين يتم تعريف العبء المتصور على أنه شعور المرء بأنه يثقل كاهل الآخرين في حياته الخاصة. ويشكل هذان العاملان معًا القوة الدافعة للسلوك الانتحاري والرغبة في الانتحار. إذ يجب أن تكون قادرة على الانتحار. في سلوك التدمير الذاتي، يتطلب ذلك خوفًا منخفضًا من الموت، وتحملًا كبيرًا للألم الجسدي، ومهارات التكيف المستمدة من تجارب سابقة مثل إساءة معاملة الأطفال، أو التعرض للقتال، أو سلوك التدمير الذاتي (Van orden, 2010, p.2).

كما يعتبر الشعور المحبط بالانتماء حاجة غير ملباة للكفاءة الاجتماعية. وفقًا لهذه النظرية، عندما يتعايش الشعور المحبط بالانتماء والعبء المتصور، تتطور الرغبة في الانتحار، والتي تظهر سلوكيًا على شكل أفكار انتحارية نشطة (Ryan & Deci, 2000, p. 319-338).

وفقاً لهذه النظرية، فإن الانتماء المحبط هو حالة نفسية مؤلمة تحدث عندما لا يتم تلبية الحاجة الأساسية للتواصل (الشعور بالانتماء) التي وصفها بوميستر وليري (١٩٩٥). وتشير النظرية أيضًا إلى أن مؤشرات العزلة الاجتماعية المختلفة ترتبط بهذا. الانتحار وحده (Heikkinen، Aro، Lonnqvist &، 1994). ترتبط الوحدة وانخفاض الدعم الاجتماعي بطول العمر والانتحار. نظرًا لأنها مؤشرات على احتياجات الانتماء المحبطة، يشير فان أوردن (٢٠١٠) إلى أن النساء قد يكونن حساسات تجاه إحباطات الانتماء بسبب أهمية العلاقات الوثيقة مع الأسرة (Van orden et al, 2010. p2).

كما وتتضمن النظرية أيضاً افتراض أن الإحباط من الانتماء هو حالة ديناميكية معرفية عاطفية وليس صفة مستقرة تتأثر بالعوامل الشخصية والداخلية. ويتضمن البيئة الفعلية للفرد، مثل عدد الأفراد في شبكة اجتماعية، الأنماط الشخصية الإيجابية، مثل القدرة على تفسير سلوك الآخرين كمؤشرات للرفض، والحالات العاطفية، مثل المزاج، والاكتئاب (Joiner, 2005, p.11).

وقد أشارت الدراسات إلى أن الرجال يتصفون بمستويات عالية وبشكل ملحوظ من تحمل للألم (Riley et al,1998)، وقد انخفضت مستويات الانتحار ليهم (Ellis&Lamis,2007).

ومن جانب اخر تقترح نظرية جونير (Joiner) أن الخلافات العائلية، والبطالة، والتفكك الاجتماعي وايضاً الضعف الاقتصادي والتفكك الاسري تلعب دور في زيادة معدلات الانتحار لان هذه الأعباء على الافراد داخل الاسرة والمجتمع ككل، كما ويعتقد أن والأعباء المتصورة، والانتماء المحبط ما هي الا حالات عقلية الأقرب الى تطور أفكار الانتحار عند الفرد

التي تسبق تطور أفكار الانتحار والاضطرابات العقلية ويفترض أنَّ الانتماء المحبط والأعباء المتصورة ديناميكية وقابلة للتغيير العلاجي (Conwell,2000,p.22-23).

أشار جوينر أيضًا إلى أنَّ الانتماء المُحبط والأعباء المتصورة هي عوامل خطر الانتحار القريبة ومن ثمَّ فإنَّ إحدى الطرق المحتملة التي تؤثر بها هي أحلام اليقظة العنيفة على الرغبة في الانتحار وهي تفاقم مشاعر الانتماء المُحبط والأعباء المتصورة على وجه التحديد قد تؤدي أحلام اليقظة العنيفة إلى أبعاد الفرد، كما تلعب تغذية المواقف السلبية التي تصاغ عن قمة الفرد مما يزيد لديهم مشاعر الانتماء المحبط (Van orden et al, 2010, p.2).

وعلية يبين لنا سلمي (Sillamy, 1996) عن الافراد يلجأون الى الخيال في الكثير من الأمور، وذلك للهرب من الواقع وتحقيق ما تم احباطه لديهم، وما هي الا محاولات من قبل الافراد من اجل اشباع رغباتهم ونزواتهم التي أصبحت مكبته، وهي بنفس الدور وسيلة من اجل التخلص من التوترات الناجمة عن فشل اشباع الحاجات المكبوتة (Sillamy, 1996, p.106)

إجراءات البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي، إذ يمتاز هذ المنهج في وصف الظاهرة التي يرغب بدراستها، مع جمع معلومات دقيقة عنها. لذا فإنه يعتمد على دراسة الظاهرة كما هي متواجدة في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً وكمياً، ويعتمد المنهج الوصفي في المعلومات عن الظاهرة او المشكلة المراد بحثها بشكل مباشر على ادوات ميدانية عدة ومن أهمها المقياس، كما يعد المنهج الوصفي من أكثر المناهج استعمالاً في دراسة الظروف والوقائع الاجتماعية والعلمية والاقتصادية وغيرها (القصاص، ٢٠٠٧، ص ٢٢).

عينة البحث:

تكونت عينة البحث من (150) موظفاً من الكوادر الادارية للجامعة التكنولوجية، وقد استعملت الباحثتان طريقة العينة العشوائية ذات التوزيع المتساوي، في اختيار عينة بحثهما وذلك لان العينة العشوائية تمثل مجتمع الدراسة إلى أقرب حد ممكن، وكما قامت الباحثتان بتوزيع اداة البحث على عينة البحث تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي (ذكور، اناث)، ومتغير الحالة الاجتماعية (متزوج، غير متزوج)، ومتغير العمر (٢٣–٣٣ سنة، ٣٤–٤٣ سنة، ٤٤ سنة فأكثر)، وكما موضح في الجدول (١).

جدول (١) توزيع عينة البحث حسب النوع الاجتماعية والحالة الاجتماعية والعمر

ت	الجنس	الحالة الاجتماعية	العمر		المجموع
١	ذكور	متزوج	٢٣–٣٣ سنة	٧٥	٧٥
٢	اناث	غير متزوج	٣٤–٤٣ سنة	٧٥	٧٥
			٤٤ سنة فأكثر		
المجموع				١٥٠	١٥٠

أداة البحث:

١. **مقياس الانتماء المحبط:** بعد اطلاع الباحثتان على الأدبيات والدراسات السابقة والنظرية المتبناة لم تجدا أداة مناسبة لعينة بحثها، لذا ارتأت الباحثتان اعداد مقياس الانتماء المحبط والذي تكون من (٢٥) فقرة، وقد اعتمدتا في اعداد مقياس البحث على النظرية المتبناة التي وضعها العالم جوينر (Joiner)، وايضاً على التعريف النظري الذي وضعه جونير (Joiner, 2005) لمفهوم الانتماء المحبط: بأنه الشعور بالعزلة والغربة عن الأصدقاء والعائلة والشبكات الاجتماعية الأخرى ذات القيمة.

٢. **وصف مقياس الانتماء المحبط:** تكون مقياس الانتماء المحبط بصيغته الاولية من (٢٥) فقرة وكانت ذات اتجاه واحد، فقد تم المراعاة في صياغة الفقرات على أن تكون الفقرة واضحة وقصيرة وأن تحتوي كل فقرة على فكرة واحدة، وان تدفع المشاركين الى تقديم إجابات صادقة عن المفهوم (Embretson, 1996, p.168).

٣. **نوع البدائل وطريقة تصحيح مقياس الانتماء المحبط:** استعملت الباحثتان أربع بدائل وهي: (تنطبق عليّ تماماً، تنطبق عليّ غالباً، تنطبق عليّ احياناُ، لا تنطبق عليّ ابداً) امام كل فقرة من الفقرات الـ (٢٥) لمقياس الانتماء المحبط، وقد وضعت أوزان لكل بديل من بدائل المقياس وذلك بإعطاء درجات على النحو الآتي: (تنطبق عليَ تماماً=٤، تنطبق عليَ غالباً=٣، تنطبق عليَ أحياناً=٢، لا تنطبق علّي أبداً =١).

٤. **صدق الفقرات الصدق الظاهري لـ مقياس الانتماء المحبط :** أشار ايبل (Eble, 1972) إلى أن أفضل وسيلة للتأكد من صلاحية فقرات المقياس هو تحديد عدد من الخبراء مدى صلاحيتها لقياس الصفة التي وُضعت من أجلها (Eble, 1972, p. 555)، وبعدما إن تم التحقق من صياغة فقرات المقياس البالغة (٢٥) فِقرة، وعُرض المقياس بصورتهِ الأولية على مجموعة من المحكمين المتخصصين في علم النفس والقياس النفسي، وبعدما وضح الغرض من الدراسة والتعريف النظري المُتبنى للدراسة ونوع العينة التي سيطبق عليها المقياس، أبدى المحكمون آرائهم وملاحظاتهم بشأن المقياس ومدى صلاحية فِقراته وبدائله وأوزانه، وما تتطلب من حذف أو تعديل على فقرات المقياس، وقد نالت جميع الفقرات استحسان وقبول الخبراء، مع إجراء بعض التعديلات على بعض الفقرات كما طلب الخبراء، وقد بلغت نسبة الاتفاق بين المحكمين ٩٥٪.

٥. **إعداد تعليمات مقياس الانتماء المحبط:** حرصت الباحثتان على ان تكون تعليمات مقياسهما واضحة ودقيقة وبسيطة، إذ طلب من المستجيب أن يشير الى أحد البدائل الاربعة لكل فِقرة من

فقرات المقياس، كما بينت للمستجيب أنَّه لا توجد إجابه صحيحة وأخرى خاطئة، ولا داعي لذكر الاسم.

٦. **التطبيق الاستطلاعي لمقياس الانتماء المحبط:** يعرف التطبيق الاستطلاعي بأنه الاختبار الذي يجريه الباحث بعد تصميمه لأداة من اجل تجربتها، ويقوم بتطبيقها على عينة من أفراد البحث بعد تحكيمها (عبد الهادي، ٢٠٠٦، ص١١٦)، وان هذا التطبيق أو الاختبار يهدف الى: معرفة مدى فهم العينة لفقرات الأداة ووضوح التعليمات، والى معرفة وحساب الوقت المستغرق من قبل المستجيب للإجابة على فقرات المقياس، والى معرفة مدى وضوح وملاءمة بدائل المقياس لأفراد العينة.

٧. **التحليل الإحصائي للفِقرات مقياس الانتماء المحبط:** تُعد عملية تحليل الفقرات ذات أهمية كبيرة لتطوير المقاييس والاختبارات، وأنَّ أي مقياس يجب أن يتصف بالتوازن، والاتساق، ودرجة مقبولة من الصعوبة، وقدرة عالية على التمييز والتباين العالي والثبات (المنيزل وآخرون، ٢٠١٠، ص١٣٠)، وفي هذا الإطار يساعدنا التحليل الإحصائي على إبقاء الفِقرات المميزة واستبعاد الفِقرات غير المميزة في المقياس (Ebel & Frisbie, 1991, p. 392)، ويُقصد بتمييز الفقرة هو مدى قدرتها على كشف الفروق بين الأفراد مرتفعي ومنخفضي السمة المراد قياسها من أجل الإبقاء على الفقرات المميزة في مقياس الانتماء المحبط واستبعاد الفقرات غير المميزة، واستخرجت القوة التمييزية للفقرات من خلال. أسلوبين للتميز وهما:

أ- **طريقة المجموعتين المتطرفتين (Extreme Groups Method):** يُقصد بالقوة التمييزية للفقرة معرفة الأفراد. الذين حصلوا على أعلى الدرجات والذين حصلوا على أدنى الدرجات في الاختبار نفسه، إذ إنَّ الغرض من حِساب القوة التمييزية هو لاستبعاد الفقرات غير المميزة بين والمستجيبين والإبقاء على الفقرات التي تميزهم (Chisell, 1980, p.434)، وقد أوضح كيلي (Kelly, 2000) أنَّه عند تحليل فِقرات المقياس يجب الاعتماد على (٢٧٪) من الأفراد في كلا المجموعتين المتطرفتين العليا والدنيا واستبعاد نسبة (٤٦٪) الوسطى (علام، ٢٠٠٠، ص٢٨٤)، وتُعد نسبة (٢٧٪) نسبة جيدة لكونها تقدم لنا مجموعتين بأكبر حجم وأقصى تمايزاً (Ebel, 1972, p. 385).

وعند تطبيق المقياس على عينة بالغ عددها (١٥٠) موظفاً وموظفة من الكوادر الإدارية للجامعة التكنولوجية، وصححت كل الاستمارات واستخرجت الدرجة الكلية لكل استمارة، بعدها رُتبت الاستمارات من أعلى درجة إلى أدنى درجة، وفرز نسبة (٢٧٪) من المجموعة العليا من الاستمارات بلغ عددها (٤١) استمارة وهي الاستمارات التي حصل أفرادها على أعلى الدرجات في الإجابة على مقياس الانتماء المحبط، وفرز نسبة

(٢٧٪) من المجموعة الدنيا من الاستمارات التي بلغ عددها (٤١) التي حصل أفرادها على أدنى الدرجات في الإجابة على مقياس الانتماء المحبط ، وبهذا بلغ عدد الاستمارات العليا والدنيا (٨٢) استمارة، وبعد ذلك احتسب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل فِقرة من فِقرات المقياس من المجموعتين العليا والدنيا، ثم تم استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق بين أوساط درجات المجموعتين العليا والدنيا على كل فِقرة من فِقرات المقياس، وذلك لأن القيمة التائية المحسوبة تُمثل القوة التمييزية للفِقرة بين المجموعتين العليا والدنيا، وعدت القيمة التائية المحسوبة مؤشراً لتمييز كل فِقرة عن طريق مقايستها بقيمة جدولية (مايرز، ١٩٩٠، ص٣٥)، وجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢) القوة التمييزية لفِقرات مقياس الانتماء المحبط باستعمال طريقة المجموعتين المتطرفتين

رقم الفقرة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة	مستوى الدلالة ٠.٠٥
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
١	2.10	0.970	1.07	0.346	6.372	دالة
٢	2.49	1.098	1.37	0.488	5.979	دالة
٣	2.63	0.942	1.56	0.743	5.726	دالة
٤	2.73	0.895	1.24	0.489	9.341	دالة
٥	3.05	0.865	1.39	0.586	10.165	دالة
٦	2.34	0.911	1.27	0.549	6.459	دالة
٧	3.20	1.054	3.07	0.905	0.562	غير دالة
٨	2.80	0.901	3.10	0.995	1.396	غير دالة
٩	2.41	0.999	1.12	0.331	7.862	دالة
١٠	3.00	0.894	1.22	0.475	11.257	دالة
١١	2.51	1.028	1.27	0.449	7.103	دالة

١٢	2.59	1.140	1.29	0.461	6.734	دالة
١٣	2.02	0.935	1.10	0.300	6.042	دالة
١٤	2.46	0.951	1.37	0.581	6.304	دالة
١٥	2.59	0.894	1.15	0.422	9.323	دالة
١٦	2.07	1.127	1.05	0.218	5.715	دالة
١٧	1.63	0.915	1.02	0.156	4.205	دالة
١٨	2.90	0.831	1.41	0.547	9.579	دالة
١٩	3.34	0.855	2.73	0.867	3.208	دالة
٢٠	3.12	0.980	2.80	0.843	1.571	دالة
٢١	2.83	0.892	3.05	0.835	1.150	دالة
٢٢	3.27	0.837	3.41	0.774	0.822	دالة
٢٣	3.05	0.921	2.93	0.848	0.624	دالة
٢٤	2.44	0.838	2.66	0.883	1.154	دالة
٢٥	2.88	1.029	2.85	0.963	0.111	دالة

ومن خلال ملاحظة جدول (٢) نجد أن الفقرات جميعها دالة إحصائياً ما عدا الفقرات (٧، ٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥)، عند درجة حرية (١٤٨) ومستوى دلالة (٠.٠٥) عند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (١.٩٦).

ب- إيجاد علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس: تُشير هذه الطريقة إلى مدى قدرة فِقرات الاختبار، على أن تقيس بنفس الاتجاه أو المسار، كما تُعد هذه الطريقة عن العلاقة المتبادلة بين فِقرات المقياس وهذا يعني إيجاد معامل الارتباط بين الأداء على كل فقرة والأداء على المقياس بأكمله (Peers, 2006, p. 29)، تم استعمال البيانات ذاتها التي اعتمدت عليها الباحثتان في استخراج القوة التمييزية في طريقة المجموعتين المتطرفتين على العينة البالغة (١٥٠) استمارة، فقد أشارت انستازي (Anastasi,1979) الى

أنَّ الدرجة الكلية للمقياس هي أفضل محك داخلي في حال عدم توفر محك خارجي (Anastasi, 1976, p. 206)، وعلى هذا الأساس استعملت الباحثتان معامل ارتباط بيرسون لاستخراج العلاقة بين درجات كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمستجيبين على نفس المقياس، وبعدما صُححت الاستمارات جميعها وحساب الدرجة الكلية لكل استمارة تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل فِقرة من فِقرات المقياس والدرجة الكلية له، وجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) قيم معاملات الارتباط بين درجة كل فِقرة والدرجة الكلية لمقياس الانتماء المحبط

رقم الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	رقم الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	0.484	دالة	14	0.471	دالة
2	0.490	دالة	15	0.512	دالة
3	0.389	دالة	16	0.531	دالة
4	0.524	دالة	17	0.477	دالة
5	0.533	دالة	18	0.608	دالة
6	0.512	دالة	19	0.129	دالة
7	0.036	غير دالة	20	0.048	غير دالة
8	0.010	غير دالة	21	0.082	غير دالة
9	0.521	دالة	22	0.024	غير دالة
10	0.538	دالة	23	0.043	غير دالة
11	0.588	دالة	24	0.084	غير دالة
12	0.511	دالة	25	0.067	غير دالة
13	0.549	دالة			

ومن خلال ملاحظة جدول (٣) نجد أنَّ الفقرات جميعها دالة إحصائياً، ما عدى الفقرات (٧، ٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥) عند مقارنتها بالقيمة الجدولية لمعامل الارتباط والتي تساوي (٠.٠٩٨)، وعند مستوى دلالة (٠.٠٥) ودرجة حرية (١٥٨).

٨. **مؤشرات الصدق لمقياس الانتماء المحبط:** تُعد جوانب الصدق من اهم خصائص الاختبار والمقاييس النفسية، فصدق الاختبار (Test Validity) يتعلق بالهدف الذي يبنى الاختبار من أجله، وبالقرار الذي يتخذ استناداً إلى درجاته، كما يُعد الصدق أحد الخصائص المهمة في الاختبار، فهو يبين فيما إذا كان المقياس يقيس بالفعل الخاصية ذاتها، والصدق مفهوم أشمل من الثبات فكل اختبار صادق هو ثابت (Goodwin, 2010, p. 135)، وقد تُحقق من بعض مؤشرات صدق مقياس الانتماء المحبط الذي اعده الباحثان في بحثها الحالي كما يأتي:

أ- **الصدق الظاهري (Face Validity):** تم التُحقق من هذا النوع من الصدق، عن طريق الإجراءات التي اتخذها الباحثان للتحقق من صلاحية فِقرات المقياس الحالي، وبدائله وأوزانه، وذلك بعرضه على مجموعة من المحكمين المتخصصين في علم النفس، وتم الأخذ بملاحظاتهم من تعديل على بعض الفِقرات وقد بلغت نسبة موافقتهم ٩٥٪.

ب- صدق البناء (Construct Validity): يهتم صدق البناء أو ما يسمى بصدق المفهوم بالسمات أو المفاهيم التي تنعكس على الدرجات، والمفهوم عبارة عن خاصية أو سمة لا يمكن ملاحظتها مباشرة، ولكن يمكن أن نستدل عليها من النظرية (المنيزل وآخرون، ٢٠١٠، ص١٥٦)، وإنَّ أحد مؤشرات صدق البناء هي قدرة الفِقرات للتمييز بين الأفراد لا سيما عندما يُستعمل أسلوب المقارنة الطرفية (Fransella, 1981, p.100)، وقد استخرج الباحثان هذا النوع من الصدق من خلال طريقة المجموعتين المتطرفتين (Extreme Groups Method)، وطريقة الاتساق الداخلي (Internal Consistency Method).

٩. **مؤشرات الثبات لمقياس الانتماء المحبط:** الثبات هي خاصية ضرورية لأي مقياس جيد فالمقياس الثابت هو الاختبار الذي ينتج درجات ثابتة للأفراد أنفسهم في مناسبات مختلفة ولا يمكن أن يكون المقياس صادقاً إذا لم يكن ثابتاً وتم حساب ثبات مقياس الانتماء المحبط بطريقتين وهما: معامل الفا كرونباخ (Alpha coefficient of internal consistency)، والتجزئة النصفية، كما مبين في جدول (٤).

جدول (٤) ثبات مقياس الانتماء المحبط

الطريقة	معامل الفا كرونباخ	التجزئة النصفية
معامل الارتباط	٠.٨٠٣	٠.٧٤٦

التطبيق النهائي: بعد الانتهاء من اعداد اداة البحث وتطبيق الاداة على عينة بلغت (١٥٠) موظفاً من الكوادر الإدارية للجامعة التكنولوجية، واجراء التحليل الاحصائي لها فقد بلغ مقياس الانتماء المحبط بصورته النهائية (١٧) فقرة.

الوسائل الاحصائية: اعتمد الباحثان الوسائل الإحصائية الآتية:

١. **الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة:** لاستخراج درجة لمقياس الانتماء المحبط.
٢. **الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين:** لحساب معامل تمييز الفِقرات بطريقة المجموعتين المتطرفتين لمقياس الانتماء المحبط، ولاختبار دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا، واختبار الفروق حسب النوع الاجتماعي والحالة الاجتماعية.
٣. **معامل ارتباط بيرسون (Person Correlation Coefficient):** في طريقة الاتساق الداخلي لمقياس الانتماء المحبط لاستخراج كل من:

أ. علاقة درجة الفِقرة بالدرجة الكلية للمقياس. ب. استخراج العلاقة بين نصفي مقياس الانتماء المحبط بطريقة التجزئة النصفية.

٤. **معادلة سبيرمان براون (Spearman Brown):** لتصحيح معامل الارتباط عند حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية لمقياس الانتماء المحبط.
٥. **معادلة الفا كرونباخ (Coefficient Alpha):** لاستخراج الثبات لمقياس الانتماء المحبط.

عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها:

لقد تضمن هذا الجزء عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الباحثتان في هذا البحث على وفق أهدافه، ومناقشة هذه النتائج وتفسيرها على وفق الإطار النظري المعتمد والدراسات السابقة، ومن ثم الخروج بمجموعة من التوصيات والمقترحات وكما يأتي:

١. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية:

فقد أظهرت نتائج البحث الحالي أن الوسط الحسابي لعينة التطبيق الرئيسة البالغة (١٥٠) موظفاً وموظفة على مقياس الانتماء المحبط قد بلغ (٥٥.٤٩) درجة وانحراف معياري (٨.٦٣١) درجة، بينما كان الوسط الفرضي (٦٢.٥) درجة وبعد تطبيق الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة تبين أن القيمة التائية المحسوبة (٩.٢٤٣-)، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، ودرجة حرية (١٤٩)، وبلغت القيمة الجدولية (١.٩٦)، وهي دالة احصائياً لصالح المتوسط الفرضي، إذ ان عينة البحث تتسم بالانتماء المحبط بدرجة قليلة أو ضعيفة، والجدول (٥) يوضح ذلك.

جدول (٥) الوسط الحسابي والوسط الفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لمقياس

حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية
150	55.49	8.631	62.5	-9.243	1.96	149

ويمكن تفسير هذه النتيجة الى ما أشار اليه نظرية جوينر (Joiner, 2005) من ان الشعور المتدني بالانتماء هو التجربة التي يشعر بها المرء بالغربة عن الاخرين، ويشعر انه ليس جزء من الاسرة او الأصدقاء او أي مجموعة أخرى ذات قيمة لديه، كما أظهرت الدراسة ان هناك مؤشرات متعلقة بالعزلة الاجتماعية والانتماء المحبط وهي التي تأسس العلاقة بين الانتماء او غيابه بين الانتحار لعدد من السكان (Joiner, 2005, p.2)، ووفقاً للنظرية الشخصية للانتحار يعتبر الانتماء المحبط هو حالة نفسية مؤلمة تنتج عندما تكون الحاجة الأساسية للترابط والتي وصفها "الحاجة الى الانتماء" لم تتم تلبيتها، فقد أشار (Joiner) فأن الافتقار الى العلاقات الاجتماعية الإيجابية والثابتة يؤدي الى حدوث مجموعة كبيرة من العواقب فالأشخاص الذين يفتقرون الى الانتماء هم اكثر عرضة للمشاكل السلوكية. وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (Joiner,2005).

٢. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية حسب متغير النوع الاجتماعي (ذكور، اناث):

كان الوسط الحسابي لعينة الذكور على مقياس الانتماء المحبط (٥٥.١٦)، وبانحراف معياري (٨.٨٢٠)، بينما كان الوسط الحسابي لعينة الإناث (٥٥.٨١) على مقياس الانتماء المحبط، وبانحراف

معياري (٨.٤٨٥) وبعد استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (t-test)، ظهر بأن القيمة التائية المحسوبة (٠.٤٦٢) وهي أصغر من القيمة الجدولية البالغة (١.٩٦) وهي غير دالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، ودرجة حرية (١٤٨)، مما يشير إلى أن الذكور لا يختلفون عن الإناث في الانتماء المحبط، والجدول (٦) يوضح ذلك.

جدول (٦) التعرف على الفروق في الانتماء المحبط على وفق متغير الجنس (ذكور، إناث)

حجم العينة	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	التائية الجدولية	الدلالة
150	ذكور	75	55.16	8.820	0.462	1.96	غير دالة
	إناث	75	55.81	8.485			

جاءت هذه النتيجة على العكس مما طرحته النظرية المتبناة فقد طرحت نظرية جوينر (Joiner) بأن الانثى تكون أكثر حساسية للانتماء المحبط بسبب أهمية العلاقات الوثيقة مع الاسرة (Van orden et al,2010.p2)، في حين بينت أن هذه النتيجة متفقة مع ما أشار اليه فريدمان (Freedman, 1978) فقد أشار الى أن أي مجتمع يتعرض لضغوط نفسية شديدة من حيث الكم والنوع، فأن هذه الضغوط تحجب تأثير المتغيرات الديموغرافية ومنها متغير النوع الاجتماعي والتخصص والعمر وغيرها (Freedman, 1978, p.208). وقد اختلفت هذه النتيجة مع دراسة (Joiner, 2005).

٣. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية حسب متغير الحالة الاجتماعية (متزوج، غير متزوج):

إذ كان الوسط الحسابي لعينة البحث من المتزوجين على مقياس الانتماء المحبط (٥٤.٠٠)، وبانحراف معياري (٧.٧٦٠)، بينما كان الوسط الحسابي لعينة البحث من الغير المتزوجين (٥٧.٣٣) على مقياس الانتماء المحبط، وبانحراف معياري (٩.٣٣٥)، وبعد استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (t-test)، ظهر بأن القيمة التائية المحسوبة (٢.٣٨٥) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (١.٩٦) وهي دالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، ودرجة حرية (١٤٨)، مما يشير إلى أن الغير متزوجين هم أكثر انتماء محبط من المتزوجين، والجدول (٧) يوضح ذلك.

الجدول (٧) التعرف على الفروق في الانتماء المحبط على وفق متغير الحالة الاجتماعية

حجم العينة	الحالة الاجتماعية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	التائية الجدولية	الدلالة
150	متزوج	75	54.00	7.760	2.385	1.96	دالة احصائياً
	غير متزوج	75	57.33	9.335			

ويمكن تفسير النتيجة أعلاه الى أن الافراد غير المتزوجين لديهم رغبات نفسية تحتاج الى الاشباع وعليهم تلبيتها من اجل التخلص من الإحباط ومن كل عوامله الأخرى والتي تتمثل بالكسل والخمول وعدم الرغبة في تلبية المهام الملقاة على عاتقهم، إضافة الى الأعباء المالية وبعض المشكلات العائلية.

٤. الانتماء المحبط لدى موظفي الجامعة التكنلوجية حسب متغير العمر (٢٣–٣٣ سنة، ٣٤–٤٣ سنة، ٤٤ سنة فأكثر):

لغرض تحقيق هذا الهدف تمّ استخراج المتوسطات والانحرافات لعينة البحث وفق متغير العمر وكما هو موضح في جدول (٨)، من ثم تمّ استخدام تحليل التباين (One way Anova) للكشف غن دلالة الفروق تبعاً لمتغير العمر، وكما هو موضح في جدول (٩).

جدول (٨) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمقياس الانتماء المحبط تبعاً لمتغير العمر

العمر	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
٢٣–٣٣ سنة	2.704	1.801
٣٤–٤٣ سنة	2.704	1.689
٤٤ سنة فأكثر	2.988	1.689

جدول (٩) تحليل التباين الاحادي لمعرفة دلالة الفروق في مقياس الانتماء المحبط تبعاً لمتغير العمر

مصدر التباين S.of.v	مجموع المربعات S.of.v	درجة الحرية D.F	متوسط المربعات M.S	القيمة الفائية F		Sig الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
بين المجموعات	254.117	2	127.059	1.722	2.65	0.05 غير دالة
داخل المجموعات	10845.356	147	73.778			
الكلي	11099.473	149				

تشير النتيجة المبينة اعلاه الى انه ليس هناك فرقاً ذو دلالة احصائية على مقياس الانتماء المحبط تبعاً لمتغير (العمر)، اذ كانت القيمة الفائية المحسوبة هي اقل من القيمة الفائية الجدولية، عند مستوى الدلالة (٠.٠٥)، ودرجة حرية (٢-١٤٧-١٤٩).

ويمكن تفسير هذه النتيجة الى أن الانتماء المحبط لا يتأثر بالعمر أي لا يوجد اختلاف بالانتماء المحبط بين الكبير والصغير من الموظفين في الكوادر الإدارية للجامعة التكنولوجية، وهذه النتيجة تتفق مع الرأي الذي طرحه فريدمان (Freedman, 1978) الذي أشار الى أن أي مجتمع يتعرض لضغوط نفسية شديدة من حيث الكم والنوع، فأن هذه الضغوط قد تحجب تأثيرات المتغيرات الديموغرافية ومنها متغير والعمر (Freedman, 1978, p.208).

الاستنتاجات:

- ان عينة البحث تتسم بالانتماء المحبط بدرجة قليلة أو ضعيفة.
- أن الذكور لا يختلفون عن الإناث في الانتماء المحبط.
- أن الغير متزوجين هم أكثر انتماء محبط من المتزوجين.
- ليس هناك فرقاً ذو دلالة احصائية على مقياس الانتماء المحبط تبعاً لمتغير العمر.

التوصيات:

١. على الجهات المعنية ضرورة عقد دورات تدريبية للعاملين بدوائر الدولة من اجل التعريف بمفهوم الانتماء المحبط والعمل على تخلص الموظفين وتحديداً الموظفين الجدد من أفكار المحبطة.
٢. توفير المكافأة والحوافز للموظفين الذين يظهرون جهداً اضافيا في واجبهم الوظيفي من اجل قتل شعور الإحباط لديهم.

٣. عقد اللقاءات الدورية من المسؤولين في المناصب العليا للوزارات كافة من أجل التعرف على المشكلات وايجاد الحلول للمشكلات التي يعاني منها الموظفين.

٤. توفير بيئة عمل مناسبة ومريحة في المؤسسات الحكومية كافة، مع صيانة وتوفير المستلزمات والأدوات الضرورية التي تسهل عمل الموظفين في الوزارات كافة.

المقترحات:

- اجراء دراسة تتناول الانماء المحبط على عينات أجتماعية أخرى.
- اجراء دراسة مماثلة للبحث الحالي تبحث العلاقة بين الانتماء المحبط ومتغيرات أخرى مثل: (الاستياء، الأداء الوظيفي، والكفاءة المهنية).

قائمة المصادر والمراجع:

١. طبيل، علي حسين محمد وعلي، محمود فراس ونقولا، ايناس بهنام. (٢٠٠٨). تقويم مستوى الاستقرار النفسي لدى العاملين في وحدات التربية الرياضية والفنية في كليات جامعة الموصل وعلاقته بتحقيق الذات. مجلة ابحاث كلية التربية الاساسي، كلية التربية الرياضية/جامعة الموصل، ٨ (٤)، ٣٤٩-٣٩٥.

٢. عبد الرحمن، حنان احمد (٢٠٢٠): اليقظة العقلية وعلاقتها بالمرونة النفسية والرضا الوظيفي لدى عينة من موظفي بعض مؤسسات الدولة. مجلة كلية التربية–جامعة عين شمس، القاهرة، ٤٤ (٤)، ١١٥-١٩٢.

٣. عبد الهادي، نبيل (٢٠٠٦). منهجية البحث في العلوم الإنسانية، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.

٤. العفيفي، عبد الحكيم (١٩٩٠). الاكتئاب والانتحار، ط١، الدار المصرية اللبنانية.

٥. علام، صلاح الدين محمود (٢٠٠٠). القياس التربوي والنفسي: أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة، الطبعة الاولى. القاهرة، دار الفكر العربي.

٦. العيسوي، عبد الرحمن (٢٠١١). علم النفس الطبي الوقائي، ط١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.

٧. القصاص، مهدي محمد (٢٠٠٧). مبادئ الإحصاء والقياس الاجتماعي، الناشر: عامر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، المنصورة، مصر.

٨. قناوي، هدى (١٩٩١). الطفل وتنشئته وحاجاته، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

٩. مايرز (١٩٨٧). علم النفس التجريبي، ترجمة خليل إبراهيم البياتي، مطبعة جامعة بغداد.

١٠. المنيزل، عبد الله فلاح والعتوم، عدنان يوسف (٢٠١٠). مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية. الطبعة الأولى، الأردن، مكتبة إثراء للنشر والتوزيع.

References:

11. Anastasi, A. (1976): Psychology Testing, New York, McMillon on publishing.

12. Chisel, E. E., (1980). Measurement Theory for Behavioral Sciences. Son Francisco, W. H, Freeman Company.Peers, I. S. (2006). Statistical Analysis for Education and Psychology Researchers. (2nded.), London: The Taylor & Francise-Library

13. Conwell, Y, Lyness JM, Duberstein, P, Cox, seidlitz, L, Digiorgio, A, Caine ED. Completed suicide among older patients in primary care practices:a controlled study. Journal of the American Geriatrics society, 2000: 48 (1), 23-29.
14. Cox, G. R., Owens, C., Robinson, J., Nicholas, A., Lockley,A., Williamson, M., Cheung, Y. T. D., & Pirkis, J. (2015). Interventions to systematic review. BMC public health, 13 (1), 214-231.
15. Deci, E. L., & Ryan R. M. (2000). The what and why of goal pursuits: human needs and the self-determination of behavior psychological inquiry, 11,227-268.
16. Ebel, R. L. (1972). Essential of education measurement. (2nd ed.). Englewood cliffs, NJ: prentice-Hal, New Jersey.
17. Ebel, R. L., Frisbie, D. A. (1991). Essentials of Educational Measurement, (5th ed). USA: Bhuvnesh Seth at Rajkamal Eledric Press.
18. Embretson, S. E. (1996). The new rules of measurement.
19. Fransella, L (1981). A theory of cognitive dissonance. Stanford: Stanford university press.
20. Freedman, L. (1978): Social Psychology, New Jersey, Prentice- Hall, 2nd ed.
21. Goodwin, C. J. (2010). Research in Psychology Methods and Design, (6thed.), Congress Cataloging, the United States of America.
22. Hill, R. M, & Pettit, J. w. (2014). Perceived burdensomeness and suicide-related behaviors in clinical samples: current evidence and future directions. Journal of clinical psychology, 70, 631-643. doi: 10. 1002 jclp. 22071.
23. Hunt, J. (1962). Motivation instincs in informationprocessing, newhaven, yale university pries.
24. Joiner, T. E. (2005). Why people die by suicide. Cambridge, MH: Harvard University.
25. Joiner, T. E. (2010). Overcoming the fear lethal injury: Evaluating suicidal behaviour in the military through the lens of the interpersonal-psychological theory of suicide. Clinical psychology review, 30 (3), 298 -307.
26. Ma, J., Batterham, p. J., Calear, A.L., Han, J. (2016). A. Systematic review of the predictions of the Interpersonal psychological Theory of suicide Behavior. Clinical psychology Review, 46, 34, 45. Dio:10. 1016/j. Cpr 2016 .04 .008.
27. Peres, L. (1990). Maternal Depression Stress Social Support, And Coping Mechanisms: Comperison of Puerto Rican Mother of Clinic and Non- clinic Latency – Age Boys: Dissertation Abstracts International, Vol. (50), No. pp.317.
28. Ryan M. Hill, (2012). Suicidal Ideation and sexual orientation in college students: The Roles of perceived burdens omeness, Thwarted Belongingness.
29. Ryan M. Hill, Evan E. Rooney, Megan A. Mooney, Julie B. kaplow. (2017). Links between social support, Thwarted belongingness, and suicide ideation among lesbian, Gay and bisexual college students.
30. Sadri, Esmaeil, Nasim Zakibakhsh Mohamedi, Seyed Mohammad Basir Amir. (2018). the role of thwarted belongingness, perecived burength in prediciting suicidel ideation of nurses.
31. Selby, E. A., Anestis, M. D., Bender, T. W. D., Ribeiro, J., Nock, M.K., Rudd, M.D., Bryan, C. J., Lim, I.C., Baker, M. T., Gutierrez, P. M., & Joiner, T. E. (2010).

Overcoming the fear of lethal injury: Evaluating Suicide behavior in the military through the lens of the Inter personal-psychological Theory of Suicide. Clinical psychology Review, 30 (3), 298-307. dio:10. 1016/j. Cpr. 2009. 12. 004

32. Sillamy, N. (1996). Dicţionar de psihologie Larousse. Editura Univers Enciclopedic, 199.

33. Van orden KA, Witte TK, Cukrowicz KC, Braith waite SR, Selby EA, Joiner TE JR. The interpersonal theory of suicide. psychological review 2010.

دور المؤسسات والمدارس في ترسيخ التعايش وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مناهجها التعليمية

دراسة تاريخية ميدانية

The Role of Institutions and Schools in Establishing Coexistence and Teaching Arabic to Non-Native Speakers Through Their Educational Curricula - A Historical Field Study

م. د. هيوا طاهر عباس ملا زادة*

م. د. صالح محمد عبدالله *

Dr. Hiwa Tahir Abbas
Dr. Saleh Mohammad Abdullah

الملخّص:

حث الدين الإسـلامي الحنيف في دعوته الأولى في مفتتح الرسـالة على القراءة والكتابة وطلب العلم. فهذا القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب السـماوية نجده يفتتح دعوة السـماء بالدعوة إلى القراءة، ولما يُكتب بالقلم من علوم تهدى وتسـتنير وتنعم بها الأمم. كما أقسـم الله سـبحانه وتعالى به، ومن هذا المنطلق كانت البداية الأولى لطلب العلم والتعلم والاهتمام بالمدارس وأماكن التعليم، وعلى هذا الأسـاس تأسّسـت المدارس العلمية الشـرعية ما تسـمى في كوردسـتان ب(الحجرة).

الكلمات المفتاحية: دور، المؤسّسات، المدارس، ترسيخ التعايش، تعليم، غير الناطقين باللغة العربية، المناهج التعليمية.

* مديرية الوقف السني/ كركوك – العراق.

Email: Hiwataher80@gmail.com
Sunni Endowment Directorate in Kirkuk - Iraq.

* مديرية الوقف السني/ خانقين – العراق.

Email: Salih1971@gmail.com
Sunni Endowment Directorate in Khanaqin - Iraq.

Abstract:

The true Islamic religion urged in its first call at the beginning of the message to read, write and seek knowledge. This Holy Quran, with which God concluded the heavenly books, we find it opening the call to heaven with a call to read, and for what is written by the pen of sciences that guide, enlighten and enjoy nations. As God Almighty swore by it, and from this starting point was the first beginning of seeking knowledge and learning and caring about schools and places of education, and on this basis the religious scientific schools were established, what is called in Kurdistan (The Room).

Keywords: Role, Institutions, Schools, Establishing Coexistence, Education, Non-Native Speakers of Arabic, Educational Curricula.

المقدمة:

الحمدُللهِ رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا المصطفى محمد وعلى آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد حثّ الدين الاسلامي الحنيف في دعوته الأولى في مفتتح الرسالة على القراءة والكتابة وطلب العلم، فهذا القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب السماوية نجده يفتتح دعوة السماء بالدعوة إلى القراءة فهي مفتاح النور والإيمان، ويعطي قيمة سامية ومكانة رفيعة سامقة للعلم والعلماء، ولما يكتب بالقلم من علوم تهدى وتستنير وتنعم بها الأمم، كما أقسم الله سبحانه وتعالى به، وفي الحديث الشريف "طلب العلم فريضة على كل مسلم[٥]، ومن هذا المنطلق كانت البداية الأولى لطلب العلم والتعلم والاهتمام بالمدارس وأماكن التعليم وعلى هذا الأساس تأسّست المدارس العلمية الشرعية ما تسمى في كوردستان ب(الحجرة).

في بلادنا يوجد الكثير من المدارس الدينية لتعليم الأطفال والشباب القراءة والكتابة وعلوم الشريعة الإسلامية، حتى لا تكاد تجد عالمًا أو شاعرًا أو أديبًا أو حتى سياسيًا أو قياديًا قاد ثورة إلا وقد كان له نصيب في التعليم في تلك المدارس.

قسم البحث الحالي إلى مقدمة، وتمهيدٍ في تعريف الألفاظ الواردة في العنوان، ومبحثين.

(٥) عدنان فرحان تنها. الحوزات العلمية: النشأة والتطور وآفاق المستقبل. (اطروحة دكتوراه)، قم: المركز العالمي للعلوم الاسلامية، ٢٠٠٦، ص٣.

--- المبحث الأول: في بيان أهم المؤسسات والمدارس الأهلية وتاريخها.

--- أما المبحث الثاني فبينت فيه دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها.

وتأتي الخاتمة لتلخص أهم ما توصل إليه الباحث من استنتاجات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: في بيان أهم المنظمات والمدارس الأهلية وتاريخها:

تُعَدُّ منطقة (كوردستان) الواقعة في شمال العراق، من المناطق التي دخلت الإسلام مبكرًا، وعملت على خدمته ونشره والدفاع عنه منذ القدم إلى اليوم، وبقيت محافظة وملتزمة بالإسلام وأحكامه، فلا تجد فيها قرية إلاّ ولها مسجد وإمام، والحمدلله، وقد تكون فيها مدرسة للعلوم الشرعية. وكانت المنهجية العلمية التي تبنّاها علماء المنطقة، إذ يقوم الشيخ بتدريس عدد معين من الطلبة الواصلين إلى مرحلة كبيرة (مستعد[٦])، وهم بدورهم يقومون بتدريس الجيل الثاني (سوخته[٧]) الّذين لا يزالون يحتاجون إلى مزيد من التعليم. إذن ففي داخل المدرسة يزاول الطلبة الكبار دور التدريس عدة سنوات حتى يتهيَّأون ويستقلون بالتدريس فيما بعد. ويقول الشيخ عبد الكريم المدرّس رحمه الله[٨]، في مقدمة كتابه: «علماؤنا في خدمة العلم والدِّين» : (لا يخفى على العالم بتاريخ الإسلام أنه بعد انبثاق نور الدِّين المبين في ربوع شرق الجزيرة وشمالها، اعتنقت الأمة الكردية الإسلام برحابة الصدر، وخدموه في العسر واليسر، وجاءوا بما يسرّ الناظر من التأليف والمآثر والمفاخر، غير أنّه لم تسجّل أسماؤهم وآثارهم لعوامل منها:

- خلّو بلادهم من المطابع وأسباب نشر العلوم وابتعادها عن البلاد المأهولة بها.
- أنّه لم تكن لهم ثروة كافية للوصول إلى طبع ما يرون نفعه من الكتب القيمة والرسائل النافعة لتثقيف المسلمين، ولذلك ولعوامل أخرى بقيت تراجمهم مكتومة، إلاَّ تراجم عدد قليل منهم هاجروا

(٦) وهو مصطلح يقصد به أنَّ طالب العلم وصل إلي مرحلة الاستعداد للتدريس، وأصبح قاب قوسين من أخذ الإجازة العلمية.

(٧) سوخته: اي مبتدي في تحصيل العلم .

(٨) هو عبدالكريم بن محمد بن عبدالفتاح بن سليمان، من عشيرة (القاضي)، ولد في شهر ربيع الأول سنة (١٣٢١هـ – ١٩٠٣م)، بدأ بالدراسة عند والده، وختم القرآن الكريم وقرأ بعض كتب المرحلة البدائية، وفي سنة (١٣٣٣هـ) ، ذهب إلى السليمانية لإكمال الدراسة، ثم عم الجدب المنطقة فهاجر إلى (دورود) كوردستان – إيران، و أعانه فيها الشيخ علاء الدين ماديا ومعنويا حتى تعلم النحو والفقه والآداب والمنطق والفلك ، وفي سنة (١٣٤٠هـ) ذهب إلى خانقاه مولانا خالد في السليمانية، وبقي في الخانقاه يتلقى العلوم من الشيخ عمر القراغي وأخذ منه الإجازة العلمية سنة (١٣٤٣هـ)، وله مؤلفات كثيرة باللغات الثلاث ، الكوردية والعربية والفارسية، توفي يوم الثلاثاء في بغداد سنة (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، عليه رحمة الله وبركاته. ينظر : حياة الأمجاد من العلماء الأكراد ، للشيخ طاهر ملا عبدالله البحركي ، دار ابن حزم، بيروت –لبنان، ٢١٩/٢.

إلى البلاد العربية وبقوا فيها مدة، أو توطَّنوا بها، فسجلت فيها على عادة الناس المتبصرين في ضبط أحوال أهل الفضل في البلاد خدمة لأهل الدين)[٩].

ومن أهم المدراس التي لعبت دورًا بارزًا في التربية والتعليم والعرفان وتثقيف الناس بأمور تتعلق بالاهتمام باللغة العربية باعتباها لغة القرآن الكريم وتعليم الأطفال والنساء وعلى ضوء المدارس الأهلية الشرعية أسست منظمات أهلية كثيرة تهتم بهذه الأمور حيث ربى أعلامها جيلًا على التربية الروحية وتعليمهم اللغة العربية والحب والتزكية والذكر والفكر، وهذا ما سنبينه من خلال هذا المبحث.

أولًا: مدرسة حاجي كاك أحمد الشيخ السليماني:

إن لهذا الشيخ دورًا مهمًا وبارزًا في جمع شمل المجتمع ولمهم في مكان واحد وهذه الصورة الجميلة رأيناها ونراها في كل يوم بأم أعيننا في جامع ومدرسة ومقام شيخنا الحاج كاكه أحمد الشيخ السليماني في الجامع الكبير في السليمانية في كردستان العراق.

فمن يذهب إلى هذا المكان يجد الكردي وبزيه الجميل ويجد العربي وبزي قومه ويجد السني والشيعي بل وحتى من بقية الديانات الأخرى وذلك من خلال مواقف أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– وسطيته في سياسة التعايش في منهجه: إذ كانت ولا تزال تعيش في السليمانية طائفة من المسيح واليهود والكاكية حيث كان للحاج كاك أحمد الشيخ دورًا فعالًا في تعليم الناس وتثقيفهم منهج الاعتدال والتعايش مع المسلمين وغير المسلمين ولما علم بأن هناك أيادي خبيثة تريد زرع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، زوّج ابنه امرأةً من المسيحيين اسمها مريم ولما رزقهما الله طفلًا لم يسمه محمدًا وإنما سماه عيسى إذعانًا بالوحدة والتقارب بين صفوف المجتمع.

– مطبخ الخيرات: من المشاهد المتألقة التي يرصدها رواد الجامع الكبير في السليمانية وزواره (مطعم الجامع) وهو مكان مخصص لتهيئة وإعداد الطعام لجميع رواد المسجد والمارّة والمحتاجين وعموم الناس الراغبين بالأكل والمحتاجين إليه.

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨]

(٩) ينظر :: علمائنا في خدمة العلم والدين، للشيخ عبدالكريم محمد المدرس، مكتبة الوطنية– بغداد– العراق ، ص٤٠٣.

أنشأ هذا المطعم المغفور له العلامة الشيخ الجليل كاك أحمد الشيخ "رحمه الله" وصار جزءًا أصيلًا من أجزاء الجامع وأركانه.

إن التكافل والتعاون بيننا هو السبيل الوحيد لبقاء حياة مستقرة آمنة، عمادها القيم النبيلة والأخلاق الحميدة والمعاني الصادقة للإيمان. إن حبنا لبعضنا وتسامحنا وتعاوننا يفتح أبواب الأمل لحياة أفضل ومستقبل أفضل.

وبفضل الله وحمده لا زال مطعم الشيخ كاك احمد الشيخ في جامع السليمانية الكبير يستقبل العشرات وربما المئات يوميًا بروح التآخي والتعاون الإسلامي بعيدًا عن المنة والفوقية والطبقية، فتجد في هذا المطعم طلاب العلم والمصلين والمحتاجين وعابري السبيل معًا على حد سواء، لأنّه لا فرق بين الإنسان وأخيه الإنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح وفعل الخير وحب الناس والتعامل مع المجتمع بإيجابية.

ومن المفرح في هذا العمل الخيري تجد من يأتي لأكل هذا الطعام الغني، لأنه يلتمس فيه البركة والتبرك ولشفاء المرضى، وتجد الكردي والعربي والبنكلاديشي والنيبالي والصيني والإيراني والتركي وغيرهم من بقية البلدان.

والجدير بالذكر أنّ إدارة هذه المدرسة تعطي آلاف الأشخاص من الفقراء ووافدي هذا المكان كل يوم عدا يوم الجمعة الطعام والشراب من دون أن يتسخ المكان أو يؤثر على البيئة، حيث تجد أن هناك مكان مخصص للجلوس على الطاولة لإطعام الطعام وهناك لجنة خاصة للعناية بنظافة هذا المكان.

وأن هناك مكان خاص لزيارة النساء وتعليم العلوم الدينية والعلمية والثقافية في هذه المدرسة المباركة في محافظة السليمانية.

ومن هؤلاء العلماء والشعراء، العلامة الشيخ معروف النودهي الكوردي الذي عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري ثمانية وثمانون عامًا قضاها في خدمة العلم والشعر والأدب لنا تراثًا علميًا وأدبيًا، وخلف من المنظومات العلمية والمؤلفات من مختلف العلوم والفنون ما ينيف على خمسين مؤلفًا كلها آية في البلاغة والبداعة والبراعة، هذا عدا تخاميسه وتسابيعه وتشاطيره من القصائد المشهورة.

ومن المؤسف أن آثاره الأدبية، ومنظوماته العلمية قد تفرقت وتبعثرت في مكتبات الداخل والخارج، فقد قسم منها في حياة الناظم وبعده، وأتى منذ أكثر من عشر سنوات تتبع تلك الآثار المبعثرة في زوايا المكتبات.

ولما كان هذا الإمام اللغوي والناظم الملهم، صاحب اليد الطولى في ميداني العلم والأدب، حق علينا أن نحيي ذكراه.

وكان لعلماء المسجد دور هام في الإصلاح والتوجيه والرعاية وكان الشيخ كاكا أحمد عالمًا وفقيهًا ومعلمًا ومصلحًا اجتماعيًا، وكان لعالمنا هذا نهج خاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقوق الآدميين وكان لهُ ضربان عام وخاص في هذا المجال، فأما العام فكان ينظر إليه نظرة عالم عارف وبتصوره هذا كان يشبه الحقوق كالبلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذو الحاجات فكفوا عن معونتهم قد أحاطت بهم الخطيئة إنه يرى) رحمه الله (إن كان في أموال الأغنياء مال ... ولم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر بإصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعرفة بني السبيل في الاجتياز بهم، لأنه حق للفقراء يلزم الأغنياء دفعه بأمر من الله ورسوله، وكذلك دوره في حماية الأديان الأخرى من المسيح واليهود والقوميات الأخرى حيث كان يقضي بينهم بحكم الكتاب والسنة.

ومن كل هذا نستنتج أنّ دور المساجد والجوامع لم يقتصر على أداء صلوات الجماعة وإقامة الجمعة فحسب، بل كانت الجوامع ولاسيما الجامع الكبير مسجدًا للعباة ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومدرسة للعلوم العربية والإسلامية ودارًا للأفتاء ومنتدىً للتجديد ومرجعًا دينيًا واجتماعيًا للسليمانية وما جاورها(١٠).

ثانيًا: مدرسة كربجنة العلمية الروحية:

تأسست هذه المدرسة على يد السيد الشيخ عبد الكريم قدس سره العزيز حيث ينتهي نسبه إلى الروضة العلية المحمدية ويرتفع نسبه الأعلى إلى الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وقد هاجر أجداده إلى الشمال الأقصى من بلاد الإسلام في موجات الهجرة التي جاءت بعد الاضطهاد الذي لاقته هذه العائلة الشريفة، فاختارت المناطق النائية من الدولة الإسلامية، وكانت لهذه الهجرة أدوار كبيرة في حياة الناس والمسلمين. إذ قادت الأمة الإسلامية قيادة روحية وخدمت الدين بكل وسيلة، وقد كان من بين هؤلاء السادة الذين تركوا الجزيرة العربية وهاجروا إلى أرض الله الواسعة السيد أبو

(١٠) ينظر : تيسير العسير للشيخ سالار الحفيد مكتبة الوطنية- بغداد- العراق ، ص٤٠٣.

يوسف الذي لقب بالهمداني لأنه استقر في مدينة همدان، وكان رجلًا عالمًا متصوفًا زاهدًا وفقيهًا تقيًا في الشريعة الغراء، اشتهر أبو يوسف بتقواه والتف حوله ألاف من الناس يتلقون العلوم الدينية والتصوف على يده. وكان له ابن اسمه السيد بابا علي الهمداني، وكان للسيد بابا علي ولدان السيد موسى والسيد عيسى، اللذان انتقلا إلى شمال العراق وسكنا في قرية برزنجة بمحافظة السليمانية ولقبا بالبرزنجي نسبة إلى القرية المذكورة وقد توفي السيد موسى بدون أن يترك ذرية، وبقي السيد عيسى البرزنجي الذي ينتسب إليه جميع السادة البرزنجية بفروعهم المنتشرة ومن ضمنهم العائلة الكسنزانية.

من مواعظ مؤسس هذه المدرسة الشيخ عبد الكريم قدس سره العزيز لطلابه: " اعلم يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال، هم أبناء الدنيا دنياهم، وهم أبناء الآخرة آخرتهم، إياك والدعوى الكاذبة، ما أكلت تفنيه، وما لبست تبليه، وما عملت من خير أو شر تلاقيه.

وقد أهتم أعلام هذه المدرسة باللغة العربية حيث ربوا أتباعهم على حب اللغة العربية وتعلمها كونها لغة القرآن الكريم وكذلك شجعوا العنصر النسوي على المشاركة في الأمور الخيرية وتعليم اللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الرجال.

ثالثًا: مؤسسة العراق للتقريب والحوار:

تأسست مؤسسة العراق للتقريب والحوار في يوم المولد النبوي الشريف من عام ١٤٤٣هـ على يد مجموعة من أساتذة وعلماء وخطباء جوامع وباحثين لتكون منبرًا ومجلسًا للحوار ليعطي قوة لعمل المؤسسة. إذ قامت هذه المؤسسة بعدد من الجلسات والمؤتمرات والندوات على يد الأمين العام للمؤسسة فضيلة الشيخ الدكتور عبد الأمير الكيلاني حفظه الله الملك المنان.

إذ نجد أن هذه المؤسسة تهتم اهتمامًا بالغًا في تعليم علوم اللغة العربية وفتح دورات تعليمية لغير الناطقين بها من الأجانب الذين أتوا من بلدان أجنبية.

رابعًا: مدرسة الشيخ طاهر ملا زادة:

هو الشيخ طاهر الشيخ ملا عباس الشيخ ملا زاده، وملا زاده تعني عائلة العلم لأنه ينتمي إلى بيت من أهل العلم والعرفان نسبة إلى جده السادس.

نشأته: نشأ الشيخ طاهر وتربى في حضن والده الشيخ عباس الذي كان رمزًا في العلم والتربية والزهد، الذي كان يلقب من قبل علماء عصره ب((ولي الداودية))، إذ بدأ في السادسة من عمره بدراسة القرآن الكريم وعلومه وعلوم اللغة العربية والفقه والتفسير والتصوف في مدرسة والده وترعرع فيها حتى أنه أصبح مُدرّسًا فيها. وقد بدأ بتدريس بعض العلوم الشرعية في مدرسة والده وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره لشدّة ذكائه.

بعد أن أخذ الشيخ طاهر الشيخ ملازاده إجازته العلمية والإرشادية سلك على يديه كثير من الشباب والطلاب والمريدين حتى كثر أتباعه وانتشروا في كثيرٍ من مدن العراق، إذ كان له أسلوب خاص في إيصال المعلومات الفقهية والعلمية إلى أذهان طلابه، وكان له في كل مجلس كلمة يزينها بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والقصص والحكايات بحيث يُبكي المستمع ويُضحِكُه في آنٍ واحد.

كان الشيخ طاهر رحمه الله يحب السفر حبًّا شديدًا، وكان يقول: "نحن قوم اختارنا الله لخدمة دينه وعباده" وأن الناس بحاجة إلى معلم يعلمهم ومرشد يرشدهم، لذلك كان كثير التجوال في أنحاء البلاد والقرى والنواحي المختلفة لوعظ الناس وإرشادهم، وكان إذا عزم على سفر للإرشاد أو للصلح بين عشيرتين كان يتجهز لهذا السفر ولا يتخلّف عن أصحابه أبدًا، وكان نشيطًا خفيفًا على أصحابه في السفر، حتى أنه كان يقول منذ خمسين سنة وأنا أتجول وأسافر في جميع مدن العراق وخارجه وما تخلفت عن أصحابي في السفر قط. وكان حيث يصل قرية أو ناحية أو أي مكان يستقبله الفقراء قبل الأغنياء والبسطاء قبل الوجهاء والعلماء، وكانوا يدعونه لتناول الطعام عندهم وكان يقبل ذلك بشرط طعام بسيط وعدم الإسراف.

وكان قدس الله سره يباشر بدعوة الناس ووعظهم وإرشادهم حيث كان يعظ الناس حوله، وكان ذا وعظ مؤثر على قلوب الناس، فيرشدهم ويعلمهم الشريعة والطريقة ويأمر ببناء المساجد والمدارس في القرى النائية، ويخلف عليهم من ينوب عنه لتعليمهم آداب دينهم الحنيف وسلوك طريقته، كما يعين عليهم عالمًا لتعليمهم أصول الشريعة الغراء السمحاء وكل ما يحتاجه المسلم وهكذا دأبه في كل قريةٍ وناحيةٍ ومكانٍ يمر به.

وكان يعظهم على الأخوة والتآلف والمحبة وعدم التفرقة، وكان يقف بوجه كل عصبية وقبلية وقومية ومذهبية. كما كان يقول في سفراته وجولاته نحن كلنا كشجرة جميلة مثمرة، فالشجرة لو قطعت منها أوراقها وأثمارها وأغصانها يا ترى هل تبقى جميلة مثل شكلها وهيأتها الأولى؟ بالتأكيد: لا، لذا كان كثيرًا ما يؤكّد على هذه الأمور ولو قيل له: يا شيخ إن فلانًا أو البيت الفلاني أو العشيرة الفلانية فيهم صفة التشدد أو

التعصب كان يذهب إليهم أو يدعوهم لحضور مجلسه وبعد حضورهم كان يدعوهم بأسلوبه الرقيق الجميل وبالحكمة والموعظة الحسنة فكانوا يستسلمون ويتركون هذا العنف والتطرف. وكان يرشدهم في جلساته للحفاظ على علم اللغة العربية والتحدث بها. وكان يجلس في مجلسه النساء فيعظهن ويرشدهن ويعلمهن أمور الدين والدنيا والعلوم النافعة في المجتمع.

المبحث الثاني: دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها:

يبيّن المبحث الثاني دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها، فمن البداهة لدى الجميع، أنه من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين اليوم هو قضية الإقرار بالتعايش الديني والقومي والثقافي بل وحتى التعايش بين الجنسين (الرجل والمرأة)، ولم يعد الإنسان يشعر بالأمن على نفسه وماله وعرضه، إذ نلاحظ يوميًا مشاهد القتل والتشريد والنزوح، والغريب أن أغلب هذه الأعمال الإجرامية ترتكب باسم الإسلام وفي ظل مسميات إسلامية وبغطاء جماعات وتنظيمات إسلامية حتى خلقوا صورة مرعبة في أذهان غير المسلمين والأجيال الجديدة للمسلمين، وهذا يتطلب منا أن نسهم جميعًا في وقف نزيف الدم وعدم قتل الأطفال والأبرياء وعدم تفجير المساجد وأماكن العبادة وعدم هدم وطمس الموارد الطبيعية من الأشجار ومياه العيون والأنهار وغيرها التي تعد مصدرًا للحفاظ على البيئة، وسدِ الباب أمام موجات الكراهية والنكران، وعدم السماح بتشويه صورة الإسلام.

ومن أهم الوسائل الفعالة للوقوف أمام هذه الموجة الخطيرة هو إظهار روح الإسلام في صورته الحقيقية، صورةِ التعايش والتسامح والأخوة وحب الآخرين[١١].

وهذه لا ولن تكون إلا بالرجوع إلى ما جاءت إليه غاية بعثة الأنبياء والرسُل صلوات الله وسلامه عليهم ألا وهي تربية الفرد والمجتمع بتزكية الأنفس وخلاصها من رذائل الدنيا والركون إلى الشهوات كما قال تعالى:

١١) استفدت من مقدمة بحث (تنوع طبقات المجتمع ضرورة إنسانية) الذي تقدم به صاحبه الدكتور جعفر الكواني إلى ندوة: (الحرية الدينية وتعزيز مبدأي الحوار والسلم) المنعقدة في ٢٠١٧/٤/٢٢ في (الأردن) في مركز (الإمام ابو عبد الله الشافعي). ينظر: كتاب: الخطاب الديني وتنوع طبقات المجتمع، د. جعفر الكواني مطبعة: روزهلات/ اربيل، الطبعة الأولى ٢٠١٨بتصرف .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ ﴾ الجمعة: ٢.

فقد طغت موجة من الماديات على قلوب المسلمين قطعت صلتهم بالله وتعلقهم به، فابتعدوا عن كل مظاهر العبودية والالتجاء الصادق إلى الله، حتى وصلوا إلى ما نراه من حيرة وقلق واضطراب. ولا سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بالتزام العبودية لله تعالى والتحرر من عبودية الوثنيات والطواغيت وشهوات الدنيا والماديات على اختلاف أشكالها وأنواعها، تلك العبودية التي لو استجاب الناس لها لعاشوا في اطمئنان وسعادة وسلام، والتي هي أساس العمل الصالح الذي يثمر نهضة الأمة، وينقذ الإنسانية جمعاء من جحيم العبودية والخضوع للبشر، ويرد عليها تراثها ويرفع منزلتها ويمنحها السعادة والفوز في الدارين.

إنّ الحديث عن المصلحين وأئمة الدين والمشايخ المربين لا يبلى مهما تعدد، ولا يمل مهما تردد، لأن الحديث عنهم بركة ورحمة[١٢].

ولقد برز في هذا المضمار كثير مِن المفكرين والعلماء الربانيين ذابوا وانصهروا في بَوتَقة الحبّ والخدمة الخالصة لمجتمعاتهم، فصاروا جنودًا مجهولين لم يكن لهم همّ ولا غاية إلاّ خدمة المجتمع وإبلاغ رسالة الله إلى النّاس جميعًا مِن دون مِنّة على أحد أو مطلب دنيوي، بل كان جلّ اهتمامهم رضاءَ الله تعالى والفوزَ بمحبّة الله والناس، فلقد انتشر أمثال هؤلاء المصابيح للهداية في أرجاء العالم ولاسيما في جميع البِلاد الإسلامية، ولم يكن بينهم أيّة رابطة إلاّ رباطَ الأخوّة الإسلامية مع رباط الإنسانيّة.

وهؤلاء مُتوزّعون على كثير من الأقوام والشعوب والأمم وذلك نبغ من بينهم العلماء والصلحاء كلٌّ حسب حجمه ومكانه في المجتمع، وما مِن بقعةٍ في العالم الإسلامي إلاّ وقد نبغ فيها من بني قومهم علماءُ مُبرَّزون وصلحاء مشهورون مِنهم المفسّر والفقيه والنحوي والشاعر والنّاصح الأمين والماتن والشارح، وهذا مشهور لا حاجة في الإسهاب فيه.

فالحق أنّ سيرَ هؤلاء النُبلاء والأعلام معروفة ولكن كما قيل:

أعِد ذكرَ نُعمان لنا إنّ ذكره هو المِسْكُ ما كرّرتَه يَتَضَّوعُ[٢٥]

١٢) إشارة الى قول ينسب إلى ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: «عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ» ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)٢٨٥/٧.

٢٥) ينسب هذا البيت للإمام الشافعي ولم أعثر عليه في ديوانه ولكن استشهد به عبد الرحمن الجامي في كتابه " ملا جامي في النحو " في مبحث غير المنصرف . ينظر : ملا جامي في النحو ، لعبد الرحمن الجامي : ص ٣٢ .

فلقد برز بعضٌ من هؤلاء العلماء الأعلام في ميدان العلم والتربية والتزكية والصلح والإصلاح وهم كثيرون منهم: ((الشيخ حسن القرجيواري الحسيني)) قدس سره، حيث كان عالمًا عاملًا زاهدًا مربيًا شاعرًا عابدًا داعيًا إلى الوسطية والاعتدال. وكان كثير الرحمة مع الناس حتى مع الحيوانات، ومن آثار تلك الرحمة أنه كان يذبح بعض الذبائح ويضعها على التلال القريبة من القرية حيث تأتي الحيوانات الضارية وغيرُها لتأكل منها وينصح الذي يذبح الذبائح بأن لا يأخذ منها شيئًا فتلك هي حصتهم، ومن رحمة ورفق الشيخ أيضًا: أنه كان يأمر بنثر الحبوب في النهر لتأكل منه الأسماك والحيوانات الأخرى.

وما نراه اليوم في مجتمعاتنا من القتل والتشريد والتطرف والتكفير والتفرقة إنما هو غيابُ هذه الرحمة المحمديّة وغيابُ تزكية النفوس التي كان يقوم بها مشايخنا أمثال السلطان الشيخ حسن القرجيواري.

ودعوة الشيخ التي هي "دعوة الإسلام" الذي جاء الأنبياء من أجلها وهي تزكيةُ النفوس البشرية وتربيتُها كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾ البقرة: ١٢٩

وقد ربى الشيخ حسن القرجيواري جيلًا على الحب والتزكية، والإحساسِ بمشاعر الآخرين. هذا وكان قدس الله سره كل من يسلك الطريق على يديه يُعلمه آداب وأساسيات الدين، كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة، ويعلمه قراءة القرآن، بقدر ما يقوم به فريضة الصلاة إن كان أُميًّا علمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص وإذا كان يجيد القراءة يعلمه أيضًا القراءة الصحيحة كلٌ قدر استطاعته واستيعابه واجتهاده فمنهم من يوفق لختمه، ومنهم من يتعلم عدة أجزاء منه، ومنهم من يتعلم عدة سور منه، ويمنع المُريدين من إطالة الشعر رياءً ويأمرهم بقص الشارب وإعفاء اللحية، ويمنعهم من شرب السجائر.

الخـاتمـة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبذكر أوليائه تنزل الرحمات والصلاة والسلام على سيد السادات وفخر الكائنات حبيبنا محمد أزكى البريات وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الميقات.

وبعد في ختام بحثي هذا أسأل الله حسنَها، وأذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في بحثي وأعقبها بالتوصيات.

أولاً : النتائج :

١- إن عصر أعلام هذه المدارس الذي عاشوا فيه هو عصر التقلبات السياسية والعسكرية التي ضعفت فيها التربية السمحة والثقافة العلمية فظهرت فرق وجماعات وأحزاب تدعو إلى التطرف والعنف والتفرقة بين المسلمين وتكفير المسلمين، وقد ساعد هذا الضعف التربوي في تدهور الناحية الاجتماعية فكثرت فيه المشاكل والخلافات بين الرجل والمرأة وعز فيه أهل الصلاح، وغزت المجتمعَ مظاهرٌ لم تعرف في مجتمع إسلامي سابق. وبالرغم من تدني الحالتين السياسية والاجتماعية استطاع هؤلاء الأعلام أن يربوا جيلًا يجمعهم على الحب والتربية والتآلف، ونبذ التطرف والعنف والإرهاب.

٢- إن هذا الموضوع له أهميته في أن يدرس ويستحق أن يجمع في رسالة علمية ويدرس دراسة دقيقة، مرتبة على مقدمة ومباحث لتستبين الرؤية ويتضح المزيد من هذا الجهد المبارك.

٣- أرجو أن يكون هذا البحث إضافة جديدة في مكتبة أهل اللغة العربية، إذ اشتمل على جهود مجموعة أعلام وهذا البحث بمثابة جمع جهودهم الإصلاحية في المجتمع.

هذا أبرز ما توصلت إليه نتائج هذا البحث. وبناءً على ذلك أوصي بما يلي:

ثانيًا: توصيات ومقترحات:

-وجملة هذه التوصيات والمقترحات نوجزها فيما يلي:

١- العمل على إنشاء دورات تربوية للمساجد والحسينيات والمدارس والتكايا، ويُدرس حياة المشايخ المربين أمثال الشيخ طاهر ملا زادة والشيخ كاك أحمد السليماني، لكي ينشأ المجتمع منشأ هؤلاء الأعلام الذين تربوا على العلم والعمل به من التزكية والتربية والمحبة ولنبذ العنف والتطرف.

٢- تأسيس منظمات ومؤسسات لتوعية الناس في الأماكن السياحية لتثقيفهم للحفاظ على سلامة اللغة العربية لغير الناطقين بها خلال الجولات السياحية.

هذا ما وفقنا الله لدراسته في هذا البحث، كما نسأله أن يغفر لنا ما كان منا في كتابة بحثنا من الأخطاء والزلل، وأن يكون هذا البحث ممًا يُنتفع به، إنه سميع مجيب وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الخطاب الديني وتنوع طبقات المجتمع، د. جعفر الكواني.

٣- تفسير ابن كثير.

٤- صحيح مسلم (٢٠٨٨/٤ ح٢٧٢٢).

٥- مختار الصحاح: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي.

٦- www.niqash.org.

٧- مناقبات ولي الله الباري الشيخ حسن القرجيواري، تأليف محمد سعيد البرزنجي.

٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين الجوزي.

٩- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة الدمشقي.

١٠- جواميريكاني شيخ حسن قرجيوار، شيخ محمد برزنجي، ترجمة: عبد الفتاح شيخ عبد الله.

١١- وجوب إعفاء اللحية، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي.

١٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي.

١٣- سنن أبي داود ٤٣٧٣ في الحدود.

١٤- المعجم الكبير للطبراني (٤٥/٣ ح٢٦٣٤).

١٥- مجمع الزوائد للهيثمي.

١٦- موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز بن محمد السلمان.

١٧- شرح طيبة النشر.

موقع المجلّة الإلكترونيّ
www.diaalfekr.com
https://ojs.diaalfekr.com
مركز المجلّة: بيروت ـ لبنان
هاتف ٠٠٩٦١ ٧٠ ٨٢٠٠٧٨
البريد الإلكتروني : rsj@diaalfekr.com - diaalfekr.sj.lb@hotmail.com